د. عبد الجبار ناجي

الإمام علي وإشكالية
جمع القرآن
ودراسات المستشرقين

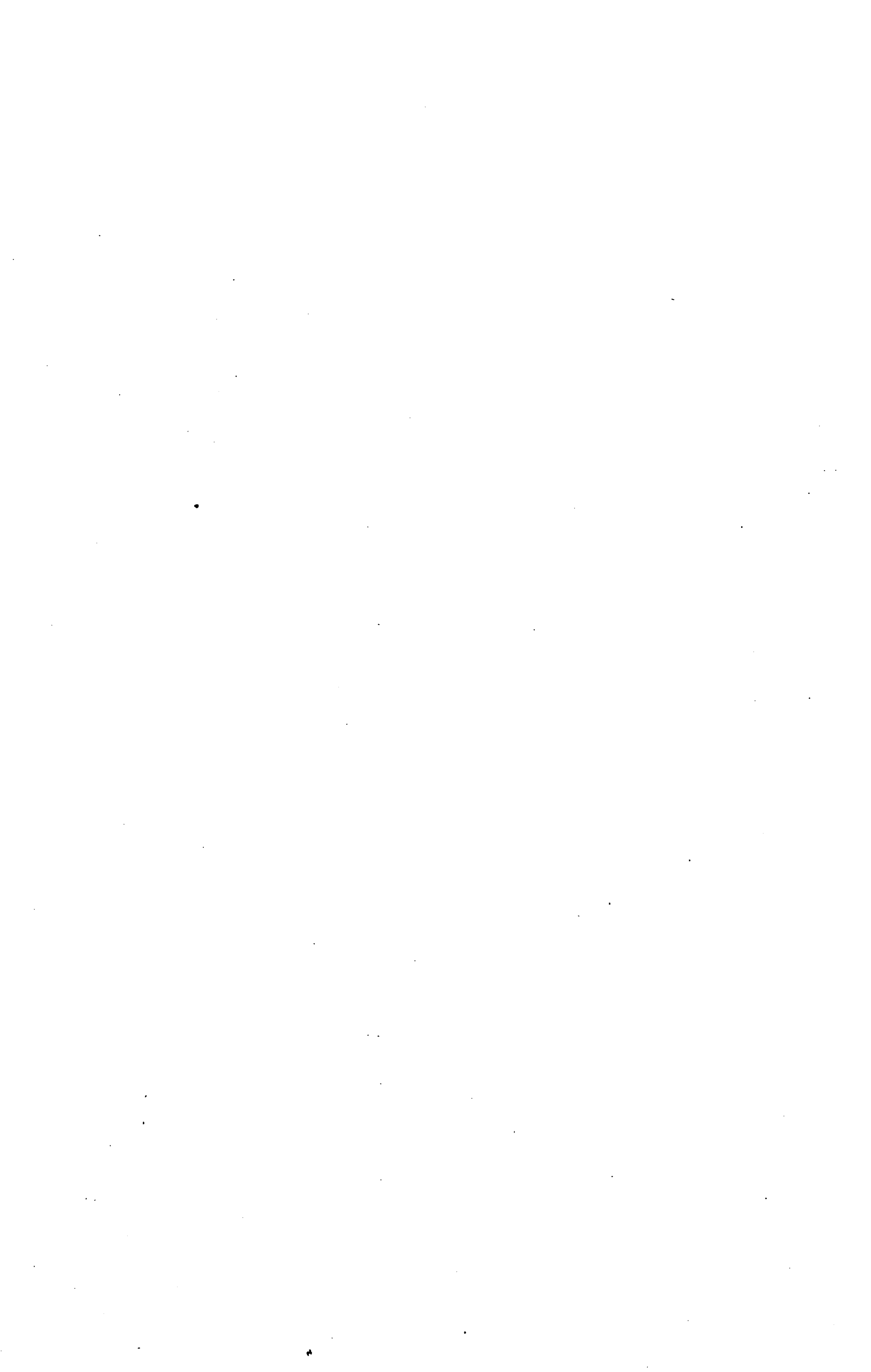



www.daralrafidain.com





الإمام علي وإشكالية
جمع القرآن
ودراسات المستشرقين



الإمام علي وإشكالية
جمع القرآن
ودراسات المستشرقين

تأليف:

الدكتور عبد الجبار ناجي





الإمام علي وإشكالية
جمع القرآن
ودراسات المستشرقين

IMAM ALI AND PROBLEMATIC OF COLLECTING THE QUR'AN
AND ORIENTALISTS STUDIES

By: Dr. Abd Al-Jabbar Naji

المؤلف

الدكتور عبد الجبار ناجي

الطبعة الأولى، لبنان/ كندا، 2017
First Edition، Lebanon/Canada، 2017





لبنان - بيروت/الحمرا
تلفون: 751055 1 961+/541980 1 961+
daralrafidain@yahoo.com
info@daralrafidain.com
www.daralrafidain.com

56 Laurel Cres. London، Ontario، Canada
Tel: +1 2266783972
N6H 4W7
opuspublishers@hotmail.com

ISBN: 978 - 1 - 988295 - 03 - 9

المقدمة

كان الحافزُ الأساسُ لولوج المؤلف في هذا الباب المهم والحيوي والخطير، عدةُ عوامل رئيسة وغير رئيسة مباشرة وغير مباشرة، ومن أهمها، العامل الذي أدّى وساعد على عَزْل الفرع الهاشمي متمثلاً بالإمام علي بن أبي طالب بالدرجة الأولى وتغييب بعض الصحابة من كُتّاب الوحي لأهدافٍ مريبة. أولئك الذين ذكرهم الرسول في أحاديثه وفي وصاياهُ وإرشاداته وخطور المسألة، أننا جميعا المسلمون في جميع أطراف المعمورة متفقون إتفاقاً كاملاً على أنّ القرآن العظيم واحد، وهو الذي وصفه الأئمةُ الأطهار ما بين الدفتين لا أكثر من ذلك ولا أقل من ذلك. كالذي أفتى أئمة أهل البيت الهدى من آل بيت النبوة . إنه الموضوع المقدس عندنا جميعا، ولكن ما العمل أو كيف أنْ نكون ونحن يومياً نواجه ونجابه الكثير من تحديات الغَرْبْ إنْ كانَ هذا الغربُ، مسيحياً أو مبشرا أو يهودياً أو إستعمارياً أو متشككاً أو متحيّراً في رؤاه أو متردداً في التصديق أو التكذيب أمام هذا الكمّ من الروايات التي جاءتْ بصيغة أحاديث عن رسول الله ، قد جُمعت في مؤلفات، أُصْطلح عليها بالصحاح والسنن، ومؤلفات المصاحف أو اختلاف المصاحف. وحسبما هو معروف عند الجميع، أنَّ هؤلاء الغربيين من المستشرقين والمُبشِّرين، ممّن أفنى الكثير من عمره العلمي في دراسة وتعلم اللغات الشرقية، والعربية على وجه الخصوص، قد نَجَح في ممارسة القراءة في كتبنا الإسلامية وبلغَتنا، ومن بين أهم ذلك كتب الصحاح والسنن والتاريخ، قد أُذهلوا كثيراً من المعلومات الواردة في هذه الروايات بهيأة أحاديث قالها ونَطق بها رسول الأمة ونُقلتْ إلينا وإليهم بواسطة سلسلة إسناد غير متوازنة وغير ملتفتة إلى خطورة مبانيها ومحتوياتها؛ وواقعاً فإنَّ هذه المعلومات الإسلامية موجودة ومكررة في هذه المصادر الإسلامية التي تطوّرت لتُعدّ هي المصادر الأساسية عند السلفية وأتباعهم في المرحلة الثانية بعد كتاب الله في الصدقية والموثوقية. وهي كذلك في نظر الغربيين والمستشرقين؛

إذْ وفّرتْ للمستشرق الغربي والشرقي والإسرائيلي والأوربي والأمريكي زاداً غنياً في نقد الإسلام ومحتواه العقائدي وكذلك في رسم صورةٍ عن الإسلام مُشوهة المعالم لا تحمل إلّا الهدم ومن هذه الصور النمطيه تنطلق في التبشير السياسي والديني والفكري ضداً بالإسلام ديناً وفي ممارساته وطقوسه وتعاليمه والأمضى من ذلك كلّه في كتابه المقدس العظيم وفي أحاديث النبي الأكرم الشريفة. حقيقة إن الدراسات العربية والاستشراقية قد وقفت موقفاً تحليلياً للأحاديث النبوية ووجهت المطاعن للكثير من الأحاديث الضعيفة والكاذبة والمدسوسة، حتى بالنسبة إلى تلك التي وفدت ووردت في كتب الصحاح والسنن، ولهذا أسّست عدم مصداقية الكثير منها، ولكنهم مع هذا لم ولن يتمكنوا من إستخدام معاولهم في هدم صرح البنية الربانية المقدسة لكتاب الله العزيز. وفي هذه المسألة أيضاً وجدوا غذاء دسماً، كالذي وقفت عليه في متن هذا الكتاب المتواضع. إذْ وجد كلّ من جون بيرتون John Burton وجون جلكرايست John Gilchrist وجوش مكدويل Josh MacDowell والمبشر الأمريكي المعاصر جونز (Jones) وغيرهم كآرثر جيفري Jeffery مادة غنية وقاطعة قدمت بصيغة أحاديث في كتب الصحاح والسنن، بشأن الجمع الأول والثاني للقرآن الكريم. فألّفَ جون بيرتون كتابات عدة أهمها كتابه، (جمع القرآن The collection of the Qur'an) تدلّ مضامينه على تركيزه الجلي وفي الفصل الثاني منه على تاريخ جمع نصوص القرآن وعلى الجمع الأول زمن خلافة أبي بكر بعد وفاة رسول الله مباشرة بحسب رواية معركة اليمامة، كذلك الجمع الثاني خلال خلافة عثمان وكما مدوّن في أدناه.

وهو كتاب يعتمدُ عليه الكثيرُ من العرب والمسلمين حين يكتبون ويتحدثون عن عمليات جمع القرآن. والواقع إن إعتماده دون رؤية ثاقبة وواعية لدسّه ووجهة نظره، هي بالتأكيد ستساعد في ترديد شكوكه ومواقفه، فحين يعتمده الباحث الذي يعتقد بصدقية مؤلفات الصحاح مثلاً، فإنَّ ذلك الباحث سيكون واهماً في حسن الاختيار، لأنه مصدر معادٍ لهذه المؤلفات، قد يتساءل المرءُ لماذا والبروفسور بيرتون يقدم معلوماتٍ قيّمة؟ أقول إن جون بيرتون، هو أستاذ اللغة العربية في جامعة أدنبره، وأفنى حوالي ثلاثين سنة من عمره وهو يدرسُ ويتابع هذا الموضع

أي (جمع القرآن)، وبناؤه الفكري يعتمد على أنَّ المصحف الذي بين أيدينا، هو مؤلف قد كتبه محمد؛ عندئذ حينما نقبل بطروحاته من دون جدل ومناقشة، نكون قد وافقنا على نظريته، كما أستنتج بعض الباحثين. وهناك أمر آخر، بأنه قد نهجَ في نظريته نهج كلّ من المُسْتَشرقَين الألماني شاخت Schacht، والمُستشرقُ المجري اليهودي، جولدتسيهر Goldzihr اللذين شككا في الأحاديث النبوية.

أمّا المستشرقُ جون جلكرايست، فقد ألّفَ أيضاً كتاباً بالعنوان ذاته، (جمع القرآن The collection of the Qur›an). فضلاً عن هذا الكتاب، فقد ألّف مجموعة أخرى من الكتيبات عن جمع القرآن نظير مؤلفه (تاريخ النصّ القرآني ونصّ الإنجيل History The Textual History of the Qur›an and the Bible)، وله كتابٌ آخر بعنوان، (إستشهادات ودلائل عن جمع القرآن Evidences for the collection of the Qur»an) وكتاب، (كتاب الإسلام القرآن The Scripture of Islam the Qur›an) وكتاب آخر بعنوان، (محمد ودين الإسلام Muhammad and the Religion of Islam) وكتُبٍ وبحوثٍ عديدة تعكس كونه مُبشراً على المذهب المسيحي البروتستانتي في جنوب إفريقيا. وقد إشترك مع المبشر جوش مكدويل في حوار ومناقشة مع أحمد ديدات ومع الشيخ شبير علي Shabir Ally وهو داعية إسلامي ورئيس مركز الإعلام الدولي في كندا -تورنتو. وطبع الكتاب باللغة الإنجليزية تحت عنوان، Josh McDowell and John Gilchrist vs. Ahmed Deedat in the Islam Debate في سنة 1982. ويبدو إنه متخصص في العمل والتبشير في جنوب إفريقيا وكاتب متمكن من اللغة العربية، وله معرفة جيدة بالمصادر الإسلامية السنيّة بوجه خاص، بسبب كثرة اعتماده عليها، وقلة معرفته بالمؤلفات الشيعية ومؤلفات الأصول والرجال الشيعية، وبالأخص ضَعّف معلوماته بمؤلفات التفسير الشيعية. فالمستشرق يشخص ويشدد في مقدمة الكتاب على الآتي:- أن المسلمين إعتادوا على ترديد فكرة مفادها، أنّ القرآن قد بقي محفوظاً بنصّه الأصلي منذ زمن محمد إلى هذا اليوم من دون أن يمسّه أي تغيير أو نقصان أو إضافة. وإنهم يعتقدون إنّ هذا النصّ القرآني أصله إلاهي ومقدّس. والأكثر أهمية قوله: - إن النص القرآني، كالذي نقرأ فيه أو الذي يُتلى اليوم إنّما هو من تأليف زيد

بن ثابت، ويتم دائماً تصحيحه والزيادة عليه عندما تقتضي الضرورة ذلك ويستشـهدُ بمـا قام به الحجـاج الثقفي والي العراقيـن في العصر الأموي. ويعتقد المستشـرق، أنـه إعتمـاداً على الكثير من الأدلة المتوافرة في الصحـاح وغيره، أنّ الذي وصلنا من القـرآن قـد وصل عبـر مراحل عديدة مـن التصحيح، والحذف، والإنشـاء لا على يد محمد نفسـه، بل على يد الخليفة من دون توجيه من محمد أو من دون توجيه إلهي. ومن بين النقاط الأخرى التي سلّط عليها الضوء، فإنه لا يوجد أي أساس تاريخي أو أي واقـع للفكـرة أو للنظرية التي يتفاعل معها المسـلمون، بكون القرآن قد تمّ حفظه إلى آخر نقطة فيه أو إلى آخر حرف فيه. طبعاً إنّ المستشرق، قد إستشَهد وإستَنَد على الكثير من الشـواهد المسُـتقاة من مصادرنا الإسـلامية. وفي أدناه محتويات الكتاب، الذي يضم سـبعة فصول متماهية تقريبا مع بنود الفصل الثاني، الذي إسـتوعبُه كتاب جون بيرتون، المستشـرقُ الذي سبقت الإشـارة له؛ فهذا المستشرق، ركّزَ أيضاً على مباحث تتعلق بالتساؤلات المهمة ومنها:-

- المصحف في عهد الرسول إذ ينفي وجوده.
- الجمع الأول في عهد الخليفة الأول .
- تأمل وتساؤل على هذا اجمع الأولي .
- الآيات التي نسيها زيد بن ثابت.
- ثم يتناول في الفصل الثاني المصحف العثماني.
- عملية حرق عثمان للمصاحف.
- ثم يتعرض لمصحف إبنُ مسعود وأبي بن كعب.
- وخصّص فصلاً عن الآيات المفقودة.
- وخصّصَ فصلاً عن الأحرف السبع أي القراءات السبع.

إذن فالمستشـرقان المشـار اليهمـا في أعـلاه قد ألّفـا بهدف إثارة الشـكوك ونقد القرآن فيما قام به الخليفة الأول، بمشـورة مـن الصحابي، عمر بن الخطاب، وبتنفيذ الصحابـي زيد بن ثابت، بموجب رواية سـنَدها وسلسـلة إحالتهـا بحاجة إلى تحليل

وتدقيق، تلك المتعلقة بمعركة اليمامة، أي الجمع القرآني، الذي تَمّ ربما بعد رحيل نبـي الإسـلام. وحقيقة الأمر، فإن هذه الرواية قد وفّرت للمستشـرقين سـاحةً رحبةً في قدرتهم على تحليلها وتشـخيص التناقضات الموجودة حقّاً في داخل نسيجها، فأسـتُثْمِرَتْ استثماراً ناجحاً للاستنتاج، بأنّ المصحف لَمْ يكن له وجود، بل لم يكن مجموعـاً ومحفوظـاً أثناء حياة النبـي، ولهذا فإنه لا يتمتع بالشـرعية كالذي يتحدث عنه المسـلمون كونه مُنّزلاً من الله تعالى ولا يتمتع بصفة القدسـية والالوهية، وذهب المستشـرق جـون بيرتون إلى أبعد من ذلك، فرأى إنَّ الرسـول هو مـن كتبه بمثل ما إدّعاه المشركون وكفّار قريش في مكة.

هكـذا سـخن الموقـف مـع تحليـلات المستشـرقين عندمـا إسـتثمروا وَوَظَّفوا أقلامهم مستندين على الروايات بهيأة أحاديث في مؤلفات الصحاح والسنن، فمثلاً ورد في صحيح البخاري نقلاً عن زوجة الرسـول عائشـة التـي إدّعتْ أنها كانت مع رسـول الله مرة وإذا به يسـمع أو بالأحرى يسمعان شخصاً في الدار المجاور، أو في خـارج منزل أو حجرة الرسـول يقرأ القرآن أو سـورة من القرآن (مـن الطبيعي علينا أن نتداخـل هنـا عن النبـي إنه لم يكن له دار أو قصر قائم لمفـرده أو إلى جوار بيوت أخـرى فكانـت حجرته في فناء المسـجد الجامع الذي بُنِيَ بعد مقدمـه إلى المدينة. فالخلـل الجغرافي والسـكني لا يتوائم مـع منطوق رواية زوجة الرسـول)، فما كان مـن الأمر بعد سـماع الرسـول لهـذا القارئ المجهـول الهوية، إلّا أن يقـول لزوجته والله لقـد ذكرنـي هذا القـارئ بهذ الآيات أو بهذه السـورة لأنه قد نسـيها ولـم تخطر ببالـه. أبهكـذا رواية يُصدّقُ البخـاري ليرويها؛ كيف يحدث هـذا والبخاري مثلاً أو مـن رواها قد قـرأ آية من عند الله جاء فيها بسـم الله الرحمن الرحيم، (سـنذكّرك فلا تنسـى) أو الآيات من سـورة القيامة المكية قد نسـيها أيضاً كما نَسيَ ال آية السابق إذ يقول الله عزّ وجل، ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ سـورة القيامـة آيات 16، 17، 18، 19. فكيـف تجرأ هذه الرواية على الطعن في رسـول الله وكونه كان لا يفقه الدين الإسـلامي وينسـى، (طبعاً ينسـى أي شـيء ؟) ينسـى القرآن الذي ينّزله عليه الوحي، وهو النبي المعصوم من كلّ شـيء. فهـذه الروايـة، ولا أقـول إنها حديث من النبـي، قد إخترقت أذهـان كلّ من بيرتون،

وجـون جلكرايسـت، وغارتْ فـي أعماق اللا شـعور عندهـم ليحوّلوهـا إلى دليل ومستند جاهز للقول، إذنْ هكذا كان وضعية القرآن فيا أيها المسلمون كيف كان هذا القرآن، مجموعاً أو محفوظاً؟ والأبعد من ذلك كلّه، أنَّ هناك روايات أخرى بصيغة أحاديـث قد وقفتُ عليها وحللتها في هذا الكتـاب إنْ هي إلّا مجرد روايات متهافتة مع أنها تنسـب إلى الرواية المقدسـة. إنها إذن روايات مضللة تلك التي تُنسـب إلى جامـع القرآن، زمن الخليفة الأول، الصحابي زيد بن ثابت عندما خوّله الخليفة، بأن يكتـب أو يجمع المصحف مـن الصحائف، وبدأ وبدلاً أن يتّبـع الصحائف، يبحثُ ويفتـش ويتتبـع القرآن هنـا وهناك، فلعله يجد عسـبة نخلٍ يابسـة ومتكسـرة من أثر الشـمس ولا نقـول من أثر المطر والبلـل أو يبحث عن كتفٍ لبعيرٍ منخورٍ ومتفسـخ ليبدأ تدوين الآيات المكتوبة عليه شريطة أن يتوفر الشاهدين، ولكنه مع هذه العملية الشـاقة في البحـث والتفتيش، يقع في ورطة، إذ أنه بالرغم مـن كونه الصحابي زيد، حافظ القرآن، وكما قال كلّ من جون بيرتون، وجلكرايسـت يفقدُ أو هو الذي ينسى آيـةً وقيـل آيتين وربمـا قيلَ أكثر من ذلك من إحدى السـور القرآنيـة؛ وبعد التفتيش المضنـي والمجهـد حقّاً وجد ضالتـه عند رجل أنصاري، هو أبـو خزيمة الأنصاري أو كمـا سـمي في رواية أخرى، خزيمة الأنصـاري أو قيل غير ذلك !!. كيف يحدث هـذا وهـو، أي زيد قد قال فيـه الخليفة وعمر بـن الخطاب حين تمّ ترشيحه لجمع المصحف قائلين، إنه كان قد كتب الوحي لرسول الله وإنه كان من العلماء في القرآن وإنـه كان حسـب زعمهم من حفظة القرآن وإنه وأنـه ....الخ والأنكى من ذلك فهل يعلـم القـارئ اللبيـب، أنَّ أبـا خزيمة الأنصاري، قـد ظهر مرّة أخرى بحسـب رواية البخـاري ذاتـه، ولكن قد يتسـاءل المرء متـى كان ذلك؟ أفي زمـان الخليفة عمر بن الخطـاب؟ أم في زمـن الخليفة الأول أبو بكر؟ ووفق تحليلنـا فإن ذلك تمّ في زمان الخليفـه الأول أبـو بكر وتكاد الرواية التي ذُكرت بحقه نفسـها تلك التي ذكرت أيام الخليفـه الأول... وبالمواصات نفسـها بمعنـى أن أبا خزيمة جاء إلـى الخليفة عمر وقال له:- إنكم نسيتم حين جمعكم القرآن آيات وإنه - أبو خزيمة - قد سمعها من في رسـول الله، فبعد أن سـمعها عمر قال:- وأنا والله قد سمعتها أيضاً من فم رسول الله. هل يعقل هذا كلّه ؟ ففي سـنة 11هجرية أو 12هجرية يظهر أبو خزيمة فيتحدّث

بتلك الرواية ثم يعاود ثانية بعد حوالى عشر سنوات أو أكثر من ذلك ليخرج من قبره ليلتقي بالخليفة الجديد الثاني فيحدّثه بذات الحديث. والأكدر، من هذا كلّه فهل من المعقول إنَّ أبا خزيمة يظهر مرّة ثالثة وفي زمان الخليفة الثالث، أثناء الاستعداد لقيامه بمشروعه الأكبر والرسمي في جمع القرآن فيحدّثه أبو خزيمة بكلمات نفسها الرواية السابقة لمرتين. فما كان من ردّ فعل الخليفة الثالث، إلّا أن يقول ما قاله عمر قبله:- نعم وأنا أشهد، بأنني قد سمعتها من فم رسول الله أيضاً. فيا أيها العالم الجليل في كتابة الصحيح، هلّا راجعت ما كنت تكتب من أحاديث !. إذنْ كيف سيكون موقف أو ردّ فعل المستشرق جون مكدويل، وجون جلكرايست أو غيرهما من المستشرقين وغير المستشرقين من هذه الرواية المشوّهة تشويها كبيراً لينظروا أو ليفسدوا مشروع القوم في جمع القرآن؛ وبالمناسبة إنَّ أبا خزيمة الأنصاري هذا، كان من بين الصحابة الذين شهدوا بيعة غدير خم، حين بايع رسول الله الإمام علي وظلَّ على ولائه للإمام.

إذنْ، فلينظر البخاري والمؤلفون الذين إستقوا منه هذه الروايات المُضرّة ويوازنها، بما قاله إبنُ النديم في فهرسته، [طبعة تجدد صفحة 30] تحت عنوا ن رئيس (جُمّاع للقرآن على عهد النبي):- علي بن أبي طالب رضوان الله عليه، سعد بن عبيد بن النعمان بن عمرو بن زيد ، أبو الدرداء عويمر بن زيد ، معاذ بن جبل بن أوس ، أبو زيد ثابت بن النعمان، أبي بن كعب بن قيس بن ملك بن أمرئ القيس، عبيد بن معاوية بن زيد بن ثابت الضحاك». ثمّ ليقرأ البخاري، ما قاله إبن النديم أيضاً في باب عنوانه (ترتيب القرآن في مصحف أبي بن كعب، قوله: «كان تأليفُ السور في قراءة أبي بن كعب بالبصرة في قرية يُقال لها قرية الأنصار....فنظرتُ فيه - أي في المصحف - فأستخرجتُ أوائل السور»، [الفهرست صفحة 29-30]. وكانت سور مصحف أبي مائة وستة عشر سورة ؛ وجميع آي القرآن في قول أبي بن كعب ستة ألاف ومائتان وعشر آيات. وجميع عدد سور القرآن في قولِ عطاء بن يسار، مائة وأربعة عشر سورة، وآياته ستة ألاف ومائة وسبعون آية ؛ أما مجموع كلماته فسبعة وسبعون ألفاً وأربعمائة وتسعة وثلثون كلمة، وحروفه ثلاثمائة الف حرف وثلثةَ وعشرون ألفاً وخمسة عشر حرفاً. وفي قول عاصم الجُحدري مائة وثلثة عشر

سورة ومجموع آياته في قول يحيى بن الحارث الذماري، ستة ألاف وستة وعشرون آية وحروفه ثلاثمائة ألف حرف وأحد وعشرون ألف حرف وخمسمائة وثلثون حرفاً [ينظر الفهرست ص29-30]. فكمْ هو جميلٌ ومنظمٌ هذه الإحصاءات الدقيقة التي لا تترك أيَّ مجالٍ للريبة والشكّ في القرآن الكريم، موجوداً ومنظماً ومرتباً ترتيباً متسلسلاً وتاريخياً، بمعنى أنَّ السورة قد تَتَضمنُ آياتٍ مكّيةٍ، وأخرى مدنية بحسب ما كان يعرضه الملك جبرئيل على النبي في كلّ سنة ما خلا السنة التي جاء فيها أمرُ الله تعالى أن يأخذ أمانته برحيل النبي محمد. وهذا هو الأمر الواقعي، من دون أنْ نقَع في حبائل رواية متناقضة تقودُ بنا إلى نتيجة غامضة ومهلهلة بخصوص أسّ وجوهر الدين الإسلامي ألا وهو القرآن.

وقد يتساءل القارئُ للسطور التي ذُكرتْ آنفاً، لماذا لَمْ يُقَدّم إبنُ النديم شيئاً عن الصيغة التي جاء بها القرآن الذي جمعه الإمامُ عليّ على الرغم من أنه ذكره؟. واقعياً كان إبن النديم في فهرسته المطبوع في إيران (أي طبعة تجدد) على وشك أو بالأحرى قريباً جداً من الإجابة عن هذا التساؤل وقريبٌ مِنْ أنْ يذكر ترتيب السور فيه وعدد آياته ومجموعها ومجموع حروف هذا المصحف الذي جمعه الإمامُ لكن... ربما بفعل فاعل أهو الناسخ، ناسخُ الفهرست، أم بفعل من كانَ يمتلك النسخة الأصلية من الفهرست، أمْ بفعل أحد المتعصبين بدافع محو أي أثر لمصحف الإمام، أم ربما حدث هذا التشويه الموجود في نسخة تجدد، فقط ولعل هناك نسخة أخرى نتمنى على الله تعالى أنْ يكشفها فينكشف الغطاء عنها. وأعتقد جازماً أن هذا التشويه إنّما كانَ من متعصبٍ جاهل أراد أنْ يضللنا بحذف ترتيب المصحف والمعلومات عنه. إذ ورد في نصّ الفهرست لإبن النديم عن مصحف الإمام علي على هذا الشكل»، وهذا ترتيب السور (يقصد سور مصحف الإمام).........» الفهرست صفحة 30 أي بالفعل صيغة..... (بمعنى فراغ) ونحن نأسف لمن فعل ذلك وهو يتصور واهماً وهو يتصور واهماً بأنه سيحذف ترتيب السور في مصحف الإمام وأبقى على ترتيب السور، عند مجاهد، وأبي بن كعب، وعبد الله بن مسعود والشعبي. إن الذي قام بهذا العمل المشُوَّه في نصّ ابن النديم والذي كان بالتأكيد يعادي الإمام، بل يغتاضُ من سماع إسمه مع ذلك، لم يكن هذا العمل ماضياً، لأن أعماله لم يكتب

لها النجاح... لأن ترتيب السور في مصحف الإمام وأوصافه قد بقيت حيّة في كتاب آخر لم يعثر عليه. إنه موجود في كتاب تاريخ اليعقوبي من دون أن يضرّ به أمثال ذلك العمل المشين، إنْ كان استنتاجي حقّاً، فق ورد في تاريخ اليعقوبي في الجزء الثاني صفحات 91- 93 الرواية الآتية:

«وقال عمر لأبي بكر: يا خليفة رسول الله أنَّ حملة القرآن قد قتل أكثرهم يوم اليمامة، فلو جمعت القرآن فإني أخافُ عليه أن يذهب حملته. فقال أبو بكر: أفعل ما لم يفعله رسول الله. فلم يزل به عمر حتى جمعه وكتبه في صحف وكان مفترقاً في الجريد. وأجلس خمسة وعشرين رجلاً من قريش وخمسين رجلاً من الأنصار وقال: اكتبوا القرآن [نلاحظ ها هنا لا وجود لذكر للصحابي زيد بن ثابت؛ [وهي في الواقع رواية فريدة أنسب معلومات بعضها إلى زمن الخليفة الثالث]. [المؤلف] واعرضوا على سعيد بن العاص، فإنه رجل فصيح [يُلاحظ أنَ هذه المعلومة أيضاً وردت أثناء جمع عثمان لا جمع الخليفة الأول، وليمعن القارئ أنهما - الروايتان - جعلا سعيد بن العاص وهو من بني أمية أفصح ممّا أنزله الله تعالى !!!، يا للعجب. المؤلف]. وروى بعضهم أن علي بن أبي طالب كان جمعه لمّا قبض رسول الله وأتى به يحمله على جمل فقال: هذا القرآن قد جمعته، وكان قد جزأه سبعة أجزاء».

1- الجزء الأول، من سورة البقرة إلى سورة سبح بإسم ربك ولم يكن. وهو جزء أطلق عليه اسم البقرة وهو ثمانمائة وست وثمانون آية وهو ست عشرة سورة.
2- الجزء الثاني، بدءا من سورة آل عمران، حتى سورة ألم ولإيلاف. وأطلقَ عليه جزء آل عمران وهو يقع في ثمانمائة وست وثمانون آية وهو خمس عشرة سورة .
3- الجزء الثالث، ويبدأ من سورة النساء، وينتهي بسورة النحل، وهو جزء النساء. ويقع في ثمانمائة وست وثمانون آية، وهو سبع غشرة سورة .
4- الجزء الرابع، ويبدأ من سورة المائدة وينتهي بسورة أيها الكافرون. وهو جزء المائدة، وهو ثمانمائة وثمانون آية . وهو خمس عشرة سورة .

5- الجزء الخامس، ويبدأ من سورة الأنعام إلى سورة ألهاكم، وهو جزء الأنعام، وهو في ثمانمائة وثمان آية . وهو ست عشرة سورة .

6- الجزء السادس، ويبدأ من سورة الأعراف، حتى سورة إذا جاء نصر الله، وهو جزء الأعراف ويقع في ثمانمائة وثمانون آية وهو ست عشرة سورة .

7- الجزء السابع، ويبدأ من سورة الأنفال، وينتهي بسورة المطفّفتين والمُعوَذتين. وهو جزُء الأنفال وفيه ثمانمائة وست وثمانون آية وهو ست عشرة سورة .

إذن، فالمصحفُ جاء على هذه الصيغة:-

886آية	16 سورة .
886آية	15 سورة .
886آية	17 سورة .
886آية	15 سورة .
880آية	16 سورة .
886آية	16 سورة .
886آية	16 سورة .

المجموع 6196 المجموع 111

إذنْ فهـذه مكونـات وأجزاء مصحـف الإمام علـي حفظها لنَـا اليعقوبي، وقيس الهلالـي، والعلامـة المجلسـي، تُعـدُّ دليـلاً وشـاهداً لدحـض روايـات البخـاري والمُسْتَشْرَقين، جون بيرتون، وجلكرايست، التي تَزْعُم بأنَّ مصحف الخليفة الأول، هو أولُ المصاحف، وأنَّه لا وجود لمصحف متكامل ومكتوب في عهد رسـول الله. إنّـه مصحـف مُنَظَّم، وسـورهُ مرتّبة على غرار مـا كَانَ وحي الله تعالى قَـدْ أَنْزله على الرسـول الأميـن؛ فالإمامُ، كما ذكَر ابنُ النديم، أولُ اسـمٍ ذكرهُ ابـنُ النديم، كونُه مِنْ جُمّـاعِ القرآن في عهـد النبي. وهوالمصحـفُ الذي أورثه النبي إلـى الإمام قبيل أن

ينتقـل إلى جوار رفيقه الأعلـى. وهو إذنْ ذلك المصحف الذي كَانَ مجموعاً ومرتباً والمشـدود بخيط كما سـنقرأه لاحقا في هذا الكتاب، والـذي كَانَ موضوعاً في بيته أو فـي منزل علـي وفاطمة. وهـو المصحف الذي حملـه الإمام على جمـلٍ ليقدّمه للصحابـة ومـن بينهم الخليفة وَعُمَـر بن الخطاب وزيد بن ثابـت، والبقيةُ الباقية من مناصريهم في المسـجد الجامع قائلاً لهم هذا هو القرآن بين أيديكم فخذوا به. كَانَ الإمـام بعملـهِ هذا، يهدفُ إلى أنْ يُلقي الحجة على القـوم، لئلا يندفعوا إلى جمعهم الـذي أغْفـلَ في عمليـة جمعه آيات بيّنات. لكـن الخليفةَ، وعمـر، وزيد وأنصارهم أرتأوا أنْ يفتشـوا في عسـب النخيل وأكتاف الأبل والجريـد. إلّا أنَّ الجمعَ الأولَى، وكما وصفَ ذلك المُسْتَشـرَقَين بيرتون وجلكرايست، أنهُ مصحف لَمْ ينل الشرعية، وَلَمْ ينهِاالإختلافات في القراءات، فضلاً عَنْ أنه لَمْ ينل الشـرعية والصبغة الرسـمية، فظلَّ قابعاً عند الخليفة الأول وبعد ذلك انتقلت ملكيته إلى الخليفة الثاني ثم انتقلت الملكيةبعد وفاته إلى ابنته زوجة رسول الله حفصة، وبقيَ عندها إلى أنْ طَلبه الخليفة الثالث، ليقدّمه إلى اللجنة الرباعية من شـباب بني أُمية ليتبعوا منهجه في المصحف الذي صار المصحف الرسـمي ويسـمى المصحف العثماني ثـمّ بعد ذلك أُحْرق أو مُسِحَ بالخلِ والماء الحار معالمصاحف الأخرى، تلك التي كانتْ في حوزة صحابة رسـول الله مـن كتبة الوحـي الحقيقيـن وغيرها مـن المصاحف الأخـرى، فَيما عدا مصحف حفصة (بالمناسبة أنَّ المصحفَ الذي جمعه الخليفةُ، ظلّ بعد وفاة الخليفة الثانـي عنـد ابنته حفصة فلعل مصحف حفصة هذا الذي أشـار اليه السجسـتاني هو ذات المصحف) ومصحف عائشة، ومصحف عبد الله بن الزبير......الخ.

لهـذا وكما أسـلفنا في السـابق من هـذه المقدمة وبحسـب التفصيـلات الكثيرة المتوافـرة في هـذا الكتاب؛ لذلك فـإن العذرَ، كلّ العذر، للمستشـرقين المبشـرين منهم، وغير المبشرين، عندما ينتقدون ويبينون التناقضات والأخطاء في تراثنا سواء فـي مَفْصل السـيرة النبوية المطهّرة، أم في عمليات جمـع القرآن أم في غير ذلك من الميادين بدءاً بتفسـير القرآن وفي الأحاديث، والفقه، والكلام، والتاريخ الإسلامي، وذلـك بفضل ما جاء من روايات بصيغة أحاديث لرسـول اللهفي مؤلفات الصحاح والسـنن وبفضـل ما هـو موجود من روايـات في المؤلفـات التاريخيـة، نظير تاريخ

الطبري، وتفسيره، وطبقات ابن سعد، وطبقات خليفة بن خياط، وأنساب البلاذري وفتوحه (فتوح البلدان)، وفي غيرها من مصادرنا المعتمدة من قبل الباحثين بامتياز تلك التي يؤسفنا القول، أنها أصبحت منذ منتصف القرن التاسع عشر ومنذ بداية القرن العشرين من أهمأعمال المستشرقين في تحقيق تراث أمتنا الإسلامية. فَقَدْ حققوا آنذاك مجموعة من المصادر، التي أصبحت الأساس في كتاباتهم عَنْ التاريخ الإسلامي السياسي والفرقي والحضاري، أمثال المختصر في تاريخ البشر، لأبي الفدا، وتاريخ الطبري، لأبي جعفر الطبري، والفصل بين الفرق لإبن حزم الظاهري، وصحيح البخاري وصحيح مسلم. وأخضعوا هذه الكتب للدراسة والمتابعة وجعلوها الأساسَ في فهمهم للتراث الإسلامي، وعلى أساس هذا الفهم، كتبوا عَنْ سيرة الرسول مستندين واقعاً إلى روايات البخاري، والطبري، وسيّر الأئمة. فباتَ من الطبيعي أن تكون تفسيراتهمورؤاهم محدّدة ومحدودة الأفق. ولذلك فإنهم، في دراساتهم عَنْ جمع القرآن الأول، والثاني، قَدْ اعتمدوا حصراً على ما يقدّمه لهم البخاري، ومسلم، والترمذي، والسجستاني، وابن حزم في تفسير الكثير من الأحداث الساخنة في تاريخنا. فكان للرواية الزبيرية، والرواية الأموية، والرواية العباسية، والرواية البصرية، والرواية الشامية، وروايات أبي مخنف لوط بن يحيى الأزدي المرّفة من قبل تلميذه هشام بن محمد الكلبي، وروايات نَصْر بن مُزاحم المِنقري المُحَرَّفة. فَقَدْ ترجم المستشرقون هذه المؤلفات في ميدان الوقائع والأيام والسيّر فسطّروا بحوثهم التحليلية والتفكيكية القيّمة، لكونها مُؤَسسة ومستندَة إلى أمهات المصادر الإسلاميةالسنيّة، واستقرت هذه المنهجية من زاوية مصدرية واحدة حتَّى مطلع القرن العشرين. إِذْ أنَّ المستشرقين، لَمْ يأخذوا بنظر الاعتبار، مصادر الآخرَ الشيعَي، وكانوا بعيدين إلى حدّ ما عَنْ المصادر الإمامية أو الزيدية والإسماعيلية (ها هنا ينبغي علينا ذكر مدرسة الاستشراق الروسية متمثلة بما حقّقه البروفسورفلادمير إيفانوف Ivanov وكذلك أعمال المستشرق الإنجليزي البرفسور برنارد لويس B. Lewis والبرفسور هودجسونHodgson الذين حقّقوا واعتمدوا على المخطوطات والمؤلفات الإسماعيلية في دراساتهم. وفي مطلع القرن العشرين تَوفّقَ بعض المستشرقين والمبشرين، أمثال المبجل كانون سيل

Sell، والبروفسور المبشر، دوايت دونالدسون، وإغناص جولدتسيهر، ونولدكه، وفاجيليري، وجوزيف إلياش، وإيتان كوهلبرغ، وميخائيل بار آشر، وغيرهم على تحقيق أو دراسة المذهب الشيعي الإمامي اعتماداً على المؤلفات الشيعية ككتب الأصول، وفهارس الرجال الشيعية وتاريخ اليعقوبي ومؤلفات الشيخ الطوسي وابن بابويه والشيخ الكليني والعلامة المجلسي؛ حينئذ توصلوا إلى نتيجة حاسمة ألا وهي: - منهجية الكتابة عَنْ التشيع، وعن سِيَر أئمة الشيعة تقتضي الرجوع والنظر في المصادر الشيعية أيضاً وليست السنيّة فقط حتَّى تكتمل الصورة، وبعضهم على سبيل المثال المستشرق الإسرائيلي، إيتان كوهلبرغ قال: أنَّ لا تعتمد المصادر السنيّة في دراسات التشيع، لأنها غَير موضوعية، ولا تمثُلالصدقية المطلقة، موازنة بالرواية الشيعية التي تعتمد على الأصول الشيعية وعلى السلسلة الذهبية وصولا إلى حديث النبي والتي تعنى في ميادين عدة من تراثنا الإسلامي.

* * *

وفي ختام هذه المقدمة لا يسعني إلّا أَنْ أتقدَّم بوافر الشكر والتقدير، لما جادتْ بـهِ أقلام علماءُ الشيعية المخلصة، التي اعتمدت المصادرَ السنيّةَ، نظير مؤلفات الصحاح، والسنن من أجل تحليل رواية جمع القرآن. ف آية الله الخوئي قَدْ تناول مسألة جمع القرآن في كتابه القيّم البيان في تفسير القرآن (بيروت 1972. والسيد كمال الحيدري في كتابه صيانة القرآن من التحريف (بيروت 2010) والأستاذ الدكتور محمد حسين علي الصغير في كتابه (تاريخ القرآن) المطبوع في بيروت (1983) ويتضمنُ بحثاً وتحليلاً عميقاً ومرادفاً لبحث السيد الخوئي في جمع القرآن؛ وكتابه الآخر المهم (المستشرقون والدراسات القرآنية) بيروت 1999، وكتاب السيد مرتضى العسكري رحمة الله عليه في كتابه، (القرآن الكريم وروايات المدرستين) بيروت 2010 وكتاب الشيخ علي الكوراني العاملي في كتابه (تدوين القرآن) مطبعة باقرى 1428هـ.

فالمؤلفونَ الأعلَام، قَدْ وقفوا وقفةً صريحةً وتحليليةً ومقارنةً لمشروع جمعِ القرآن الأول، والثاني، وناقشوا الحيثيات التفسيرية والحديثية لهذا العمل الجبار،

جمع القرآن. فَقَدْ تَشربتُ بأفكارهم ورؤاهم عند دراستي هـذا الجانب التاريخي، ولذلك تشـجعتُ في تسطيرما نَشَط به قلمي. فإليهم جميعاً أدعو الله تعالى أن يرحم مـن توفـى منهم، ويغفر لهم ذنوبهـم، وأن يعطي الصحة والسـؤدد والرفاهية والعلو لمن بقي منهم من الأحياء.

ونطلب من الله العزيز المغفرة على ما أديناه في هذا العمل إنْ كَانَ خطئاً، والرحمة والرضوان، إنْ كَانَ فيه خدمةً للإسلام الحنيف؛ ومنهجي في الدراسة قائم على نخل المعلومـات والروايات، وإنْ كانتْ من الروايات المقدسـة في عُرْفِ وتقليدِ الآخر. وهدفها تنقية روايات السيرة النبوية وروايات تدوين القرآن الكريم.

ولا يسـعني إلّا أن أتقـدَّم بوافـر الشـكر إلى الدكتـور نصير الكعبـي مدير المركز الأكاديمـي للأبحاث على تشـجيعه في طبع هذا الكتاب بهـذه الطبعة الجميلة وفقه الله تعالى؛ والشكر موصول للأخ علي الحسناوي على التنضيد الرائع للكتاب، والى أبني الأسـتاذ حيدر الياسري على تجشمه أعباء التنضيد الأولي وخدمات الإنترنيت جزاهم الله تعالى خير الجزاء.

د. عبد الجبار ناجي
بيت الحكمة بغداد
نيسان 2014

الفصل الأول

تمهيد

الفضلُ كلَّ الفضل بالنسبةالى تَغيير وتطوير تفسيراتنا ورؤانا ونبذِ أو إعادةِ بناءِمباني لأفكارٍ، ومواقفٍ كانتْ تشغل حيّزاً واسعاً من فكرنا إزاء عددٍ لا بَلْ إزاء الكثير مما تركهُ لنا الرُوّاد من مؤلفاتٍ تاريخيةٍ، للتاريخ الإسلامي في قرون تأسيسه الأولى، تلك التي تَثبتتْ وتَرسخّت في مناهج كتاباتنا، وفي مناهج كتبنا المدرسية في فترة ما قبل الجامعة، فهذا الفَضلُ يرجع إلى ما أَفْرزهُ منهجُ البحث العلمي القديم الجديد، الذي انْطلقَ من أصول قديمة هيرودتية، وثيوسيدية، وديكارتية، وخلدونية. فهذه المنهجية العلمية، هي التي هيأتْ فُرصاً بحثية جدلية نقدية من جهة، وتحليلة تفكيكية من جهة أخرى إنْ كانتْ إيجابية، إزاءَ هذا الحدثَ التاريخيأم سلبية ومعارضةً له تتجهُ في غير صالح عناصره وأدواته، (أي فيما يتعلق بالموقف أو المواقف من الروايات التاريخية ومن الرواة الذين أمدونا بهذه الروايات)، وزمان حدوثه، ومكان وقوعه فعلاً، أو حتّى الموقفُ التحليليمن نسيج تحرك الحدث الداخلي. وإنْ كانتْ تلك الروايات مُؤطّرة تأطيراً مُقدّساً، وإنْ كَانَ أولئك الرواة الذين زُيّنَ لهم أنْ يكونوا ناقليها أو رواتها وبمظهر مُقَدِّسٍ أيضاً. وقدْ مُورس هذا المنهج البحثي العلمي الناقد في العصر الإسلامي وفي أوروبا بشأن الكثير من المفاصل العلمية، حتّى في مسألة تصنيف العلوم بما له من علاقة بعوامل التقدم والتنمية والتطور الحضاري والعلمي. فكانتْ الفلسفةُ، والرياضيات، في نظر الكثير من مفكريّ المعرفة والعلم أسساً مندفعة بقوةباتجاه نقد مخلفات الماضي المعرقلة لرؤية نور العقل، وكسر الجمود العقلي والتحجر العقلي الكنسي في أوروبا الوسطى على وجه التحديد جميعها أو بعضاً منها وبالأخص تلك التي وقفت بالضد من التوجهات العقلانية،

لأجل إرساء اللبنات الأولى للتقدم والرقي الحضاري؛ في الوقت الذي لَمْ تُؤَد الفلسفة الإسلاميةُ بأنواعها العرفانية والعقلية،الدَور الذي أدته الفلسفة الأوربية وفي كثير من الاتجاهات، ذلكَ لأن السلفيَة المتمركزة الجذور في تَزييتْ المحرك المقدس، كانتْ بالمرصاد، لأيّ تنويرٍ عقلانيٍ، فَفَرضتْ أدواتهاووسائلها المتشعبة والمنبثة هنا وهناكفضلاً عَنْ سياساتها المتضمنة والمتركزة على أيديولوجياالتكفير، وكانت هي السائدةوالغالبة في نهاية المطاف وظَلّت كذلك إلى وقتنا الراهن وكما يبدو واضحا للعيان، ستبقى هي الإيديولوجيا الفاعلة إلى ما بعد الوقت الراهن.

من هذا كلّه يمكننا القول، بأنَّ الحدَاثة قَدْ أضحتْ في (محل تساؤل)، فكَيفَ بالموقف إذنْ سيكون مع ما بعد الحداثة، التي لا تبدو إلا في القشور من المسائل الجوهرية القائمة والمستندة في مبانيها على عدم الإبداع والتخلف والسبات والإستاتيكة والجهل، فهذه هي العناصر المسيطرة والسائدة. فَرُبَّ سائلٍ يتساءلْ، عَنْ موقف المؤرخين من الحالتين السلفية، والتقدمية؛ فعلى سبيل المثال، كَانَ دورهم، بله ردود فعلهم، في هذه العملية،وأقصد عملية إنهاض منهج الكتابة التاريخية، بروحِ مستقلةٍ ومبدعة وكذلك الأخذ بالمنهج التحليلي والموضوعي، فَقَدْ كَانَ دورهم ضعيفاً جداً، ومردُّ ذلك أمرين مهمين: - أولهما، في كونهم- كون أغْلَبهم -- رضوا بأن يكونوا تابعين للسلطات السياسية وهيمنة الحكّام الفاسدين الجائرين، فضلا عَنْ هذا فإنَّهم قنعوا بما كانوا -أغلبهم-يتقاضونه من أجور ومنافع مادية بالدرجة الأولى من هؤلاء الحكّام والمتنفذين، وثانيهما،لأنَّهم كانوا غير مستقلين في علمهم وفي إبداء تفسيراتهم وفي إبداء آراءهم عندئذٍصاروا في الاتجاه المعاكس السلبي بالنسبة إلى المحدثين المتنفذين عند السلطات الحاكمة، بَلْ في حقيقة الأمر، كَانَ المؤرخون تابعين لمدرسة الحديث السلفية ومنصاعين إلى توجيهاتهم(*).

وفي أوروبا، لَمْ ينجُ التاريخ (كعلمٍ وممارسةٍ) من حكم التوزيع العلمي للمعرفة الإنسانية، كذلك لَمْ ينج الأدبُ والديْن، والمقدس من مخالب هذا الحكم في التوزيع الدقيق والصارم في ميادين علم المنهج البحثي والعلمي. فَقَدْ عُزِلَ التاريخُ إلى مرتبةمتدنية في لائحة علوم المعرفة الإنسانية، مرتبة خالية من أي معنىً أو من

هـدف عملي وعلمـي فَقَدْ صُنفبكونه ذاكرةً ليـسَ إلّا. والذاكرة كما هو معروف عند المتعلمين والمؤرخين وغيرهم، حالةٌ رتيبةٌ ولا وجود لها ضمن لائحة خصوصيات المعرفـة الإنسـانية، أو بالأحـرى في حركة الإنهـاض الحضاري ناهيـك عَنْ حركة التقـدم العلمـي. فالتاريـخُ، بحسـب التعبيـر الدقيق الذي دشّـنه العربُ المسـلمون بعـد حقبـة التدويـن التاريخي وحقبـة التدويـن العام فـي الكتابة العربية الإسـلامية منـذ حدودها الأولـى الذي يقدّر بحوالي القرن الأول الهجري/ السـابع الميلادي، هـو خَبـرٌ أو يومٌ من الأيام السـالفة، أيـامَ البطولة والشـجاعة، وأيام الغَـزو والتنازع بيـن القبائل والعشـائر والتفـرد في الزعامةِ والسـؤدد، أو إنَّـه مُجَرد قصـة إذْ يجتمع الأعرابُ في خيمة شـيوخهم فيسـتمعون إلى تلك الأخبار، المبالغُ فيها، بالنسبة إلى هـذه القبيلة أو تلك، يسـتمعونَ إليها بشـوق، لكونها تُمَجّدُ عظمـةً غير حقيقية وقوة شيوخهم وقبائلهم المبالغ فيها وهي بعد كلّ ذلك تُعدّ بالغة الأهمية فضلاً عَنْ كونها تعرضلمجرد التسـلية. وأن حركتهُ الفعليـة والوحيدة،هو بما تعبر عنه تلك القصة أو ذاك الخبـر وبمـا يتضمنه من تلذذ بحكمةٍ هذا اليوم أو هـذه القصة لحاكم أو أمير أو شيخ قبيلة في ذلك الزمان؛ إنّهُ مجردُ تلذذٍ أو عبرةٌ وعظةٌ، حدودها الزمن المستقبلي لهـذا الخبر البطولي، مـن دون أنْتتخذ أحداثُ الخبر وعبرته فعلياً وواقعاًفي مسـيرة حكمهِ ومشـيختهِ لصالح التعديل في سياسـة الحاكم الشـمولية والانفرادية وبهدف تقويـم ظلمه ومفاسـده والمحاولة فـي تطبيق العدالة،وفي كيفية اسـتعماله الفاسـد لموارد حكمه، وموارد بيت مال القبيلة، والدولة والخلافة، وهذه في حقيقتها موارد البشـر،لا موارده الخاصة،إنها موارد الناسَ، الذينَ تسـلّط عليهم بسـيفه البتّار الذي لا يرحـم فقيراً ولا مسـكيناً ولا مُقَدسـاً من الجنسـين. فالعبرة مـن الخَبر والقصة لا وجود لها أيضاً في عقلية الحكّام الجائرين، لهذا فأَنّهم لا يأخذونها مأخَذْ الجدّ، هي أخبارٌ لا يقصدُ بهاإلّا للتسـلية فَحسـبْ. وعوامل التكدّر في مثل هذا الماضي كثيرة فـي تلـك الأزمنة من تاريخنا الذي صار مصيره ومآله يسـير باتجـاه مصلحة الحاكم أو مصلحة بلاطه وحاشـيته الخاصين أوأبنائه، وأبناء أبنائه ومحدّثيه ومغنيه وندمائهِ حينمـا تملأ قصورهـم جميعاً دون اسـتثناء، بالجـواري والغلمان فـي الوقت الذي يُغرق الطوفان البلادَ بالفوضى، وفي الوقت الذي يَعمُّ فيه الفقرَ والجهلُ والظلم بين

عموم المجتمع. فأينَ العِبرة إذنْ في ترديد علماء المعرفة، وتقسيم العلوم في التاريخ الإسـلامي؟ وحتَّى هذه الفترة،فإنَّ أزمة التاريخ الفعلية، يمكننا وصفها واقعياً بكونهِ صارَ أداةً لتأليه الحاكم، فهوكما جاءنا من المؤرخين، ظُلُّ اللهِ على الأرض وهو وليّ الأمر، الذي يَحْرّمُ على الناس الأعتراض على أحكامه الجائرة والفاسدة. إنّهُ كالذي عبّـر عنه بشـكل واقعي جوزيف شـومبيتر Joseph A. Schumeterفـي كتابه تاريخ التحليل الاقتصادي عمّا وصفه عالم الاجتماع الفرنسـي فرنسـوا سـيمين Simiand مهاجمـاً قائـلاً:- إنَّ المؤرخينَ أُناس ظرفـاء ليس إلّا، وإنالتاريـخ، لا يمكن وصفه بالعلـم، وإن منهجه عقيمٌ وعديم الفائـدة. ونَصَحَ المؤرخينَ إلى الانتفاع من مناهج العلـوم الأخرى، كالعلوم الاجتماعية، ونصـح المؤرخين اليأنْ يتخلوا عَنْ الاهتمام بالشـخصيات والحكّام والسياسـة والتحديدات الزمنية أو الكرنولوجية فقط(**). فالتاريخُ، هاهنا إنْشِـئنا تلقيبه بعلم التاريخ فإنَّ ذلكَ هو لقب غير واقعي لأنه لايعدو أكثر من كونهِ قصصاً لعمليات بطولية، ومعارك تُخَلَّد أيامَ هذا الحاكم، أو ذاكَالعاهل الدموي والفاسـد. ونحن بدورنا، كأساتذة للتاريخ الإسـلامي، نلقّن كلِهذهِ الأخبار الموضوعةوالمصنوعـة صُنْعاً من قبـل الرواة الروّاد والمؤرخيـن الأوائل،لتلامذتنا مـرات ومـرات، ولعقولنا بأنَّ ما صنَعـه التاريخ، إنّما هـو للعبرة والتذكّـر وإنه أيضاً للتسلية والتلذذ سلباً أو إيجاباً.

فخليفـة مـن خلفـاء العهد الأول فـي عهد الراشـدين، وبعد أقل مـن عقدين من الزمـن مـن وفاة الرسـول يتبـرعُ - ربما مـن بيت مال المسـلمين، وليس مـن أمواله الخاصة الكثيرة- لأبي هريرة العقلية الذكية الانتهازية بعشرة آلاف (مندون أنْ يذكر الواقدي، مؤرخُ المغازي المشهور، إنْ كانتْ هذه العشرة آلاف درهماً وهو الواقعي أم دنانيراً) وعلى عهدة الراويةِ، راوية الحدث، ابن أبي سبرة عَنْ سهيل بن أبي صالح عَـنْ أبيه عَنْ أبي هريرة نفسـه. وقـد روي هذه الرواية غير والد سـهيل بن أبي صالح مـن وجـه آخر، ولكـن عَنْ أبي هريـرة أيضاً، كما دوّن هـذا الخبر ابن كثيـر في كتابه البدايـة والنهاية. تَبرع الخليفةُ بهذا المبلغ لقـاء تمجيد أبي هريرة للخليفة في روايته التي تنصّ»لما نَسخ عثمان المصاحفَ، دخل عليه أبو هريرة فقال: أصبتَ وَوَفَّقتَ، أشـهدُ أني سـمعت رسول لله يقول: أشـدُ أمتى حباً لي، قومٌ يأتون من بعدي مؤمنون

بـي وَلَـمْ يَروني، يعملـون بما في الورق المعلـق. فقلـت: أي ورق؟،[طبعاً هنا قطع فـي الرواية، لأن الرسـول لَمْ يجب على سـؤال أبي هريرة، الذي يريـد منه أنْ يربطه بالعمل الذي قام به الخليفة] حتَّى رأيت من المصاحف. قال: فأعجبَ ذلكَ عثمانُ، وأمـرَ لأبـي هريرة بعشـرة آلاف. فقـال: والله ما علمـتُ، أنك لتحبـس علينا حديث نبينـا صلى الله عليـه وآله»[1]. قَدْ حدَثَ هـذا على الرغم من الوهم الـذي غطّى أَعْينُ أدواتَ هـذه الرواية لعدم مطابقتهـا لفحوى هذا الحدث المقـدس، فكانَ أبو هريرة ممن رأى رسـول الله خلال وبعد سنة ثمان للهجرة، وأن هدف الرواية، وهو الخليفة عثمان، قَدْ قضى عمراً من حياته مع رسـول الله، فَهو لَمْ يأت بعد رسول الله، وأنه رأى رسول الله، ونَال شرف صحبته. وفوق هذا وذاك، فإنَّ أبا هريرة والخليفة ذاتهما، كانا يعرفان حق المعرفة بما أوعز به الخليفة أبو بكر لزيد بن ثابت، بأن يجمع القرآن من اللخاف والعَسَب والجريد ومن صدور الرجال، وَلَمْ يكن مكتوباً على الورق. فيقول البخاري في صحيحه عَنْ الزهري عَنْ عبيد بن السـباق ما نصّه«فتتبعت–يعنيزيد بن ثابت– القرآن أجمعه من العَسَب واللخاف وصدور الرجال»[2].

والنصّ الذي ورد في الحديث على لسان أبي هريرة، يُقَدّم لنا أيضاً أنموذجاً آخر من النماذج الكثيرة جداً على عدم موضوعية ومصداقية أحاديث أبي هريرة، لِما عُرِفَ به هذا الراوية، من ذلك حتَّى إنْ كَانَ قائلها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أو عمر بن الخطاب، من أنه كَانَ ممّن وضع وانتحل أحاديث كثيرة لدوافع ومصالح مختلفة شـخصية. فالحديـث الذي تقاضى عليه عشـرة آلاف من خليفة المسـلمين يتضمن الآتي: فإنَّ الخليفة حينما سمع الحديثوإن النبي قَدْ شمله برعايته على تحمله الأعباء فـي جمـع المصاحف، ألتفت إلى أبي هريرة قائلاً «والله ما علمت أنك لتحبس علينا حديـث نبينا»، بمعنى إنهُ كَانَ يبتغي إغراء مُحَدّث سـيرة النبي(أبـو هريرة) أنْ يرويَ لـهُ أحاديـثَ أُخرى، أو بالأحرى أنْ يختلقَ له حديثـاً أو جملة أحاديث تدعم إنجازه

---

(1) Chase F. Robinson: Islamic Historiography (Cambridge Univ. Press 2003، P8-
وقد ترجمته إلى اللغة العربية طبعة بيروت 2013.
1البداية والنهاية، (طبعة أولى، مكتبة المعارف، بيروت 1966) جزء 7 ص 217.
(2) صحيح البخاري، دار صادر – بيروت، حديث 4986 ص 920.

الـذي غيّب فيه الإمام علي والذي من أجله كسـرَ ضلعـاً أو بعضَ أضلاع الصحابي، وكاتـب الوحي، عبد الله بن مسـعود. وكما عبّـر عنه الصحابي، ابنَ مسـعود إذْ قال: «ذكـرت الـذي فعلته بيّ أنك أَمرتَ بي، فَوطىء جوفـي فَلَمْ أتجعل صلاة الظهر ولا العصـر ومنعتني عطائي»[1]. ولعله يمكننا القول، بأنّـه بهكذا روايات وأخبار، كانتْ تُعَزِّزُ إنجازات الحكّام والملوك ومشاريعهم السياسية والاجتماعية والعقائدية.

ومثـال آخرٌ على مسـألة هذا التضارب الفكـري والمعرفي، بيـنَ أنْ يكون هدفُ الحدثَ التاريخي، للعبرة في اتخاذ القرار،في الحكم العادل المتزن، وبينَ أنْ يكونَ مُجرّد عاملِ تلذذٍ وعاملِ تبجُّحٍ شخصي؛ والحدث هذا، يرجع إلى هذه المرحلة من التدوين التاريخي الإسـلامي، أيضاً، وفي فترة خلافـة أبي بكر. أما عناصرَ الحدثِ، فمتعلقـةٌ بالحقـلِ ذاته (جمـع القرآن أو جمـع المصاحف)وهما، الخليفـة أبو بكر، وَعُمَـر قَبل توليه الخلافة. إذْ ينقـل البخاري في صحيحهِ وتتكرر مفهومية هذا الخبر ذاتـه في مصادر أخرى سـنيّة، بخصوص العوامل الأساسـية التـي دفعت الخليفة أو عمر بن الخطاب، الذي أوصَى بالأهمية القصوى لعملية جمع القرآن، والتي انتهتْ بـأنْ يوليـان إنجـاز مهمة هذه العمليـة الرائدة إلـى الصحابي زيد بن ثابـت. إنها آلية تنفيذيـة جازمة وحاسـمة بالفعل، غيـرَ أنَّ قراءةً تفكيكيةً لمحتوى الخبر هذا، سَـتُثير نوعاً من التكدُّر. جاءَ نصّ الرواية عند البخاري بسـندِ ابن شـهاب الزهري أيضاً عَنْ عبيدِ بن السـباق ونصّه «قال: زيد قال: أبو بكر- بعد أنْ اجتمعتْ آراء الخليفةِ وَعُمَر علـى الاختيـار، أي اختيار زيد قالا لهُ: إنكَ رجل شـابٌ عاقـلٌ لا تنهمك [وجاء في رواية أخرى لا نَتَّهمكَ وهي ربما الأصح وإن الأخيرة هي بسـببِ سوء في النسخ أو الطباعة] وقد كنتَ تكتبُ الوحيَ لرسول الله فَتَتَبعْ القرآنَ فأجْمَعهْ، فو اللهِ لَوْ كلَّفوني نَقل جبلٍ من الجبال ما كَانَ أثقل عليَّ مما أمرني من جمع القرآن»[2]. ففي هذا النصّ،

---

(1) ينظر،

Joseph A. Schumpeter; History of Economic Analysis (New York، Oxford Press، 1954. P. 619-20.

3 اليعقوبي، تاريخ، (دار الفكر - بيروت 1375/ 1956) جزء2 ص 120؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة مجلد 1 ص 235.

(2) صحيح البخاري، (حديث 4986) ص 920؛ ابن النديم؛ السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، (تحقيق حامد بن أحمد الطاهر البسيوني، دار الفجر للتراث 2006)، ج1 ص 168 ومصدره صحيح

إشـكالياتٌ أساسية، فما الذي قَصَدَهُ الخليفةُ إِنَّه أمَر زيداً بجمع القرآن لأن زيداً كَانَ شـاباً عاقلاً؟ أيعني هذا إنَّ كتّابَ الوَحيِ الآخرون ليسـوا بشـباب، بَلْ ليسـوا عقلاء، ومتى كَانَ الشـابُ عاقلٌ وعبد الله مسـعود الصحابي الجليل وأُبي بن كعب الشـيوخ، غَيـر عقـلاء، وغَيْر عدولٍ في هذه المسـألة، التي في حقيقتها لا تحتاج إلى الشـباب بقدر ما تحتاج إليه من الشـيوخ الذين خَبَروا صحبة الرسول أو بالأحرى بحاجة إلى ابنُ عمه وكاتب وحيه الإمامُ عليٍ. وبحسـب رواية البخاري عند السـيوطي نقلاً عَنْ عبد الله بن عمرو بن العاص قال: سمعتُ النبي صلى الله عليه وآله يقول «خذوا القرآن مـن أربعة، عبد الله بن مسـعود، وسـالم ومعاذ، وأبي بـن كعب»أي تعلمـوا منهم[1]. وكَانَ ثلاثة من هؤلاء الصحابة على قيد الحياة زمن الخليفة الأول، ما عدا سـالم بن معقـل، مولـى أبي حذيفة الذي قُتل في وقعة اليمامة. أليس هو - عبد الله بن مسـعود -ممّن قَالَ فيه رسـول الله «من سَـرّه أَنْ يقرأ القرآن غَضاً كما أُنْزلْ، فليقرأه على قراءة ابن أم عبد». وروى الأعمش قال: «قال: ابنُ مسـعود، لقدْ أخذتُ القرآنَ من رسـول الله في سَـبعينَ سـورة وإنَّ زيدٌ بـن ثابت لغلامٌ في الكتّاب لهُ ذؤابـة)[2]. فكَيفَ غابت هذا المواصفات العلمية للصحابة المعوّل عليهم بنصّ حديث الرسـول عَنْ مخيال الخليفةِ وَعُمَر؟ والحقيقة المكدّرة الأخرى، أنَّ الصحابي زيد بن ثابت قَدْ أسـلمَ مع أهله، ولما يتجاوز سِـنّهُ إحدى عشـر سـنة، فكَيفَ يكون مؤهلاً لآهلية جمع القرآن، لكونه أبّان عهد الخليفة كَانَ شاباً عاقلاً؟. يحدثنا البخاري في صحيحه، وورد الخبر عنـد علمـاء آخرين ما نصّه بخصـوص بدء الصحابـي زيد عمله في جمـع القرآن،» فتتبعـت القرآن أجمعهُ من العَسَـب واللخَـاف وصدور الرجال، حتَّـى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري، لَمْ أَجِدْها مع أحدٍ غيره، وال آية الكريمة هي ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ حتَّـى خاتمة براءة. وقيـل فـي رواية أخـرى عند البخاري في صحيحـه أيضاً عَنْ الزهري عَنْ اسـماعيل وخارجة بن زيد بن ثابت (أي أبنه) «قال: نسختُ الصحفُ في المصاحف، فَفَقَدتُ

البخاري.

(1) السيوطي، الاتقان ج1 ص 202.

(2) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، (دار أحياء التراث العربي -بيروت)، مجلد 1 ص 237.

آيةً من سورة الأحزاب [يلاحظ في النصّ السابق من سورة التوبة] كِنْتُأسمعُ رسول الله يَقرأ بها فَلَمْ أجدها إلّا مع خَزيمة بن ثابت الأنصاري [يلاحظ هنا إنَّ زيداً كَانَ انصارياً] الذي جعلَ رسول الله شهادته شهادة رجلين. «[يلاحظ أن مسألة شهادته بشهادتين لَمْ تَرِد في نصّ البخاري كدليل على ما كَانَ أبو خزيمة يتمتع به من سمعة بين صفوف الصحابة أي شهادته تعادل شهادتين] وهو قوله تعالى ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾- الأحزاب آية 23). ولنبقى مع صحيح البخاري في هذه النصوص إِذْ قَالَ في حديثه 4049 إنَّ ابنَ شهاب الزهري، قَدْ أخبرهُ، ابنُ زيد بن ثابت (أي خارجة) قوله: «أنهُ سمعَ زيد بن ثابت يقول: فقدت آيةً من الأحزاب، حينَ نَسخنا المَصحف [يلاحظ كلمة نسخنا بمعنى زيد وآخرون]، كنت أسمعُ رسول الله [ملاحظة: الجملة غير واضحة تاريخياً] يقرأ بها، فالتمسناهَا فوجدنَاه مع خزيمة بن ثابت الأنصاري [يلاحظ لماذا التمسها زيد؟ ثم وجدها مع خزيمة الأنصاري] ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾ فالحقناها في سورتها. ولننظر إلى ما قاله البخاري أيضاً في صحيحه، روايةً عَنْ ابن شهاب الزهري،إنَّ ابنَ السبّاق أخبره نصّ الرواية التي ورد فيها «حتى وجدت من سورة التوبة آيتين [بمعنى آيتين وليس آية واحدة ومن سورة التوبة لا من سورة الأحزاب] مع خزيمة الأنصاري، لَمْ أجِدْهَا مع أحد غيره..». ولندقق في رواية البخاري الأخرى، التي وصلت عَنْ طريق ابن شهاب الزهري أيضاً عَنْ الليث قال: «قال أبي خزيمة وَقَالَ موسى عَنْ إبراهيم حدثنا ابن شهاب: مع أبي خزيمة وتابعه يعقوب عَنْ أبيه، وقال: أبو ثابت: حدثنا إبراهيم، وقال: مع خزيمة أو أبي خزيمة»[1] [بمعنى أن هناك شكّاً فيمن التمسه زيد بن ثابت،ليجدَ عنده آيةً من سورة براءة أو آيتين أو آية من سورة الأحزاب أو غير ذلك] في الوقتِ الذي نقرأ في رواية اعتَمدها السيوطي نقلاً عَنْ طريق البغويُ في كتابهِ شَرحُ السنّةِ ونصّها «إنَّ زيدَ بن ثابتَ، شهد العرضة الأخيرة، «عرضة القرآن، من قبل جبريل على النبي والتي بيّن فيها ما نُسِخَ وما بَقي،

(1) ينظر صحيح البخاري، حديث 4906، (ص 920) وحديث 2807، (ص 501) وحديث 4049، (ص 714) وحديث 4679، (828-829) وحديث 4784، (ص 864) وحديث، (4988) ص 920-921، وحديث 4989، ص 921، وحديث 7191، ص 1269-1270.

وكتبهـا للرسـول وقرأها عليـه وكَانَ يقرىءُ النـاس بها حتَّى مـات، ولذلك اعتمدها أبـو بكـر وَعُمَر في جمعـه»[1]. كَيفَ إذنْ نوّفق بيـن أن يكون قَدْ شـهدَ زيداً، العرضة الأخيـرة، وبيـن أنّه قدفاتتـه آيات من القرآن الكريـم. هذا من ناحية، أمّـا من الناحية الأخرى،فـإنَّ المتفـق عليـه،إنَّ زيداً لَـمْ يكن شـاهداً للعرضة الأخيـرة التي عرضها جبريل على الرسول، وإنَّ عبد الله بن مسعود، هو الذي شَهد القراءة الأَخيرة اعتماداً على ما رواه النسـائي، عَنْ طريق أبي ضبيان قال: «قال: لي ابنُ عباس: أَيُّ القرائتين أقـرأْ؟ قلـت: القراءةُ الأولى، قراءةُ ابن أم عبد، قال: ابن عباس: بَلْ هي الأخيرة، فإنَّ رسول الله، كَانَ يَعرضُ على جبريل. قال: وعند الحاكم بسند صحيح، أنَّ ابنَ عباس قال: أي القراءتين ترونَ كَانَ آخرَ القراءة؟ قال: قراءة زيد بن ثابت. فقال: لأن رسول لله كَانَ يعارض القرآن كل سـنة على جبريل، فلما كَانَ السـنة، التي قبض فيها عرضه عليه مرتين وكانت قراءة ابنُ مسعود، هي الأخيرة»[2]. وذهبتْ رواية ابن أبي الحديد إلـى ذلك برواية ابن عباس عَنْ عبد الله بن مسـعود حينما قال: «روى عَنْ ابن عباس إنّهُ قال: قراءة ابنُ أم عبد،هي القراءةُ الأخيرة، أنَّ رسـول لله كَانَ يعرَضُ عليه القرآن في كل سـنة من شـهررمضان فلمـا كَانَ العام الذي توفـي فيه، عَرضَ عليـه دُفْعَتَين، فشَهدَ عبد اللهُ ما نَسخ منه ومَا صحّ فهي القراءة الأخيرة»[3].

لَـمْ ينتـه أمرُ هـذه الروايةِ أو القصـة المضطربـة لأن السجسـتاني صاحب كتاب المصاحـف لـه روايـةٌ بعضهـا متداخـلٌ مـع الرواية أعـلاه، والبعـضَ الآخـر منها، مختلـفٌ. فالرواية التي رواهـا الزهري، عَنْ خارجة بن زيد بن ثابـت قَالَ فيها: «لمّا كتبتُ -القول هنا لزيد- المصاحفَ فقدتُ آيةً كنتُ أسمعها من رسول لله، فوَجدتها عنـد خزيمة بن ثابـت الأنصـاري، ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْـهِ﴾ إلى (تبديلا)[يلاحظ الرواية أعلاه بشـأن آل آية المفقودة وبشـأن كلمة إلى تبديلاً] وكَانَ خزيمة، يُدعى ذا الشـهادتين، أجازَ رسـول لله شهادته بشـهادة رجلين، قَالَ الزهري: وَقُتـل مع علي يوم صفين. ويسـتمرُ السجسـتاني فـي الموضوع نفسـه، فيعرّجُ على

(1) السيوطي، الاتقان، ج1 ص 156.
(2) م. ن. هامش ص 156، المحقق حامد بن أحمد الطاهر البسيوني.
(3) السجستاني؛ المصاحف، ص 69ابن أبي الحديد، شرح النهج، مجلد 1 ص 237.

رواية ثانية للزهري عَنْ خارجة بن زيد الذي قَالَ «لَمّا نَسَخنا -والقول هنا لزيد- المصحف [في الرواية السابقة لخارجة وزيد (المصاحف)] مِن المصاحفَ فُقدتْ آيةٌ من سورة الأحزاب [في الرواية السابقة غير ذلك] كنتُ أسمع رسول الله يقرأها فالتمستها[سابقا فوجدتها]، فَلَمْ أجدها مع أحد [في الرواية السابقة (فوجدتها) من دون أنْ يلتمسَها أو يبحثَ عَنها] إلّا مع خزيمة الأنصاري، الذي جعل رسول الله صلّى الله عليه وسلم، شهادته بشهادة رجلين، قول الله تعالى ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾» انتهى قول زيد من دون ذكر إلى (تبديلا). وَلَمْ يتوقف السجستانيُ عند هاتين الروايتين، فيقول تحت عنوان جديد هو (خبر قوله عزّ وجلّ (لقد جاءكم رسول...) الآيةُ في المصحف، أنَّ عبّاد عَنْ يحيى بن عباد عَنْ أبيه عباد بن عبد الله بن الزبير قال: أتى الحارثُ بن خزيمة بن خزيمة بهاتين الآيتين من آخر سورة براءة ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ إلى قوله(ربّ العرش العظيم) إلى عُمَر فقالَ: من معك على هذا؟ قَالَ لا أدري والله إلّا أني أشهد أني سمعتها من رسول الله صلّى الله إليه وسلم ووعيتها وحفظتها [يلاحظ هنا أنَّ الرجلَ، هو الحارثُ بن خزيمة، لا خزيمة الأنصاري، ولعله ابنه والله أعلم]، فَقَالَ عُمَر: وأنا أشهد لسمعتها من رسول الله، ثم قال: لَوْ كانتْ ثلاث آيات لجعلتها سورة على حدة فانظروا سورة من القرآن فالقوها فيها فألحقتها [هنا ربما المقصود الحارث، وليسَعباد بن عبد الله بن الزبير] في آخر براءة [يُلاحظ أنَّ الرواية الأولى كانتْ لزيد وكانت في زمن الخليفة الأول، لا في زمن الخليفة الثاني].

ولننصرفَ إلى ما أدلى به السجستاني على أثرِ الروايةِ أعلاه، وهي على عهدة الربيع بن أنس، عَنْ أبي العالية، عَنْ أبي بن كعب قال: «أهم جَمَعوا القرآن؟[يلاحظ في أعلاه المصاحف] من مصحف أبي، فكانَ رجالٌ يكتبونَ، يُمْلي عليهم أُبي بن كعب، فلمّا انتهوا إلى ال آية التي في سورة براءة ﴿ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ ۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ أثبتوا أنَّ هذه ال آية آخر ما أنزَلَ الله تعالى من القرآن، فَقَالَ أُبي بن كعب: إنَّ رسول الله صلّى الله عليه وسلم قَدْ أَقرأني بعد هذا آيتين ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ إلى آخر

السـورة [طبعاً ينبغي أَنْ يقول إلى آخر الآية]، قَالَ:فهذا آخر ما نزلَ من القرآن». بعدها مباشرة يُدلي السجستاني برواية تكاد تكونَ قَدْ أضَرتْ بجميع رواياتِهِ الأنفة الذكرِ؛ ففي روايتـه، عَـنْ يحيى بن عبد الرحمن بـن حاطب قَالَ: «أرادَ عُمر بـن الخطاب أَنْ يجمعَ القرآن، فقامَ في الناس فَقَالَ:مَنْ كَانَ تلقى [هنا المعروف عند الصحابة بأَنَّ هناكَ كتّاب للوحي] من رسول الله شيئاً من القرآن فليأتنا به [الرواية الأساس في هذه القصة تجعل عمر يشير على أبي بكر بجمع المصف، لأن القتل استمرَّ بالقرّاء من أهل اليمامة، فكَيفَ نُوّفـق بين تلـك وهذه؟]، وكانوا كَتبـوا ذلك في المصحف والألواح والعَسَـب كَانَ لا يُقبلُ من أحدٍ شيئاً حتَّى يشهد شاهدان فقُتلَ وهو يجمعُ ذلك[المعروفُ، إنَّ المصحفَ الذي سبق أنْ جَمَعه زيدٌ كَانَ معه، أي مَع عُمَر وبعد مقتلِهِ تركه عند ابنته حفصة زوجة رسـول الله؟؟]. فقامَ عثمان بن عثمان فَقَالَ:مَنْ كَانَ عنده من كتاب الله شـيء فليأتنا به، وكَانَ لا يقبل من ذلك شـيئاً حتَّى يشهد عليه شاهدان، فجاء خزيمة بن ثابت، فَقَالَ إني قَـدْ رأيتكـم تركتم آيتيـن لَمْ تكتبوها، قَـالَ وما هما؟ قَالَ تلقيتُ من رسـول الله صلّى الله عليـه وسـلم﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ إلى آخر السورة، قَالَ عثمانُ: وأنا أشهد أنَّهما مـن عند الله، فأينَ تُرى أنْ نَجعلها قَالَ:اختِـمْ بهما آخرَ ما نَزَل من القرآن، فَختِمتْ بهما براءة»[السِجستانيُ؛ المِصاحفُ،(تحقيق آثر جفري، طبعة أولى دمشق 2004ص 29-31؛ والمعلوماتُ التي أدلى بها السجستاني، قَدْ اعتمدها مع ثمة إضافات على صحيح البخاري في الأحاديث بأرقام 4986، 4987، 4988).

ومـع هـذا وذاك، لنرجـع إلى روايـاتٍ، تُفيد بأَنَّ القـرآنَ هو بالأصـل كَانَ يكتب فـي أيـام حيـاة الرسـول إِذْ روى السـيوطي نقلاً عَـنْ الحاكم النيسـابوري فـي كتابهِ المُستدرك،إنَّالقرآن قَدْ جُمع ثلاث مرات، أَحَدهُا بحضرة النبي ثم أخرج بسندٍ على شـرط الشـيخين، عَنْ زيد بن ثابت نفسـه قَالَ: «كنّا عند رسـول الله نؤلف القرآن من الرقـاع»[1]. ويعقب البيهقي على ذلك بقوله «يَشـبه أنْ يكـونَ المرَاد به تأليف ما نَزل من الآيات المتفرقة في سورها وجمعها فيها بإشارة النبي »[2].

---

(1) صحيح الحاكم، ج2 ص 249.

(2) السجستاني؛ المصاحف،(تحقيق آثر جفري؛ دمشق ص 29)؛ السيوطي، الإتقان، ج1 ص 167.

وفي النصّ الذي ذكره البخاري السابق مسألة أخرى، لا تقل أهميةً عَنْ ذلك التضارب بخصوص شخصية زيد بن ثابت،وكونه رجلاً شاباً. فَقَدْ وصفَ الخليفةُ وَعُمَر زيداً، بأنهُ عاقلٌ ولا يتهمانه؟ فماذا كَانَ يدور برأس الخليفة وَعُمَر حينما قالا: لا نَتَهمُكَ؟ أكان الصحابة الذين ذكروا في حديثِالرسول متهمين بعدم المصداقية في حفظهم القرآنأوبكونهم من المنتحلين أو المدلسين أو من المنهمكين في الأمور السياسية؟ أإنهم كانوا مصابين بأي مرضٍ عقلي؟ وإن رسول الله يقول «خذوا القرآن من أربعة: من عبد الله بن مسعود، وسالم، ومعاذ، وأبي بن كعب»[1]. هَلْ كَانَ المقصود بالكلمة الإمام علي؟.فيذكر السيوطي،إنَّ الإمامَ، كَانَ أوّل من جَمعْ كتاب الله، فحينما توفي رسول الله قَالَ الإمام: «آليتُ ألا آخذ علي ردائي إلا لصلاة جمعة حتَّى أجمعَ القرآنَ، فجمعته وسند هذه الرواية أَوردهُ ابنُ الضرّيس في فضائل الإمام عَنْ محمد بن سيرين عَنْ عكرمة قَالَ الإمام: «لما كَانَ بعد بيعة أبي بكر قَعد علي بن أبي طالب في بيته، فقيل: لأبي بكر: قَدْ كَرِه بَيعتك فأرسلْ إليه، فقالْ: أكَرِهْتَ بيعتي؟ قال: لا والله، قَالْ: ما أقعَدَكَ عَنّي؟ قال: رأيت كتاب الله يُزاد فيه، فحدّثت نَفسيَ لا ألبس ردائي إلّا لصلاة حتّى أجمعه، قَالَ له أبو بكر: فإنكَ نِعْمَ ما رأيت. قَالَ محمد، فقلتُ لعكرمة: ألفوه كما نزل الأولُ، فالأولُ. قال: لَوْ اجتمعت الإنسُ والجنُ على أنْ يؤلفوه ذلك التأليف ما استطاعوا» وَيُعلق السيوطيَ على هذه الرواية بقوله (بإسناد حسنعن ابن الضّريس في فضائل القرآن) ثم توقفَ السيوطي، ولعلهُ يهدف إلى التشكيك بهذه الأقوال في الإمام علي فَقَالَ ما نصّه: «ولكنْ عكرمة لَمْ أرهُ قَدْ روي عَنْ علي رضي الله عنه»[2]. وفوق هذا، فإنَّ السيوطي يذكر رأياً لابن أشته في كتابه المصاحف وعن ابن سيرين قوله «وفيه - إنجاز الإمام - أنه كتب في مُصْحَفِهِ الناسخُ والمنسوخُ، وأنَّ ابن سيرين قال: فطلبت ذلك الكتاب، وكتبت فيه إلى المدينة فَلَمْ أقدر عليه»[3]. وابن النديم، يوردُ روايةً عَنْ ابن المنادي عَنْ هذا الخبر المهم جداً الذي حدّثه به الحسن بن العباس قَالَ:أُخبرتُ عَنْ عبد الرحمن بن

(1) 13السجستاني؛ جزء 1 ص 202.

(2) الإتقان، ج1 ص 169.

(3) م. ن.

أبي حماد عَنْ الحكم بن ظهير السدوسي عَنْ عبد خير [وهو الشخص نفسه الذي اعتمدهُ السيوطيُ نقلاً عَنْ كتابُ المصاحفِ، لابن أبي داود السجستاني في خبرين، الأولُ، إنَّ هـذا العبد الخَيّر سَـمِع الإمام يقول: «أعظمُ النـاس في المصاحف أجراً، أبـو بكـرٍ، رحمةُ الله علـى أبي بكر، هو أَولُ مـن جمعَ كتاب الله. وهـي رواية تتناقض بتضمينهـا رحمة الله علـى أبي بكر، إِذْ أنَّ بكر قَدْ كَانَ حياً حينما جَمَع له زيد بن ثابت القـرآن، وأنه أيضـاً كَانَ حياً، حينَما أبلغه الإمامُ أنّه قَعد في البيت، وأقسـم أَنْ لا يقع عَنْ ظهره رداء حتَّى يجمع القرآن. وتتناقضُ هذه الرواية مع ما عبّر أبو بكر عَنْ تأييده لعمـل الإمـام بقوله: (فإنك نعم ما رأيت). فالعبد الخيـر هنا، يهدفُ إلى دعم الإمام لمشروع الخليفةُ وَعُمَر في تسليم أمرِ جمعِ القرآن إلى زيد بن ثابت، متجاوزاً منهما علـى الصحابة من كتّاب الوحي، وكَانَ الإمـامُ أحدهم. ولكن العبد هذا، يرتقي إلى مرتبة أرقى هي سـماعه من الإمام مباشـرة. فالرواية تقول [إنَّ العبـدَ الخيّر ينقل عَنْ الإمـام] عَـنْ علي أنهُ رأى من الناس طِيرة عند وفاة النبي فأقسـمَ أنّه لا يقع عَنْ ظهره رداءه حتَّـى يَجمـعَ القـرآن، فجلسَ في بيتـه ثلاثة أيام حتَّـى جَمعَ القـرآن. فهو أول مصحف جُمِعَ فيه القرآن من قلبه»[1].

فالذي اعتقدهُ بتواضع، أنَّ حلَّ شفرة (لا نتهمك) التي شَغَلَتْ حَيّزاً في مسألة اختيار الخليفةِ وَعُمَر لهذه المهمة العسيرة، إنّما هو يَتعلقُ بالمصاحف التي كانتْ موجودة عند الصحابة الذين كانوا كتّاباً للوحي من غير زيد بن ثابت. والأهم من كل ذلك، إنَّا الإشارة إلـى مَـن هو المتهم الوحيد في التعبير القاسـي الذي استعمله الخليفـةُ وَعُمَرَ، وهما يقصدان صحابة الرسول الأجلاء ممّن كانوا يحفظون عَنْ ظهر قلب القرآن إن كانوا من بين الذين شهدوا العَرضة الأخيرة التي عرضها جبريل، وإنْ كَانوا مِمَّن قَعد في بيته ثلاثة أيام عازماً على جمع القرآن مُعتمداً على القرآن الذي سَلّمه إياه الرسول وعلى حفظه والبيان الذي أودع في صدره من الرسـول والعلم اللدني؛ فكان بالفعل أول مصحفٍ كاملٍ، لا تنقصه آية التوبة أو آية أو آيتين أو أكثر من سورة الأحزاب. أنه مصحفٌ، وكما علّق عليه، محمد بن سـيرين، وأخرجه ابن أشـته، قائلاً إنّ الإمام ضَمَّن في (مصحفه

(1) ابن النديم، محمد بن أبي يعقوب، الفهرست (تحقيق رضا – تجدد، طهران ص 30).

الناسخ والمنسوخ)[1]. ولو أضفنا إلى هذا الوصفَ لمصحف الإمام ما ذكرهُ اليعقوبيُ في تاريخه من إشارة تعبّر عَنْ فرحة الإمام وهو يحمل مصحفه بعد الثلاثة أيام إِذْ يقول (وروى بعضهم أنَّ علي بن أبي طالب كَانَ جَمعه لمَا قبَض رسول الله وأتى به يحمله على جمل. فَقَالَ:هذا القرآن قَدْ جمعته، وكَانَ جَزّأه سَبْعةُ أجزاء)[2]. ولعل هناك دلائل دالـة علـى أن اختيار الخليفةِ وَعُمَر لزيد بن ثابت، الذي كَانَ موقفه إلى جانب الخليفةِ وعُمَـر، هـو الدافع في هذا الاختيارِ، فهو شـابٌ عاقل وغير متهمٍ بمـوالاة الإمام، ولا بموالاة عبد الله بن مسعود، وأبي بن كعب. ورأي الصحابيُ ابن مسعود السابق، واضح جداً في هذا المجال إِذْ قَالَ: «أخذتُ القرآنَ من في رسول لله سبعين سورةً، وإنَّ زيد بن ثابت لغلامٌ في الكتّاب له ذؤابه»[3]، والرأي هذا الذي انفرَد به ابنُ أبي الحديد، يمثّلُ خَير تعبيرٍ، عَنْ كَيفَ أنَّ جيل الشباب يسعى دائماً إلى الحصول على مكاسِب الإدارة، والتقـرب من الحكام للحماسـة والعنفوان، الذي يدفعه إلـى ذلك. فكَيفَ بالصحابي زيد، وهو يتذكر قبل سـنوات شـيخه وأبي بن كعب، وهما يكتبان الوحي، لرسول لله، وهذا ما يفسـره كلام الخليفة وعمر، بقولِهما بحسـبِ توصيف البخاري في صحيحه الذي تكرَّرَ في المؤلفات السـنية «أنك رجل شـاب عاقل لا نتهمكَ، وقد كنت تكتب لرسول لله »[4] في الوقت الذي ينصّ السيوطيُ، اعتماداً على صحيح البخاري عَنْ عبد لله بن عمرو بن العاص قوله:إِنَّهُ سَمع النبي يقول «خذوا القرآن من أربعة: من عبد الله بن مسـعود، وسـالم، ومعاذ، وأبيّ بن كعب. أي تعلموا منهم)[5]. هنا أيضاً علينا أنْ لا نغفل موقف زيد بن ثابت، عندما اندفعَ الناسُ بعد مقتل الخليفة الثالث، لإختيار الإمام علي للخلافة، فكانَ زيدٌ وابن عمر مِنْ الَذين اعتزلوا، فَلَمْ يكونا في صف الإمام، وهو موقـف لا شـك له جذور تاريخية، فإنّـهُ غَير متهم من جانب الخليفـة وَعُمَر في ولائه السياسي أيضاً.

ومما لا شك فيه، فإنَّ أحداث ممانعة الإمام علي البيعةَ إلى مَنْ تَكاتفوا في سقيفة

---

(1) السيوطي، الاتقان ج1 ص 169.

(2) تاريخ اليعقوبي، ج2 ص 93.

(3) البخاري؛ صحيح حديث رقم 5005؛ ابن أبي الحديد، شرح مجلد 1 ص 237.

(4) صحيح البخاري، (حديث 4986) ص 920.

(5) البخاري؛ صحيح الحديث السابق؛ الإتقان ج1 ص 202.

بني ساعدة، ومحاولة المِحْوَر الفائزَ بالخلافة توارثاً أنْ يأخذوا البيعة بالقوة، وإنْ كَانَ بإحراق بيت الإمام علي يسعفنا في هذا الصدد. فالرواية التي أسلفنا ذكرها، التي أخرجها ابنُ الضرّيس في فضائله، أنَّ بِشرَ بن موسى حدثه عَنْ هوذه بن خليفة عَنْ عون عَنْ محمد بن سيرين عَنْ عكرمة. وتفيد الرواية، أنهُ بعد إتمام عملية مبايعة أبي بكر للخلافة، قيل: لهُ أنَّ تَغيبَ الإمام عَنْ المبايعة، هو تعبيرٌ عَنْ كرهِ بيعتك فأرسِلْ إليه [طبعاً علينا المداخلة في هذه النقطة عَن بيعة السقيفة، فَقَدْ تَمَّ التوافق عليها من قبل مجموعة من المهاجرين انسلوا إلى السقيفة تاركين النبي مسجّى بين يدي الإمام علي ومجموعة من بني هاشم، فالأولَى أنْ يكونوا إلى جانب المُسَجَّى الرسولَ ودفنهِ، لا الاندفاعَ وراء كرسي الخلافة. فالإمامُ كَانَ مشغولاً في الدفن بالدرجة الأولى، وكَانَ له رأي في التطورات السريعة والخاطفة التي اتُّفق على إجرائها في السقيفة] فأرسل إليه. لنلاحظ الكلمات التي استخدمها الخليفةُ المنتخَبُ في السقيفة إِذْ قَالَ للإمام: «أكَرَهْتَ بيعتي؟ قال: لا والله، قال: ما أقعدك عني؟ قال: رأيتُ كتابَ لله يزاد فيهِ فحدّثتُ نفسي ألا ألبس ردائي إلَّا لصلاة حتَّى أجمعه. قَالَ أبو بكر: فإنك نعم ما رأيت»[1]. فالذي نفهمه من هذه الرواية عدة أمورٍ، الواضحة منها:

1 - التعارض بين الحدثين، حَدَثَ التوافق على تَولّيةِ الخلافة في السقيفة، وحدث الإمام، وهو مشغولٌ في مراسيم الغسلِ والدفن للجسد الطاهر. ويبدو أنه من غير الممكن الجمع بين فترتيهما، فكلُ حدثٍ قائم بنفسه وفي فترة متباعدة نسبياً.

2 - المعتقدُ،إنَّ الخليفةَ وَعُمَر بحسب نصّ رواية جمع القرآن، قَدْ تزامنتْ مع ما وقع بعد أحداث معركة اليمامة، واستشهاد سالم مولى حذيفة،وعبد الله بن حفص بن غانم،والصحابيُ الأخير، لَمْ يكن نجمه قَدْ سَطع، كالصحابي سالم، إِذْ هو الصحابي الذي كَانَ نجمه قَدْ سَطع حينما طُعِنَعُمَرُ بن الخطاب وعَزم على ترشيح أحد من الصحابة ومن بينهم الإمام، وعلى حدِّ تعبير عمر نفسه «لو كَانَ سالم حياً لولّيتهُ الخلافة من بعدي». عندئذ يمكننا لملمة الروايات

(1) السيوطي، الاتقان، ج1 ص 169.

المتعلقة في عزم الخليفةِ وَعُمَر على جمع القرآن واختيار الصحابي زيد لهذه المهمة، وحَسَبَ رواية اليمامة بعد السنة الأولى من خلافة أبي بكر. طبعاً على الرغم من تشابه حدث اليمامة، مع الحدث الذي دَفع بالخليفة الثالث على جمع الناس على قراءةٍ واحدةٍ. ذلك لأن الصحابيَ حذيفةَ بن اليمانَ، كَانَ في بعض الغزوات، إذْ اجتمعَ خلقٌ من أهل الشام، ممن كَانَ يَقْرأ على قراءة المقداد بن الأسود، وأبي الدرداء، وجماعة من أهل العراق، ممن كَانَ يَقْرأ بقراءة عبد الله بن مسعود. وتَبارى هؤلاء بينهم للقراءة التي يَقرأ بها؛ وبلغت الحالة إلى أنَّ اختلافاً شديداً وقع بينهم إلى حدٍّ أنَّ الواحد خطّأَ الواحد الآخرَ، بَلْ وكفّره[1]. فالتشابه عفوي، ولكنَّ الهدفَ الذي يجمعهما واحد.

3 - وفي هذه الحالة، فإنَّ إنجاز الإمام علي لا يتعلق بتلكم الحادثتين معركة اليمامة، أو مغازي الصحابي حذيفة بن اليمان. فخطوة الإمام الجريئة، كانتْ بعد أنْ قُبِضَ رسول الله، وبَعدَ أنْ أعلن عَنْ رفضهِ ما جَرى في سقيفةِ بني ساعِدة. ولعلهُ كَانَ مدفوعاً بأمر مهم جداً،ألا وهو الذي صرّح به للخليفة نفسه (رأيت كتاب الله يُزاد فيه، فحدثت نفسي ألّا ألبس ردائي إلا لصلاة..)[2]. بمعنى آخر،إنَّ الإمام عَزم على جمع المصحف، خوفاً من التشويه والحذف أو الزيادة والنقصان فيه، وبالمحافظة على النصّ الأصلي لما كَانَ ينزّله الوحي (جبريل) على رسوله الكريم الذي كَانَ يدوره يحفظه للإمام ويفسر آياته ويشرح له معانيه والناسخ والمنسوخ منه وغير ذلك من علوم القرآن.

والسؤال الذي لابدّ من إثارته ها هنا، هلْ إن الإمام قَدْ وَصَلالى سمعه نوايا الخليفة وَعُمَر في جمع القرآن، وأن المخوّل في جمعه الصحابيُ زيد بن ثابت؟ أإنه كَانَ علم بالمنهج الذي أراد اتباعه زيد بخصوص الجانب الشرعي، أي ضرورة توفر شاهدين في جواز قبول الآية الفلانية أو السورة الفلانية وعندها ستؤول إلى خرق واسع في الزيادة والإضافة أو بالعكس في الحذف والإقصاء؟ أإن الإمام كَانَ مرافقاً أو بالأحرى ملازماً لما كَانَ يتبعه

(1) ينظر ابن كثير، البداية والنهاية (طبعة أولى 1966) ج7 ص 217.

(2) السيوطي، الإتقان، ج1 ص 169. ينظر

الصحابي زيد، على وفق التعبير الذي ورد وهو بتعبير البخاري في صحيحه «فتتبعت القرآن أجمعه من العَسَب واللخاف وصدور الرجال»[1] أو كما في الرواية الأخرى في الصحيح أيضا»فتتبعت القرآن أجمعه من الرقاع والأكتاف والعَسَب وصدور الرجال»[2] وكما في رواية البخاري الثالثة «فتتبعت القرآن أجمعه من العَسَب والرقاع واللخاف وصدور الرجال»[3]؟ أإن الإمام كَانَ على علم بعدم أهلية الصحابي زيد بن ثابت لمثل هذا العمل الخطير والمهم جداً، أي عدم أهليته في حفظ القرآن عَنْ ظهر قلب؟ أإنه كَانَ يعلم بأنَّ زيداً لَمْ يكن من الكُتّاب المَهَرة لآيات الكتاب على اعتبار أنه قَدْ أَسلَم وهو صبيٌّ في الحادية عشر من عمره، لهذا لَمْ يكن مواكباً لاستمرارية نزول آيات الله إنْ كانتْ في حيّز مُنزل الرسو لو إنْ كانتْ في المسجد أو في الغزو أو في حلِّ الرسول وترحاله؟ فالصحابي زيد، بحسب قوله: «كنا عند رسول الله نُؤلفُ «القرآن من الرقاع». وحسب الرواية التي رواها.

أبو إسحاق عَنْ البراء التي جاء فيها» لمّا نزلت ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[وهي آية من سورة النساء آية 95]قال النبي صلّى الله عليه وسلم «ادع لي زيداً -يعني طبعاً زيد بن ثابت-، وليجيء باللوح والدواة والكتف أو الكتف والدواة» ثمّ قَالَ «اكتب ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ﴾». وخلف ظهر النبي صلّى الله عليه وسلم، عمرو بن أم مكتوم الأعمى قال: يا رسول الله فما تأمرني فإني رجل ضرير البصر؟ فنزلت مكانها ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ﴾. ب صحيح البخاري حديث 4990. وهي رواية واضحة جداً بما له علاقة بالأدوات التي كانتْ عند رسول الله صلّى الله عليه وآله. ثمّ هناكَ قولُ أبي بكر الصولي، في كتابه (**أدب الكتّاب**) مِنْ إنَّ زيداً كَانَ يقولَ: «كنتُ إلى جانب رسول الله صلّى الله عليه وسلم، أكتبُ ما يملي عليّ من الوحي، وعندما تنتهي الكتابة كَانَ يقول اقرأ فأقرأ، وإذا وجد فيما كتبت

(1) صحيح البخاري، (حديث 4986) ص 920.

(2) م. ن. (حديث 4679) ص 828-829.

(3) م. ن. (حديث 7191) ص 1269-1270.

نقصاً كَانَ يصححه»[1] وهو قول غامض ولا معنى له بوجود الرسول وهو من الطبيعي جداً،أَنْ يكون حافظاً للقرآن، الذي ينزل عليه بشكل متواصل. وفي رواية للبخاري، بشأنِ زيد عَنْ أبي اسحاق عَنْ البراء المذكورة أعلاه تواً،في صحيح؛ حديث 4990. وهودليلٌ مضافٌ على مسألة كتابة القرآن زمن الرسولْ. فكَيفَ يُؤلف القرآن من الرقاع!. فالرواية بشكل واضح موضوعة ومدسوسة خلال العملية التي كَانَ فيها زيد يتابعُ موارده من العَسَب والرقاع وغيرهما، وهي على الاتجاه نفسه معالرواية التي تهدف إلى تمجيد عمل زيد وتهيئة عوامل صلتها في هذا الشأن بالرسول الكريم. قَدْ يكون أحدُ هذهِ الأسئلة مقارباً لحقيقة موضوع جمع القرآن، أو من جانبٍ آخرٍ قَدْ تكون جميع الأسئلة في ذهن الإمام، وهو يتخذُ قرارَ القعود في البيت والتجرد عَنْ جميع شؤون الحياة سوى ما يمليه عليه الواجب الديني الفرضي وهو إقامة الصلاة.

4 - ثُمَّ ألّا يعتقد المرءُ بوجود تفاوت في التقدير والتصويب، بحسبِ الفقرةِ السابقة، وأَقصدُ عَدم الانسجام البيّن في كل الأقوال التي قِيلتْ في زيد، نظير إنّهُ رجلٌ عاقلٌ غَير مُتَهم أو غَيْرَ منهمكٍ، رُبَّما في عقيدته أو ربما في موقفه السياسي، وبين قولِ الخَليفةِ وَعُمَر بكونهِ كَانَ كاتباًللوحي يكتبُ للرسول، وهو وصفٌ غير قابل للرّدِ والشكِ وبينَ ما قام به عمل في تتبع القرآن من العَسَبِوالرقاعِ واللخاف وصدور الناس. إذنْ أينَ موقع التعبير (كان يكتب الوحي لرسول الله)؟.فأمّا أن تكون مسألة كتابته للوحي غير صحيحة، وأمّا أنْ تكونَ متابعته القرآن الكريم في هذه المواد، غير المنضبطة التي تعني آية من الكتاب في هذه العسبة، وآيةٌ أخرى في صدر من صدور الرجال، و آية ثالثة مكتوبة على كتف بعير أو مَعز أو غير ذلك، و آية رابعة مكتوبة على الرقاع. مَنْ هو الحكم الفاصل في صحة ما كُتِبَ على هذه المواد. فجميعُ هذا يُثير ألتباساً وشكّاً، فأينَ نَجدْ الصحيح بين هذا الشيء، وبين كونهِ من حُفَّاظ الوحي، وأينَ هذا وذاك وبين ما وضعه من حكم شرعي بقبوله هذه ال آية أو تلك شريطة توفر الشاهدين؟ فكان يجلسُ على بوابة المسجد،

---

(1) الحاكم النيسابوري، صحيح جزء 2 ص 49؛ يُنظر الصولي؛ أبو بكر محمد بن يحيى؛ أدب الكتّاب، (تحقيق محمد بهجة الأثري، القاهرة 1341. ص 165.

ليقبل هذه الآية، فتكونَ قرآناً، وبين أنْ يرفضُ غَيرها، فلا تكون آية من آيات القرآن الكريم؟ وعلى فرض صحة ذلك المعيار النسبي، فأينَالرواية المتناقضة الأخرى المتعلقة بخزيمة أو أبي خزيمة الأنصاري، و آية أو آيتين من سورة التوبة، وفي رواية أخرى من سورة الأحزاب؟.فإنْ كَانَ زيدٌ قَدْ كتبَ الوحي بحسبِ ما ذُكر من روايةٍ عند البخاري، إذْ قَالَ زيد «حتى وجدت من سورة التوبة آيتين مع خزيمة الأنصاري، لَمْ أَجدهما مع أحدٍ غيره»[1]، أو قول البخاري الآخر، وبحسب رواية ابن شهاب الزهري، أيضاً عَنْ ابن زيد خارجة قوله: «أنَّ زيد بن ثابت قال: نَسختُ الصُحُفَ في المصاحف، ففَقَدتُ آية من سورة الأحزاب، كنتُ أسمعُ رسولَ الله يقرأ بها، فَلَمْ أَجِدْها إلّا مَع خزيمة بن ثابت الأنصاري، الذي جَعل رسول الله شهادته شهادة رجلين»[2]، أو حسب رواية البخاري الثالثة عَنْ الزهري، أيضاً عَنْ خارجة ابن زيد بن ثابت يقول فيها: «أنهُ سمع زيد بن ثابت يقول: فَقدتُ آية من الأحزاب حِينَ نَسخْنا المُصحفَ، كنتُ أسمع رسول الله يقرأ بها، فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الأنصاري، فالحقنَاها في سورتها في المصحف)[3]. أو في رواية البخاري الرابعة، التي أوردها الزُهريُ أيضاً،الذي نَقل كلامَ الليث بأنَّ ال آية كانتْ (مع أبي خزيمة)، وحَدَّثَ الزهريُ أيضاً،عَنْ أبي ثابت عَنْ إبراهيم، أنَّ ال آية كانتْ (مع خزيمة أو أبي خزيمة)[4]. أو في رواية البخاري الخامسة، عَنْ ابن شهاب أيضاً،عَنْ ابن السَبّاق «قال: إنَّ زيد بن ثابت قال: أرسلَ إليَّ أبو بكر...فتتبعتُ حتّى وجدت آخرَ سورة التوبة آيتين مع أبي خزيمة الأنصاري، لَمْ أجدَهما مع أحد غيره»[5]، لكن ابنَ السَبّاق عند الزهري، لَمْ يذكر سوى آية واحدة من سورة التوبة ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ التوبة 128. ونسيَ الآية الأخرى. أو في رواية البخاري السادسة، عَنْ ابن شهاب الزهري أيضاً،وعن ابن السَبّاق أيضاً،الذي كَانَ متردداً في

(1) صحيح البخاري، (حديث 4679) ص 828-829.
(2) م. ن. (حديث 2807) ص 501.
(3) م. ن. (حديث 4049) ص 714.
(4) م. ن. (حديث 4679) ص 829.
(5) م. ن (حديث 4989) ص 921.

روايته فيقول: «أنّزيد بن ثابت حَدّثهُ قال: أرسلَ أليّ أبو بكر، فتتبعتُ القرآن، حتَّى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري، لَمْ أجدَهما مع أحدٍ غَيرهُ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ حتَّى خاتمة براءة»[1].

فجميع هذه الروايات إلّا أدلةٌ جليةٌ تبين أنّ زيداً لَمْ يكن عالماً في القرآن الكريم أو عدد سوره أوعدد آياته. وأنهُ قَدْ خَضَعَ لعامل الاختيار العفوي، والأفضلية، بحسب رأي الخليفة الأول وعمر، لأنه كانلا يشايع الإمام علي، أَو غَير مؤيدٍ للصحابي، عبد الله بن مسعود، في جمعه السور والآيات، وأنّهُ لَمْ يَرْجع إلى المصادر الموثوقة التي كانتْ تحمل القرآن في صدورها، كالإمام علي والعلماءُ الذين شَهِدَ عليهم الرسول مِنْ الذين خَبروا هذا العلم «خذوا القرآن من أربعة»؛ والأصح خذوا القرآن من خمسة، لأن النبي قَدْ وصف الإمام علي بكونه حافظاً وعالماً بالقرآن وتفسيره وناسخه ومنسوخه.

5 - وخلاصة القول،إنَّ عمليةَ جمع القرآن المهمة جداً،وبحسبِ وصف الإمام علي «أنه رأى من الناسِ طَيْرة عند وفاة النبي فأقسم أنّهُ لا يقع عَنْ ظهره رداءه حتَّى يجمع القرآن»[2] أو قوله الآخر «رأيت كتاب الله يزاد فيه، فحدثتُ نفسي، ألا ألبس ردائي إلا لصلاة حتَّى أجمعه»[3]. فأهمية هذا المشروع وخطورتهُ لا تتعلق تماماً بما تكهّن بهِ الخليفةُ وعُمَر، بأنَّ ذلك قَدْ حدثَ نتيجةً لاستشهاد مجموعة من القرّاء في معركة اليمامة، إنما المشروع أوسعُ من ذلك تماماً. والصحابي حذيفة بن اليمانسلط ضوءاً على مَفْصلٍ مهم آخر منه. إذْ أشارَ على عثمان في خلافته، موجهاً إياه، أنْ «أدرِكْ هذه الأمةَ، قبلْ أنْ تختلف في كتابها، كاختلاف اليهود والنصارى في كتبهم. وذكر له شاهد من اختلاف الناس في القراءة»[4]. فضلاً عما قدّره الإمام علي وفي المدينة بعد وفاة النبي، عندما شَهد مظهراً بخصوص القرآن، لعلهُ يتعلقُ بالمزوّرينَ والمحرّفين لآياته بما يتوائم والسلطة، أو لمجموعة من الناس المرتبطين

(1) صحيح البخاري، (حديث 7425) ص 1308.
(2) ابن المنادي في فهرست ابن النديم ص 30.
(3) السيوطي، الإتقان، جزء ص169.
(4) ابن كثير، البداية، ج7 ص 217.

بالسلطة، فبادرَ إلى جمعهِ خوفاً عليه من آفة التزوير والانتحال والتحريف، كالذي حَدَثَ مع أحاديث الرسول فعبّر عَنْ ذلك بتعبير «رأيت كتاب الله يُزاد فيه»، فالزيادةُ هي أسّ التحريف، والإضافة لصالح هذه الشخصية أو تلك الجهة. تماماً كما كانتْ الحالة بالنسبة إلى الأسبقية في الإسلام، فكمْ من مُحَرّف جعلَ فلاناً أوفلاناً من قتلى بدر، وكمْ من مُحرّف جَعل مَنْ لَيس له أسبقية في لائحة من المسلمين المهاجرين والأنصار الأوائل من السابقين من أجل أنْ ينتفع منها ذلك، الذي نال شرف الأسبقيةفي الجانب الاجتماعي والسياسي وفي توزيع العطاء والرزق.

الأقربُ، إذن، في مسألة جمع القرآن التي ابتدأها الخليفةُ بنصيحة من عمر بن الخطاب أو كما ورد في روايات أخرى، بأنَّ الخليفة ابتدأ بها من دون الأخذ بنصيحة عمر بن الخطاب، إنّما بفهمهِ بمفهومية معيار الأسبقية، وهي أسبقية وتسابق، ليست مدفوعة من أجل الرزق والعطاء، بَلْ من أجل المناقب وكسب الفرص وقطع الطريق على سيادة حرف أو قرآن آخر لشخص آخر. والذي نَطق به الإمام علي، هو انعكاس لهذه الظاهرة، فهو في رواية قَالَ : «أنه رأى من الناس طيُره عند وفاة النبي وسلم فأقسم أنه لا يقع عَنْ ظهره رداءه حتّى يجمع القرآن». وكلام الإمام بيّن وجليّ، فبَعد انتقال النبي إلى جوار ربّه أو على أثره أخذَ الناس، بمعنى أولئكَ الذين تنازعوا السلطة وبطانتهم ينتحلون ويُفَسِّرونُ ويُحرّفون في كتاب الله. وقول الإمام هذا لا يتعلق بمعركة اليمامة أو ما عُرف مبالغة بحروب الرّدة، بَلْ بشأن آخرٍ له علاقة بآل بيت النبوة، فَقَدْ حَدَثَ مثلُ هذا الكلام، أثناءَ الجدل بين الأنصار، والخزرج منهم بشكل خاص، وبين المهاجرين، الذين نَصّبوا أَنفسهم حَسبَ معيار الأسبقية، بأنهم الأصل في الإسلام، لا بني هاشم، ولا بيت النبوة. وهذا الأمرُ قَدْ وقفَ عليه بعض المؤرخين، أمثال ابنُ قتيبة، في كتابه الإمامة والسياسة، وعلى أثر الأنتهاء من دفن الجسد الطاهر لنبي الأمة. كَانَ الإمام يردّ على الرأي الذي طَرَحتهُ الفرقة التي استحوذت على نظرية أإن الإسلام قرشي أم غير قرشي، وكَانَ الإمامُ يفنّد أقوالهم التي أرادت أنْ تستحوذ على الدور الأساسي الذي أدّاه آل البيت في الإسلام بشكل غير شرعي.

من هنا انطلق الإمام إلى حفظ تراث آل بيت محمد في القرآن الكريم، قرآناً وتفسيراً بما حفظه إياه رسـول الله بنفسـه. فالإمام علي ، رأى بأم عينـهِ الطريقة التي ناضل فيها الفريق المسـتحوذ على حق أهل البيت وتكهّن بمسـتقبل هذه الأسـبقية والتسـابق بما سيتحقق في الزيادة أو النقصان أوفي التحريف أو التزييف وفي التعديل أو الانتحال لا في الحديث النبوي الشريف، بَلْ في القرآن أيضاً؛ وإنه بالتأكيد كَانَ يستذكرُ الحادثة التي طلب فيها رسـول الله وهو مسـجّىً قرطاساً وقلماً لكي يكتب للأمة تاريخها السياسي، فما كَانَ من أبي بكر وَعُمَر وآخرين ممّن كَانَ موالياً إلى صفهم، أَنْ يقولوا حسبنا كتاب الله. فكتابُ الله إذنْ هو المصدر الأساس، الذي أَجمع هذا النَفَرَ من قريش على أَن يعملوا علـى جَمْعِـهِ وترتيبِهِ، وربما التدخـل في صياغة آياته وحـذف أو التلاعب بماله علاقة بإرث آل بيت النبوة في الإسـلام. ولهذا الأمرُ، فَقَدْ تعجَّل في أدائه القسـم على نفسـه أنْ يؤدي الأمانةَ الحقيقة لكتاب الله تعالى على وفق المنهج الذي عَلّمه إياه رسـول الله فـي أسـباب التنزيل والتأويل والترتيب. فأورد العياشـيُ، أبو النضر محمد بن مسـعود السـلمي، المحدث العالم، وصاحب التفسـير الشـيعي روايات كثيرة، عن نبوغ الإمام في علوم القرآن، رواية تفيد في هذا المجال كما رواها الأصبغ بن نباتة صاحب شرطة الإمام على البصرة، وتفيد أنَّ الإمام صلى بالناس صباحاً عندما قَدِمَ إلى الكوفة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ فَقَالَ المنافقونَ: «لا يحسن أبن أبي طالب أَنْ يقرأ بلغة ذلك قال: ويل لهم إني لأعرف ناسـخه من منسـوخه ومحكمه من متشـابهه وفصله من فصاله وحروفه من معانيه. ولله ما من حرف نزل على محمد إلا أني أعرفُ فيمـن نَزَلَ، وفي أي يوم، وفـي أي موضع، وَيلٌ لهم أما يقرؤون ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ ولله عنـدي ورثتها من رسـول لله . وقد أنهى رسـول لله من إبراهيم وموسـى . ويل لهـم ولله أنا الذي أنزل لله فـيّ ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾. فإنما كنّا عند رسول لله فيخبرنا بالوحي فأعيه أنا ومن يعيه، فإذا خرجنا قالوا: ماذا قَالَ آنفاً»[1]. وذكر اليعقوبي رواية تكرر ذكرها في التفاسير الشيعية نصها «وقال بعضهم إن علياً قال: نزل القرآن على أربعة أرباع ربع فينا، وربع في عدونا، وربع أمثال، وربع محكم ومتشابه)[2].

---

(1) تفسير العياشي، (صححه وحققه وعلق عليه الحاج السيد هاشم الرسولي المحلاتي جابخانه علميه قم) ص 13.

(2) تاريخ اليعقوبي، ج2 ص 93.

مـن هذا نفهم كَيفَ غُيِّبَ الإمامُ من عملية الجمع، ولماذا أسـرعَ إلى بيته ليتجرد بغيـة جمع القـرآن من قلبه لا من العَسَـب واللخـاف والرقاع وصـدور الناس الذي نَهجَـهُ زيـد ابن ثابت في جمعه للقرآن الكريم. وواقعـاً، فإنَّ عملية جمع القرآن زمن الخليفـة وَعُمَـر وزيد، كانـتْ متزامنة مع ما عُـرِفَ في مدينة الرسـولمن تفرغ الإمام لجمـع القـرآنَ خـلال ثلاثة أيام فقـط، ومـا أورده ابـنُ الضرّيس في كتابـه الفضائل عَـنْ عكرمـة تلـك الرواية التي أتينـا عليها أعلاه إنمـا تنصّب في هذا الرافـد، إِذْ أرادَ الخليفـةُ وَعُمَرُمعرفـة إنْ كَانَ الإمامُ بالفعل عازما على جمـع القرآن الكريم ومعرفة السـبب الأسـاس في مهمتـه هذه. فكان ردّ الإمام المباشـر أنه (رأيـت كتاب الله يزاد فيـه، فحدّثت نفسـي ألا ألبس ردائي إلا لصـلاة حتَّى أجمعـه)[1]. كَانَ جوابه منطقياً جـداً، إِذْ بـدأ التدخل في تحريف آيات القـرآن بالإضافة والزيادة من جهة السـلطة، والبتـرُ والنقصان في الآيات والسـور المؤشـرة إلى آل البيت من جهـة أخرى. فكمْ كَانَ كتاب الله الذي جمعه الإمام علي إرثاً وكنزاً ضخماً في صالح القرآن. ذلك الذي جاء به الإمام محمولاً على بعيرٍ ليسرّ عيون وقلوب أصحابه من بني هاشم وأصحابه الخاصيـن وليبزّ عيون وقلـوب النفر الذي غَيَّر مجرى تاريخ القرآن. علماً بأنَّ عملية جمـع القرآن تشـكّل برمتها منعطفـاً بارزاً في تحصيـن الدين الإسـلامي والحدّ من الاختـلاف والفرقـة. فيا حبذا لَوْ أنَّ الخليفة الثالثَ، لَمْ يقدم على غسـل المصاحف بالماء السـاخن والخـل، أو في رواية ثانية لَمْ يقدم على إحراقها، لأنها تشـتملُ على كلام الله تعالى؛ ويا حبذا لَوْ أنَّ القرآن الذي جعل زيد بن ثابت رئيساً للّجنة المشكّلة بأمرها من الشباب، عبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بـن هشـام، ومهمتهـا نَسْـخُ المصاحف موجهـاً إياهم بقـول عثمان لهم أنكـم: «إذا اختلفتـم أنتم وزيد بن ثابت في عربية من عربية القرآن، فاكتبوها بلسـان قريش، فإنَّ القرآن بلسانهم، ففعلوا»[2]، نقلًا عَنْ البخاري عَنْ الزهري وأنس بن مالك، وبحسب روايـة ابـنُ كثيـر أنَّ عثمان أمرَ زيـدَ الأنصاري «أنْ يكتـبَ وأنْ يُملي عليه سـعيد بن العـاص الأموي بحضـرة عبد الله بن الزبير الأسـدي وعبد الرحمن بـن الحارث بن

(1) السيوطي، الإتقان، ج1 ص 169.

(2) صحيح البخاري، (حديث 4984) ص 919 و (حديث 3506) ص 623.

هشـام المخزومـي. وأمرهم إذا اختلفوا في شـيء أن يكتبوه بلغـة قريش»[1]. وهناك روايـة وردت في تاريخ اليعقوبي، إنَّ هذه الخطوة قَدْ اتخذها عمر بن الخطاب زمن الخليفة أبي بكر إِذْ «أجلس خمسـة وعشـرين رجلاً من قريش، وخمسـينَ رجلاً من الأنصـار وَقَالَ:اكتبوا القرآنَ وأَعْرِضُوا على سـعيد بن العـاص فإنه رجل فصيح»[2].

إنني أعرضُ هذه الأقـوال المتهافتة على القـارىء الكريم، ليرى بنفسـه كَيفَ جُمِعَ القُرآن بِحَسـب حرف الخليفة عثمان، في الوقت الذي أحرقَ المصاحف الحقيقية. فَهَـلْ فاتَ الخليفة، أنَّ القرآن ينطق بصراحـة بأنه نزل بلغة قريش وفي أرقى وأفصح اللغات، وفاته أيضاً وهو خليفة المسـلمين، أنَّ الله تَحدّى قريش لا سـعيد بن العاص فحسـب، إنَّما جُلُّهُقريش وبُلغائها أن يأتوا بسورة واحدة تضاهي أو تبلغ صفاء اللغة التي أنزل الله بها كتابه العظيم. فما معنى أَنْ يجلسَ هؤلاء الأربعة برئاسة زيد بن ثابت الـذي كَانَ أصلا قَدْ بيّن ضعفه في الجمـع الأول زمن الخليفة أبيبكر فَلَمْ يكن عالماً بآياته وسـوره؛ ولولا موارد من العَسَـبِواللخافِ والرقاع، لكنّا الآن نقرأ في قرآن غير القرآن الذي أنزل الوحي جبرئيل على النبي. فضلاً عَنْ أن الثلاثة أعضاء من اللجنة، التـي تَنتَسـبُ إلى(الخليفـة) لَمْ يكونـوا أصلاً من كتّـاب الوحي ولا من المسـلمين الأوائل. إنَّهُ اختيار كالذي نَعْهدهُ يحدث دائما وأبداً في زماننا هذا لا لشيء إلّا بسبب إنه مبني على صلة القرابة والنسـب الأموي،وصلة الرحم، والمحسـوبية بالنسبة إلى الخليفة. فسعيدُ بن العاص بن سعيد بن العاص، مثلاً كَانَ من بني أمية، وقد ولد عام الهجـرة وقيل بعد ذلك، فكان بعد رحيل رسـول الله واختتام نبوته لَمْ يتجاوز التسـع أو عشـر سـنوات. كذلك الحال بالنسـبة إلى عبـد الرحمن بن الحـارث المخزومي زوج بنت عثمان، كَانَ ابنُ عشـرِ سـنوات أيضاً عند وفاة رسول الله[3]، وكذلك الحالُ بخصوص عبد الله بن الزبير.

أقولإنّه من غير المعقول، أَنْ يتَجاهل الخليفةُ الشيوخَ، أسياد بني هاشم، وقريش، كالإمام علي وعبد الله بن عباس وعبد الله ابن عمر وعبد الله بن مسـعود، وغيرهم كُثر

(1) البداية والنهاية، ج7، ص 217.

(2) اليعقوبي، تاريخ ج2 ص 91.

(3) ينظر، ابن عبد البر، (الاستيعاب على هامش كتاب ابن حجر، الإصابة مجلد 2 ص 8-9، 426).

ليفسحَ المجال أمام هؤلاء الشباب، الذين لَمْ يعرف عنهم نبوغاً وعلماً في القرآن الكريم ناسخه ومنسوخه، ولا في غيره من العلوم،ليولي الثقة إلى زيد بن ثابت، أنْ يكتبَ ولسعيد بن العاص، أَنْ يُملي على زيد القرآنَ، كلّ هذا يتم وبحضرة عبد الله بن الزبير ووالده الزبير كَانَ حياً. ثم ما معنى هذا القول بين الكاتب زيد الذي دشّن علمه زمن الخليفة الأول، وبين الذي يملي عليه سعيد بن العاص الأموي وبين «وأمرهم إذا اختلفوا في شيء أنْ يكتبوه بلغة قريش». فمن دون أدنى شك، أنَّ الأربعة كانوا في محاولة إعادة تأليف للقرآن الكريم وإجراء عمليات تشريح لآياتها بما عبّر عنه الإمام بتعبير (طيُرة) أو (ويزاد على كتاب لله). إن هذا يعدّ أمراً غير معقول نهائياً بالنسبة الصحابة، مثل هؤلاء من حفظة القرآن أو من كتّاب الوحي، فهذا ابن مسعود يُصرّح، بأنه سَمِعَ من في رسول الله سبعين سورة، وأنه شهد العَرضةَ الأخيرة التي عرضها جبريل على رسول الله مبيّناً ناسخها ومنسوخها. فما الذي يقصده البخاري عَنْ الزهري بتعبير (إذا اختلفوا) أو كما وصف العملية، عملية النسخ والجمع، بين أعضاء هذه اللجنة غير المنضبطة لتعاليم الإسلام والقرآن، إذا اختلفوا في الكتابة [بمعنى تأليف القرآن] أَنْ يعرضوه على سعيد بن العاص (فإنه رجل فصيح). فصيح بماذا؟ في القرآن الكريم، وهذا أمرٌ لا يصدق، بَلْ يتعارض مع قدسية كلماته وآياته. ألا تذكرنا مثل هذه التعبيرات بالوصف الذي وصف فيه الخليفةُ وَعُمَرُلزيد بن ثابت، بكونهِ رجلاً شاباً وعاقلاً ويكتب الوحيَ لرسول الله؛ وإذا به يجمع القرآن من العَسَب،وإذا به يَنسى آية من الأحزابِ، و آية من التوبة وربما أُغفل عَنْ ذكر آيات أكثر من الذي نَوّه به الزهريُ في صحيحِ البخاري. وممّا لا شك فيه، أنّ هذه العملية من النسخ، تُعدُّ السببَ الرئيسيَ في فقدان الكثير من الآيات، وربما السور، فجاءت في غَير مَحلِّها، أو فيما ورد عند مؤلفي علوم القرآن، أنَّ هذه السورة أو تلك مكية + مدينة أو فيما إذا نزلت في مكة أم في المدينة أم في هذه الغزوة أم تلك.

إنني أتمنى على الذين يقرأونَ هذه الأفكار، أنْ لا يَتَسرعوا باتهامي بالتشكيك، كلا وأبداً كلا. لكنني أطرح ها هنا جوانبَ عقلانية لا تتسعُ للافتراض أو إثارة الشكوك، بأنَّ جميع الخطوات التي اتُخذتْ منذ زمن الخليفة الأول وَعُمَر وبعدئذ زمن الخليفة الثالث، تتعارض تماماً مع المألوف الذي يبدو واضحاً وأساسياً، إن

اتبعهُ الخلفاءَ الثلاثة بالنسبة إلى القرآن ألا وهو وجود مصاحف، قَدْ كُتبت على نسقِ أسباب نزولها، باعتبار أصحابها من كُتّاب الوحي. فهي تحمل نفس المواصفات اللغوية، لغة قريش الفصحى، وهي أكثر فصاحة من لغة قريش وفي لغة عربية بيّنة لا اختلاف فيها، لأنها بلسان عربي مبين وفصيح وبكلمات الله سبحانه وتعالى، كمصحفِ عبد الله بن مسعود، وأبي بن كعب، وأبي موسى الأشعري، والمقداد، وأبي الدرداء دون أنْ نَذكر مصحف الإمام علي، إذْ أنَّ القومَ لا يرتضونه، لأنهُ القرآن الذي جَمَع فيه الإمام ناسخهُ ومنسوخهُ، كما جاء بلسان النبي. فَقَدْ روى سليم بن قيس الهلالي[1] قَالَ «سمعت أمير المؤمنين يقول: ما نزلت آية على رسول الله صلى الله عليه وآله إلا أقرأنيها وأملاها عليّ، فأكتبها بخطي، وعلّمني تأويلها وتفسيرها وناسخها ومنسوخها ومحكمها ومتشابهها، ودعا الله ليّ أنْ يعلّمني فهمها وحفظها، فما نسيتُ آية من كتاب الله ولا علم أملائه علي فكتبته منذ دعا لي بما دعا وما ترك شيئاً علّمه الله من حلال ولا حرام ولا أمر ولا نهي إلا علّمنيه وحفظته، فَلَمْ أنس منه حرفاً واحداً. ثم وضع يده على صدري ودعا الله، أنْ يملأ قلبي علماً وفهماً وحكمة ونوراً، لَمْ أنس شيئاً، وَلَمْ يفتني شيء، لَمْ أكتبه فقلت: يا رسول الله أو تخوفت عليّ النسيان فيما بعد؟ فقال: لست أتخوف عليك نسياناً ولا جهلاً. وقدْ أخبرني ربّي أنّه قَدْ استجابَ ليّ فيك وفي شركائك الذين يكونون من بعدك»؟. فلعلَ البعض مِمَّن لا يحب سماع مثل هذه الكلمات الروحانية أو يشكك بها خصوصاً من المنافقين، لكنها كلمات واضحة تعكس النهج العظيم الذي انتهجه الإمامُ في جمعه القرآن بنفس الكلمات الإلهية التي جاء بها جبريل . أقول، لماذا لَمْ تُتَّخذُ هذه المصاحفُ مصادراً فقط في المهمة التي أوكلها الخلفاءُ إلى الشباب الذين إذا اختلفوا فيرجعون إلى شاب آخر، هو سعيد بن العاص. فلنراجع ما كتبه شهاب الدين محمد بن أحمد الأبشيهي في كتابه (المستطرف في كل فن مستظرف)عن لغة القرآن الكريم وفصاحته ما نصّه «فقال تعالى ق والقرآن المجيد أنزله الله تعالى على سيد الأنام وخاتم الأنبياء الكرام عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام فكانَ من أعظم معجزاته، أنْ أعجز الله الفصحاء عَنْ معارضته وعن الإتيان ب آية من مثله قَالَ تعالى فأتوا بسورة من مثله،

(1) تفسير العياشي، ص 14.

وَقَالَ تعالى ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾، فهو النور المبين والحق المستبين لا شيء أسطع من أعلامه..ولا أفصح من بلاغته ولا أرجح من فصاحته ولا أكثر من إفادته ولا ألذّ من تلاوته)[1].

عودٌ على بدءٍ، فمنهج البحث العلمي الذي مُورسَ في أغلب العلوم المعرفية، قَدْ دَخل دراستنا التاريخية وبالأخص ما يتعلق منها بالرواية المقدسة التي كانتْ في التاريخ الإسلامي محظورةً من قبل المحدّثين، وهي ما زالت غير مأمون مصيرها من قبل اللاموضوعيين واللاعقليين لكننا في حقيقة الأمر، نجدها نافعة جداً في تحصين ووقاية الرواية المقدسة من الوقوع في تناقضات وتعارضات تاريخية غَير مأمونة من جانبها لما تؤديه من دور تشويهي مضرّ بالرواية المقدسة هذه.

في بداية هذا المبحث وقفنا على مفهوميتنا المحدّدة والمحدودة للجذر الذي ابتدأ فيه التاريخ بصيغة الخبر واليوم والقصة فاندمج حينها ووفقاً للتوزيع العربي الإسلامي للمعرفة الإنسانية إذْفِهُمَ من قبلِ العرب،كونهُ ضمن العلوم العربية حيناً أو العلوم الشرعية حيناً آخر، أو في حقل العلوم النقلية، لا العلوم العقلية. فالعلومُ الشرعية تكاد تكون أسّ المعرفة بتصور علماء تقسيم العلوم العرب المسلمين. في الوقت الذي تصدّرت الفلسفة والرياضيات، وهما من العلوم التي يكمنمزاجها ومنهجها على الجانب العقلي. وبينما كَانَ التاريخُ عبارةَ عَنْ أخبار تهدف إلى العظة من جانب والى تلذذ الحكّام إلى خبره من جانب آخر بالنسبة إلى العلوم الشرعية أو العربية على حدٍّ سواء؛ إِذْ غُمطَ حَقّه تماماً إلى مرتبة فرع لا قيمة له إلّا فيما يقدّمه لعناصر السلطة الحاكمة من خبرٍ أو عبرةٍ ترفيهية لا غَير، منذ بدء حركة أحداث التاريخ الإسلامي. وهذا ما يشعرنا به رواةُ الرواية التاريخية الأوائل والمؤرخين الروّاد أيضاً؛ إِذْ بينما وجد هؤلاء، إنْ الذي يُسيِّر حركة التَقدم العلمي والنهضة العلمية العربية الإسلامية، هذه العلوم النقلية، وبخاصة العلوم الشرعية، عندئذ صاروا في صورة التبعية المنهجية لمنهج المحدّثين، وَلَمْ يتمتعوا باستقلالية

(1) المُستطرَفُ في كل فن مُستظرف، (دار الفكر) جزء 1 ص 17.

منهجيـة لغرض معايير التحليل والتفكيك، وإبـراز الضعيف، والمتناقض في الكثير مـن الأحداث السـاخنة منها والباردة. وفي المسـألة التي وقفنا عليهـا بالتفصيل في الصفحات السالفة توكيداً واضحاً.

فالمؤرخـونَ سـاروا علـى وفق ما تُوفـرُ لهم الروايـة الحديثية من خبر، أو سـبق تاريخي في الطريقة التي جمع فيها القرآن من دون أَنْ يبدوا أيَّ رأيٍ مُسْتقلٍ للاختلاف أو للتعبيـر عَـنْ عدم التوازن في نسـيج هـذه الروايـة الحديثية المقدسـة أو حتَّى في تضـارب أهدافهـا مع التاريخ، زماناً مكاناً ومفهوميةً. ومثـال على ذلك، الروايةُ التي تَفرَّد بها صاحب الصحيح، الذي يُعدُّ مصدراً مثالياً بالنسـبة إلى المحدّثين، وأنصار المنهـج الحديثي المتعلقة ببـدء الخليفة أبي بَكر، التفكيرَ في الإسـراع بعملية جمع القرآن، وهي الرواية التي نَقلَها البخاريُ عبر عبيد بن السباق والزهري، رائدَ المنهج الحديثي، لَيْسـت متساوقة في نسيجها الداخلي لتضارب معلوماتها في عدة جوانب منها مثلا:

1- متى كَانَتالبداية في أنَّ الخليفة في طَلب بحسب رواية زيد الممثل الأساس في الرواية.

2- وهناك في الرواية غموض لغوي، إذْ قَالَ زيد: «أرسل إليّ أبو بكر فَقَالَ:أهلُ اليمامة» فهلْ المقصود أهل اليمامة بمعنى معركة اليمامة؟أمبعد وقوع المعركة أمأهل اليمامة كما سماهم زيدٌ أو السبّاق أو الزهري أو حتَّى الخليفة؟فما المقصود من كل تلك التعبيرات الغامضة؟.

3- ثم تتجه الرواية المقدّسة هذه عند البخاري إلى لغز آخر وهو بعد «مقتل أهل اليمامة، فإذا عمر بن الخطاب عنده»!!. لَمْ ركزت هذه الرواية على عمر بن الخطاب وهو لَمْ يكن له علاقة. فَهَلْ يقصد بذلك أنه كَانَ دائماً مرتبط تاريخياً بأبي بكر أوملازماً له دائما؟ أم أنها من قبيل الإعلان والإعلام؟

4- متى تمّ ذلك؟ ومتى كَانَ اللقاء بين أبي بكر وَعُمَر؟وبين حدث أهل اليمامة، أو لنقل معركة اليمامة؟ هَلْ بعد وصول الخبر بيوم أو شهر أمما إلى ذلك،لأن هذه أي الزمنيعدّ لبّ وأساس العناصر المكونة للحدث التاريخي كما نفهمها من أولئك الذين وضعوا لنا قواعد منهج البحث التاريخي.

5- ما علاقة هذا الأمر بسياسة الدولة وما صاريعرف خطأ بحروب أو معارك الردة؟

6- وتذهب الرواية إلى (قال أبي بكر ؛ إنَّ عمراً أتاني فَقَالَ:إنَّ القتل استحَرّ يوم اليمامة [سابقاً أهل اليمامة] بقرّاء القرآن، وإني أخشى أنْ يستمرَ القتل بالقراء بالمواطن فيذهب كثير من القرآن، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن. قلت لعمر كَيفَ نفعل شيئاً لَمْ يفعله رسول الله؟ قَالَ عمر: هذا والله خير).

فالنصّ هذا مقبول جداً عند المحدّث، ثمّ صار نصاً مقبولاً أيضاً عند المؤرخين، من دون أنْ يَتَوقفوا أو يُحَللوا بِنيَتهُ المتضاربةودون أنْ يُثروا بأيّ تساؤل. فلماذا حدثَكلّ هذا، أنه حَدَث بِفعلِسيطرةٍ أهل الحديث على المؤرخين وتوجيههم التاريخ الذي لا حول ولا قوة له على وفق منهجهم، وإلّا كَيفَ نَفهم،بأنَ خليفة المسلمين،والخليفة الذي جند الجيوش ضدّ من دعاهم بالمرتدين، والقائد الذي اعتمدَ عليه في قتل مالك بن نويرة المسلم، والذي نَطق بالشهادتين، كَانَ ينتظر عمر بن الخطابلكي يأتيه بخبر اليمامة أو خبر أهل اليمامة. أكان عمرأعلم من الخليفة بخبر الردّة وأهل اليمامة. فَمَنْذا الذي سَيَّر خالدٌ بن الوليد، لما عُرِفَ خطئاً بعمليات الردة، ألم يكن الخليفة نفسه، والمفروض أنه كَانَ يتابع تحركات خالد(سيف الله؟). ثم ما معنى قولَ عمر بن الخطاب «أنَّ القتل قَدْ استحرّ يوم اليمامة بقرّاء القراء»؟. فالمؤرخُ يتساءل مَنْ هُمْ هؤلاء القرّاء إلى جانب سالم مولى حذيفة؟ والأخطرُ من هذا وذاك،إنَّ روايةَ، هذه الرواية الحديثية، قَدْ تتجاهل كلْ ذلك حينما تمّت الموافقة على اختيار زيد: الرجل الشاب العاقل، الغير متهم، من بين الصحابة، والذي كَانَ كاتبَ الوحي [المفروض أن يكون زيدعالماً بما كَانَ جبريل ينّزل على الرسول من آيات الذكر الحكيم أكثر مما كَانَ يعرفه القرّاء أو ما يعرفه سالم مثلاً]. فما الذي حدث بعد إتمام الاختيار والتنصيب من إجراءات زيد؟ هَلْ ذهبَ إلى اليمامة، قَبل أن يَستحّرَ القتلُ ببقية القرّاء؟ هَلْ استند إلى قارىء للقرآن في اليمامة؟ أليس هذه من أولى مهمات زيد على حدّ قول عمر بن الخطاب؟ إنّهُ لَمْ يتخذ أيَّ خطوةٍ من قبيل ذلك، فَلَمْ يعتمدْ على نفسهِ كأحدِ كتّابِ الوحيِ نظيرَ ما قامَ به الإمام علي وما قامَ به بالفعل الصحابةُ، نظيرَ عبد الله بن مسعود، وأبيّ بن كعب، باعتمادهم حقّاً على ما في

صدورهـم من قرآن وعلى مـا كانوا يحفظونه من القرآن الكريم، وهو الطريق الأمثل والأقـوم والأصح في أنيكتبوا أو يَجمعـوا مصاحفهم. الأمر الوحيد الذي قام به زيد على أثر موافقته على هذه المهمة العسـيرةوهو يعيش وسـط مجتمع المدينة، مدينة الصحابـة، وفيها مثل الإمام علي والصحابة، كتّـاب الوحي الأصليينَ بعد أنْ راجعهُ الخليفـةُ وَعُمَرَ مرّات أخـرى لممانعته في البداية ولرفضه المشـروع، إذْ قَالَ: «حَتى شـرح الله صدري، للذي شـرحَ صدر أبي بكر وَعُمَر»[1]. أيْ أنَّ زيداً كَانَ معارضاً لما أبـداهُ الخليفـةُ وَعُمَرُ من عمل شـيء، لَمْ يفعله رسـول الله، وهو أمرٌ غريـبٌ أنْ يوافقَ الخليفةُ وَعُمَرُ على جمع القرآن، وأَنْ يعترضَ عليهما زيد. في الوقت الذي هو نفسه القائل عَنْ نفسـهِ بسـندٍ على شَرْطِ الشـيخين «كنا عند رسـول الله، نُؤلف القرآن من الرقاع»[2]. كذلكَ أَلَمْيكن هو القائلُ «لَمَّا نَسَـخنا الصحفَ في المصاحف، فُقدت آيةٌ من سـورة الأحزاب، كنتُ أسـمع رسـول الله يقرؤها»[3]وهذا أيضاً ما أوردهُ صحيح البخاري عَنْ رواة الحديث الزهري، وخارجة بن زيد بن ثابت.

وليكن جميع المحتويات الذي تضمّنها هذا النصّ صحيحاً، فأين قراءات القُرّاء من أهل اليمامة؟ إننا سـوف لَنْ نجدَ في صحيح البخاري وغيره ممن اعْتمد الرواية الحديثيـة بصورة متكررة إلا على الآتي: «فتتبعتُ القرآنَ أجمعه من العَسَـبِواللخافِ والرقاعِ والأكتافِ وصدور الرجال». فهذه الموارد والمصادر التي اعتمدها والتي لا تغنـي عَـنْ جوع كانتْ موارد زيد بن ثابت في جمـع المصحف. إذنْ فكلّ محتوياتِ هذه الرواية الحديثية، لَمْ تتحقق في خاتمة مطافها لا «أهل اليمامة» ولا «يوم اليمامة» ولا «اسـتحّر القتل بقرّاء القرآن» ولا أقل ولا أكثر؟ بالعكس فإنَّ زيداً كاتب الوحي، افتقد، والواقع إنّهُ كَانَ ناسـياً كما يبـدو لهذه الآيات الكريمة، وهو كاتب الوحي، أنَّ هناك آية من الأحزاب أو قيل آية من سـورة التوبة أو قيل آيتين من سـورة التوبة. فإذا بكاتب الوحي، يبحثُ عَنْ كلّ هذه الآيات فَلَمْ يجدها إلا عند خزيمة الأنصاري، أو

(1) ينظر، نَص هذه الرواية الحديثية عند البخاري في صحيحه، (حديث 4986، وحديث 4679 وحديث 4989) صفحات 51، 828، 1269–1270.

(2) الحاكم النيسابوري، صحيح، جزء2 ص 249 كما أورده محقق الكتاب.

(3) صحيح البخاري، حديث 4986، 4679، 7191 صفحات.

عند والد خزيمة الأنصاري، لا مع قارىء من قرّاء يوم اليمامة ولا من قلبه أوصدره، لأنهُ كَانَ يكتب لرسـول لله . والأنكى من كل هذا، المسـألةُ الخاصةُ بالنسـيان الذي وصِفَ به الصحابيُ زيد، بينما في رواية البخاري إنَّ رسـول الله حينما نزلت آية ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ﴾ في سورة النساء قَالَ: «ادعُ لي زيداً وليجيء باللوح والدواة والكتف أو اللوح والدواة»، فكأنَّ هذه الحالة كانتْ من عادة رسول الله وعلاقته بكتّاب الوحي أليس هذا صحيحاً؟ فما بالُ البخاري يكتبُ باباً مسـتقلاً بعنوان (باب نسيان القرآن، وهَلْ يقول نسـيت آية كذا وكذا) والأدهى والأمرّ إنَّهُ يلي برواية عَنْ هشـام بن عروة بن الزبير عَنْ عروة بن الزبير والده عَنْ عائشة جاءَ فيه ما يلي «قالت سمع النبي صلّى الله عليه وسـلم رجلا يقرأفي المسـجد فَقَـالَ «يرحمه الله، لقد أذكرنـي كذا وكذا آية من سـورة كذا»! ما هذا؟. ويعقبها البخـاري برواية تدعم هذا الموضوعوهي وردت عَنْ هشـام بن عروة أيضاً إِذْ «وَقَالَ -يعني النبي- أسـقطتهنّ من سورة كذا» (حديث 5037). وأضاف في حديث ثالث بنفس السـند هشـام -عروة-عائشـة قالت «سمع رسـول الله رجـلا يقرأ في سـورة بالليل فَقَـالَ «يرحمه الله، لقد أذكرنـي كذا وكذا آية كنت أنسـيتها من سـورة كذا وكذا» (حديث 5038). ويدعمها برواية رابعة عَنْ وائل عَـنْ عبـد الله (ربما ابن الزبير، أو ابـن عمر والله أعلم) قَالَ «قَـالَ النبي لأحدهم (؟) يقول نسيت آية كيت وكيت؟!،بَلْ هو نسي -يَعني النبي-» (حديث 5039). كلّ هذا الـكلام غيرَ المنضبط، يُحكـى في الصحيح الذي لا يصح بعـده أي كتاب إلّا كتاب الله عزّ وجلّ متناسـيا آيات الله تعالى في سـورة الأعلى 6-7 التي يقول فيها سـبحانه وتعالى ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾.

ومـن الغريـب حقّاً، أنْ نَقرأ رواية كهذه التي أخرجها مسـلم وأبو داود والترمذي وجـاءت بلسـان الترمـذي نقلا عَنْ زيد بـن ثابت قَـالَ: «كنتُ إلى جنب رسـول الله فغشـيته السـكينة فوقعت فخذ رسـول الله على فخـذي فما وجدت ثقل شـيء أثقل من فخذ رسـول الله ثم سـري عنه فَقَالَ اكتب فكتبت في كتف (لا يسـتوي القاعدون مـن المؤمنيـن والمجاهدون في سـبيل الله إلـى آخر الآية. فقـام بـن أم مكتوموكَانَ رجلاً أعمى لمّا سـمعَ فضيلة المجاهدين؛ فَقَالَ:يا رسـول الله فكَيفَ بمن لا يستطيع الجهـاد مـن المؤمنين، فلما قضَى كلامه غشـيت رسـول الله السـكينة فوقعت فخذه

علـى فخـذي ووجدت من ثقلها في المـرة الثانية كما وجدت في المـرة الأولى. ثُمَّ سَري عَنْ رسول الله فَقَالَ: اقرأ يا زيد فقرأت لا يستوي القاعدون من المؤمنين فقال: رسـول الله غير أولي الضرر ال آية كلها. قَالَ زيد فأنزلها الله وحدها فألحقتها والذي نفسـي بيـده لكأني انظر إلـى ملحقها عند صدعٍ فـي كتف...». وهكـذا نجدُ أنَّ هذه الرواية تتعارض مع رواية زيد نفسه تلك التي وردت في صحيح البخاري.

هـذا هو مثـال واحد نذكرهُ للتعبير عَنْ المنهج الحديثي في الرواية، التي أدّت دوراً بـارزاً في التدوين التاريخي والتـي فُرضتْعلى المؤلفات التاريخية، لماذا؟ لأن التاريخ كَانَ مندمجـاً، بَلْ وتابعاً للعلوم الشـرعية أو للعلومْ العربيـة. وهناك أدلة جدلية أخرى يمكـن أنْ نتحاور مـن خلالها مع نصوص حديثية، وردتْ فـي صحيح البخاري وفي كتب أخرى، نظير قصة عكرمة ومحمد بن سـيرين بخصـوص الخليفة والإمام علي، وهو يعتزلُ في بيته من أجلِ جمع المصحف، معتمداً على ما في قلبه وصدره من علم دون اعتماد العَسَـب والرقاع والأكتاف، وغيرها تلك التي كانتْ مصادر زيد وموارده فـي جمـع القـرآن. والرواية التي أخرجهـا ابنُ أبـي داود في كتابـه المصاحف، والتي أخرجهـا أيضـاً ابنُ الضرّيس في كتابه الفضائل تتضمن، عنـدَ من يَتبعُ المنهجَ العلمي بصورة عامة، ومنهج البحث التاريخي بخاصة، تناقضات وتساؤلات كالتي شُخّصت في النصّ الحديثي الذي أخرجه البخاري. ومن الطبيعي قوله هنا، أنَّ هذه التناقضات والتسـاؤلات لَمْ تكن في حسـبان المحدّث، بَلْ لَمْ توقِظه من غفلتِهِ، لأنّهُ الذي يُسَـيّرُ مَسـعاهُ هو ما يعتقد به نفسـهُ مقدسـاً لا غيروإن كَانَ يتضارب في حيثياته مع المقدس ذاتـه. في نصّ عكرمة الحديثي، وبالمناسـبة، فإنَّ الطبري فـي تاريخه وبالأخص أثناء تناوله الحادثة التي اغتيلَ فيها الخليفة الثالث، يثير عدة تساؤلات منها:

1- قول عكرمة المباشر الذي ينطبع بطابع السلطة: «لمّا كَانَ بعد بيعة أبي بكر، قَعد علي بن أبي طالب في بيته»[1]، فما وجه الصلة بين الحدثين وأين زمانهما، ولماذا ارتبطت البيعة بقعود الإمام في بيته.

2- ظهور الواشي الذي نَقلَ لأبي بكر، أنَّ قعود الإمام في البيت، لأنه «قد كَرِهَ

---

(1) عند السيوطي، الإتقان، ج1 ص 168، 169.

بيعتك فأرسلْ -فعل أمر- إليه» لماذا حدث ذلك، وهَلْ يعني أنَّ هناك علاقة بين موقف الإمام وبين مسألة الخلافة واعتزاله أمرها بعد أن تلاقفها من غير بني هاشم أو من غير عترة الرسول. فالمحدّثُ لا يريد ذكر ذلك فيتورطُ بما لا يُحمدُ عقباه، إنما يريد الإعلام بإنجاز السلطة والبهرجة لهيمنتها، وَلَمْ يَفْطن أن الإمام كَانَ قاعداً في بيته، وأنه أقْسمَ كما يذكر النصّ الحديثي على أنلا يلبس رداءه إلَّا الصلاة حتَّى يجمع المصحف؛ أي القرآن فهو إذنْ سوف لَنْ ينفّذ ما يبغي إليه الخليفة، لأنه قَدْ أَقْسم بالفعل وَلَمْ يهتم بما قَدْ خَطَّطَ له في سقيفة بني ساعدة. والنصّ الحديثي لَمْ يَظهر زمان ذلك الحدث، أإنه كَانَ مباشرة بعد اختيارأبي بكر للخلافة في السقيفة أم بعد ذلك بزمن؟ وذلك لأن الإمام قَدْ أعلنَ عَنْ موقفه المعارض لما جرى في السقيفة إنْ كَانَ في المحاججات، وإنْ كَانَ في المحاولة في قتل من أراد ترشيح نفسه من الأنصار والخزرج من قبل عمر بن الخطاب، وإن كَانَ في الطريقة التي رتّبها أبو بكر، وَعُمَرَ،وأبو عبيدة والأنصار الأوس الذي كانوا كارهين أنْ تكون الخزرج، هي الفائزةُ في الخلافة، وإنْ كَانَ،وهو الأهمُ استحواذ هؤلاء النفر من قريش وتحريفهم ما نَصّ عليه في كتاب الله عَنْ آل محمد. ولعل الصحيح فعلاً أنّ الخليفة، هو الذي طلب الإمامَ في بيته ليرَى ماذا كَانَ يقوم به، فوجدهُ منشغلاً بجمع القرآن الكريم. أما مسألة البيعة، أي كما صرحَ به الخليفة «فقال: أكرهت بيعتي؟ قال: لا والله، قال: ما أقعدك عني» وهي كما نَعتقد جملة مضافة أضافها عكرمة أو محمد سيرين، لتؤكد أنَّ الإمام كَانَ يريد مُبايعة الخليفة. والحالة الحقيقية،إنْ كَانَ هذا اللقاء قَدْ تمّ فعلاً،فإنَّ الإمام لَمّح بشكلٍ غير مباشر إلى التحريف الذي تشاور النفر فيما بينهم من أجل الاستحواذ على الخلافة باسم القريشيين فَقَالَ الإمام: «رأيت كَتابَ الله يزاد فيه، فحدثت نفسي ألّا ألبس ردائي إلا لصلاة حتَّى أجمعه قَالَ أبو بكر: فإنك نعم ما رأيت»[1].

3- فالرواية السابقة لَمْ تنتهِ بعد إِذْ تضمنت إشارة لا علاقةلها بالإمام علي، إنما بعملية جمع القرآن. فبعد أن امتدح الخليفةُ عملَ الإمام قَالَ:محمد بن سيرين

(1) ينظر النص الكامل لهذه الرواية الحديثية السيوطي، الإتقان ج1 ص 168، 169.

فقلت لعكرمة «ألفوه - والمقصود هَلْ ألّفوه؟ - كما نزل الأول فالأول - وهي جملة غير مفهومة إلا بما تعنيه حسب نزول القرآن - قَالَ - عكرمة - لَوْ اجتمعت الإنس والجن على أن يؤلفوه ذلك التأليف ما استطاعوا»[1]. وهنا يتدخل السيوطي، فيبيّنُ رأيهُ حول سند الرواية فيقول إسناد حسن ابن الضّريس في فضائل القرآن، ولكن عكرمة لَمْ أره قَدْ روى عَنْ علي [2]. وهذا يعني بالتأكيد تهافت الرواية الحديثية تماماً، لأنَّ عكرمة، وهو الراوية من جانب السلطة، لَمْ يَرو شيئاً عَنْ الإمام. عندئذٍ نرى بأن الرواية الحديثية هذهتتجه في تسلسل أحداثها سيراً مؤيداً لسلطة الخليفة كما أوضحنا.

فضلاً عَنْ أنها تعرض ضَعْفَ عملية جمع القرآن، كما كَانَ يراهَا محمد بن سيرين، أي حسب أسباب النزول (الأول فالأول) قَالَ عكرمة: أنهم -أي زيد والخليفة وَعُمَر- لَمْ يَنجَحوا ولَوْ اجتمعت الأنس والجن على أن يؤلفوه على وفق نزول الآيات الكريمة على رسول الله وعلى ضوء ذلك التأليف (ما استطاعوا).

4- والروايةُ ذاتُها عَنْ أبن أشته في كتابه، المصاحفُ، عَنْ ابن سيرين، ولكن لَيس عَنْ طريق عكرمة أنَّ ابنَ سيرين «قال: فطلبتُ ذلك الكتاب -والمعتقد القرآن الذي جمعهُ الإمامُ- وكتبت فيه إلى المدينة فَلَمْ أقدر عليه»[3]. وَلَمْ تَفُتْ ابن أشته الفرصة، ليصف الكتابَ -يعني القرآنَ- الذي كَانَ يحتوي على الناسخ والمنسوخ، أيْ على ما كَانَ عكرمة يريده من مصحف الخليفة، وَعُمَر،وزيد، غَيْرَ أنَّ كتابهم لَمْ يحقق ذلك، لأنه لَمْ يؤلف حسب النزول الأولُ فالأوّلْ.

هذه مجموعة منالأفكار بخصوصِ الرواية الحديثية، وما تشتملُ عليه من تساؤلات وتناقضات تاريخية. ولكنها روايات قَدْ قَبِلَ بها المؤرخون ودوّنوها في مؤلفاتهم، لكي يَرضى أهل الحديث عنهم، ولأن التاريخ كَانَ خاضعاً لمنهج المحدّثين.

---

(1) السيوطي؛ الإتقان، ص 169.

(2) م. ن.

(3) السيوطي، الاتقان ج1 ص 169.

5- وأخيراً وليس آخراً، فالطبريُ الذي لَمْ يتحدث بأيِّ شيءٍ عَنْ عَملية جَمْع القرآن زمن الخليفة الأول، كذلك عَنْ عملية توحيد المصحف، زَمن الخليفة الثالث، يقدّمُ روايةُضمن روايته المفصلة عَنْ أحداث تلك السنة،وعن المطاعن التي أثيرت على الخليفة وعن ردود فعلِ الخليفةِ قَالَ: «وقالوا كانالقرآن كتباً، فتركتها إلا واحداً، ألا وأنَّ القرآنَ واحدٌ جاءَ من عند واحد، وإنما أنا في ذلك تابع لهؤلاء»[1]. فإنَّ ما قاله الخليفة صحيح تماماً فالقرآن واحد أنزله الله على رسوله بلغةٍ واحدة. وإنَّ ما فعله الخليفةُ يؤشر إلى ما قام به زيد بن ثابت أبّان الخليفةَ أبي بكر، لكن قول الخليفة، يؤشرَ إلى أمرٍ مُهمٍ ألَا وهو، لماذا إذنْ ألَّف الخليفة اللجنة الرباعية التي ليسَ لها علمٌ بالعمل السابق برمته، ما عدا زيد بن ثابت، للقيام بعملية وصفها ابن كثير «من مناقب عثمان وحسناته العظيمة، أنّهُ جمعَ الناس على قراءة واحدة، وكتبَ المصحفَ على العرضة الأخيرة، التي رسمها جبريل على رسول الله في آخر سني حياته»[2]، لذا فإنَّ هذه العملية، هي دون شك لَمْ تكن امتدادا لما قاله «وإنما أنا في ذلك تابع لهؤلاء». إنَّ أجراءهُ عدَّ منقبة عظيمة، فهو إذنْ إجراءٌ جديدٌ إلى درجة كبيرة ولا علاقة له بما سبق من تجربةٍ خلال خلافة أبي بكر. فينقلُ السيوطيُ، عَنْ البغوي، في كتابه شرح السنّة ما نصّه «يقال:إنَّ زيدَ بن ثابتَ، شَهد العرضة الأخيرة التي بيّن فيها ما نسخ وما بقي، وكتبها لرسول الله وقرأها عليه وكَانَ يقرىء الناس بها حتَّى مات»[3]، وقد أضاف مشكوراً محقق (الإتقان البسيوني) إضافة مهمة، وهيَ أن عبد الله بن مسعود، هوَ الذي شهد القراءة الأخيرة نَقلاً عَنْ النسائي، عَنْ طريق أبي ظبيان، عَنْ ابن عباس. وللمحقق البسيوني تعقيبٌ ينسجمُ مع ما أثرناه أعلاه عند تعقيبه الآتي: -»واختيار عثمان لزيد، إنما هو لاختيار أبي بكر وَعُمَر له من قبل، فَلَمْ يخرج عَنْ صاحبيه وفعلهما كما كَانَ قَدْ أعطى العَهد بذلك لعبد الرحمن

(1) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، (مطبعة الاستقامة، القاهرة 1357هـ/ 1939 جزء 3 ص 384).
(2) ابن كثير، البداية والنهاية، جزء 7 ص 217.
(3) هامش السيوطي: الاتقان، جزء 1 ص 156.

بن عوف»[1]. بمعنى أنَّ السيد المحققَ، يربطُ بين ما اتخذهُ عثمان على نفسه أنْ ينهج في سياسته للدولة الإسلامية الطريقة نفسها، والنهج التي سار عليها الخليفتان، الأولُ والثاني لا يزيد عليهما ولا ينقص، ولذلك فَقَدْ فاز بالخلافة. لكنه في عمله الذي عدّه ابنُ كثير منقبةً عظيمة، يشير علياًنّهُ خرجَ بامتياز عَنْ متابعة سيرههما.

فالقرآنُ قَدْ انتهى من جمعه ونَسْخِهِ من موارده المادية، كالعَسَبِ، والرقاعِ، واللخافِ، وغيرها من قبل زيد وحده، كما تشير الدلائلُ، علماً من أنَّ بعض الروايات تؤكد الوجه الآخرَ، وبالأخص عندما نقفُ على الضد الحرفي لقولِ زيد «ونسخنا المصحف» كدليلٍ على وجودِ مجموعةٍ معهُ غَيْر زيد فقط، لكن هذه المسألة لَمْ تُؤيدْ، فَهَلْ هناك احتمالية في أنَّهُ يَقْصِدُ مساهمة كلٍّ من الخليفة، وَعُمَر بن الخطاب في عملية الجمع أو المساعدة في النسخ أو فيهما، أي في الجمع والنسخ؟. وعلى أية حال، فإنْ كَانَ زيدٌ قَدْ أتمَّ كلَّ شيءٍ بمفردهِ، وهو الذي اختاره عثمانُ في منقبته العظيمة، فَما الجديد في الأمر، الذي استَوجَب أَنْ يُؤلفَ عثمانُ لجنةً رباعيةً جديدةً؟ إِذْ يُحدّثنا البخاريُ في صحيحهِ، نقلاً عَنْ الزهريُ، الذي أَخبرهُأنسُ بن مالك إذ قال: «فأمرَ عثمانُ زيدَ بن ثابت، وسعيد بن العاص، وعبد الله بن الزبير، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، أنْ يَنسخوها في المصاحف. وَقَالَ لهم: إذا اختلفتم أَنْتُم وزيد بن ثابت في عربية القرآن، فاكتبوها بلسان قريش، فإنَّ القرآن بلسانهم، فَفعَلوهُ». وزيدٌ هاهنا، الصحابيُ زيد وهو من كُتّابِ الوحيِ، كما ذكرَ الخليفةُ، وَعُمَر، والبخاري، فضلاً عَنْ ذلك، أنّه كَانَ متعلماً وعَرف اللغات، ولسانه لسانُ قريش. ثم ما الوجه في قول الخليفة من خلال تعبيره «فإذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في عربية..الخ». كَيفَ يَصحُ ذلك ونحنُ حتَّى هذه اللحظة الراهنة في سنة 2014م، نؤكدُ ونجزمُ ونؤمنُ، بأنَّ القرآنَ الذي أنزله الله تعالى على رسوله بدءاً من أَوّلِ آية كريمةٍ كَانَ بلسان عربي قُرَشي فصيح، إنه كلام الله الذي أوحى به الملك الكريم جبرئيل على نبيه والنبي يعلمُ آياته ويحفظها، ويعلم تفسيرها، ويعلم ناسخها، ومنسوخها، ويتحدّث بها بلسان عربي نبوي قرشي فصيح وبليغ. فكَيفَ يصحّإننا نقرأ كتابَ الله

(1) صحيح البخاري، (حديث 3506 وحديث 4984)، صفحة 623، 919.

عزّ وجلّ بلسان عبد الله بن الزبير أو عبد الرحمن بن الحارث أو حتَّى وإن كَانَ بلسانِ فصيحِ اللجنة في القرشـية، سـعيد بن العاص؟ فإن هذا أمرٌ يتعارضُ تماماً مع آيات القرآن الكريم البيّنة والجلية، بأنَ الله تعالى، أنزلهُ بلسان عربي مبين. فضلاً عَنْ ذلك فلنقـف قليلاً علـى عمل هذه اللجنة التزويقية وغير المنضبطـة، ماذا كَانَ عملهم في حقيقة الأمر؟.

أولاً: - أنْ يكتبَ زيدٌ وأنْ يُملِي عليه سعيدُ بن العاص الأموي.

ثانيـاً: - أنْ تكـونَ هذه العمليـة، أي الكتابةُ والإملاءُ، بحضرة عبـد الله بن الزبير الأسدي، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي.

فالنتيجـة التـي نتجت عَـنْ عمل هذه اللجنـة الإعلامية = كتابُ الله الذي أرسـله الخليفـةُ إلـى الشـام أولاً ثـم إلى مصـر، فالبصـرة، فالكوفـة، فمكـة، فاليمن،»وأُقرَّ بالمدينـة مُصْحَفـاً»[1]، وعرّف أيضاً هـذا المصحفبالمصاحف أو (الأئمـة)[2]. وابن كثيرٍ منْ غَيرِ أنْ يُدركَ ما قاله قبل أسطر فقط من حديثه، يعلّقُ على توصيف (الأئمة) بقولـه «وليسـت كلها -يعني المصاحـف الأئمة- بخط عثمان، بَـلْ ولا واحد منها، وإنما هي بخطِ زيدٍ، وإنما يقال لها المصاحف العثمانية»[3]. ألا يَرى القارىء اللبيب والموضوعي، أنَّ ابنَ كثير، ربما كَانَ يريد أو بالأحرى يبغيعكس ما يقول بتعبير (بَلْ ولا واحـد منهـا) بخطِ عثمان، فهو أمرٌ يثير الاسـتغراب، والدهشة،والتسـاؤل، عمّا كَانَ الخليفةُ يهدف حقيقةً إلى ماذا؟ والمعتقدُإنَّ عثمانُ أمّا كان كالمسـاهـم في كتابة بعـض آيـات الذكر الحكيـم، وإمّا أن يكون سـيد قريش في فصيح قريش سـعيد بن العـاص، هو الـذي كَانَ مهيمناً على المشـروع برمته، تمليتهُ ونَسْـخهُ وإخراجهُ والله أعلـم؟.وإن الـذي أنْجَزتهُ هذه اللجنة في نتيجته الختامية، لأمرٌ مهمٌ وخطيرٌ جداً، إذْ قَدْ يكونُ سيدُ قريشٍ وفصيحُها أو الأخرون قَدْ عَمِلوا على إعادة تنقيح، أو لعلهُ إعادة كتابـةٍ، أو إعـادة تقريرٍ، أو إعادة كذا وكذا لكتـاب الله. والأخطرُ من ذلك كلّه،إنَّ ابنَ كثيرٍ، وهو مؤلفُّ كتاب تفسـير القرآن العظيـم، يقول في البداية والنهاية: أنَّ الخليفةَ

(1) ابن كثير، البداية، جزء 7 ص217.

(2) ن. م.

(3) ن. م.

عثمـان «جمعَ الناس على قـراءة واحدة، وكتبَ المصحف علـى العرضةِ الأخيرة»، ولكـن كَيفَ ولماذا؟ لأنَّ الإجابةَ عنهما ستؤول بنا إلـى أنْ نتصادم بعنفٍ مع العمل السـابق الـذي أدّاه الخليفة الأول وَعُمَر وزيـد؟ فبعدَ أنْ أبلَغه حذيفـةُ بن اليمان عَنْ الضـرورة القصوى فـي جمع الناس في القـراءة على حرف واحد «عنـد ذلك جَمعَ عثمانُ الصحَابة، وشاورهم في ذلك، ورأى أنْ يكتبَ المصحفَ على حرفٍ واحدٍ، وأنْ يجمعَ الناس في سـائر الأقاليم على القراءة به، دون ما سـواه، لمّا رأى في ذلك مـن مصلحةِ كفِّ المنازعةِ ودفعِ الاختلاف، فاسـتدعى بالصحف التي كَانَ الصديق أمـرَ زيـدٌ بجمعها»[1]. فالقرآنُ الـذي جمعه عثمان، ينبغي أَنْ يكونَ بحسـب العرضة الأخيرة التي هي في رواية البعض قَدْ شَـهدها الصحابيُ زيد بن ثابت، لكن الأصحُ، هـيَ العرضة التي شـهدها عبد الله بن مسـعود، لإعادة كتابتها[والحقيقـةُ، إنَّ عثمانَ عليه أنْ يراجعَ النسـخةَ التي كانتْ بشهادة الصحابي ابن مسعود، لكنه بدلاً عَنْ ذلك استدعى بالصُحفِ، التي قام بإنجازها زيد زمنَ الخليفة الأول؟.

ومـا أنْ نفّـذتْ اللجنةُ الرباعيـةُ عَمَلَها، أمّا إعادة إملاء مصحـف الخليفة الأول، وأمّـا إعـادة تنقيحه، وربمـا إعادته تماماً اعتمـاداً على أنَّ زيـداً كَانَ يكتبُ فقط، وأنَّ سعيدَ بن العاصَ، كَانَ هو الذي يملي عليه بحضرة أبن الزبير حتَّى اكتملَ المصحفُ العثمانـي، وبُعـثَ بـه إلى الآفاق الإسـلامية. ومن المناسـب ذكرهُ في هـذا المجال المحـدد، أنَّ اليعقوبـيَ ذكـرَ في تاريخه بشـأن الخليفـة الأولَ والمصحـف قولهإن عمر «أجلـس خمسَـة وعشـرينَ رجـلاً مـن قريـش وخمسـينَ رجـلاً مـن الأنصار، وَقَالَ:اكتبـوا القرآنَ، وأعرضوا على سـعيد بن العاص، فإنَّهُ رجـلٌ فصيح»[2]. ولكنَّ سعيدَ بن العاص الذي ولد في سنة 1 هجرية، لَمْ يكن عندما أجلس الخليفة، خمساً وسـبعينَ رجـلاً من أوائل الصحابة من المهاجرين والأنصار، عمرهُسـوى عشـرَ أو أحدَ عشـرة سـنة إِذْ إنَّهُتُوفى سـنة 59 هجرية/ 697، فكَيفَ تَنْسـجمُ هـذه الرواية في بنائهـا ومعناهـا وتناقضاتها الواضحـة؟.ألَا يُعْتقدُ إنَّها الروايةُ ذاتَهـا تلكَ التي دعاها الخليفـة الثالـث الصحابـة دون تمييزٍ لكتابة القرآن علـى أَنْ يعرضوا مـا كتبوهُ على

(1) ابن كثير، البداية، ج7 ص 217.

(2) تاريخ اليعقوبي، جزء 2 ص 91.

فصيح قريش، بَلْ رجل قريش، سعيدُ بن العاص. فإنْ كَانَ الجواب صحيح، فإنَّ علامات سؤال وسؤالسوف تهددهذه الرواية، وتهدم النظريةَ التي أُسستْ عليها، ألا وهي وجود زيدٍعضواً من أعضاء اللجنة الرباعية. فالذين كتبوا القرآن، إنْ كَانَ زمن الخليفة الأول وَعُمَر،هم الصحابةُ من المهاجِرين والأنصارِ وعددهم خمسٌ وسبعونَ رجلاً، فأين دور الرواية التي تحدّثت عَنْ أنَّ عُمَر بن الخطّاب، نصحَ الخليفةَ بجمع القرآن، عندما اسْتَحرَّ القتلُ بأهل يوم اليمامة، وأنَّهُ أوعزَ إلى زيدٍ للقيام بهذه المهمة؟ أمَّا إنْ كانتْ الرواية بصدد الخليفة عثمان، فما هو دور اللجنة في إعادة تنقيح أو إعادة صياغة القرآن الكريم تحت إشراف اللغوي فصيح قريش سعيد بن العاص؟ والحقيقةُ،إنَّ اليعقوبيَانفردَ في روايته هذه، إذْ لَمْ تتحدث المصادر التي بين أيدينا عنها، كذلك، انفردَ في رواية أساسية، ألَا وهي النتيجةُ التي أَسْفَرَتْ عنها عملية إعادة الصياغة أو إعادة التنقيح الثانية-زمن الخليفة الثالث- إذْ يقول: «وجَمعَ عثمانُ القرآنَ وألّفه وصيَّر الطوالَ مع الطوال، والقصار مع القصار من السور، وكتبَ في جمع المصاحف من الآفاق حتَّى جمعت»[1]. وعلى الرغم من عدم معرفتنا بمصحف زيد أو بالأحرى مصحف أبي بكر، وكَيفَ رُتِّبتْ السورُ والآيات، فإن نصّ اليعقوبي الرائد يُعَرِّفُنا بأمر أساسي وجدير:

1- إنَّ عثمانَ جَمَعَ القرآن وألّفه؟.فما المقصود بهذا التعبير؟ إنْ لَمْ يكن تأليفاً وإعادة صياغة أو إعادة كتابة.

2- وإنَّه قَدْ جدّدَ في مصحف أبي بكر من دون إتّباع قاعدة في الناسخ والمنسوخ، أو ترتيب السور والآيات على وفق ما تعلمناه من أسباب النزول. هَلْ يُعدُّ هذا العملُ تدخلاً، بَلْ تحريفاً في مسألة تاريخانية وفي زمن نزول السور والآيات؟

3- والخليفة بعد أنْ استكملَ التأليف على تلك الصورة، جمع المصاحف من الآفاق. بمعنى إنه لَمْ ينتفع منها-أي من المصاحف التي كانتْ في الأمصار لصحابة الرسول كتّاب الحي الحقيقين- وَلَمْ ينتفع من ترتيبها في نزول الآيات، الآيات المكية والآيات المدنية. في الوقت الذي نَعرفُ، حَقَّ المعرفة

(1) م. ن. جزء2 ص 119.

أنَّ مصحفَ الإمام علي كَانَ يشتمل الناسخ والمنسوخ، وأنَّهُ كتبهُ على الصورة التي تلقاها من سيده النبي محمد الذي بحسب رواية سليم بن قيس الهلالي، إذْ يقولُ ما نصّه: «سمعتُ أمير المؤمنين يقول: ما نزلت آية على رسول الله إلا أقرأنيها وأملاها عليّ، فأكتبها بخطي، وعلّمني تأويلها، وتفسيرها، وناسخها، ومنسوخها، ومحكمها، ومتشابهها»[1].

4- كذلكَ، فَقَدْ اعتمد السيوطي على الحاكم النيسابوري،بشأنِجَمع القرآن زمن عثمان، والذي قُسّمَ مراحل الجمع إلى ثلاث مراحل،فإنَّ الجمع الثالث، كَانَ مقصوراً على ترتيب السور. ولكن النيسابوري قَدْ روي خلال روايته عَنْ الجمع الثالث، ما رواه البخاري في الصحيح، عَنْ أنس بن مالك، ما نقله الصحابي حذيفة بن اليمان، للخليفة عثمان عَنْ أنه شَهد خلال غزوةلأهل الشام لفتح أرمينة وآذربيجان مع أهل العراق من اختلافات في قراءتهم للقرآن. عندئذ أرسلَ الخليفةُ إلى حفصَة، أنْ تَبعث الصحفَ التي تركها والدها لأجل نسخها (في مصاحف) فأمرَ الخليفةُ اللجنةَ أنْ ينسخوا (الصحف في المصاحف)؛ وبعثَ إلى كل أفق من الآفاق بمصحف مما نسخوا، وأمرَ بما سواه من القرآن في كل صحيفة ومصحف أنْ يُحْرَق[2]، وهي رواية تتفق مع الرواية بشأن الصحابي حذيفة، لكنها تختلفُ تماماً مع رواية الحاكم في المستدرك بخصوص الجمع الثالث للقرآن، الذي تمَّ زمن الخليفة عثمان، وكلا الراويتين تختلفان مع الخطوة التي أقدم عليها الخليفة بشأن (الصحف) التي أنجزها زيد بن ثابت زمن الخليفة الأول.؟؟

وتفيدنا الرواية السـابقة برسـم قاعدة بيانية من أجل توضيح التشابك والغموض التي يكتنفها:

نصيحة الصحابي حذيفة—> أدت إلى الإطلاع على الصحف التي كتبت من قبل زيد بناءاً على إجراء الخليفة وَعُمَر—> نسـخَ هذا الصحف من قبل اللجنة الرباعية فـي المصاحـف التي يبدو أنـه التعبير–المصحـف– المتفق عليه للقـرآن. وإن هذه

---

(1) تفسير العياشي، ص 14–15؛ السيوطي، الإتقان، جزء 1 ص 168.

(2) صحيح البخاري، (حديث 4987 و4988) ص 920؛ صحيح الحاكم، المستدرك، جزء 2 ص 249.

الصحائف حسب قول النيسابوري، كَانتْ فقط مقصورة على مسألة ترتيب السور وهكذا وزعت هذه الصحائف بمصحف مما نسخته اللجنة الرباعية إلى الآفاق.

فإذَا ما صحّ هذا التبويب والقاعدة البيانية اعتماداً على ما رواه البخاريُ بسنده عَنْ الصحابي أنسُ بن مالك، وما رواه الحاكم النيسابوري، بشرط الشيخين، عَنْ زيد بن ثابت، فإنَّ عَمل اللجنة التي شكّلها الخليفة، لا تعدو أكثر من إعادة ترتيب، إذْ جُمعتْ السورَ الطوال مع أختها الطوال، بينما أدمجتْ السور القصار، مع أختها القصار، ثم بعثت إلى الآفاق. بذلك علينا أَنْ نُعيدَ النظرَ في الأسباب التي دعتْ الخليفة الثالث، بخصوص نصيحة الصحابي حذيفة حول اختلاف أهل الشام وأهل العراق إلى هذا الأمر في ترتيب السور إِذْ يبدو أنَّ ترتيب المقداد، وأبي الدرداء في الشام، يختلف عَنْ ترتيب السور في مصحف عبد الله بن مسعود في الكوفة، وترتيب أبي بن كعب في البصرة. وليسَ هناك ذِكرٌ لما كَانَ عليه المصحف الذي أنجزه الإمام علي في المدينة والذي وُصِفَ بأَنَّهُ كَانَ يتضمن الناسخ والمنسوخ، وترتيب للسور على وفق ما حفظه عَنْ الرسول كالذي سنشهده لاحقا.



الفصل الثاني

المبحث الأول:
في مسألةالاختلاف في القراءات

لأبي بكربن أبي داود السجستاني المتوفى سنة 316هـ/ 929، صاحبُ السنن، المعروف بكتابه المباشرعن الموضوع تحت البحث، وهوكتابُ (المصاحفَ)، قَدْ خَصَّصَهُ بالدرجة الأولى على عملية جمع القرآن،الجمع الأولُ زمن الخليفة الأول وعمر وزيد بن ثابت، والثاني الذي يُعدّ، كما ألمحنا في الفصل الأول. وقد تناولَ السجستانيُ اختلافات القراءة بين أهل الأمصار؛ فضلاً عَنْ أَنَّهُ خصّصَ باباً حول اختلاف خطوط المصاحف، وفي سَنَد يرجع إلى أُسيد بن زيد يقول فيه: «أنَّ في مصحف عثمان (يسلون عَنْ أنبائكم) والسوال بغير ألف. وعن أسيد أيضاً قوله: «أنَّ في مصحف عثمان، ﴿وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ﴾ لَيس فيهَا ألف». كذلك عَنْ أسيد قوله: «في مصاحف أهل المدينة (آذو موسي) إِذْ ليسَ بعد الواو فيها ألف في الخط». ورواية أخرى عَنْ أسيد قوله: «أنَّ في مصاحف أهل المدينة (لتربو) بغير ألف في الخط». وفي رواية عَنْ الأعمش عَنْ إبراهيم (إنَّ هذانِ لساحرانِ) و(إنَّ هَذينِ لساحرين). وكتبَ السجستانيُ في باب ما اجتمعَ عليه كتّاب المصاحف المدنيةوالكوفية والبصرية، وما يُكتب بالشام وما يُكتب بمدينة السلام. كتبوا بسم الله الرحمن الرحيم بغير ألف. وكتبوا ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ بغير ألف. وكتبوا في سورة البقرةآية90 ﴿فَبَآءُو بِغَضَبٍ﴾ من غير ألف. وكتبوا في ال آية نفسها ﴿بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ﴾ موصول. وكتبوا في سورة آل عمران آية 20 ﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ﴾ بغير ياء، وهكذا قَدَّمَ السجستانيُ في لائحةٍ طويلةٍ جداً من عشرة صفحات هذه الاختلافات والاتفاقات بين كتّاب المصاحف. وله باب عنوانه (ما كُتب في المصاحف على غير الخط، نظيرَ إبراهيم

فَقَدْ كتبـوه فـي القرآن كله (ى ميـم) وكتبوه في سـورة البقرة (إبرهم) ليـس فيها ياء وكتبوا في المصاحف (نشـؤا) مكان (نشاء). وكتبوا (باءو) و(جاءو) و(ليسؤا) بواو واحدة وبألف واحدة. كذلك فَقَدْ اسـتوعبَأبوعمرو الداني المتوفى سنة 444 هجرية / 1052م في (**كتابه المقنع فيرسم مصاحف الأمصار**)الشيءَ الكثير من الاختلاف في قـراءة القرآن، نظيرَ فصلِ عَنْ الاتفاق حول حذف الألف من الجمع السـالم،وفصل فيمـا حُذفـتْ بِهِ الألف اختصـاراً، وفصلٌ في حذف الألف من الأسـماء الأعجمية، وفصلٌ في حَذْفِ الألفِ بعدَ واو الجماعة، وفصلٌ في زيادة الألف بعد الميم، وبابٌ فـي إحـدى اللامين، وبابٌ في مـا اتفقَ على رسـمه مصاحف أهـل الأمصار،وباب فـي مـا اختلفَتْ فيـه مصاحفأهل الأمصـار والحذف، وبـاب ما اتفقتْ على رسـمه مصاحف أهل العراق، باب ما اختلفتْ فيه مصاحف أهل الحجاز، والعراق والشـام المنتسـخة من الإمـام بالزيادة والنقصان، هـذان الكتابان، وغيرهما قَـدْ يكونا بمثابة هاجسٍ لما كَانَ يشدّد عليه في الاختلاف في القراءات بين أهل الأمصار الإسلامية؛ واسـتكمالاً للعمـل الأول في تحقيق ما نقـرأهُ الآن، وفيما بعدمن كتـاب الله تعالى. وهو بالتأكيدعمل توحّد من خلاله المسـلمون في كافـة أرجاءالمعمورة وكماهدف إليها الصحابي حذيفة بن اليمان، لئلا يفترقَ المسلمونَ إلى قرائتين أوثلاث أوسبعة أوإلى ماشـاءت أمصارالعالم الإسـلامي من قراءات، تلكَ التيتمَّ التعبيرعنها بالأحر فالسـبعة أوالعشـرة أو ما إلى ذلكْ. فالقـرآن الذي جُمعَ زمن الخليفـة الثالث، يمثلُ حرفـاً واحداً. وفي كتاب المصاحف للسجسـتاني، عرضـاً مفصّلاً لبقية المصاحف التـي كانـت متداولة في الشـام والكوفة والبصـرة -وهي أمصارالقرارالسياسـي في القـرن الأول الهجـري- وفي اليمن ومكـة المكرّمة. وعند قراءة القسـم الأخير من الكتـاب إِذْ يفصّلُ فـي الاختلافات بين المصاحف، نجدُ حـالات متباينة من الرؤى والتفسـيرات والأبعـاد فـي هذه القـراءات، إنْ كانتْ في قراءة الصحابـي عبد الله بن مسـعود، أم فـي قـراءة الصحابـي أبي بن كعـب، أم في قـراءة الصحابي أبي موسـى الأشـعري، أم في قراءة المصاحف الأخـرى للصحابة والصحابيات نظير: مصحف عائشة، ومصحف حفصة، ومصحف أم سلمة، ومصحف عمر، ومصحف زيد، وما إلـى ذلـك من مصاحف كانـتْ بعهدة زوجات الرسـول وبعهدةِ بعـضَ صحابتهِ من

كتّاب الوحي أمْ بعهدةِ ممّن كَانَ خارج نطاق كتبة الوحي. ونَسِبَ هذه التباينات متفاوتة بين يسيرة في قراءات لغوية أو محلية في هذا المِصْر أو ذاك وبين عسيرة والى حدّ ما كبيرة تجمع بين الحذف والإضافة وبين الزيادة والنقصان. وقد تتجاوز ذلك إلى مسألة ترتيب السور أو الزيادة في هذه السورة أو تلك أو النقصان في هذه السورة أو تلك؛ كذلك لا تتجاوز الفروق التي جمعها السجستانيُ إلى حالة مهمة من أسماء وعناوين السورأوإلى حالةالناسخ والمنسوخ.

فالتباينات، إن شئنا وصفها كذلك، في حقيقة الأمر، تُلبي تماماً تخوُّفُ الصحابي حذيفةُ ابن اليَمان، خلال الغزوات التي أسهم فيها جندٌ من الشام والعراق، البصرة والكوفة، من أنَّ ذلك سيؤدي إلى تَفرّق المسلمين إلى يشيع وفرق كالتي إفترق عليها اليهود والنصارى، كالذي عرضهُ ابنُ كثير بقوله: عن السبب الذي إندفع فيه الخليفة إلى جمع القرآن ما نصّه: «وكَانَ سبب ذلك إنَّ حذيفة بن اليمان، كانَ في بعض الغزوات، وقد اجتمع فيها خلقٌ من أهل الشام مِمَّنْ يَقرأ على قراءة المقداد بن الأسود، وأبي الدرداء، وجماعة من أهل العراق مِمّنْ يَقرأعلى عبدالله بن مسعود وأبي موسى، وجعل من لايعلم يسوغان [والأصح يسوغ] القراءة على سبعة أحرف، يفضل قراءته على غيره، وربما خطّأ الآخَر أوكَفَّرَهُ، فأدى ذلك إلى اختلاف شديد، وانتشارفي الكلام السيء بين الناس، فركب حذيفةإلى عثمان، فقالَ: يا أميرالمؤمنين، أدْرِكْ هذه الأمة قَبلَ أنْ تختلف في كتابها، كاختلافِ اليهودِ والنصارى في كتبهم. وذكرَ لَهُ مشاهدَ من اختلاف الناس في القراءة»[1]. لكنَّ ابنَ كثيرٍ فاتهُ أَنْ يَستشهدَ بأيِّ شاهدٍ من تلك المشاهدعلى ما أثاره الصحابيُ حذيفةُمن تَخَوّفٍ واهتمام في هكذا أمرٍ جديٍّ ومهم. والمثيرفي هذا النصِّ عدّةُ نقاطٍ:

1- إنَّ حذيفةَ سلّطَ الضوءَ على الاختلافات بين الأمصارالمتصارعة في الأهواء وربما في الملل وفي الفوارق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، أي شامُ معاويةَ المُتَرَف وذو الميول الأموية، وهي في بداية تطورها وبين البصرة الخاضعة لتياراتها القَبلية ولتأثيرات الصحابة الكُثُر الذين استقروا فيها، وبين

(1) البداية والنهاية، جزء 7 ص217.

الكوفة وتياراتها القبلية وتأثيرات صحابتها الكثرالذين اتخذوها سكناً لهم؛ وبين تأثيربوادرالتوجهات السياسية مع أختهاالبصرة إزاءَالخليفةَ وحاضرته مدينة رسول الله.

2- ظهورمسألةالأحرف السبعة بصورة مفاجئة، فالصحابيُ، أشارَ إلى اختلاف قِراءة الشامِ والكوفة والبصرة، فما علاقة الأحرف السبعة إِذَنْ في نصيحةِ أوفي تَخَوّفِ حُذيفةَ بن اليمان؟ ففي النصّ خللاً وحذف أوزيادة من جهةلا تتعلق برواية حذيفة بن اليمان.

3- واعتماداً على ما ورد في كتاب المصاحف للسجستاني، فإنَّ الفوارق تلك لاتُوحي بأنها خطيرة جداًتؤدي إلى تكفيرالبعض للبعض الآخر المُسلم. وبالمناسبة، فإنَّ بعضَ قرّاءالقرآن من مصر، يقرأونَ اليَوم في أكثرمن قراءة من المصحف الذي جَمعه عثمانُ، إنْ كانَ في مدٍّ بعض الكلمات أو في تَيْسير نُطق كلماتٍ أخرى أو ما إلى ذلك. وإنها بالتأكيد لَمْ تؤدِ إلى اختلاف المستمعين من المسلمين، إليها أو أن يتجاوزوا إلى حدِّ تكفير بعضهم للبعض الآخر أو إلى اختلاف في العقيدة، كذلك كماهوشائع اليوم من قرائتين، قراءةُ حفصٍ وَوَرش وغيرهما، فالمسألة ميسورة إذن.

4- والنقطة الأخرى، هي خلو هذا النصّ من مصر (المدينة) التي سيكون لها دورسياسي مع الكوفة والبصرة ضداً بالشامِ ألا وهو مصر بمعنى أنَّ أهل مصرَ، لَمْ يَكنْ لهم قراءةٌ خاصة بهم تختلفُ عن قراءة أهلِ الشام، وأهل العراق، أولعله بسبب عدم مساهمتهم في جيش حذيفة، الَذي كان يغزو بمنمعهُ من أهل الشام وأهل العراق في فتوحه ضدّ أرمينية وآذربيجان. لكن الخليفةبعد استكمال جمعا لقرآن وإحراق مالديه من صحف وما لدى صحابة الرسول من صحائف مهمة، بعثَ بنسخةٍمن القرآن الكريم، وبما كان يسمى (إمام) إلى مصر باعتبارها أحد الأمصار الإسلامية السبعة.

5- ذكرالصحابي حذيفة في مشورته، أنَّ التباينات في القراءات، قَدْ أدّتْ إلى «انتشارٍ في الكلامِ السيء بين الناس»[1]، وهذا لا يفهم منه إلّا أنَّ المقاتلين

(1) ابن كثير، البداية، ج7 ص 217.

قَدْ أَخَذوا يتلاعنون فيما بينهم، وأَخَذَ بعضهم يشتم الآخَر، أويشتمِمِصْرَهُ. في الوقت الذي كانت هذه التباين اتيسيرة لاتـؤدي اليخصام بالأيدي والألسن. وفي كتاب المصاحف، يوجزُ السجستان يُفعل حذيفة بالتعبير الآتي: «وكانَ حذيفةُ هو الذي أشارع ليعثمانَ أَنْيجمعَ المصاحف على مصحفو احد»[1]، مندون التفصيلات التي ذُكرت آنفاً، أو لرد فعل الخليفة، بأنْ أرسلَ إليحفصة من أجلِ أنْتُسَلِّمَهُ المصحفَ الذي كَانَ موجوداً عندها، المصحفُ الذي أورثها إياها والدها عُمَرْ قبيل مقتله، «فَعرضت الصحف عليها فَلَم تخالفها في شيء، فردَّها إليها، فطابتْ نفسهُ، فأمرَالناسَ أنْ يكتبواالمصاحف»(2)وهذا كلّ ما في الأمر.

والواقعُ أنَّ السجستاني يذكرُ روايةً رواها عبد الأعلى بن الحكم الكلابي، عَرَضَ فيهـا مجموعة أحداث وجمعها فـي رواية واحدة إذْ تحدثـت الرواية بحديث يتعلق بجمـع عثمان القرآن،لابد من ذكرها وتحليلهـا فيقول "روى عبد الأعلى بن الحكم الكلابي رحمه الله فيقول: أتيت دار أبي موسى الأشعري فإذا حذيفة بن اليمان وعبد الله بن مسعود وأبو موسى الأشعري فوق أجار - يعني السطح - فقلت: هؤلاء والله الذين أريد فأخذت أرتقي لهم فإذا غلام على الدرجة فمنعني أن أرتقي اليهم فنازعته حتـى ألتفت إليّ بعضهم فأتيتهم حتى جلسـت إليهم فإذا عندهم مصحف أرسـل به عثمـان فأمرهم أن يقيمـوا مصاحفهم عليه. فقال أبو موسـى ماوجدتم في مصحفي هـذا من زيـادة فلا تنقصوهـا وما وجدتم فيـه من نقصـان فاكتبوه منه. فقـال حذيفة فكيف بما صنعنا، والله ما أحد من أهل هذا البلد يرغب عن قراءة هذا الشيخ، يعني ابـن مسـعود، ولا أحد من أهـل اليمن يرغب عن قراءة هذا الآخر يعني أبا موسـى".

ومع أهمية هذه الأسطر من رواية الكلابي هذا الذي حسبما يبدو كان متابعاً الأخبار عـن اهتمـام عثمان في جمـع القرآن. وعلى أسـاس إنه كان من سـكان البصرة زمن ولاية الأشعري، وكان الأشعري واليا ويعلّم القرآن بحسب المصحف الذي كان قد جمعـه، فقد توجه الكلابي إلى الوالي لمعرفة حقيقة الأمر. والغريب في القصة التي

---

(1) السجستاني، أبو بكر بن أبي داود، المصاحف، ص 13-14.

(2) ن. م. ص4.

تبـدو وقائعها حقيقية، وجود حذيفة بن اليمان واجتماعه بأطراف الحدث الأسـاس عبد الله بن مسـعود صاحب المصحف المشـهور وأبي موسـى الأشعري الذي كان مصحفـه يعلّم في البصـرة واليمن لكونه في الأصل من اليمـن. وكان الاجتماع بين هـذه الأطـراف بشـأن المقارنة بيـن مصحـف الخليفة وبيـن المصحفيـن القديمين مصحف عبدالله بن مسـعود ومصحف الأشـعري ولم يكن مصحف الصحابي أبي معروضـاً أومذكوراً مع أنه كان يقرأ في البصرة ولعله كان لحذيفة بن اليمان مصحفاً أيضا معروضا للمقارنة.

ولكن هناك ثمة إشكاليات تتخلل هذه القصة من بينها:-

1- هل كان وجود حذيفة في البصرة بعد غزواته في أرمينية وآذربيجان ؟،أم أن رواية ماشهده أثناء غزاوته لاعلاقة له بالاجتماع الذي تمّ عقده في البصرة مع ابن مسعود والأشعري أو ربما إن رواية الكلابي هذه لا أساس لها من الصحة ؟ وإن نصيحة الصحابي للخليفة قد استحضرت من خلال تجاربه ومن خلال تشخيصه بوجود اختلاف في القراءة فحسب أثناء قيادته في الفتح والدليل. وهناك ملاحظة تتعلق في هذه النقطة ألا وهي أن الأشخاص الذين أوفدوا من قبل الخليفة لنقل النسخ من المصحف الذي جمعه الى الأمصار هم: اعتمادا على الزرقاني في كتابه (مناهل العرفان في علوم القرآن الكريم) فقد بعث عثمان قارئين ومعلمين للقرآن فبعث عبد الله بن السائب الى مكة والمغيرة بن شعبة الى الشام [نقطة ملاحظة إنَّ المغيرة قد طُعِنَ من الكوفيين في شرب الخمر والزنا] فكيف بكون من أئمة القارئين ومن معلمي القرآن الكريم والله أعلم)، وبعث عبد الرحمن السلمي الى الكوفة وعامر بن عبد القيس الى البصرة وجعل على المدينة في هذه المسألة زيد بن ثابت. [ينظر الزرقاني ؛ مناهل العرفان في علوم القرآن [القاهرة 1372هجرية] جزء 1 صفحة 396-397].

2- ولحذيفة كلمة في هذه الرواية خلال الاجتماع في البصرة حين أعلن قائلا «فقال حذيفة فكيف بما صنعنا والله ما أحد من أهل هذا البلد - ربما يقصد البصرة أو الكوفة - يرغب عن قراءة هذا الشيخ، يعني ابن مسعود، ولا أحد من أهل اليمن يرغب عن قراءة هذا الآخر يعني أبا موسى»[1]. فإن صحّ

(1) السجستاني، المصاحف ص 12-13.

خطاب حذيفة هذا فإنه كان يعرض فقط مشكلة أهل العراق وأهل اليمن الذين كانوا متمسكين بقراءة مصحف ابن مسعود ومصحف الأشعري.

3- فاستعمال الصحابي حذيفة لفعل (ماصنعنا) له علاقة وطيدة به نفسه، فإن الخليفة ربما بعثه الى البصرة ومعه نسخة من القرآن الذي حققته اللجنة الرباعية إلى البصرة. ولذلك اجتمع بالصحابة الذين كانت لهم مصاحف لتقرير الخطوة التالية في الكيفية في إتّباع النسخة العثمانية بدلاً من مصاحفهم. والظاهر أن الاجتماع لم يسفر عن قرار موحد بموافقة الصحابيين ابن مسعود والأشعري على مصحف الخليفة، لذلك قال (كيف بما صنعنا) أي بما حملناه معناً من مصحف عثمان أو من مصاحفنا، وذلك لأن الرواية المذكورة في أعلاه قد حدّدت الرجال الذين بعثهم الخليفة وهم يحملون المصاحف الى الأمصار.

4- لهذا علّق تعليقه الصريح، بأنَّ كلّ أهل بلد البصرة أوأهل العراق وأهل اليمن لا يفرّطون بالمصاحف التي يقرأون فيها.

5- ثم هناك نوع من التسوية في مسألة مصحف الأشعري إذ أنه بيّن للمجتمعين مايلي: - إن وجدتم في (مصحفي) زيادة فلا تنقصوها وهو تعقيب ملفت للنظر جدا، فهل القرآن الذي حمله حذيفة إلى البصرة فيه نقص أو هل النقص موجود في قرآن الأشعري ؟ في الموازنة بينه وبين مصحف عثمان. والأشعري أضاف تعليقا على قوله لحذيفة (إن وجد) فيه نقص فاتمّوه بما هو موجود في مصحف الخليفة. أمّا بشأن موقف عبد الله بن مسعود فإنه كماعبّر عنه حذيفة قائلا «والله ما أحد من أهل هذا البلد - البصرة - يرغب عن قراءة هذا الشيخ، يعني ابن مسعود». ومهما يكن من أمر، فإنَّ النصائح التي أبداها حذيفة بن اليمان كانت بمثابة بداية تحرك الخليفة نحو الإسراع في مشروعه وذلك باتّخاذ خطوتين مباشرتين.

- طَلَبُ النسخةِ التي جمعها زيد بن ثابت، بتكليفٍ من الخليفة الأول وعمر. فحسبما يبدو أن النسخة بقيت مع الخليفة عمر طيلة مدة خلافته، ثم حوّلها

على أثر عملية اغتياله إلى ابنته زوجة الرسول حفصة. والذي يقرأ كتاب المصاحف للسجستاني سيجد إن لحفصة مصحفاً أيضاً يسمى، مُصحفُ حفصة.

- عرض عثمان هذه النسخة على اللجنة المكلفة بكتابة المصحف، وبحسب الروايات الآتية:

1- يقول أبو سلمة بن عبد الرحمن، «أمرَ عثمانُ فتياناً من العرب أن يكتبوا القرآن، ويملي عليهم زيد بن ثابت»[1]. ففي هذه الرواية، لم يُحدد الخليفة الأسماء التي وردت في صحيح البخاري والمصادر الأخرى، إنما استخدم تعبير فتيان العرب، ولا أعلم ما الذي يريده الخليفة من ذلك التوصيف؟ أهو توصيف يتعلق بالعرب (يعني من سكنة المدينة) أو من البدو، آخذين بنظر الاعتبار، إن النحّاة في البصرة كانوا يرجعون إلى البادية وإلى قبائل معينة فيعتمدون عليهم مصادراً لمؤلفاتهم اللغوية. ولعل وصف الخليفة يشمل التعميم والتخصيص في آن واحد، ألا وهو اللجنة التي سبق ذكرها لكونهم جميعا كانوا شباباً أو فتياناً من قبيلة قريش.

2- فكان زيد بن ثابت يُملي على الفتيان ما سبق أن قام بجمعه من صحف قد أتمّها زمن الخليفة الأول. هنا ورد في كتاب المصاحف حالة مهمة، وهو الاختلاف بين زيد الذي يملي، والفتيان الذين يملى عليهم تتعلق بكلمة (التابوت بالتاء الطويلة) فأملأها زيد بالهاء القصيرة (التابوه أو ربما بالتاء القصيرة التابوة). فالفتيان هاهنا عارضوا الصيغة التي أوردها زيدٌ وقالوا له بالحرف الواحد: «لانكتب إلّا التابوت «بالتاءالطويلة».

3- ويبدو أن المحاججة لم تنته بين المُملي والمُملى عليه، فَرُفِعَ الموضوعإلى الخليفة، الذي وقف إلى جانب الفتيان «فقال: اكتبوا التابوت – بالتاء الطويلة – فإنما أنزله الله على رجل منا بلسان عربي مبين». والسند صحيح، وذكره أيضاً عمر بن شبّه في (الجزءالثالثص 1000)، ومع أن الموضوع بسيط في رسم خطوط القرآن لكنه بالغ الخطورة في إظهار حالة من حالات اللحن،

---

(1) السجستاني، المصاحف، ص 12-13 (إسنادٍ صحيح أخرجهُ ابن شبه ج3 ص 1001).

فكان زيد من كتبة الوحي، وقد كتب التابوت بالهاء القصيرة زمن الخليفة الأول وعمر، ولعه فعل ذلك زمن حياة رسول الله، فكيف يحدث مثل هذا الاختلاف بين جيل الشباب، وبين جيل الشيوخ، شيوخ كُتّاب الوحي؟ فأورد مثلاًالسجستاني نقلاً عن هوذة الثقفي، عن عوف العبدي البصري، عن عبد الله بن فضّال، قال: «قال عُمر: لمّا أراد عُمر أن يكتب الإمام - أي القرآن- أقعد له نفراً منأصحابه؛ وقال: - إذا اختلفتم في اللغة، فاكتبوها بلغة مُضر، فإن القرآن نزل على رجل من مُضر»، وهو قولٌ يتماهى، وقول عثمان، في أن القرآن نزل على رجل منّا بلسان عربي مبين. وزيادة في التأكيد، هناك روايةٌ رواها عبد الملك بن عمير اللخمي (حليف بني عدي ثقة فصيح)، وهو يُحدّث عن عبد الله بن معقل قَالَ: «قال عمر: لايُمليَن في مصاحفنا إلّا غُلمانُ قريشٍ وثقيف»، [وهو إسناد بحسب مُحقّقِ كتاب المصاحف، حَسن أخرجه [عمر بن شبّة جزء 3 ص 1014، والخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، جزء 5 ص54]. فالفتيان الذين أشار إليهم الخليفة إذن، كانوا فتيان قريش، واللغة التي كتب فيها زيد بن ثابت، بأمرٍ من أبي بكر وعمر، كانت بلغة قريش ومضر وبخطهم او بلسان عربي مبين فلماذا إذن الاختلاف؟ وفوق هذا وذاك، فإن القرآن الكريم، لا فتيان العرب ينطق بما لا يقبل الشكّ، بأن الله تعالى أنزله على نبيه بلسان عربي مبين وتحدى من خلال عددٍ من آياته الكريمة قريش بأجمعها والأنصار بأجمعهم، لا سعيد بن العاص، ولا حتى فتيان العرب وشيوخ قريش وفتيانها، أن يأتوا بآيةٍ واحدةٍ أو عشر تماهي لغته في الفصاحة والبيان والوضوح. كيف إذن نَقبلُ بذلك؟

4- ومع كلّ ذلك، فتستمر هذه الرواية في وقوفها على الجانب اللغوي للقرآن، وكأنه من تأليف فتيان قريش أو من تحريرهم بطريقة يتداخل ويتدخل فيها المملي زيد بن ثابت والمملى عليه الفتيان أو سعيد بن العاص أو غيرهما. ألم يكن معروفاً بين مجتمع المدينة، مدينة رسول الله من قريش والأنصار، قول الإمام علي» مانزلت آية على رسول الله ألا أقرأنيها وأملاها عليّ فاكتبها بخطي، وعلّمني تأويلها وتفسيرها...ودعا الله لي أن يعلمني فهمها وحفظها. فما نسيتُ آية من كتاب الله ولاعلم أملائه عليّ فكتبته منذ دعا لي بمادعا».

وقول الصحابي عبد الله بن مسعود «فكيف تأمروني - وهو يخاطب الناس - أن إقرأ قراءة زيدٍ ولقد قرأتُ من في رسول الله بضعاً وسبعين سورة..وإن زيداً ليأتي مع الغلمان له ذؤابتان. والله مانزل من القرآن إلّا وأنا أعلم في أي شيء نزل، ما أحد أعلم بكتاب الله مني.. ولو أعلم مكاناً تبلغه الأبل أعلم بكتاب الله مني لأتيته». قبالة هذا الذي يتحدث به كتّاب الوحي والمقربين من الرسول نشهد أقوالاً تتعلق بالدور الحاسم لمجموعة من فتيان قريش ممّن نسب الرواة إليهم الفصاحة والنباهة اللغوية والبيان فيا للعجب من هذا؟.ومع كل ذلك، فلنقرأ الآتي الذي يعدّ بمثابة ضربة قاصمةً لما أملاهُ زيدُ بن ثابتٍ ومجموعة من فتيان العرب من قريش: - ففي رواية عن عبد الرحمن عن عبد الأعلى القرشي قال: «لما فرغ من المصحف -أي بعد استكمال عمل زيد والفتيان من العرب- أتى به عثمان فنظر فيه فقال: قد أحسنتم وأجملتم أرى فيه شيئا من لحن ستقيّمه العرب بألسنتها»؛ وفي رواية أخرى عن راوية الرواية السابقة قوله «رأى عثمان شيئاً من لحن فقال، لو كان المملي من هذيل والكاتب من ثقيف لم يوجد فيه هذا». والمعروف، أن البلغاء والنحّاة كانوا يفضلون هذيل في البادية في مسائل نحوية ولغوية، لذا فإشارة الخليفة، لا تميل إلى أنه كان يقصد بها الخط والرسم العربي، بل يقصد بها أساسا الجوانب اللغوية وفي هذا يتعارض مع الآيات الكريمة التي تشير بجلاء ودون أدنى شك أن لغة القرآن فصيحة وبلغة قريش وبلسان عربي مبين لا تضاهيها لغةُ هذيلٍ وغيرها من القبائل العربية. ثم أن قوله هذا يتعارض في بنيته مع قوله بحسب رواية مصعب بن سعد [والإسناد صحيح لأن مصعباً قد أدرك بعضاً من أصحاب النبي). فبعد أن قابل الناس الذين كانت لديهم آياتٌ مكتوبة ٌويشهد على أنه سمعها من رسول الله قوله «فلما فرغ من ذلك عثمان قَالَ: من أكتبُ الناسِ؟ قالوا: كاتب رسول الله، زيدٌ. قَالَ: فأيُّ الناس أَعْرَبُ؟ قالوا: سعيد بن العَاص. قال عثمان: فَلْيُمِلِ سعيدٌ وليكتبُ زيدٌ. فكتبَ زيدٌ،وكتبَ مصاحفَ، ففرّقها في الناس»، فاختيار الأمثل من الرجال في الإعراب واللغة والفصاحة، والأمثل في الخط والرسم والإملاء، كان أولاً وآخراً من أوامر الخليفة نفسه، فلماذا اكتُشِفَ اللحن إذن بعد استكمال

العمل؟ فضلاً عن أن خطاب الخليفة الذي يفيد إذْ «قام عثمان فخطب الناس، فَقَالَ: أيها الناس عهدكم بنبيكم منذ ثلاث عشرة [**وهو تقدير خاطئ إذ أن وفاة الرسول كان في 11 هجرية/ وبعد 13 سنة من الوفاة نكون قَدْ وصلنا إلى سنة أربع وعشرين سنة أيام خلافة عمر بن الخطاب لا خلافة عثمان...**] وأنتم تمترون في العراق، وتقولون قراءة أبي وقراءة عبدالله، يقول الرجل والله ما نقيم قراءتك. فأعزم على كل رجل منكم ما كان معه من كتاب الله شيء لما جاء به، وكان الرجل يجيء بالورقة، والأديم فيه القرآن، حتى جمع من ذلك كثرة. ثم دخل عثمان فدعاهم رجلا رجلاً فناشدهم، سمعت رسول الله وهو إملاء عليك؟ فيقول نعم». فالخليفةُ قد اعتمد الورقِ والأديم في كتابة أو إعادة تملية الآيات المكتوبة، فهي آيات قد كُتبت كما أُنزلت على رسول الله، فكيف تفسر اختياره للإعراب والتملية أولئك الفتيان الشباب. فضلاً عن ذلك، فالمفروض أنه قد قارن بين النسخة التي أرسل في طلبها من زوجة الرسول حفصة وبين الذي وَرَدَهُ مكتوباً على الورق والأديم. فالموضوع برمته مشكوك فيه ويثير تساؤلات وتساؤلات؛ لكننا أمام مثل هذه الروايات المتضاربة وغير الموضوعية في أهم وأخطر موضوع يتعلق بشكل مباشر وقوي بكتاب الله.

وبينما نُركّز على النصائح التي أبداها الصحابي حذيفة بن اليمان للخليفة عثمان على الضرورة المُلّحة في جمع الصحائف في مصحف بدلاً من أن تكون في مصاحف وأوراق متفرقة يقرأها بعض الصحابة، كالأشعري وأبيّ وعبد الله بن مسعود، ويعلمونها الناس تظهُر لنا روايات أخرى غير قليلة على وجوب التريث في قبولها أو بالاحرى على التساهل في قبولها وفي أدناه نماذج من مثل هذه الروايات:

- في رواية عَنْ أبي البختري قَالَ: «قَالَ:حذيفةُ – والخطابُ موجه إلى الناس – أرأيتم لَوْ حَدَّثْتُكم أن أمتكم تخرج في فئة تقاتلكم أكنتم مُصَدّقي؟ قال، قلنا: سبحان الله يا أبا عبد الله! وَلَمْ نفعل؟ قال، أرأيتم لَوْ قلت لكم تأخذون مصاحفكم فتحرقونها وتلقونها في الحشوش أكنتم مصدّقي؟ قالوا سبحان الله! وَلَمْ نفعل؟ قال، أرأيتم، لَوْ حدثتكم أنكم تكسرون قبلتكم أكنتم مصدّقي؟ قالوا سبحان الله، وَلَمْ نفعل؟ قَالَ:أرأيتم لَوْ قلت لكم أنه يكون

منكم قردة وخنازير أكنتم مصدّقي؟ فَقَالَ: رجال يكون فينا قردة وخنازير؟ قَالَ: وما يؤمنك لا أم ذلك»[1]. كَيفَ نفهم هذا مع النصائح التي أدلى بها حذيفة نفسه للخليفة ومع المعلومة الخاصة باجتماعه مع عبد الله بن مسعود والأشعري لمقارنة المصحف الذي أمر بجمعه عثمان مع مصاحف ابن مسعود والأشعري وأبيّ...الخ؟.

- وفي رواية عَنْ أيوب بن أبي ابن تميمة السختياني عَنْ ابنُ قلابة قَالَ: «لمّا كَانَ في خلافة عثمان، جعل المعلم يعلّم قراءة الرجل والمعلم يعلّم قراءة الرجل فجعل الغلمان يلتقون، فيختلفون حتَّى ارتفع ذلك إلى المعلمين، قَالَ:أيوبُ لا أعلمه إلا قَالَحتَّى كفّر بعضهم قراءة بعض فبلغ ذلك عثمانُ، «فقام خطيباً، فَقَالَ: أنتم عندي تختلفون فيه، فتلحنون،فمن نأى عني من الأمصار أشدُّ فيه اختلافاً وأشدُّ لحناً اجتمعوا يا أصحاب محمد[2]، واكتبوا للناس إماماً». فهذه الحالة، تعكسُ بأن خطاب حذيفة السابق وتساؤلاته وتوقعاته لها وجه من الصحة من جهة، وهي لا تتماهى مع نصائحه للخليفة بشأن الاختلاف بين جنده من أهل الشام وأهل العراق من جهة أخرى. ولأجل التوفيق بين هذا التضارب الفاضح بينهما، نرى أنه يمثل عاملاً آخر مضافاً إلى عامل اختلاف الجند في القراءات. غير أن الأهمية في رواية أيوب السختياني في هذهالرواية،وجود عوامل الاختلاف في المدينة نفسها، وبين معلمي القرآن، الحالة التي أشار إليها الإمام علي، عندما وصف هذا بتعبير»تَطَيّره، بعد وفاة رسول الله، من اختلاف الناس في قراءاتهم للقرآن»، أو في قوله لأبي بكر، أنه رأى «كتاب الله يُزاد فيه» لذلك، أقسم بالله أن يجمع القرآن. فرواية ابن قلابة، تُلقي الضوء على مشكلة لابد من إيجاد حلٍّ لها، ألا وهي جمعُ القرآن. وهنا يكون تعليق الإمام علي بشأن عملية الجمع واضحة وتتفق تماماً مع ما كَانَ يتخوف منه، إذْ أورد ابن كثير روايةً نقلاً عَنْ البيهقي، من حديث محمد بن أبّان، عَنْ علقمة بن مرثد قَالَ: سمعتُ العيزار بن جرول سمعتُ سويد بن غفلة قَالَ: «قَالَ علي:أيها الناس إياكم والغلو في عثمان، تقولون حرّق

(1) المصاحف، ص 79-80 (طبعة القاهرة).
(2) المصاحف، ص 95؛ السيوطي؛ الإتقان، ج1ص172-173.

المصاحف، والله ما حرّقها إلّا عَنْ ملأ من أصحاب محمد ولو وليّت مثل ما وليّ لفعلت مثل الذي فعل)[1].

- كذلك روى أبو قلابة رواية، حدّثهُ بِها أنس بن مالك، [أو حسب المحقق مالك بن أنس] «قال: كنت فيمن أُمْلَي عليهم، فربما اختلفوا في ال آية فيذكرونَ الرجل قَدْ تلقّاها من رسول الله ولعله أن يكون غائباً أو في بعض البوادي، فيكتبون ما قبلها وما بعدها، ويدّعون الأمصار، إني قدصنعت كذا فمحوت ما عندي فامحوا ما عندكم»[2]. فأبو قلابة في هذه الرواية، يقدّمُ دليلاً إضافياً وعاملاً آخر أقوى من الذي نصح به حذيفة الخليفة عَنْ حالة كانتْ حسبما يبدو شائعة في مدينة رسول الله بين المُملِي والمُملَى عليه. ولذلك فَقَدْ وضع الخليفة قاعدة الشاهدين في قبوله لأي آيةٍ يدّعي حافظها إنه سمعها من رسول الله. والرواية ألقت الضوء على المصاعب الجغرافية بين الأمصار في حالة اكتشاف المُعلم أو المُملي أو الخليفة، قراءةً خاطئةً فيقول الخليفة: «أنتم عندي تختلفون فيه فتلحنون فمن نأى عني من الأمصار أشد فيه اختلافاً وأشد لحناً»[3]. غير أن الصعوبة في الإبلاغ وإيصال التصويبات إن كانتْ،أو الغفلات التي أملاها المعلم تبلغ أوجهاً حين يبلغهم «إني قَدْ صنعت كذا، محوت ما عندي فامحوا ما عندكم»، إِذْ يبقى الاحتمال بعدم تجشم المتلقي لهذه الرسالة، أن يبقي خطأه على ما عليه فتكون الطامة الكبرى بما أنزله الله على رسوله. والأدلة على هذه المسألة المكدرة الكثيرة بين أهالي الأمصار، فأهل المدينة، يقرأون في سورة المائدة ﴿مَن يَرْتَدَّ﴾ وأهل البصرة والكوفة يقرأونها ﴿مَن يَرْتَدَّ﴾[4]. وأهل المدينة، وأهل البصرة، يقرأون في سورة الأنعام ﴿لَّئِنْ أَنجَىٰنَا﴾ بينما يقرأها أهل الكوفة (لئن أنجانا)[5]. وأهل المدينة يقرأون في سورة الزخرف ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ﴾، بينما يقرأها، أهل

---

(1) البداية والنهاية، ج7 ص 217-218.
(2) السجستاني، المصاحف، ص 96.
(3) المصاحف، ص 95.
(4) م. ن ص 144.
(5) م. ن ص 144.

الكوفة والبصرة (ما تشتهي الأنفس)[1]، ويقرأ أهل المدينة في سورة الشمس وضحاها، ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ ويقرأها أهل الكوفة والبصرة،﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾[2]. وغير ذلك من اختلافاتٍ أدت إلى الاختلاف بين أهالي الأمصار.

هنا نعود إلى أننستذكر قول الإمام علي لماذا أنه تطيَّر كثيراً من حدوث مثل هذه الزيادة أو النقصان في كتاب الله، ولمّا تمرّ على وفاة رسول الأمة، إلا أياماً معدودات، قبيل أن يتراكض فئةٌ قليلةٌ من صحابته، ومن الأوس والخزرج إلى السقيفة، بهدف اهتبال الفرصة في تقاسم غنيمة كرسي الخلافة، خلافة المسلمين، بمثل ما هو كائن في وقتنا الحاضر؛ وأهمية هذا المارثين قبيل وبعد نتائج السقيفة، أن يجمع النفر الفائز بالخلافة المصحف بالوسيلة والترتيب والمنهجية التي يرتأنوها،بما تتوافق مع مشروع الخلافة باستبعاد من لا يرونه مع مواقفهم، وتقريب من يريدون أن يقربونه من أنصارهم وبني عمومتهم كالذي يجري حاليا. عندئذ لَمْ يكن للكلام الذي تحدّث به، سعيد بن عبد العزيز، قائلاً: إن عربية القرآن قَدْ قُوّمت أو أُسّست! على لسان سعيد بن العاصِ بن أمية ولماذا؟ لأنه حسبما عرضه سعيد بن عبد العزيز كَانَ - أي سعيد بن العاص - أشبههم لهجةً برسول الله وآلهيا سبحان الله؟.ولكن سعيد بن عبد العزيز، يعقّب على هذه الكلمات قائلاً: «وقتل العاص مشركاً يوم بدر» فمات مشركاً[3]، وابنه كَانَ أشبه برسول الله لهجةً، بهكذا كلام لا مسئول، كُتِبَ تاريخنا الإسلامي، وتاريخ سيرة سيد المرسلين وخاتم النبيين؟ نقل إن كَانَ هذا منضبطا فكَيفَ إذنْ وقع سعيد بن العاص في عدة سقطات(لا نعرف عددها، لأن الخليفة من أقارب سعيد لَمْ يبيّن عددها أو ما هي فعلاً) في اللحن عندما انتهى هو وزيد بن ثابت من جمع القرآن للخليفة، إِذْ قَالَ خليفة المسلمين: «رأى عثمان شيئاً من لحن، فَقَالَ: لَوْ كَانَ المُملي من هذيل والكاتب من ثقيف لَمْ يوجد فيه هذا»[4].

- ونقل خبراً عَنْ عمرو بن الحارث بن يعقوب المصري وعُرِفَ بكونه فقيهاً وثقةً،

---

(1) م. ن ص145.

(2) السجستاني؛ المصاحف، الصفحة نفسها.

(3) المصاحف، (طبعة القاهرة) ص 102.

(4) م. ن ص 127.

إن بكير بن عبد الله الأشج تحدّث بحديثٍ جاء فيه «أن ناساً كانوا بالعراق، يسأل أحدهم عَنْ الآية، فإذا قرأها قَالَ: فإني أكفرُ بهذه، ففشا ذلك في الناس، واختلفوا في القرآن. فكُلم عثمان في ذلك، فأمر بجمع المصاحف، وأحرقها ثم بَثَّها في الأجناد. فالذي كَانَ حذيفة بن اليمان يحذّر منه الخليفة على أن ظاهرة الاختلاف في القراءة قَدْ أدّت إلى «انتشار في الكلام السيء بين الناس»، وليس أكثر سوءاً وزندقةً بين الناس، أن يقول المرء لأخيه المسلم في العقيدة: إني أكفر بهذه الآية أو بتلك الآية. مع أننا عندما نطّلع على جميع الاختلافات التي أحصاها السجستاني، إن كانتْ بين أهالي الأمصار، أو حتَّى بين المصاحف التي بين أيدي الصحابة بدءاً من مصحف عمر بن الخطاب، ومروراً بمصحف الإمام علي، ومصحف أبي بن كعب، وعبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن الزبير، وعائشة، وحفصة،وأم سلمة، وعدد من التابعين لا نجد فيها من الاختلافات التي تستوجب من المسلم بعد وفاة رسول الله أن يكفّر بهذه ال آية أو تلك، فالكثير منها تتعلق بحرف واوٍ زائدة أو بواو ناقصة أو بين (قال سبحان ربي) أو ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي﴾ أو ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ﴾ أو (فإن الله الغني) ولعل السجستاني، لَمْ يقف عليها جميعا لخطورتها. وهذه الأمور بالأحرى، يتحملها الصحابي زيد بن ثابت، الذي بادر إلى جمع القرآن للخليفة وَعُمَر بن الخطاب في المرحلة الأولى من جمع القرآن. وفوق هذا وذاك، فنحن نقرأ في كتاب الاستيعاب في أسماء الأصحاب للحافظ ابن عبد البّر المتوفى 463هـ/ 1080م قوله: «وكَانَ أبو بكر قَدْ أمره - يعني أمر زيد - بجمع القرآن في الصحف فكتبه فيها. فلما اختلف الناس في القراءة زمن عثمان، واتفق رأيه، ورأي الصحابة، أن يُردّ القرآن إلى حرفٍ واحدٍ وقع اختياره على حرف زيدٍ فأمره أن يُملي المصحف على قوم من قريش، جمعهم إليه، فكتبوه، على ما هو عليه اليوم بأيدي الناس... وكَانَ الناس يقولون غلب زيد بن ثابت الناس على اثنتين القرآن والفرائض»[1]. فالاختيار وقع على زيد بن ثابت، سواء في الإملاء، أم في النسخ بين ما كَانَ يعبّر عنه الحفظ والكتابة وبين ما يدلّ على أنه باعتباره من كتّاب

---

(1) ابن عبد البر، أبو عمر، الاستيعاب في أسماء الأصحاب، على هامش كتاب الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني، (الطبعة الأولى 1328) مجلد 1، ص 554.

الوحي أي أن ذلك المكتوب كتب بين يدي رسول الله، أو المراد أنهما يشهدان على أن ذلك من الوجوه التي نزل بها القرآن[1]. وقد أخرج حديث على شرط الشيخين عَنْ زيد بن ثابت قوله: «كنا عند رسول الله نؤلف القرآن من الرقاع»[2]، وعلّق البيهقي على قول زيد المتناقض مع المعلومات التي ذكرت آنفا قائلاً: أن ما ذكره زيد بن ثابت «يشبه أن يكون المراد به تأليف ما نزل من الآيات المتفرقة في سورها وجمعها فيها بإشارة النبي»[3].

وفي رواية مهمة في هذا المجال، استند فيها السيوطي على الحارث المحاسبي في كتابه، (كتاب فهم السنن) نصها «كتابة القرآن ليست بمحدثة، فإنه كَانَ يأمر بكتابته، ولكنه كَانَ مفرّقاً في الرقاع والاكتاف والعسب، فإنما أمر الصديق بنسخها من مكان إلى مكان مجتمعاً وكَانَ ذلك بمنزلة أوراق وجدت في بيت رسول الله فيها القرآن منتشرٌ، فجمعها جامع، وربطها بخيط حتَّى لا يضيع منها شيء. قال: فإذا قيل، كَيفَ وقعت الثقة بأصحاب الرقاع وصدور الرجال؟ قيل، لأنهم كانوا، يبدون عَنْ تأليف معجز، ونظمٍ معروفٍ، قَدْ شاهدوا تلاوته من النبي عشرين سنة، فكان تزوير ما ليس منه مأموناً، وإنما كَانَ الخوف من ذهاب شيء من صحفه». فرأي السيوطي، يكاد يدعم الفكرة المطروحة المتعلقة بماهية الأسباب التي حدت بالمسلم أن يكّفر أخاه المسلم على اختلاف في زيادة الواو أو نقصانها، في الوقت كَانَ القرآن مؤلفاً زمن رسول الله، وكَانَ زيدٌ من بين آخرين، يؤلف ما أنزله الله تعالى. والأهمُ من كل هذا وذاك، فإن السيوطي بنقله عَنْ المحاسبي ومحاججته البالغة الأهمية عَنْ إعجاز القرآن في النظم واللغة والتلاوة بلسان النبي طيلة مدة بعثته التي حددها بعشرين سنة لذلك، فإن التزوير في متن الكتاب العزيز ولغته وأسلوبه صعبٌ وغير مأمون. ولكن الخوف، كل الخوف، من أن ورقة من هذا القرآن الجامع المربوط بخيط قَدْ تضيع منه صحف ليس إلّا؟. وإن زيد بن ثابت، كَانَ معاصراً، بَلْ ومساهماً في كتابة هذه الأوراق؛ فلماذا إذنْ جعلت مسألة الاختلافات، إن كَانَ بنصيحة حذيفة، أم في

(1) السيوطي، الاتقان، جزء 1 ص 169.

(2) نقلًا عَنْ الحاكم النيسابوري، صحيح جزء 2 ص 249 عند السيوطي ج1 ص 167.

(3) م. ن.

النصوص التي سبق ذكرها قَدْ ساعدت على ظهور الاختلافات أصلاً، ولماذاكلّ هذه الشتائم بين الناس في الأمصار التي بلغت إلى حدٍّ تكفير بعضهم للبعض الآخر؟.

- وفي الوقت الذي سعينا فيه على رأب الصدع بين تلك الروايات المشار إليها في أعلاه، تأتي رواية خزيمة الأنصاري الذي كَانَ له الفضل في معالجة ما افتقده وما أغفله أو ما نسيه من القرآن الذي كَانَ مساهما في (تأليفه)، زيد بن ثابت بشأن نسيانه عدداً من الآيات من سورة التوبة أو آية من سورة الأحزاب التي سبق لنا أن وقفنا عليها في الفصل الأول. والرواية بحسب كلمات خزيمة،هي إنه قال: «أتى بآيتين من آخر سورة براءة وهما ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[1]، جاء بهما إلى عمر. فَقَالَ: من معك على هذا؟ قَالَ: لا أدري والله إلّا إني أشهد أني سمعتها من رسول الله ووعيتها وحفظتها. فَقَالَ عمر: إني أشهد لسمعتها من رسول الله. ثم قَالَ: لَوْ كانتْ ثلاث آيات لجعلتها سورة على حدة. فأنظروا سورة من القرآن فألحقوها بها، فألحقتها في آخر سورة براءة»[2]. وبنفس محتوى هذه الرواية، فَقَدْ وردت بأسلوب آخر، وفي زمن الخليفة عثمان، لا في زمن الخليفة عمر،(وربما هو الأصح) وقد أوردها عيسى بن عبد الرحمن بن حاطب قَالَ: «أراد عمر أن يجمع القرآن، فقام في الناس فقال: من كَانَ تلقّى من رسول الله شيئاً من القرآن فليأتنا... وكَانَ لا يقبل من أحد شيئاً حتَّى يشهد شاهدٌ. فقتل وهو يجمع ذلك فقام عثمان فقال: من كَانَ عنده من كتاب الله شيء فليأتنا به وكَانَ لا يقبل من ذلك شيئاً حتَّى يشهد عليه شاهدان فجاء خزيمة بن ثابت فقال: إني قَدْ رأيتكم تركتم آيتين لَمْ تكتبوها، قالوا وما هي؟ قَالَ: تلقيت من رسول الله ، ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ قَالَ عثمان: فأنا أشهد إنهما من عند الله فأين يا ترى نجعلها؟

---

(1) سورة التوبة آية 128 وآية، (فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم) آية 129؛ ينظر البغوي، أبا محمد، شرح السنة، (دار الفكر، بيروت 1426/ 2005) مجلد 3، ص 283.

(2) الاستيعاب، على هامش كتاب الإصابة، مجلد ص 50-51.

قال: أختم بهما آخر ما نزل من القرآن فختمت بها براءة. فالروايتان تثيران عدة إشكاليات من بينها:

- أنهما تتعارضان تماماً مع رواية زيد بن ثابت، عندما تذكّر ال آية أو الآيتين، فَلَمْ يجدهما إلّا عند خزيمة بن ثابت الأنصاري أو قيل عند والده. وزيد في تلك الفترة زمن الخليفة الأول، لَمْ يشترط على خزيمة شرط الشاهد أو لشاهدين، ذلك، لأنه قَالَ: بأن خزيمة قَدْ نال حظوة من رسول الله، شهادة تعادل شاهدين. كذلك الحال بخصوص الروايتين، فإن عمراً وعثماناً لَمْ يشترطا على خزيمة شرط الشاهدين ولكن لا بعلة كونه قَدْ نال ذلك من رسول الله، إنما بحسب ما قاله عمر، في أنه يشهد بأنها من عند الله تعالى، والتعبير نفسه أخذ به عثمان أيضا. وفي كلا القولين، فإن ذلك يعدّ خرقاً لشرط الشاهدين، فابن عبد البّر، يصف أبا خزيمة قائلاً: أنه قَدْ شهد معركة بدر وما بعدها من المشاهد. وأنه توفي في خلافة عثمان. لكن ابن عبد البّر، يذكر روايةً عَنْ ابن شهاب الزهري عَنْ عبيد بن السباق عَنْ زيد بن ثابت قوله: «وجدت آخر التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري وهو هذا ليس بينه وبين الحارث بن خزيمة وأبي خزيمة الا اجتماعهما في الأنصار، أحدهما أوسي، والآخر خزرجي». فلعل ابن عبد البّر، يهدف إلى توقعه، بأن هناك توهُّماً في التسمية بين خزيمة والحارث بن خزيمة.

- تعارض الروايتين مع القاعدة التي طبقت في مسألة الأخذ برواية أحدٍ من الناس بحسب معيار كونه قَدْ سمع ال آية من رسول الله، ألا وهو معيار الحفظ والكتابة، كما صرّح بذلك، ابن حجرِ العسقلاني. ويعتمد السيوطي على قول السخاوي أيضاً، إِذْ يقول الأخير في كتابه عَنْ القرّاء:إن المراد بالشاهدين على أن ذلك المكتوب كُتِبَ بين يدّي رسول الله أو المراد إنهما يشهدان على أن ذلك من الوجوه التي نزل بها القرآن[1]. وسواء كَانَ تعليق ابنُ حجرٍ في معنى الشاهدين أو السخاوي فإن الذي جاء به خزيمة لا يندرج إلا بكونه قَدْ سمعه من رسول الله، وهذا يمثل وجهاً واحداً. إِذْ أبدى أبو شامة عند

(1) عند السيوطي، الإتقان، جزء1 ص 170.

السيوطي، الغرض من فرض شرط الحفظ والكتابة بقوله: «وكان غرضهم ألا يكتب إلّا من عيّن ما كتب بين يديّ النبي لا من مجرد الحفظ. قَالَ: ولذلك قَالَ في آخر سورة التوبة: لَمْ أجدها مع غيره، أي لَمْ أجدها مكتوبة مع غيره، لأنه كَانَ لا يكتفي بالحفظ دون الكتابة»[1]. والأكثر غرابة في الروايتين، أن خزيمة قَدْ إدّعى أنه سمعها ووعيها وحفظها، لكنه لَمْ يميز أين نزلت، ولا في أية سورة نزلت، فالحقها هو والخليفة بشكل اعتباطي في آخر سورة البقرة. وأن عمر قَالَ: بصورة ارتجالية، أن الآيتين لَوْ أنهما كانتا ثلاث آيات لجعلها سورة كاملة، أهكذا نفهم،أن الله تعالى أنزل القرآن بهذه الشكلية من الاعتباط والاحتمال؟

- كيف لنا أن نُوفّق بين عدم تطبيق عمر بن الخطاب لمبدأ الشاهدين، بالنسبة إلى خزيمة الأنصاري غير القرشي وبين هذه الحالة، ففي كتاب المصاحف، لابن أشته وهو يتحدث عَنْ خزيمة حين قبل زيد بن ثابت، ال آية التي كَانَ زيدٌ قَدْ فقدها خلال جمعه القرآن، بأن «رسول الله جعل شهادته - يعني خزيمة - بشهادة رجلين، وإن عمراً أتى ب آية الرجم، فَلَمْ يكتبها - زيد- لأنه كَانَ وحده»[2]. ففي الوقت، يطبق المبدأ الشرعي في شهادة شاهدين على ما جاء به خزيمة، فضلاً عَنْ أنه قَدْ اعتمد ذاكرته فقط من دون كتابة، يرفض زيدٌ ال آية التي جاء بها عمرٌ ممن شدّد على لغة قريش في كتابة القرآن، برواية هوذة بن خليفة الثقفي، عَنْ عوف العبدي البصري، عَنْ عبد الله ابن فضالة الليثي إذْ قَالَ: «لمّا أراد عمر أن يكتب الإمام، جمع له نفراً من أصحابه وقال: - إذا اختلفتم في اللغة فاكتبوها بلغة مضر، فإن القرآن نزل على رجل من مضر»[3]، وخزيمة الأنصاري، لَمْ يكن قريشياً ولا مضرياً ولا بحسب قول الخليفة عثمان هذلياً ولا ثقفياً[4]؟.

(1) م. ن.

(2) السيوطي، الاتقان، جزء 1 ص 170.

(3) السجستاني، المصاحف، ص 48، 49. ينظر، صحيح البخاري، (حديث 3506، 4984) ص 623، 919.

(4) المصاحف، ص 127.

- تعارض الروايات المتعلقة بخزيمة الأنصاري زمنياً فروايات صحيح البخاري جميعها تزعم بأن ظهوره أول مرة حدث في زمن الخليفة الأول بعد أن «أرسل إليّ زيدٌ مقتل أهل اليمامة أو لمقتل أهل اليمامة وبحسب رواية البغوي، بعثَ إلي» الخليفة خلال أحداث ما عرف بحروب الردة ومعركة اليمامة ضد مسيلمة الكذّاب بشكلٍ أخصّ. وهذه الأحداث ترجع إلى السنة الأولى من خلافته عندما سجلت بعض القبائل العربية في اليمن وخارج الحجاز، موقفها من عملية تنصيب الخليفة ومن عملية جمع الزكاة. أما ظهور خزيمة ثانية، فكان زمن خلافة عمر بن الخطاب، حينما عزم على جمع القرآن، وهذا الحدث ليس بوسعنا تحديده لطول مدة خلافته من جهة، ولأنه حدثٌ لَمْ يذكر كثيراً ضمن المراحل التاريخية التي قدّرت من قبل العلماء لجمع كتاب الله العزيز. فالحاكم النيسابوري في كتابه **المستدرك** يقول: بأن جمع القرآن مرّ في ثلاث مراحل: أولها بحضرة النبي وبسند على شرط الشيخين، وثانيها واعتماداً على صحيح البخاري بحضرة الخليفة أبي بكر، وثالثها في ترتيب السور زمن عثمان بسند يرجع إلى الزهري، وأنس بن مالك في صحيح البخاري[1]. فَلَمْ يكن متفقاً عليه بسند شرط الشيخين، أن هناك جمعاً رابعاً حدث زمن عمر بن الخطاب. وبعكس هذا، فإنه جاء إلى زيد بن ثابت ب آية الرجم، لكن زيداً، لَمْ يقبلها لغياب الشرط الشرعي وهو وجود شهادة شاهدين.

أما الزمان الثالث، الذي ظهر فيه خزيمة الأنصاري، فكان في فترة خلافة عثمان. والمناسب ذكره، أن الأنصاري قَدْ توفي زمن الخليفة عثمان من دون تحديد سنة وفاته. بمعنى أن خزيمة، وهو في أواخر عمره يتذكر، بأنه كَانَ يعي ويحفظ آيتين من سورة التوبة، فعرضهما على الخليفة. أليس من المحتمل جداً أن يكون في أواخر عمره، قَدْ أراد التقرب من عثمان، والحصول على هدية من أمثال الهدية، (10 آلاف) التي أهداها الخليفة من بيت مال المسلمين إلى أبي هريرة في الرواية التي

---

(1) ينظر، صحيح البخاري، (حديث 3506، 4984) صفحات 623، 919؛ الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، (دار المعارف بيروت 1418هـ/ 1998) جزء 2 ص 603.

أشـرنا إليها سـابقاً؟ أليس من المحتمل جداً،أن تكون شخصية خزيمة أو أبو خزامة بن أوس بن أصرم أو والد خزيمة أو الحارث بن خزيمة، قَدْ فُرِضَت فرضاً في رواية زيد بن ثابت؟ والفقرة التالية، مصداقٌ لما نعتقده صحيحاً.

- ومن أجل الجدال في مسألة خزيمة، نبدأ بما ذكره أبن عبد البّر، في الاستيعاب، ما نصّه «إن أبا بكر أمره -أمر زيداً بحسب رواية ابن السباق- في حين، مقتل القرّاء باليمامة بجمع القرآن، قَالَ: فجعلت أجمع القرآن من العَسَب والرقاع وصدور الرجال، حتَّى وجدت آخر آية التوبة مع رجل يقال له خزيمة أو أبو خزيمة، وقالوا: فلو كَانَ زيدٌ قَدْ جمع القرآن على عهد رسول الله لأملاه من صدره وما احتاج إلى ما ذكر»[1]. وللبغوي في شرح السنّة محاججة أخرى مهمة، إذْ يقول «لكن قول زيد، أنه لَمْ يجدها مع أحد إلّا خزيمة، ليس فيه أثبات القرآن، بقول الواحد، لأن زيداً كَانَ قَدْ سمعها، وعلم موضعها، من سورة الأحزاب بتعليم النبي وغيره من الصحابة فمنهم من نسيها، فلما سمع ذكرها، وتتبعه الرجال في جمعه كَانَ للاستظهار، لا لاستحداث العلم. وَقَالَ الرسول: (استقرئوا القرآن من أربعة عبد الله بنمسعود، وسالم مولى حذيفة، وأُبي، ومعاذ بن جبل) فثبت أن القرآن، كَانَ مجموعاً محفوظاً كلّه في صدور الرجال، أيام النبي مؤلفاً هذا التأليف إلّا سورة براءة»[2].

ثم يعقب البغوي على ما سلف من قصة خزيمة قائلاً: «فثبت أن سعي الصحابة، كَانَ في جمعه في موضع واحد، لا في ترتيبه، فإن القرآن مكتوباً في اللوح المحفوظ علـى الترتيب الذي هو في مصاحفنا. أنزله الله تعالى جملة واحدة في شـهر رمضان في ليلة القدر إلى السماء الدنيا. فترتيب النزول غير ترتيب التلاوة»[3].

---

(1) الاستيعابُ على هامش كتاب الإصابة لابن حجر العسقلاني، (طبعة أولى 1328هـ)، مجلد 4، ص 50-51.

(2) البغوي؛ شرح السنة، مجلد 3، ص 284.

(3) ن. م. مجلد 3، ص 287.

المبحث الثاني
محاولة لحلّ المعضلة

نشـدنا في المباحث الثلاثة السـابقة التطـرّق إلى ما قدّمه منهـج البحث العلمي، لتحليـل وتفكيـك الإشـكاليات العلميـة المعروضـة، سـواءاً كَانَ ذلك فيمـا يتعلق بالجوانب العلمية البحتة، أم في علومنا الإنسانية بصورة عامة والمرويات التاريخية بشـكل خاص،والروايات المقدسـة بشـكل أخصّفـي رواية جمع القـرآن على وجه التحديـد. فاسـتطردنا أحياناً بما له علاقـة بالمنهج التحليلي، واقتضبنـا حيناً وبما له علاقـة بالتجذير التاريخي لهذه الرواية المقدسـة في جمـع القرآن أو تلك. وخلصنا في تلك المباحث إلى النقاط الأساسية الآتية:

- هيمنة التعارضات والتناقضات في الروايات الفردية التي اعتمدت على هذا السند أو ذاك فيما بينها إلى درجة يخيل للباحث سيادة عنصرٍ عدم موضوعية أو مصداقية عددٍ منها لتضاربه معَ حقيقة المشهد التاريخي لزمانية وكيفية وخصوصية هذه الرواية أو تلك. إذْ بينما تنطق الروايات التأسيسية للصحابي زيد بن ثابت، على أن الخليفة الأول، أرسل إليه (أو بعث إليه) ليجمع القرآن الكريم أو نسخ الصحف بالمصاحف كَانَ هو نفسه(كما يلمّح بذلك خطاب الخليفة وعمر) من بين الكتّاب الذين اعتمد عليهم رسول الله في تأليف الكتاب العزيز؛ والأكثر من ذلك كَانَ من بين الذين حفظوا القرآن ووعّوه بشكل مباشر، اعتماداً على صحيح البخاري وعلماء الرجال، من النبي عليه أفضل الصلاة والسلام. من الجانب الآخر إذْ بينما كَانَ زيد، وباعتراف الخليفة الأول وَعُمَر بن الخطاب من الشباب العقلاء وممن لَمْ ينهمك(أو حسب رواية لَمْ يُتّهم) في محاباة سياسية أو ميلية - بمعنى أنه كَانَ لا يميل إلى هذا الصحابي وبالأخص الإمام علي أو إلى الصحابي عبد الله بن مسعود

- ومن الذين كتبوا القرآن- نجده من جانب آخر، يفتقد أو ينسى آيات من كتاب الله، آيتان من التوبة و آية من الأحزاب. وبدافع شخصي، أنه كَانَ لا يريد أو لا يحبذ إشراك شيوخه، من كتّاب الوحي كالإمام وابن مسعود، وأبيّ أخذ يبحث في مسعاه على مواد تثير الشبهة، وهي بالتالي غير موضوعية كأكتاف الإبل، والماعز، أو الرقاع، أو العَسَب أو اللخاف، لتتبع الآيات الكريمة أو من صدور الرجال. لكن من أي الرجالذلك لَمْ يكشف عَنْ ذلك لا هو ولا الخليفة وعمر؟ ويقينا إنه لَمْ يلجأالى الذين حفظوا القرآن ناسخه ومنسوخه، ومتشابهه ولا من الذين اقرأهم رسول الله أكثر من سبعين سورة من فيه عليه الصلاة والسلام، إنما من رجلٍ اسمه باعتراف زيد بن ثابت، والخليفة عمر بن الخطاب، والخليفة عثمانَ،نظير خزيمة؛ إِذْ لَمْ يجد زيداً آيات التوبة والأحزاب إلا مع خزيمة. وعندما نرجع إلى كتاب محمد بن سعد البصري، الذي كتب في طبقات المهاجرين والأنصار والتابعين وتابعيهم، لَمْ نعثر على معلومة عَنْ خزيمة هذا ووجدنا محمد بن سعد، يخصّ أخاه مسعود بن أوس. أما هو، فإن هناك خبراً من ثلاثة أسطر عَنْ صحابي، هو أبو خزيمة بن أوس بن زيد بن أصرم الذي شهد بدراً وأحداً والخندق والمشاهد كلّها مع رسول الله وليس له عقب[1]. فالصحابي زيد بن ثابت لَمْ يكن يميّز بين الصحابي خزيمة أو أبو خزيمة، فكَيفَ علم، بأن شهادته تعادل شهادتين. ولعل الصحابي زيد، قَدْ أغفل أمراً مهماً بالنسبة إلى أبي خزيمة وهو شهادته مع مجموعة من الصحابة الأنصار، بأن رسول الله قَدْ أعلن في بيعة غدير خم عَنْ تنصيب علي ولياً من بعده. وعندئذ صار خزيمة من الذين شهدوا ببيعة الرسول للإمام فحمل عندئذ شرف الشهادتين[2]. فيذكر سليم بن قيس الهلالي في الرايات، وهو أول مصنفٍ وصل إلينا من القرن الأول الهجري، إِذْ ان مؤلفه قَدْ توفي في سنة 76هـ/ 695م، عَنْ موضوع بيعة الغدير(غدير خم) ومن شهد مشهدها ووثّق خطبة رسول الله من المهاجرين والأنصار، قَالَ:

---

(1) محمد بن سعد، الطبقات الكبرى، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت 1417هـ/ 1996 جزء 3 ص 256.

(2) ينظر سليم بن قيس الهلالي، الرايات، (تحقيق الشيخ محمد باقر الأنصاري الزنجاني، طبعة أولى، قم - إيران 1415هـ، (3) أجزاء جزء 2 ص 760- 761؛ وينظر ج1 ص 294.

«وقام من الاثني عشر- نقيباً أنصارياً- أربعة: أبو الهيثم بن التيهان، وأبو أيوب الأنصاري، وعمار بن ياسر، وخزيمة بن ثابت ذو الشهادتين، فقالوا: نَشهدُ أنّا قَدْ سمعنا قول رسول الله وحفظناه أنه قَالَ: يومئذ وهو قائم وعلي إلى جنبه ثم قَالَ:رسول الله: - يا أيها الناس، إن الله أمرني أن أنصّب لكم إماماً ووصياً يكون وصي نبيكم فيكم وخليفتي في أمتي وفي أهل بيتي من بعدي والذي فرض الله على المؤمنين في كتابه طاعته وأمركم فيه بولايته. فراجعت ربي خشية طعن أهل النفاق وتكذيبهم فأوعدني لأبلغها أو ليعذبني. ثم قَالَ رسول الله: - أيها الناس، إن الله جلّ أسمه، أمركم في كتابه بالصلاة، وقد بينتها لكم وسننتها، وبالزكاة والصوم والحج، فبينتها وفسّرتها لكم وأمركم في كتابه بالولاية، وإني أشهدكم أيها الناس أنها خاصة لعلي بن أبي طالب والأوصياء من ولدي وولد أخي ووصيي، علي أولهم ثم الحسن ثم الحسين ثم تسعة من ولد الحسين ابني، لا يفارقون الكتاب ولا يفارقهم حتّى يردوا عليّ الحوض. يا أيها الناس، إني قَدْ أعلمتكم مَفْزَعكم وإمامكم بعدي ودليلكم (أو ووليكم) وهاديكم، وهو أخي علي بن أبي طالب...فقلّدوه وأطيعوه في جميع أموركم، فإن عنده جميع ما علّمني الله وأمرني الله أن أعلّمه إياه وأعلمكم أنه عنده». فضلاً عَنْ أن خزيمة بن ثابت، كَانَ من بين المصادر التي أخذ سليم الهلالي رواياته عَنْ السيرة النبوية، وعن الإمام علي. كَيفَ إذنْ يجهل الصحابي زيد بن ثابت، اسم رجل تشهد المواقع كلّهاإنه كَانَ صحابي مع رسول الله، ولربما كَانَ له مصحفاً أسوة بباقي صحابة رسول الله.

- فرسول الله قَدْ ذكر عدّة مرّات كتاب الله مذكّراً الصحابة الذين حضروا خطابه الشريف، ألا يعني هذا إن الكتاب، كتاب الله، كَانَ محفوظاً في صدور من استمع خطبته في حجة الوداع وقد أقرن عليه الصلاة والسلام الكتاب بتبيّنه الصلاة والزكاة والصوم والحج وتفسيرها وتوضيح سننها.
- التضارب بين النصوص في صحيح البخاري وغيره من كتب الصحاح والمسانِد بالنسبة إلى الدافع الذي دفع بالخليفة الأول، وَعُمَر بن الخطاب في جمع القرآن أو نسخ الصحف في المصاحف وبين الأحاديث النبوية التي تبين بشكل واضح لا لبس ولا غموض فيه من أن القرآن، كَانَ موجوداً في عهد

النبي مكتوباً خلا سورة براءة. ويصرّح الحاكم النيسابوري في المستدرك، أن أول جمعٍ للقرآن كَانَ «بحضرة النبي». فضلاً عما ورد من رواية عَنْ الصحابي أنس بن مالك، حينما سُئِلَ عَنْ مسألة جمع القرآن: - من جمع القرآن على عهد الرسول. فقال: - أربعة كلّهم من الأنصار، أبيّ بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد [كذا وردت ولعلها أبو عبيدة]: وفي رواية أخرى يضاف أبو الدرداء[1]. وفي حديث لرسول الله «استقرئوا القرآن من أربعة عبد الله بن مسعود، وسالم مولى حذيفة، وأبيّ بن كعب، ومعاذ بن جبل»[2]. ويضيف البغوي إلى هذه الروايات رواية ختامية يقول فيها» فثبت أن القرآن على هذا التأليف والجمع في زمان النبي ويشبه أن يكون النبي إنّما ترك جمعه في مصحف واحد، لأن النسخ كَانَ يرد على بعضه ويرفع الشيء من تلاوته كما ينسخ بعض أحكامه، فلو جمعه ثم رفعت تلاوة بعضه أدّى ذلك إلى الاختلاف واختلاط أمر الدين، فحفظه الله في القلوب إلى انقضاء زمان النسخ)[3].

- الإهمال الذي قَدْ يبدو مقصوداً في دعوة الخليفة وَعُمَر بن الخطاب، الصحابي زيد بن ثابت من الإشارة إلى: -
- إن زيداً كَانَ قَدْ ألّف القرآن زمن الرسول. فضلاً عَنْ أنه قَدْ جمع مصحفاً أيضاً فيتحدث ابن عبد البّر عَنْ راية بني النجار في يوم تبوك كانتْ أولاً مع عمارة بن حزم لكن رسول الله أخذها «فدفعها لزيد، فَقَالَ: يا رسول الله أبلغك عني شيء. قَالَ: لا ولكن القرآن مقدم وزيد أكثر منك أخذا للقرآن)[4]. ونقل ابن عبد البّر قول ابن عباس: «لقد علم المحظوظونمن أصحاب محمد، أن زيداً كَانَ من الراسخين في العلم»[5].
- كان لصحابة الرسول ممّن هم في نصّ قولالرسول قَدْ جمعوا القرآن وكتبة وحيه، كابن مسعودٍ، وأبيّ بن كعب، فَلِمَلَمْ يذكروا في مسألة جمع القرآن؟

(1) البغوي، شرح السنة، مجلد 3، ص 283-284.
(2) ن. م. ص 284.
(3) ن. م. ص 285.
(4) الاستيعابُ على هامش كتاب الإصابة، جزء ص 561، (أو إن زيداً أكثر منك أخذاً للقرآن).
(5) ن. م. جزء 1 ص 562.

وكَانَ هؤلاء في المدينة، لأن الأمصار لَمْ تكن قَدْ أسست بعد. هذا فضلاً عَنْ ما أورده السجستاني، أن لابن عباس مصحفاً وأن لعائشة زوج النبي مصحفاً، وأن لحفصة بنت عمر بن الخطاب زوج النبي مصحفاً، وأن لأم سلمة زوج النبي مصحفاً، وأن لعبد الله بن عمرو بن العاص، وعبد الله بن الزبير مصحفاً. كَانَ المفروض أن يشار إلى هذه المصاحف، ومدى استشارتها من قبل زيد بن ثابت.

- كما أن الخليفة أبا بكر، يعلم تماماً العلم، أن الإمام علي قَدْ تجرَّد في منزله لجمع مصحفاً أتى به بعد إنجازه على جمل معلناً في مدينة رسول الله، وأمام أصحاب الرسول، أن هذا هو القرآن قَدْ جمعه من صدره وحفظه. ووصف بأن الجمع قَدْ اشتمل على الناسخ والمنسوخ، وأن سورة براءة (التوبة) كانتْ في آخر جزء من أجزائه السبع. فالسورة موجودة في القرآن الذي جمعه الإمام ومن الممكن جداً الاستعانة بها، إن كانتْ قَدْ اشتملت على آية بسم الله الرحمن الرحيم ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾آية 128 وال آية اللاحقة. أو إن كانتْ في سورة الأحزاب آية بسم الله الرحمن الرحيم ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ آية 23، وهي في القرآن الذي جمعه الإمام في جزئه الثاني.

- وعلى وفق ما جاءت روايات البخاري في صحيحه وصارت مصدراً لكلٍّ من ألّف عَنْ هذا الموضوع، فإن السبب الذي دفع عمر بن الخطاب أن ينصح الخليفة في جمع القرآن، هو مقتل أهل اليمامة قائلاً: «وإني أخشى أن يَستَحرّ القتل بالقرّاء في المواطن، فيذهبُ كثيرٌ من القرآن، إلا أن تجمعوه، وأني لأرى أن تجمع القرآن»[1]. فلماذا كَانَ لمعركة اليمامة هذا الأثر؟ وأن الكتاب (القرآن) لمجموع كلّه في عهد الرسول، لكن غير مجموع في موضع واحد ولا مرتّب السور كما يقول السيوطي[2]. واعتماداً على الحارث المحاسبي

(1) صحيح البخاري، (حديث 4679، 4986، 4988، 4989، 7191، 7425) صفحات 828؛ 920، 921، 1269، 1308.

(2) الاتقان، ج1، ص 167.

عند السيوطي قوله: «كتابة القرآن ليست بمحدثة، فإنه كَانَ يأمر بكتابته، ولكنه كَانَ مفرّقاً في الرقاع والأكتاف والعَسَب، فإنّما أمر الصديق بنسخها من مكان إلى مكان مجتمعاً، وكَانَ ذلك بمنزلة أوراق وجدت في بيت رسول الله فيها القرآن منتشر، فجمعها جامع، وربطها بخيط حتَّى لا يضيع منها شيء»[1]. لذلك نرى بأن معركة اليمامة ليست واردة في هذا المجال، وإن كلّ ما قام به زيد بن ثابت، هو نسخ هذه الأوراق المتفرقة المربوطة بخيط خوفاً من ضياعها أو ضياع ورقة منها وكانت موجودة في منزل الرسول.

وفي النصّ السابق إشارة إلى ما أثاره الصحابي زيد من صعوبة في إداء مهمة كريمة في جمع القرآن قائلاً: «فو الله لَوْ كلفوني نقل جبل من الجبال ما كَانَ أثقل عليّ مما أمرني به من جمع القرآن»[2] لماذا هذه المعاناة؟. وقوله الذي ذكرناه في أعلاه بحسب كلمات الحاكم النيسابوري «كنا عند رسول الله نؤلف القرآن من الرقاع»[3]، وكقول رسول الله لعمارة بن حزم عندما أخذ راية تبوك منه وسلّمها إلى زيد بن ثابت، فاستفسر عمارة أإن ذلك مبلّغاً قَالَ الرسول: (لا ولكن القرآن مقدم وزيد أكثر منك أخذاً للقرآن)[4].

فيقول: زيد لهما بعد ذلك «قلت كَيفَ تفعلون شيئاً لَمْ يفعله رسول الله؟ قَالَ: (يعني أبو بكر) هو والله خير (فلم يزل أبو بكر يراجعني حتَّى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر عمر ما). ألا يجد القارىء الموضوعي تناقضاً واضحاً بين جميع الروايات أعلاه التي تفيد قطعاً علاقة الصحابي زيد الحميمة مع القرآن الكريم. ثم ألم يكن الصحابي أنس بن مالك قَدْ أجاب عَنْ سؤال وجهه إليه أحد المسلمين عَنْ جمع القرآن بالذات فأجاب الذين جمعوا القرآن أربعة كلّهم من الأنصار وكَانَ زيد من بين هؤلاء الأربعة.

* * *

(1) ن. م. ج1، ص 170-171.

(2) صحيح البخاري، (حديث 4986) ص 920.

(3) الحاكم النيسابوري، ج2 ص 249؛ السيوطي، الاتقان، ج1 ص 167.

(4) ابن عبد البر؛ الاستيعاب على هامش كتاب الإصابة، جزء1، ص 553.

الموضـوع الآخـر، الذي نود إثارته في هذا الإجمال الشـامل للمباحث السـابقة وله علاقة بمنهج البحث العلمي، أن العلماء المسلمين قَدْ دشّنوا معايير المحاججة والجـدل أيضاً في هذا الميدان من الرواية المقدسـة وبالأخـص رواية جمع القرآن. وهنـاك أمثلة مهمـة جداً،تعبّر بوضوح، أن العالم الفلاني قَدْ شـكك في رواية كانتْ مقبولة وشـائعة. فابن عبد البّر على سبيل المثال، يبدي رأياً في الرواية المتعلقة بأبي خزيمة الأنصاري، إِذْ يورد رواية ابن شـهاب الزهري، عَنْ عبيد بن السـباق، عَنْ زيد بـن ثابت، بأنه وجد آخر سـورة التوبة مـع أبي خزيمة. فيتدخل ابن عبـد البّر ليقول: «وهـو هـذا ليـس بينه وبين الحـارث بن خزيمـة، وأبـي خزيمـة، إلا اجتماعهما في الأنصار، أحدهما أوسـي والآخر خزرجي»[1]، وأحسـبه في هذا التعقيب والتوضيح يـردّ علـى رأي كَانَ مطروحـاً بالنسـبة إلى أبي خزيمـة صاحب آية من سـورة التوبة. ولابـن حجر العسـقلاني، كما ورد في أعلاه، تعقيبٌ يتعلق باسـم أبـي خزيمة يذكر فيه أن أبن حبان البسـتي جعل الاسـم أبو خزّامة (وليس خزيمة) في الصحابة، لكن وجدته في النسـخة التي بخط الحافظ أبي بكر، بياء بدل الألف، قَالَ أبو خزيمة: وما أظنه إلا من فساد النسخة التي نقل منها»[2].

وفيما يتعلق بمسـألة الراية في تبوك التي كانتْ مع عمارة بن حزم أولاً ثم أخذها منه النبي ودفعها إلى زيد يقف ابن عبد البّر من هذه الرواية موقف الشـك، إِذْ يقول: مـا نصّه «وهذا عندي خبر لا يصحّ والله أعلـم»[3]. والأهم من ذلك المحاججة التي مارسـها، ابـن عبـد البّر وآخرين فـي رواية جمع القـرآن، فيبين ابن عبـد البر، موقفه فيذكـر بالنسـبة إلـى حديـث أنـس بن مالـك القاضي، بـأن زيد بـن ثابـت، هو أحد الذيـن جمعـوا القرآن على عهد رسـول الله مـن الأنصار، فهو حديـث صحيح، غير أن قومـاً مـن العلمـاء عارضوا هذا الـرأي معتمدين على حديث الزهـري في روايته عَـنْ عبيـد بن السـباق، التي جـاء فيها أن أبا بكر، هـو الذي أمر زيـداً «في حين مقتل القـرّاء بجمـع القرآنباليمامة»، فذكر في هـذه الرواية، أن زيداً قَـالَ: «فجعلت أجمع

---

(1) ن. م. على هامش كتاب الإصابة لابن حجر العسقلاني جزء 4 ص 51.

(2) ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين: الإصابة في تمييز الصحابة (طبعة أولى 1328هـ) جزء4 ص 52.

(3) الاستيعاب على هامش كتاب الإصابة، جزء 1 ص 553.

القرآن من العَسَب والرقاع وصدور الرجال، حتّى وجدت آخر آية من التوبة مع رجلٍ يقال له خزيمة أو أبو خزيمة»، وهاهنا يقف ابن عبد البّر، محاججاً فيقول: «قالوا فلو كَانَ زيدٌ قَدْ جمع القرآن على عهد رسول الله، لأملاه من صدره وما احتاج على ما ذكر. قالوا وأما خبر جمع عثمان للمصحف، فإنما جمعه من الصحف التي كانتْ عند حفصة من جمع أبي بكر»[1]. فابن عبد البّر في هذين التعليقين، يكون قَدْ وصل إلى نتيجة متباينة مع الروايتين المتفق عليهما في صحيح البخاري. فهو من جانب، ضعّف الرواية، التي تزعم أن الخليفة الأول، وَعُمَر بن الخطاب، قَدْ أمرا زيداً بجمع القرآن مستنداً على موضوع مهم وهو، أن زيداً كَانَ قَدْ جمعه في عهد الرسول الكريم، فكَيفَ إذنْ يجمعه في عهد أبي بكر من اللخاف والعَسَب والرقاع. كما أن ابن عبد البر، عرض جدلاً منطقياً بالنسبة إلى الرواية التي تفيد، بأن عثمان قَدْ جمع القرآن. فبحسب الروايات التي جئنا عليها سابقاً، أنه حينما فكّر في مشكلة الاختلافات، طلب من زوج الرسول حفصة، أن تسلّمه النسخة التي قام زيد بنسخ الصحف في الصحائف فنسخها ليس إلّا.

أما أبو محمد البغوي، (المتوفى سنة 516هـ/ 1122م) فَقَدْ حاجج رواية جمع القرآن بشكل أكثر حسماً، إذْ يُعلّق على رواية الزهري +عبيد بن السباق وافتقاد زيد ل آية في سورة الأحزاب، فيقول: «لكن قول زيد إنه لَمْ يجدها مع أحد إلا خزيمة ليس فيه إثبات القرآن بقول الواحد، لأن زيداً كَانَ قَدْ سمعها، وعلم موضعها من سورة الأحزاب بتعليم النبي وغيره من الصحابة»[2]، ثم يدلي البغوي برواية انس بن مالك قوله أن الذي جمع القرآن في عهد الرسول كانوا أربعة وأن زيداً أحدهم. وبالنتيجة يختم البغوي رأيه بقوله: «فثبت أن القرآن كَانَ مجموعاً محفوظاً كله في صدور الرجال أيام النبي، مؤلفاً هذا التأليف إلا سورة براءة»[3].

وبخصوص الجمع خلال خلافة كلٍّ من أبي بكر، وعثمان، فيدلي البغوي برأيٍ قاطعٍ مفاده بما عبّر عنه بقوله» البيان الواضح،إن الصحابة م قَدْ جمعوا بين الدفتين،

---

(1) الاستيعاب على هامش كتاب الإصابة، جزء1، ص 553-554.

(2) البغوي، شرح السنة، مجلد 3، ص 283-284.

(3) م. ن. مجلد 3، ص 284.

القرآن، الذي أنزله الله تعالى من غير أن زادوا فيه أو نقصوا منه شيئاً. والذي حملهم على جمعه، ما جاء بيانه في الحديث، وهو إنه كَانَ مفرقاً في العَسَب واللخاف وصدور الرجال، فخافوا ذهاب بعضه، بذهاب حفظته ففزعوا فيه إلى خليفة رسول الله ودعوه إلى جمعه فرأى في ذلك رأيهم، فأمر بجمعه في موضع واحد باتفاق جميعهم، فكتبوه كما سمعوا من رسول الله من غير أن قدّموا شيئاً أو أخروا أو وضعوا له ترتيباً، لَمْ يأخذوه من رسول الله. وكَانَ رسول الله يلقّن أصحابه ويعلمهم ما ينزّل عليه من القرآن على الترتيب الذي هو الآن في مصاحفنا لتوقيف جبريل إياه في ذلك وإعلامه عند نزول كلِّ آية أن هذه ال آية تكتب عقيب آية كذا في السورة التي يذكر فيها كذا»[1].

ولم يكتف البغوي في تشديده على هذه النتيجة التي تخالف تماماً النتائج التي قدّرتها رواية الزهري عَنْ عبيد بن السباق ومحتوياتها فَقَالَ: «فثبت أن سعي الصحابة، كَانَ في جمعهم في موضع واحد لا في ترتيبه، فإن القرآن كَانَ مكتوباً في اللوح المحفوظ على الترتيب الذي هو في مصاحفنا. أنزله الله جملة واحدة في شهر رمضان ليلة القدر إلى السماء الدنيا»[2].

وللبغوي موقف من أن زيداً قَدْ شهد العرضة الأخيرة للقرآن، لذلك تسمى قراءة زيدٍ. لكن البغوي، يرى أن قراءة عبد الله بن مسعود، هي آخر القرائتين، وإن ابن مسعودٍ هو الذي شهد العرضة الأخيرة[3].

مشكلة اختلاف القراءات:

مرّ بنا سابقاً،بأن عملية جمع القرآن، قَدْ مرّت في ثلاث مراحل، أولها في عهد رسول الله، والمرحلة الثانية، زمن الخليفة الأول، وهي عملية نسخ الصحف التي وجدت في منزل الرسول الكريم إلى الصحائف التي عهدت إلى الخليفة عمر بعد وفاة الخليفة الأول والذي بدوره تركها عند ابنته زوج الرسول حفصة في الوقت

(1) ن. م. ص 286.

(2) ن. م. ص 287.

(3) ن. م. ص 288، 604.

الـذي ذكر فيها السجستاني في كتابه المصاحف، أن هناك مصحفاً باسم عمر وهو مصحف عمر بن الخطاب، إِذْ وردت رواية عَنْ أَبّان بن عمران النخعي الذي تحدّث مع عبد الرحمن بن الأسـود قائلاً له: «أنك تقرأ الفاتحة صراط الذين أنعمت عليهم غيـر المغضـوب عليهم وغير الضالين» فأجابه إن والده وكَانَ ثقةً قَدْ حدثّهُ أنه سـمع عمر يقرأها»[1]. كذلك روى عبد الرحمن بن الأسود عَنْ أبيه أن عمر بن الخطاب كَانَ يقرأ في سـورة آل عمران بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾[2] وال آية في القرآن الكريم ﴿ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾. فهل هذا يعني، أنّ الخليفة قَدْ اعتمد على النسخة، التي نسخها زيد بن ثابت، الموجودة في منزل ابنته وتضم هذه القراءة؟

والمهـمُ إن الدوافـع التـي اعتمدتهـا رواية الزهري + ابن السـباق التـي اعتمدها البخـاري فـي صحيحه وفي جميع الروايـات المتعلقة بذلك الأمـر، كانتْ مقصورة على ما أفرزته معركة اليمامة من نتائج في مقتل القرّاء بشكل مطلق وَلَمْ يكن العامل الذي حفّز الخليفة، وَعُمَر بن الخطاب في تجنيد زيد بن ثابت لجمع القرآن اختلاف القراءات أو اختلاف الناس في قراءة القرآن على وفق القراءات السبعة، التي كانتْ متّبعة. إِذْ يقول البغوي[3]: «إن الصحابة كانوا يقرأون القرآن بعد رسـول الله بحسـب الأحرف السبعة، التي أقرأهم رسول الله بإذن الله»[4].

ودافـع مقتـل القـرّاء في معركـة اليمامـة، لا يتماهـى والعامل الذي حـثّ الإمام علـي الاعتـكاف في منزله مـدة ثلاثة أيام لجمع القـرآن اعتماداً على ما لقنه رسـول اللهو حفظـه لمـا أنـزل الله تعالى على رسـوله الكريم إنـه قَدْ تطير بعد وفاة الرسـول الأكـرم، مما أخذ الناس فـي المدينة يزيدون أوينقصون في كتـاب الله العزيز. وهذه أمور واقعية جداً،لأن المسلمين تعوَّدوا على القراءة بحسب الأحرف السبعة. فيبدو أن تطيـر الإمام جاء بسـبب الزيـادة في الاختلافـات، فعزم على أن يضـع حدّاً لهذه المعضلة في زيادة القرآن أو في نقصانه.

---

(1) ن. م.
(2) سورة آل عمران آية، 1، 2؛ المصاحف، ص 160، 162.
(3) شرح السنّة، مجلد 3، ص 287.
(4) شرح السّنة، مجلد 3، ص 287.

وواقـع الحـال، فـإن الرواية التـي ذكرها البغوي فـي أعلاه من أن القـرآن ظلّ يقرأ فـي المدينة، وغيرها مـن المناطق أنذاك، أي بعد وفاة رسـول الله، على وفق الأحرف السـبعة إلـى «أن وقع الاختلاف بيـن القرّاء زمن عثمان وعظم الأمـر فيه»[1]. فالبغوي مـن جانـب، يتعارض تماماً مع وصلت إليه روايته في نهايـة المطاف، فالقرآن كَانَ في عهد رسول الله يقرأ بحسب الأحرف السبعة، فهل معنى ذلك أنه لَمْ يحدث، وَلَمْ يظهر أي اختلافٍ بين صحابة الرسـول الأكرم، وإنها حدثت خلال خلافة عثمان على وجه الخصوص، اسـتناداً إلـى الروايات التي قدّمناها سـالفاً؟ الجواب على هذا التسـاؤل بالنفي. فالاختلاف في القراءات كانتْ موجودة في عهد رسـول الله ، طبعاً على نطاق مدينة الرسول وأبّان حياته الكريمة، وكَانَ بالأحرى يجيزها ذلك، لأن القرآن نزل على سبعة أحرف. وفي أدناه مجموعة من النصوص التي تؤكد ذلك، وإن هذه الاختلافات، قَدْ تمّ عرضها على النبي الأكرم وحدّد موقفه منها.

وفيما يلي النصوص المتعلقة بذلك:

- روايات تخصّ عمر بن الخطاب: -
- عن ابن شهاب الزهري، عَنْ عروة عَنْ عبد الرحمن بن عبد القارىء، أنه قَالَ: «سمعت عمر بن الخطاب يقول: سمعت هشام بن حكيم بن حزام، يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرأها، وكَانَ رسول الله اقرأنيها، فكدت أن أعجل عليه، ثم أمهلت حتَّى انصرف ثم لببته بردانه، فجئت به رسول الله فقلت: - إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على غير ما اقرأتنيها، فَقَالَ: رسول الله (اقرأ) فقرأ القراءة التي سمعته يقرأ. فَقَالَ رسول الله (هكذا أنزلت) ثم قَالَ لي: - (اقرأ) فقرأت فَقَالَ (هكذا أنزلت). إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقرأوا ما تيسر منه»[2]. وواقع هذه الرواية يعكس تماماً، أن عمر بن الخطاب لَمْ يكن قَدْ سمع أحاديث الرسول بهذا الشأن. فالقراءة على سبعة أحرف، قَدْ بيّنها رسول الله لأصحابه في عدة مجالات. فضلاً عَنْ هذا، فإن التصرُّف الخشن الذي قام به عمر»فكدت أن أعجل عليه، ثم أمهلتُ حين انصرف ثمّ

(1) ن. م. مجلد 3، ص 287.

(2)) ينظر البخاري؛ صحيح، حديث 4992؛ البغوي م. ن.

لببته بردائه، فجئت به رسول الله......الخ «بمعنى أن يضربه أو ربما يقتله أو غير ذلك من الإجراءات غيرالمُنصفة إزاء الصحابي هشام بن حكيم الذي كَانَ متأكداً من قراءته. وَلَمْ يُفَوِّتْ عمر بن الخطاب الفرصة، فإنه يجرّه إلى حيث يجلس رسول الله. إذنْ فإن ما شهده حذيفة بن اليمان، وهو يوضح للخليفة عثمان أوجهاً من اختلاف الناس أثناء غزوته في أرمينية وأذربيجان، فربما خطّأ المسلم الآخر أو كفّره، وحينما انتشر الكلام السيء بين الناسوقَدْ مُورِسَت من قبل عمر بن الخطاب في عهد رسول الله. وهناك نقطة أخرى مهمة في هذه الرواية، ألا وهي القول، بأنه»سَمِعتُ هشام يقرأ سورة الفرقان..»[1]. فهل يعني جميع السورة التي تبلغ عدد آياتها سبع وسبعون آية، أم آيةً واحدة أم أكثر؟ علماً بأن المصلي دائماً لا يقرأ السورة كاملة، إنّما كَانَ مقطعاً منها. المهم إن هذه الرواية مُتَّفَقٌ على صحتها، وأخرجها البخاري في صحيحهومسلم في صحيحه عَنْ مالك بن أنس، كما أشار البَغَويُ.

- هناك رواية في صحيح البخاري برقم 5993، ينقل فيها عَنْ هشام بن يوسف: أن ابن جريج أخبرهم. وأخبرني يوسف بن ماهك قال: «إني عند عائشة أم المؤمنين، إِذْ جاءها عراقي، فَقَالَ: أيُّ الكفن خيرٌ؟ قالت: وَيحكَ وما يَضُرُّكَ. قال: يا أم المؤمنين، أريني مصحفك، قالت: لم؟ قال: لعلي أولّفُ القرآن عليه، فإنه يقرأ غير مؤلِّفٍ، قالت: وما يضرّك أيّه قرأت قبل، إنّما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصّل فيها ذكر الجنة والنار، حتّى إذا ثاب الناس إلى الإسلام، نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء: لا تشربوا الخمر، لقالوا: لا ندع الخمر أبدا، ولو نزل: لا تزنوا، لقالوا: لا ندع الزنا أبدا، لقد نزل على محمد صلّى الله عليه وسلم وإني لجارية ألعب: (بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمرّ)[من سورة القمر آية 46]. وما نزلت سورة البقرة والنساء إلّا وأنا عنده، قال: فأخرجت له المصحف، فأملت عليه آي السورة. «أقول ما الذي قصدته عائشة في هذه الإحالات إلى الخمر والزنا، فالرجل العراقي ربما كَانَ على قراءة الإمام علي أو على قراءة الصحابي ابن مسعود أو مصف أبي بن كعب، أو مصحف أبي موسى الأشعري،وأراد أن يوازن بين قرائتها وقرائته؛

(1) البغوي شرح، ص276.

لكن هذه الرواية تبين أن لها قراءة مختلفة عَنْ قراءة المصحف العثماني، فضلاً عَنْ أن الرواية تظهر أن مصحفها لَمْ يحرق مع بقية المصاحف التي أحرقها أو أتلفها الخليفة عثمان!.المهم في الأمر، أن ذلك يعكس بحدّ ذاته إختلافاً.

- وعن الـزُهْـري، عَـنْ عـروة عَـنْ المسور بن مخرمة، وعبد الرحمن بن القارىء،إنهما سمعا عمر بن الخطاب يقول: مَررتُ بهشام بن حكيم بن حزام، يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله [ويذكر البغوي نصّ الرواية السابقة](1).

- وعن عبد الرحمن عَنْ أبيه قال: قرأ عمر، آل عمران ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾(2) والآيتان ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾.

- وعن أبَان بن عمران النخعي، قلت لعبد الرحمن بن الأسود، إنك تقرأ الفاتحة (صراط من أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم وغير الضالين)(3) وال آية ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾. وهاتان قراءتان تختلفان عما هو مقروء في سورة الفاتحة وسورة آل عمران.

- قراءة أُبَيٌّ بن كَعبْ:

- عن عبد الله بن عيسى بن عبد الرحمن بن أبي ليلى عَنْ جدّه عَنْ أبي بن كعب. قال: كنت في المسجد فدخل رجل يصلي، فقرأ قراءةً أنكرتُها عليه ثم دخل آخر، فقرأ قراءة سوى قراءة صاحبه. فلما قضينا الصلاة دخلنا جميعاً على رسول الله. فقلت: - إن هذا قرأ قراءةً أنكرتُها عليه ودخل آخر فقرأ سوى قراءة صاحبه، فأمرهما رسول الله، فقرأ فحسّن النبي شأنهما. فسقط في نفسي من التكذيب، إذْ كنت في الجاهلية. فلما رأى رسول الله ما قَدْ غشيني، ضرب في صدري ففضت عرقاً، وكأنما أنظر إلى الله عزّ وجلّفرقاً، فَقَالَ لي: يا أبي، أرسل إليّ أن اقرأ القرآن على حَرْفٍ، فرددت إليه: إن هَوِّنْ على أمتي، فردّ

(1) البغوي، شرح، مجلد 3، ص 277.
(2) السجستاني، المصاحف، ص 162.
(3) ن. م. ص16.

إليَّالثانية، اقرأه على حرفين، فرددتُ إليه أن هَوِّنْ على أمتي فردَّ إليَّ الثالثة، اقرأه على سبعة أحرف، ولك بكل ردّة رددتكها مسألة فسألنيها. فقلت: (اللهم أغفر لأمتي، اللهم أغفر لأمتي، وأمرت الثالثة ليوم يرغب إليّ الخلق كلهم حتَّى إبراهيم)[1]. ويعلق السجستاني، إن هذا حديثٌ صحيحٌ.

- وعن أبي بن كعب قالَ: قَالَالنبي : يا أبي إني أَقْرِأْتُ القرآن فقيل لي: على حرف أو حرفين؟ فَقَالَ: الملك الذي معي، قلْ: على حرفبن، فقلتُ: على حرفين. فقيل لي: على حرفين أو ثلاثة؟ فَقَالَ: الملك، قل: على ثلاثة أحرف، فقلتُ: على ثلاثة أحرف حتَّى بلغ سبعة أحرفٍ ثم قال: ليس فيها إلا شافٍ كافٍ فقلت: سميعاً عليما عزيزاً حكيماً، ما لَمْ تختم آية عذاب برحمة أو آية رحمة بعذاب[2].
- عن مسلم بن سعيد مولى الحضرمي: عَنْ أبي جهيم الأنصاري، إن رجلين من أصحاب رسول الله تحاربا في آية من القرآن، كلاهما يزعم أنه تلقّاها من رسول الله فتماشيا جميعاً حتَّى أتيا رسول الله، فكلاهما ذكر عند رسول الله بأنهما سمعاها منه. فذكر إن رسول الله قَالَ: (إن هذا القرآن نزّل على سبعة أحرف فلا تماروا في القرآن، فإن مراءً فيه كفر)[3].
- سمعت النزّال بن سبرة الهلالي، عَنْ ابن مسعود، قَالَ: سمعت رجلاً قرأ وسمعت النبي يقرأ خلاف قراءته، فجئت به النبي، فاخبرته، فعرفت في وجهه الكراهية، وقَالَ: (كلاكما محسن، فلا تختلفوا، فإن من كَانَ قبلكم، اختلفوا فهلكوا)[4].
- رُويَ عَنْ أُبيّ بن كعب أنه قال: لقي رسول الله جبريل فقال: يا جبريل إني بعثت إلى أمة أميين، منهم العجوز، والشيخ الكبير، والغلام، والجارية، والرجل الذي لَمْ يقرأ كتاباً قط، قال: يا محمد إن القرآن أُنزل على سبعة أحرف[5].

---

(1) المصاحف، ص 277.
(2) السجستاني، ص 280.
(3) ن. م. ص 287.
(4) المصاحف، ص 278.
(5) ن. م. ص 279. ورواه الترمذي، حديث 2944.

- روي عَنْ عبد الرحمن بن أبي بكرة عَنْ أبيه، إن جبريل قَالَ لرسول الله: - اقرأ القرآن على حرف واحد. فَقَالَ: له ميكائيل: استزده. فَقَالَ: على حرفين حتَّى بلغ سبعة أحرف كلها شاف كاف كقولك: هلم وتعال ما لَمْ تختم آية رحمة بآيةٍ عذابٍ، و آية عذابٍ ب آية رحمةٍ[1].

- وكان رسول الله يعارض جبريل في كل شهر رمضان، بما يجتمع عنده من القرآن، فَيُحدِثُ الله فيه ما يشاء، وينْسخُ ما يشاء، وكَانَ يَعْرضُ عليه في كلِّ عرضةٍ وجهاً من الوجوه التي أباحَ الله له أن يقرأ القرآن به. وكَانَ يجوز لرسول الله بأمر الله سبحانه وتعالى، أن يقرأ ويُقرىء بجميع ذلك، وهي كلّها متفقة المعاني، وإن اختلف بعض حروفها[2].

- ونلاحظ اعتماداً على البغوي وغيره بشأن أن زيداً شهد العرضة الأخيرة للقرآن الكريم، النسخة التي بيّن فيها جبريل الناسخ والمنسوخ، المهم أنه قَدْ كتب هذه النسخة لرسول الله وقرأ بها وكَانَ يقرأ الناس بها[3]. ولذلك فإن زيداً أيضاً كَانَ من بين الصحابة الذين شهدوا اختلاف القراءات في عهد النبي.

- واستند السيوطي أيضاً على ابن أشته في كتابه المصاحف، في روايةٍ بشأن العمل الذي قام به عثمان من دعوة أصحاب محمد، لأن يكتبوا إماماً. يذكر ابن أشته قائلاً: «فاجتمعوا فكتبوا، فكانوا إذا اختلفوا وتدارءوافي آية قالوا: هذه اقرأها رسول الله فلاناً فيرسل إليه وهو على رأس ثلاث من المدينة، فَقَالَ له: كَيفَ اقرأكَ رسول الله كذا وكذا؟ فيقول كذا وكذا فيكتبونها وقد تركوا لذلك مكاناً»[4]. وهذه الرواية تقرُّ، أن هذه الاختلافات التي ظلت باقية حتَّى عهد عثمان كانتْ موجودة عند الصحابة في قراءاتهم.

- وأخرج الطبراني، كما يصرّح السيوطي روايةً تتعلق بعبد الملك بن مروان في العهد الأموي قوله لعبد الله بن زرير الخافقي، وكَانَ من الموالين للإمام

---

(1) ن. م. ص 280.

(2) ن. م. ص 280.

(3) السيوطي، الاتقان، جزء 1، ص 156.

(4) ن. م. جزء 1، ص 172–173.

علي» لقد علمت ما حملك على حبّ أبي تراب، إلا أنك أعرابيٌجافٌ. فقلت: والله لقد جمعت القرآن من قبل أن يجتمع أبواك، وقد علّمني منه علي بن أبي طالب بسورتين، علّمهما إياه رسول الله، ما تعلمتها أنت ولا أبوك. (اللهم إنا نستعينك ونستغفرك، ونثني عليك ولا نكفرك، ونخلع ونترك من يفجرك. اللهم إياك نعبد، ولك نصلي ونسجد، وإليك نسعى ونرجو رحمتك ونخشى عذابك أن عذابك بالكفّار ملحق). وكَانَ عمر بن الخطاب اعتماداً على عبيد بن عمير قَدْ قَنَتَ بعد الركوع فقرأ تلكم الآيتين[1].

- يذكر ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة المطاعن التي وُجِّهَتْ إلى عثمان، مستنداً إلى ما قاله الواقدي، بشأن الصحابي عبد الله بن مسعود: «فلا شك أن عبد الله كره ذلك - يعني إحراق المصاحف - كما كرهه جماعة من الصحابة، وتكلموا فيه وقد ذكر الرواة كلام كل واحد منهم في ذلك مفصلاً»[2]. وابن مسعود، قَدْ عبّر عنتلك المسألة بصورة جازمة، لأن اختلاف القراءات والقراءة على وفق الأحرف السبعة كَانَ موجوداً في عهد النبي . وإن الخليفة عثمان، قَدْ أقرّ ذلك في خطوته لجمع القرآن، وكتابته على حرفٍ واحدٍ، لمّا رأى في ذلك من مصلحةٍ ألا وهي، (كفُ المنازعة ودَفْعُ الاختلاف)، في الوقت الذي تشير الروايات السابقة،إن اختلاف الحروف، قَدْ أقرَّها رسول الله من دون تنازعٍ واختلاف. فالنبي، يصف كل قراءة كَانَ المسلمون في المدينة يقرأون بها بأنها: - قراءة حسنة، أو فحسّن قراءته. فضلاً عَنْ إن عثمان،عندما حشَّد الفتيان من قريش لكتابة المصحف، كَانَ يشدّد على الجانب اللغوي، لا على الاختلاف في القراءة. فَقَدْ أمر زيد بن ثابت، أن يملي على الفتيان، فلمّا وصلوا إلى كلمة التابوت الواردة في القرآن الكريم قَالَ لهم: (رئيس اللجنة زيد) اكتبوها التابوه وهي قراءة. فَقَالَ الفتيان: «لا نكتبها إلا التابوت، فذكروا ذلك لعثمان فقال: - اكتبوا التابوت، فإنّما أنزله الله على رجل منّا بلسانٍ عربيٍ مبين». كَيفَ يحدث مثل هذا الأمر، في أن يُفَضّل عثمان الفتيان على شيخ من الصحابة، قَدْ تلقّى

---

(1) السيوطي؛ الإتقان، جزء 1 ص 187.

(2) المصاحف، ص14، 120، 127؛ ابن كثير، البداية والنهاية، جزء 7، ص 217. وينظر ذلك بشكل أوضح، البخاري، صحيح، (حديث 3506، 4984) صفحات 623، 919.

قراءة القرآن من رسول الله، وقد كتب له وكَانَ يؤلف القرآن من رسول الله وقد كتب له وكَانَ يؤلف القرآن مع رسول الله؛ وكَانَ زيداً لَمْ يكن عربياً وَلَمْ يكتب الوحي بلسان عربي مبين؟. إذنْ الذي يبدو، أن مسألة الاختلافات في القراءات لَمْ تكن جدّية إلى الحدّ الذي وصفها الصحابي حذيفة بن اليمان أو حتَّى التي وصفها الخليفة؛ فالتركيز أولاً وآخراً في عملية الجمع كانتْ موجهة إلى الجانب اللغوي، بمعنى أن اللجنة التي شكّلها الخليفة من فتيان قريشٍ لَمْ تكن تنظر في اختلاف الأحرف التي قضى فيها رسول الله أن تكون وعلى وفق ما أقرّها الله تعالى عَنْ طريق الملك جبريل، سبعة أحرفٍ، لا حرفٌ واحد، بَلْ كانت، لوجود سعيد بن العاص، أفصح العرب، كما وصفه الخليفة! تنظر عَنْ مدى موافقة أو تطابق ال آية - وإن كانتْ من حرف آخر، غير الحرف الذي اعتمده زيد والخليفة - للسلامة اللغوية القرشية والمضرية. مع أن الخليفة، وهو يطّلع على إنجاز اللجنة في كتابة النسخة النهائية من القرآن وجد فيها «شيئاً من لحن أو قيل رأى فيها شيئاً من لحن» فعقّب، «لَوْ كَانَ المملي من هذيلٍ - يعني أنه لَمْ يعترف بإملاء زيد بن ثابت - والكاتب من ثقيف لَمْ يوجد فيه هذا»[1].

• وهناك كلمةٌ أخيرةٌ، ونحن بصدد هذه النقطة، تلك المتعلقة بالاختلاف في تسمية القرآن. فجميع من يقرأ بكتاب الله،الذي جُمِعَ بحسب حرف زيدٍ بن ثابت، يجد في الكثير من آياته الكريمة تسمية سائدة لكتاب الله، ألا وهي القرآن الكريم أو القرآن المجيد أو الكتاب أو الفرقان وما لا ذلك من تسميات تنبع من الجذر اللغوي العربي نفسه، فهو قرآن بلسان عربي مبين لكننا لدى قراءتنا ما أورده السيوطي في الإتقان، نرى أن زيداً خلال عملية جمع القرآن في عهد الخليفة الأول، لَمْ يُشدّد على هذه التسمية، فذكر ابن أشته في كتابه، المصاحفُ رواياتٌ عَنْ موسى بن عقبة، عَنْ ابن شهابٍ الزُهْري قوله: «لمّا جمعوا القرآن، فكتبوه في الورق، قَالَ أبو بكر: التمسوا له اسماً، فَقَالَ بعضهم: السفر، وَقَالَ بعضهم: المصحف، فإن الحبشة يسمونه، المصحف.. وسمّاه أبو بكر، المصحف». (وأخرج ابن الضّريس وغيره عَنْ كعب [ربما كعب الأحبار اليهودي الأصل] قال: في التوراة، يا محمد إني منّزل عليك

---

(1) السجستاني، المصاحف، ص 120، 127.

توراةًحديثة تفتح أعيناً عُمْيَاً، وأذانا صُمّاً، وقلوبنا غلفاً»[1]، بمعنى أن كعباً أشار بتسمية القرآن، توراة. ويقول السيوطي،إن ابن أبي حاتم روى عَنْ قتادة، قوله: «لما أخذ موسى الألواح قال: يا رب إني أجد في الألواح أمة، أناجيلهم في قلوبهم فاجعلهم أمتي، قال: تلك أمة محمد»[2]. وروى المظفري في تاريخه: قَالَ: لمّا جمع أبو بكر القرآن، قَالَ: سمّوه، فَقَالَ بعضهم: سمّوه إنجيلاً، فكرهوه، وَقَالَ بعضهم: سمّوه سفراً، فكرهوه من يهود، فَقَالَ بعضهم: سمّوه سفراً، فكرهوه من يهود، فَقَالَ ابن مسعود: رأيت بالحبشة كتاباً يدعونه المصحف، فسمّوه به[3]. لذلك يستنتج السيوطي، أن تسمية القرآن توراةً وإنجيلاً. وقد سمى رسول الله الزبور قرآناً من قوله: خفف على داود القرآن[4]؛ وكذا الحالة في قول السيوطي،اعتماداً على ابن أشته إن أول من جمع القرآن في مصحفٍ، هو سالم مولى أبي حذيفة. ثم ائتمر الناس على تسمية المصحف بين السفر والتوراة والمصحف[5].

(1) السيوطي، الاتقان، جزء 1، ص 152.

(2) ن. م.

(3) ن. م.

(4) ن. م.

(5) ن. م. ص 169.



الفصل الثالث

عَزْلُ الإمام علي وكتّاب الوحي من عملية جمع القرآن

المبحث الأول: كَيفَ وقع العزلُ

قد يتساءل المرء عَنْ الدافع الذي حَفَّزَني على اختيار تعبير العزل، (عُزِلَ وعَزَله) بديـلاً للتعبيـر المتعارف عليه في هـذا المجال، تغييب أو إقصـاءٌ أو ما إلى ذلك من الكلمـات التـي تعلـن وتصرّح علانيـةً، كما بيّنـا ذلك، عَـنْ مقاطعـة الخليفة الأول وَعُمَر ابن الخطاب اللذين شـرعا، كما يفهم مـن المصادر المتفق عليها، كالصحاح والمؤلفـات السـنّية الأخرى، باتخاذ هذا الإجراء الحازم في جمـع القرآن بناءاً على المعلومـات التي وصلت المدينة، بشـأن نتائـج معركة اليمامة، واستشـهاد عددٍ من قـرّاء القرآن، الذي يسـتوجب حينئذٍ أن يشـمل جميـع المسـلمين المهاجرين منهم والأنصار في مدينة رسـول الله. وأعقب هذه العملية البنّاءة، ما يُعدُّ اسـتمراراً لتنفيذ هـذا المشـروع الضخم أيـام الخليفة الثالث. يظهـر بما لا يقبل الظن، بـأن حالة من الحصـار قَـدْ فُرِضَـتْ على الإمام علـي وكتّاب الوحـي المتفق عليهم فـي المصادر التاريخية وتلـك المؤلفات التي عُنيت بأمور المصاحف وفضائل القرآن وبالأخص عليالصحابـي عبد الله بن مسـعود، (الذي كَانَ رسـول الله يعرّفه بابـن أُمِّ عبد) وعلى أبي موسـى الأشـعري، وعلى أبي بن كعب، من أن يتدخلـوا أو يتداخلوا أو يضيفوا أو يسـهموا فـي عملية الجمع التـي نهد بها الصحابـي، زيد بن ثابـت وحده، لرصد الآيـات القرآنية المكتوبة على العَسَـب،واللخاف، والأقتـاب، والأكتاف، والرقاع، ومـا إلى ذلـك من مواد متفرقـة هنا وهناك أو مـن مـواد كانتمعرضةللضياع والتلف بعد مرور عدة أيام، فخلالها تصبح كتابتها وإملائها تالفٌ وغيرُ واضحٍ، للقرآن نظير قطع الأديم واللخاف، في حين تصرّح ال آية القرآنية بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ وَمَا

كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذٗا لَّٱرۡتَابَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[1]. فالقرآن في صدور الذين أوتوا العلم من المسلمين، مع العلم، وهو موضوع قَدْ ركزنا عليه عدة مرّات، وأُسلّطُ عليه الضوء الآن أيضاً، بأن الصحابي زيداً وصفته الروايات في صحيح البخاري، ومسلم، وسنن الترمذي، وغيرهم من مؤلفات التراجم والرجال، بَلْ واعتماداً على خطاب الخليفة الأول، وَعُمَر ابن الخطاب، كَانَ يكتب الوحي لرسول الله وممن كانوا يؤلفون القرآن في عهد النبي، وممّا قَالَ فيه رسول الله عندما أخذ راية معركة تبوك من الصحابي عمارة بن حكيم ليسلمها إلى زيد بن ثابت قائلاً: «القرآن مقدم وزيد أكثر منك أخذا للقرآن». وهو خَبرٌ قَدْ وقفنا عليه آنفاً وأشرنا إلى شكّنا بأنه خبرٌ موضوعٌ، وذلك من أجل خدمة سمعة الصحابي زيد وتفضيله على غيره من الصحابة. ويؤيد موقفنا هذا، ابن عبد البرّ،بحسب قوله: «وهذا عندي خبر لا يصح[2] والله أعلم». فلماذا لا يَصُحُّ أيها العالم الجليل، الحافظ أبو عمر القرطبي المالكي؟ عندها يجيب ابن عبد البّر نفسه، وكذلك نحن نرى ذلك أيضا، كَيفَ يصحّ هذا القول، وقد كانتْ عملية جمع القرآن التي أُنيطت إليه، وهو الصحابي وحافظ القرآن يقول...

- إن العملية أثقل حملاً من نقل جبل من الجبال، كما عبّر عنه زيد وذلك وبحسب تقديرنا، لأنه لَمْ يكن باستطاعته تنفيذه ربما لكونها عملية يبغضها الدين ويبغضها رسول الله. ولكن رسول الله كَانَ في عهده يشجع على جمع القرآن، وأن الصحابي زيدٌ كَانَ تحت إشرافه يؤلف القرآن فضلاً عَنْ كونه كاتباً للوحي.

- أو لأنه وكما يبدو، لَمْ تكن باستطاعته تجاوز شيوخه من كتّاب الوحي، أو تجاوز ما عزم عليه الإمام علي في جمع القرآن الذي عهده إليه رسول الله وسنقف على هذا الموضوع لاحقاً.

---

(1) سورة العنكبوت، آيات 47، 48.

(2) الاستيعاب، على هامش كتاب الإصابة في معرفة الصحابة، جزء 1، ص 552.

- أو عدم تمكنه من الجمع، إلا بتجنيد نفسه للبحث والتفتيش هنا وهناك، عَنْ الآيات القرآنية، عَنْ آية مكتوبة في هذا الكتف، أو عَنْ آية أخرى مكتوبة على اللخاف،أوقطعة الأديم (بالمناسبة فالعسبة هي جريد النخل، إِذْ كانوا يكشطون الخُوصَ ويكتبون على الطرف العريض منها، واللخافُ، جمعُ لخفة، هي الحجارةُ الرقاق، وقيل أيضاً هي صفائح الحجارة؛ والرقعة (جَمْعُها الرِقاع) تكون أمّا من جلد، أو ورق، أو كاغد؛ والكتفُ، هي عظمة كتف البعير،أوالشاة، كَانَ عندما يجف يكتبون عليها؛ والقَتَبُ، (جَمْعُها أقتاب)، الخشب الذي يوضع على ظهر البعير، للركوب عليها). طبعاً إن هذه الرواية تخالفها تماماً الرواية التي أدلى بها ابن شهابِ الزُهري، الرواية التي تكرر ذكرها عند البخاري، في صحيحه مراراً وتكراراً (وهو المتوفى سنة 124هـ/ 741م) ووصفت علاقاته القوية مع الحكام الأمويين وولاتهم. وفي هذه الرواية، بيّن الزهري رأيه القاطع، بأن أبا بكرٍ قَدْ «جمع القرآن في قراطيس»[1].

إذن فأين نجد صحة رواية ابن شهابِ الزُهري عند البخاري (في الصحيح حديث 4976، 4986 ص 828-829) وص 920 على التوالي، من كونه كَانَ مكتوباً على اللخاف، والأكتاف، والعسب، بينما تقول هذه الرواية أنه جمعها في قراطيس؟

- كيف لا تكون عملية جمع القرآن، أثقل من نقل جبل بالنسبة إلى زيد وقد (أغفلت أو افتقدت أو نسيت أو ضيعت) اللخاف، الذي يحتوي على آية أو آيتين من سورة التوبة، و آية من سورة الأحزاب، بحسب قول زيد وأبنه خارجة بن زيد الذي يبيّن أن والده كَانَ يبحث عَنْ تلك الآيات، لأنه قَدْ سمعها من رسول الله فَلَمْ يجدها إلا بعد جهدٍ جهيد من (رجل) يدعى خزيمة أو أبو خزيمة، أو أبو خزامة، وكَانَ هذا الرجل، هو الوحيد الذي كَانَ يحفظ هذه الآيات أو بعضها، وهو الوحيد الذي وعاها - طبعاً في رواية تذكر آية من سورة الأحزاب، وفي رواية أخرى من سورة التوبة - دون أن يكتبها، وأنه الموصوف بذي الشهادتين، بينما كَانَ أبو خزيمة يحفظ هذه الآيات، لكن

---

(1) السيوطي، الاتقان، جزء 1، ص 171.

كاتب الوحي ينساها أو خفيت عَنْ حفظه للقرآن. وهو الذي وصفه رسول الله بأنه يمثل القرآن ومقدَّم على غيره من الصحابة بالقرآن.

فالحالات السابقة وغيرها أيضاً،تكشف على أن هناك قدراً غير قليلٍ من عدم الترابط وعدم الموضوعية، وهي وجهة نظرٍ قَدْ سبقنا إليها كلٌ من ابن عبد البّر والبُغوي. وإن صح التعبير، فإن مجمل الأحداث التي ارتبطت بروايات صحيح البخاري عَنْ الزهري عَنْ عبيد السّباق مشكوكٌ في صحتها.

* * *

فتعبير (العزل) الذي اخترته أن يكون عنواناً رئيساً لهذا الفصل، قَدْ فسّره جَمْعٌ من علماء المجامع اللغوية كالفيروزآبادي، والزبيدي، وابن منظور (في مادة عزل) بمعنى إنه التنحية عَنْ أمرٍ، أو أن يُنَحِّيَ شخصٌ شخصٌ ما عَنْ موقعٍ أو عَنْ مشروعٍ أو عَنْ وظيفة. عزلهُ يعني نحّاهُ جانباً فتنحى[1]. وفي واقعةجمع القرآن الكريم مُورِسَ هذا العمل الذي تمتزج فيه عدّة عناصر، من إهمال علم الإمام، وكتّاب الوحي، أو من التخلص مما سيؤول الأمر إليه في حالة إشراكهم في المشروع أو حتَّى في حالة التشاور معهم كما سيفيد هذا الفصل لاحقاً.

لقد تعمدتُ على جعل التعبير (عزل) عنواناً، وذلك تلبيةً إلى حقيقة تاريخية، ألا وهي استعمال الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود، كاتب الوحي المنّحى والمعزول، من قبل الخليفة أبي بكر، وَعُمَر بن الخطاب، وزيد بن ثابت، أولاً ثم من قبل الخليفة عثمانفي نهاية المطاف. وهذا الصحابي، هو الذي وصفه رسول الله حقاً بقوله «من سرّه أن يقرأ القرآن غضاً كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد»[2]، والذي حسبما روى سليمان الأعمش، وهو ينقل قول ابن مسعود، بأنه أخذ القرآن من في رسول الله في أكثر من سبعين سورة [3].

---

(1) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، (دار الجيل، بيروت، بلا)، جزء 4 ص 15 (مادة عزلَ)؛ ابن منظور، لسان العرب، (دار صادر، بيروت، بلا)، مجلد 11 ص 440 (مادة عزلَ) الزبيدي، تاج الفردوس من جواهر القاموس، (مادة عزلَ) مجلد 8 ص14.

(2) ابن سعد، محمد، الطبقات الكبرى، (طبعة دار إحياء التراث العربي- بيروت)، ج1، ص 422؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، مجلد 1 ص 237.

(3) ابن سعد، طبقات جزء 422؛ البخاري؛ صحيح،(حديث 5002 وحديث 4999وحديث 5000؛ ابن أبي الحديد، شرح م1، ص 237.

أقول إن هذا الصحابي بحسب رواية السجستاني وغيره، اعتماداً على عبيد الله بن عبد الله بن عتبة قوله: «أن عبد الله بن مسعود كره لزيد ابن ثابت نسخ المصاحف فقال: يا معشر المسلمين،**أُعْزَلُ عَنْ** نسخ المصاحف،**وتولاها** رجل، **والله لقد** أسلمت،**وأنه لفي صلب أبيه كافراً**،يا أهل العراق [أو يا أهل الكوفة]، اكتموا المصاحف التي عندكم وغلّوها،فإن الله يقول ﴿**وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ**﴾ فألقوا الله بالمصاحف[1].

ومما يجدر ذكره، أن صرخة الصحابي عبد الله بن مسعود، هذه في وجه أولئك الذين تعمّدوا عزله من عملية نسخ المصاحف على الرغم مما اجتمع فيه من علمٍ نافذٍ بالقرآن وعلى الرغم من حفظه لكتاب الله وعلمه بأسباب النزول، وناسخه، ومنسوخه، تتماهي مع الموقف الذي سبق أن واجهه الإمام علي مع عملية النسخ الأولى، زمن أبي بكر، وَعُمَر بن الخطاب، وزيد بن ثابت، وهو موضوع سنقف عليه لاحقاً، إِذْ أنه عندما انتهى من جمع القرآن الكريم جاء به إلى المسجد الجامع، حيث أجتمع المسلمون فـ «نادى بأعلى صوته: يا أيها الناس، إني لَمْ أزل منذ قبض رسول الله مشغولاً بغسله ثم بالقرآن حتَّى جمعته» ثم أردف قائلاً: «لئلا تقولوا غداً (إنّا كنّا عَنْ هذا غافلين) من سورة الأعراف آية 172. ثم قَالَ للناس وكَانَ حاضراً بينهم كلٌّ من الخليفة، وَعُمَر بن الخطاب، وزيد واتباعهم (لئلا تقولوا يوم القيامة إني لَمْ أدعكم إلى نصرتي، وَلَمْ أذكركم حقي، وَلَمْ أدعكم إلى كتاب الله من فاتحته إلى خاتمته)[2].

أبعدّ هذا العمل يُنَحَّى الإمام علي الذي جاء فيه بحسب رواية ابن الطفيل قوله: «سلوني عَنْ كتاب الله فإنه ليس من آية إلا وقد عرفتُ بليل نزلت، أم فينهار، في سهل، أم في جبل، وعلمتُ فيما نزلت وأين نزلت وعلى من نزلت، إن ربي وهب لي

---

(1) السجستاني، المصاحف، ص 80-81؛ ابن كثير، البداية والنهاية ج7 ص 218؛ المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، (طبعة 3، دار إحياء التراث العربي، بيروت 1403/ 1982)، جزء 92 ص 77.

(2) كتاب سليم بن قيس الهلالي، (ت 76هـ/ 695م) حققه الشيخ محمد باقر الأنصاري الزنجاني الخوئيني، قم - إيران، ج2 ص 581-582؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج92 ص40-41.

قلباً عَقُولاً ولساناً طلقاً»[1]؛ ويعزل الصحابي عبد الله بن مسعود وهو الصحابي الذي شـهد بحسـب قول ابن عباس، العرضة الأخيرة للقرآن، وممن شَهِدَ ما نُسخ فيه وما بُدّل[2]..وممـن قَالَ فيه رسـول الله: «من سـرهّ أن يقرأ القرآن غضـاً كما أنزل، فليقرأه على قراءة ابن أُمِّ عبد»[3].

لـم يكـن أمر **العزل قَدْ** شـمل الإمام، وعبد الله بن مسـعودٍ فحسـب فما بالك بأن العـزل، قَدْ شـمل صحابياً آخـر ومن كتّاب الوحـي، باعتماد المصـادر التي تناولت موضوع تسـمية كتّـاب الوحي، ألا وهو، أبيّ بن كعب، الـذي ورد فيه نقلاً عَنْ قتادة عَنْ أنس بن مالك «قال: رسـول الله، لأبيّ بن كعب أُمرتُ أن أعرض عليك القرآن، وَقَالَ بعضهم: سورة كذا وكذا. قال: قلت–يعني أبيّ– وقد ذكر هناك. وَقَالَ بعضهم: سـمّاني الله لك؟ قَالَ: – يعني الرسول – نعم. فذرفت عيناه، وَقَالَ:رسول الله: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ سورة يونس آية 58.

وقد ورد بشـأن الصحابي أُبيّ في رواية للسـائب بن يزيد قوله: «لما أنزل الله على رسـول الله ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾ وهي من سـورة العلق آية رقم ها (1). جاء النبي إلى أُبيّ بن كعب فقال: – إن جبريل أمرني أن آتيك حتَّى تأخذها وتستظهرها، فَقَالَ أبيّ: يا رسول الله سماني الله؟ قَالَ: نعم).

والأكثر مباشـرة بخصـوص **عَزْلِه عَنْ** عملية جمع القـرآن، إن عمر بن الخطاب، الـذي رشَّـح زيد بـن ثابت للخليفـة في تتّبع وجمـع آيـات الله كَانَ يؤمـن أيضاً،بأن الصحابي أُبيّ «أقْرُؤنا»[4].

وحالمـا توثـق الإمام علي من أن القوم الذين عزمـوا على جمع القرآن على وفق حـرف زيـد بن ثابت وعزفوا عَنْ الاسـتماع إلى الحقائق التاريخية بشـأن أهل البيت وحقوقهـم الشـرعية،**اعتزل** فـي بيتـه، عندئـذ نجحت سياسـة **العزل** التي اسـتمرت

---

(1) ابن سعد، طبقات، جزء 1 ص 420.

(2) م. ن. جزء 1 ص 421.

(3) م. ن.

(4) أبن سعد م. ن.

تمـارس معـه وضدّه على امتـداد فترة خلافة كلٌ مـن أبي بكر، وَعُمَـر بن الخطاب، وبعدئذ خلال خلافة عثمان. في الوقت ذاته، فإن هذه السياسـة المكدرة والمحبطة، قَدْ شَـمِلَت الصحابي عبد الله بن مسـعود، الذي مُورِسَت بحقه بصورة عنيفة وقاسية ليـس لهـا من مبـرر على الرغـم من دفـاع قاضـي القضـاة المعتزلي، شـيخ ابن أبي الحديـد، أبـي علي بقوله: «وقـد قيل إن بعض موالي عثمان ضربـه - أي ضرب ابن مسـعود - لما سـمع منه الوقيعة في عثمان واتضحأنه أمر بضربه، فهذا لَمْ يكن طعناً في عثمان بأولى ما يكون طعناً في ابن مسـعود، لأن للإمام تأديب غيره وليس لغيره الوقيعـة فيـه إلا بعد البيان»[1]. وهـو كلامٌ تبريريٌ باطل جداً،لأنه خـالٍ من الحقيقة، إن كَانَ فـي الدافـع، أو في الممارسـة ذاتهـا، التي دلّت الوقائـع التاريخية، كونها في غاية القسـاوة. فالروايـة التاريخية المحققة عند من تناول هـذا الأمر، تذهب إلى أن الصحابي عبد الله بن مسـعود، حينما امتنع عَنْ تسليم مصحفه إلى والي عثمان، عبد الله بن عامر (وهو من أقارب الخليفة)، أمر الخليفة واليه، أن يُشخص بالصحابي إلى المدينة المنورة، فيقول اليعقوبي: أن عبد الله بن مسـعود، دخل إلى مسـجد رسـول الله، بينمـا كَانَ الخليفـة يخطب في الناس من علـى المنبر فَقَالَ: «قَـدْ قَدِمَت عليكم دابّة سـوءٍ»[2]، أو قَالَ: بحسـب رواية ابـن أبي الحديد نقلًا عَـنْ الواقدي: «إن عثمان قَالَ: عندما دخل عبد الله بن مسـعود، المسـجد طرقكم الليلة دويبة من تمشـي على طعامه يقيّ ويسـلح»[3]، ثم أمر عبد الله بن زمعة (من أقاربه أو والي شـرطته) فأخرجه إخراجاً عنيفاً ومعيباً مسحولاً إلى باب المسجد الخارجي، فضرب به الأرض، وقيل أنه وطىء في جوفه فكسر ضلعاً من أضلاعه، وهو رجل كبير السن، ربما أدّت حالته إلى وفاته وهي بالفعل، كما قالها الصحابي، عبد الله بن مسـعود للخليفة، بأن كسـر أضلاعـه أدّت الـى: -«فَلَمْ اتجعـل صلاة الظهـر ولا العصر»[4]. فعـل الخليفة بهذا الصحابي الشـيخ على الرغم من اعتراض زوج الرسـول عائشـة، إِذْ صاحت بعثمان

(1) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، مجلد 1، ص 235.
(2) تاريخ اليعقوبي، جزء 2، ص 120.
(3) شرح نهج البلاغة، مجلد 1، ص 237.
(4) اليعقوبي، تاريخ ج2، ص 120.

وقالت: «يا عثمان، تقول هذا لصاحب رسـول الله. فَقَالَ: اسـكتي»[1]. وعندما كسـر ابن زمعة هذا، بعض أضلاع صاحب الرسـول، وداس على جوفه قَالَ ابن مسـعود: «قتلني ابن زمعة الكافر بأمر عثمان»[2].

لـم يقف الصحابي عبد الله بن مسعود، مُسْتسلماً وجلاً وخائفاً عند كَانَيسمع كلام خليفة المسلمين من على المنبر، بينما كَانَ يخطب، ووصفه للصحابي بالدويبة التي إن مشـت على طعام الخليفة يقيء، فَقَالَ: يا أيها الخليفة لقد «دلسـت بذلك ولكنني صاحب رسول الله يوم بدر وأحد وبيعة الرضوان ويوم الخندق ويوم حنين»[3].

لكـن الخليفة نَفَّـذَ عقوبته التي لا ترحم بحق صحابي شـيخ جليل، وقطع عطاءه الـذي كَانَ الصحابـي يحتاجه كثيراً قائلاً للخليفة بعد ذلـك» منعتنيه وأنا محتاجٌ إليه وتعطينيه وأنا غني عنه لا حاجة به»[4] ذلك لأن الصحابي كَانَ ينتظر لقاء ربه ليشكوه فما حاجته إلى متاع الدنيا.

سـبحان الله مـا أشـبه إجـراءات خليفـة المسـلمين القاسـية جداً،والتي تنـمّ عَنْ إنعكاسـات عقدية ونفسـية وعن حقد وكراهية، بَلْ وسياسية تلك التي اتخذت بحق الصحابي، ابن مسعود، كاتب الوحي، وحافظ القرآن من في رسول الله، إذسمعوحفظ من في الرسـول بضعاً وسـبعين أو كما ورد في رواية أخرى بضعاً وتسعين سورة من القرآن بالإجراءات التي كانتْ في مخيال الخليفة الأول، وَعُمَر بن الخطاب، إذْ كانا يفكـران أو بالأحـرى يضعـان الخطط بما يفهم مـن روايات ابن قتيبـة الدينوري في **كتابه الإمامة والسياسة**، عَنْ حديثه عَنْ أحداث سقيفة بني ساعدة ضدّ الإمام علي إن كَانَ ذلك في أخذ بيعته للخليفة الأول كرهاً، وإن كَانَ في مسألة جمع القرآن الكريم. فيروي سـليم بن قيس الهلالي، إن الإمام علي بعد رحيل رسـول الله شـمّر سـاعده واعتزل الناس مدة ثلاثة أيام، لَمْ يخرج إلّا للصلاة حتَّى يجمع القرآن – وهو القرآن

(1) ابن أبي الحديد، شرح مجلد 1، ص 237، وفي رواية اليعقوبي إنهَّا، (تكلمت عائشة وقالت قولًا كثيراً)، جزء 2، ص 120.

(2) ابن أبي الحديد، شرح مجلد 1، ص 237.

(3) م. ن.

(4) اليعقوبي جزء 2 ص 120.

الذي عهد به الرسـول إلى الإمام-وعندما انتهى من هذا العمل الشـريف، حمله إلى المسجد الجامع؛ وإنَّ آماله قَدْ خابت بعد وقوف أبي بكر وَعُمَر معرقلين ومكابرين، فيرفـض القرآن، وهو القرآن الذي كَانَ مجموعاً عند رسـول الله اعتزل في منزله بعد إقامته الحجة كل من كَانَ موجوداً في المسجد الجامع. عندها قَالَ: بَلْ ربما أمر عمر بـن الخطـاب، زيد بن ثابت، مـا الحيلة في التخلص من القرآن الـذي جمعه الإمام، لأنـه يحتوي على فضائح قريش والمهاجرين، أجابـه زيد: «أنتم أعلم بالحيلة، فَقَالَ عمر: ما الحيلة دون أن نقتله ونسـتريح منه. فدبّر في مقتله على يد خالد - أي خالد بن الوليد[1].

* * *

أقول،إن السياسة والتسلّط والفردية في أي زمان ومكان، إن كانتْ بعد أيام معدودة فقط من رحيل رسـول الله إلى جوار ربّه وبعد أيام معدودة من دفن جسـده الشريف؛ وإن كانتْ في يومنا هذا، سـواء ما يعبّر عَنْ تلك السياسـة في عالمنا العربي المسـلم ديمقراطيـة أو دكتاتوريـة على حدٍّ سـواء، لاترحم ولا تميّز بيـن صحابي أو عالم أو مفكر، وهي لا ولن ترغب في إيجاد حلول وقواسم مشتركة مع الآخر ولا تشعر أنها في مأمن وسـلم وسلام مع مصالحها الخاصة مذهبياً أو سياسياً سوى بعزل التنحية، بَلْ وفي نهاية المطاف، قتل الآخر المعارض لسياسـتها ورؤاها أو الذي تجد أن هذا سوف يشـكل خطورة على مصالحها الدنيوية السياسية، والعقدية والمذهبية. إِذْ كنا نتوقـع أن مثل هذه السياسـة الدنيوية غير ممكنة مـع المقدس، فالمقدس يكاد يكون خطاً أحمراً أو بالأخص بعد استكمال الرسالة السماوية وتبليغ الله تعالى رسوله، بأن يبلّغ رسالته وأنه تعالى سينصره. لماذا؟ لأن الأساس الذي استندت إليه دعوة رسول الله للنـاس أجمعيـن بعد أيام مـن هجرته إلى المدينة المنورة كانتْ في أن الإسـلام، يدعـو إلى الوحـدة وأن يكونوا أمة واحدة تفنـي أرواحها بالجهـاد والمحافظة على دسـتور الإسـلام القرآن وعلى الإبقاء على كلمات الوحي وآياته وسوره التي أنزلها الله تعالى على رسوله الكريم.

---

(1) كتاب سليم بن قيس الهلالي، جزء 2 صفحات 583-584، 586.

غير أن هذا المضمون والمعنى، لَمْ يمارس آنذاك، كالذي هو واقع في زماننا من تقاطع تام ومهيمن في سياسة أصحاب القرار والنفوذ وهو زمان نراه يومياً ملغمٌ، إِذْ تعدّ فيه تقنية العزل، والتهميش، والتنكيل، والتقتيل، والإرهاب، هي الآلة المتنفذة والفاعلة من أجل تطمين من يتظاهر بسياسة التسامح والألفة والأمة الواحدة والمجتمع المتآلف، ومن يتظاهر بالإسلام أو المسيحية أو باليُهودية، وكل من يلبس أزياء هذه الديانات. عندها نتوصل إلى أنه من الضروري واللازم جداً أن نناقش ما الذي سيطر على العقول من مفاهيم في كون هذه الرواية المقدسة مقبولة دائماً وأبدا وغير مسموح بمحاججتها ولا مجادلتها ولا الوقوف بوجهها ناهيك بأنه غير مقبول رفضها أو ردّها أو حتَّى عدّها رواية مزيّفة ومحرّفة.

فالسياسة والإنفراد والتفرد إلى اتجاه ومذهب وفلسفة سياسة واحدة ظالمة بحق الآخر المسالم، وبحسب النظرية الميكافيلية التي يدين بها رجال السياسة ورجال القرار السياسي وغير رجال السياسة. فلكي تبقى حياً على دست الحكم وتمارس سلطة فردية مرتدياً رداءاً دينياً أو فكرة سياسية جاءت بها الدول الكبرى باستخدام تقنية سدّ الأفواه، تلك السياسية المعروفة، والتي أخذت حيّزاً كبيراً في معجمنا اللغوي، الديمقراطية، ومثيلاتها تعني في الواقع أن يُوجّه رجل السياسة طلقة مدفعٍ على رأس الآخر، المسالم فينهيه، خشية أن يتطور هذا الرأس المسالم إلى واقع حي فينهي رجل السياسة هذا. فالغرب كله يصدّر مثل هذه المفاهيم العلمانية التي هي في غطائها الخارجي الظاهري ملهمة ومغريةً إلى الشرق، يحوّرها ويستخدمها حسب معادلة النقيض، ونقيض النقيض في فهمه للمعايشة والتسوية مع الآخر المسالم في المرحلة الأولى ثم يعمل على قتله. ومن المؤسف جداً،فَقَدْ مورست مثل هذه الأحابيل والحيل السياسية في تاريخنا الإسلامي بعد رحيل الرسول، ومورست هذه الازدواجية بين الفردية والإنسانية بشكل واضح، السياسة التي أدت بالسياسي والوالي وجامع القرآن، أبي موسى الأشعري إلى أن يقول أثناء اجتماع الصحابة، حذيفة ابن اليمان، وعبد الله بن مسعود، وربما أبي بن كعب في منزل أبي موسى في البصرة وكَانَ اجتماعاً مهماً وضع القرآن الذي جمعه الخليفة بحرف زيد بن ثابت موضع المقارنة والدراسة بين النسخة العثمانية التي بعث بها إلى البصرة،وبين

المصاحـف التـي كانتْ بحـوزة الصحابة مـن كتّاب الوحي، وهـي المصاحف التي اعتمدت على ما حفظه الصحابة من كتّاب الوحي الحقيقين وما وعوه في صدورهم لا من المواد المتناثرة، وعلى وفق ال آية الكريمة التي ذكرناها من سورة العنكبوت، إذْ نوّه الأشعري المجتمعين بملاحظة مهمة «فإذا وجدتم في مصحفي هذا من زيادة فـلا تنقصوها وما وجدتم من نقصـان فاكتبوه»[1]، ثم ترك الاجتماع ليُقَرر ما هو زائد ومـا هو ناقـص بين القرآن المجمـوع وبين مصحفه؛ وهذا الـرأي والموقف، يقصد بـه أن أبا موسـى أراد أن يتجنب سياسـة الدولة زمـن الخليفة، وبـأن يرضى بخيرها وبالعافية معاً، فحسـن العاقبة، وإن كانتْ على حسـاب المقـدس، لذلك فَقَدْ رضي بكتابة ما ورد في النسـخة القرآنية التي جمعهـا الخليفة، مع أنه كَانَ دوماً يردد القول بصوت جليّ «لا تسألوني ما دام هذا الحبر فيكم يعني ابن مسعود»[2].

فالمهـم أن موضـوع جمع الخليفة عثمان للقرآن، كَانَ بالفعـل عملاً رائعاً، إذْ قَدْ دحر دون رجعة جميع تخرصات المستشـرقين وممن يشـايعهم من السـلفية وسـدّ أفواههـم ودعواتهـم، بـأن هناك نقصـاً أو حذفاً أو زيـادة أو نقصاناً فـي القرآن، كما سنناقشـه لاحقـاً، وبأن هناك نسـخة للقرآن موجودة عند الشـيعة، بمـا عرفت بقرآن عليّ، أو قرآن فاطمة، متداولة بينهم بالخفاء أو بالظاهر. وهي دعاوى زائفة ومُضَلِّلَة، إذْ حسب الأقوال والأحاديث التي تحدّث بها الأئمة والفقهاء الشيعة الأوائل، عندما يسألون عَنْ القرآن يجيبون: - إن القرآن هو (ما بين الدفتين لا زيادة فيه ولا نقصان)، وسـئل مرةً الشيخ المفيد بشأن هذه المسألة المهمة، فأجاب «فأما الذي بين الدفتين فجميعه كلام الله تعالى وتنزيله وليس فيه شيء من كلام البشر»[3].

أمـا بخصـوص القرآن الذي عهد به رسـول الله قبيل وفاته إلـى الإمام لجمعه، فإنه بحسـب الإجابـة التي أجاب بها الإمام لعمر بن الخطاب(بعـد وراثته الخلافة) عندما طلـب من الإمام أن يريه القرآن الذي جمعـه من أجل الإطلاع عليه. فإن الإمام، وكما يفهـم مـن أن الخليفـة عمر بن الخطـاب كَانَ قبل ذلـك قَدْ طلب من بعـض الصحابة

---

(1) السجستاني، المصاحف، ص 134-135.

(2) ابن سعد، الطبقات، ج1 ص 423.

(3) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، جزء 92 ص74.

الإطلاع على الأحاديث التي سمع بأنهم يجمعونها، وهي أحاديث مهمة عَنْ رسول الله، فحينما قدّمت إليه وإذا به يقوم بحرقها وتدميرها، فطوى بعمله هذا صفحة شريفة من الاحاديث التي لَوْ بقيت لكشفت أموراً مهمةً بحق آل بيت النبي؛ لذلك رفض الإمام من أن يُسَلِّمها، أي نسخة القرآن التي جمعها، خشية من أن يستخدم الخليفة التقنية نفسها، تقنية الحرقأو السلق بالماء الحار والخل، كما ينسب ذلك اليعقوبي إلى فعل الخليفة عثمان بالمصاحف التي كانتْ عند الصحابة من كتّاب الوحي[1].

أقول في خاتمة هذا المبحث، أنه حسبما يبدو من كلام ابن النديم في الفهرست، وجود بعض المصاحف، تلك التي نسبت إلى الصحابي ابن مسعود، والصحابي أبيّ بن كعب، ظلّت موجودةً، إذْ يلقي الضوء على ذلك معتمداً على الفضل بن شاذان، وهو بحسب وصف ابن النديم، كَانَ أحد الأئمة في القرآن، إذْ يقول: «كَانَ تأليف السور في قراءة أبيّ بن كعب بالبصرة في قرية يقال لها الأنصار، وأن رجلاً أخرج مصحفاً قَالَ: هذا هو مصحف أبي رويناه عَنْ آبائنا، فنظرت فيه واستخرجت أوائل السور وخواتيمها وعدد الآي، فأوله فاتحة الكتاب، ثم البقرة، ثم النساء وآل عمران....ثم الفلق والناس، فذلك مائة وستة عشر سورة)[2].

كذلك يذكر ابن النديم، بأن محمد بن اسحاق صاحب السيرة النبوية قَالَ: «رأيت عدة مصاحفٍ ذكر نسّاخها، إنها مصحف عبد الله بن مسعود، ليس فيها مصحفين متفقين، وأكثرها في رقٍّ كثير النسخ، وقد رأيت مصحفاً لابن مسعود، قَدْ كتب منذ مائتي [والأصح مائة] سنة فيه فاتحة الكتاب»[3].

فالمهم إن الإمام قَالَ لعمر بن الخطاب عندما رفض طلبه في الإطلاع على ما جمعه من القرآن الكريم: «هيهات ليس إلى ذلك سبيل القرآن الذي عندي لا يمسّه إلا المُطَهَّرُون والأوصياء من ولدي. فَقَالَ عمر: هَلْ وقتٌ لإظهاره. قَالَ علي: نعم: إذا قام القائم من ولدي يظهره، ويحمل الناس عليه فتجري السُّنةُ عليه»[4].

(1) تاريخ اليعقوبي، جزء 2، ص 119.
(2) الفهرست 29-30.
(3) م. ن. ص 29.
(4) كتاب سليم بن قيس، جزء 2، ص 582؛ المجلسي، بحار الأنوار، جزء 92، ص42.

المبحث الثاني
قرآن الإمام عليٍ

في المباحث السابقة قَدْ وقفنا ملياً على الروايات التأسيسية للعملية الكبرى في جمع القرآن الكريم ومداخلات هذه العملية، إن كانتْ سلباً في تحليل واقعها وموضوعيتها، وإن كانتْ إيجاباً، بأنها أثمرت ثمرةً طيبة توّحد المسلمون في جميع الآفاق في قراءة قرآن أو حرف واحد لا يختلف فيه اثنان حتّى وإن قرأ فلان من سورة الرحمن ﴿ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴾ بضم الشين أو كسرها؛ فإن ذلك لا يعدّ خلافاً جدلياً يؤدي الحال به إلى انقسام أو تجزئة. وفي بحث سابق درست فيه المستشرقين، وترجمة القرآن من زاوية لها علاقة بهذا الموضوع، وسلّطت الضوء على النتائج المباشرة وغير المباشرة التي تتعلق بالدافع أو الدوافع التي حفّزت الكثير من المستشرقين في أوربا والولايات المتحدة وإسرائيل إلى ترجمة القرآن ودراسته من كافة الجوانب التاريخية واللغوية ومن ناحية الأسلوب البلاغي وترتيب الآيات وأسباب النزول وغيرها، فكان من بين هذه النتائج، سيادة العمل التبشيري في ترجمته ودراسته، وذلك بهدف التأثير على العقلية الغربية في العصور الوسطى أو ما يمكن تسميته بعصر الكنيسة، وسيادة العمل التبشيري خارج حدود أوربا وأمريكا ومن بعد ذلك خلال عصر النهضة الأوربية ومحاولة حركة الإصلاح الديني، التعرُّف على الدين الإسلامي، وعلى القرآن ومحتوياته وعلى مدلولات الآيات الكريمة وتفسيرها. فضلاً عَنْ ظهور باعث آخر شهدته النهضة الإصلاحية الدينية هذه من متغيرات نظير ما اتسمت به حركة مارتن لوثر والنهضة الإصلاحية في الكنيسة التي توجهت بصورة مباشرة إلى تشخيص المفاهيم الدينية الخاطئة والمنحرّفة التي ظلت معشعشة في عقول رجال الدين من أمثال الحصر المبالغ به

لنسـخ الإنجيل، ولعدم التشجيع على توسيع انتشـاره بين صفوف المثقفين، بَلْ إلى الحدّ من قراءته، لا من قبل المسـلمين، إنما من قبل المسـيحيين أنفسـهم. فالمعتقد مثـلاً،أن لوثر الزعيم الألمانـي الإصلاحي، قَدْ أطلع أو قرأ القـرآن بلغة أجنبية على أكثـر الظـن باللغة اللاتينيـة وتبين له بطلان الأفـكار التي كانتْ مهيمنـة على العقلية الأوربيـة بخصوص صكوك الغفـران وتوزيع الاراضي والمسـاكن على الفقراء في العالـم الآخر، وغير ذلـك، فعزّزت هذه القراءة، إن وجدت حقّـا، من أفكاره وآرائه فـي نبذ الخرافات والخزعبـلات الدينية التيحاول رجال الدين الكنسـيين تثبيتها في عقول الناس، البسـطاء والفقراء منهم أم غير البسـطاء، مـع أن أمثال تلك الخرافات والخزعبلات والتحريفات بقيت عالقة في اللاوعي من معتقدات عدد غير قليل من المستشـرقين والمؤرخين الأوربيين حتَّى وقتنا الراهن من أمثال الفكرة، بأن القرآن، هـو كتـابٌ ألّفه النبي محمـد وهو من وحيـه وإنه هو الـذي اخترعه وكتبه بنفسـه أو بتأثير من شـخص آخر، سـرياني كَانَ يملي على رسول الله وغيرها من الآراء التافهة والشكّية. ومثل ادعاءاتهم، بوجود أساليب وتعبيرات لغوية متباينة ومختلفة عَنْ لغة عصره، أو إدعائهم بوجود نقص وحذف في القرآن؛ ورأى البعض الآخر، المتعصب منهـم على وجه التحديد، إن كتاب الله متأثرٌ تأثـراً كبيراً بالتوراة اليهودي، والإنجيل المسـيحي، أو مثل إدعاء بعـض منهم بأن هناك ثغرات ونواقص فـي الآيات المكّية والمدنيـة. وتجرأ البعض من المستشـرقين، كما هو الحالـة في موقف ديفيد N. A. Dawoold (داود) الإنجليـزي عندمـا ترجم القرآن، إِذْ جعلـه كأي كتاب آخر أطلق لـه عنواناً هـو (القرآن، ترجمته مع ملاحظات عليـه The Koran translation with notes). إِذْ طـرح رأيـاً حول ترتيب القرآن، بأنه مرتباً ترتيباً غير منطقي وغير تاريخي وبناءاً على اسـتنتاجه هذا، فإنه طبقاًلرأيه هذا في إعادة ترتيب آياته ترتيباً جديداً على وفـق مزاعمه معتمداً النغمات الشـعرية والسـجعية. فكانت نتيجة عملـه هذا تقديم وتأخيـر في ترتيـب الآيات. كذلك تدخل هذا المستشـرق في تحويـر وتحريف في معانـي عـددٍ مـن الآيات الكريمـة. وهذا الإجـراء لا يمـتّ إلى المنهـج العلمي في البحث إنما هو خرقٌ غير مألوف في تعامله مع كتاب مقدس إلهي، وأنزل الله تعالى آياتـه على هذا النسـق وعلـى هذا الترتيب الـذي وضعته اللجنة الرباعيـة التي أوكل

لهـا الخليفـة الثالث أمر جمع القرآن وترتيبه. وكَانَ رسـول الله مرتبطاً باسـتمرار مع جبرئيل في عرضه لما نزل من القرآن في كل شهر من رمضان، وهو قرآنٌ متفقٌ عليه بين كافة المسـلمين، وحسـب قول الأئمة أنه كلام الله، وما بيـن الدفتين لا زيادة فيه ولا نقصان، وأن اللجنة التي شـكّلَها الخليفة عثمان برئاسـة، زيد بن ثابت، قَدْ رتبت آياتـه وسـوره الكريمة، ولا يحق لأحد من المستشـرقين وسـواهم أن يبـدي رأياً أو يقطـع أمراً مخالفاً لما هـو منصوص عليه في النظام الإلهي، وأنه كَانَ ينّزل بواسـطة الوحـي على صـدر النبي. أقول هذا على الرغم من أن الإمـام علي، قَدْ حمل القرآن بعد أن جمعه إلى المسجد الجامع ونادى في المسلمين المجتمعين، هذا هو القرآن الـذي وكلني بجمعه رسـول الله، وإنه كما سـنقف على هذا الموضـوع أدناه، مرتبٌ ترتيبـاً لا يتوافق تماماً مع ما فـي القرآن الذي جمعه الخليفة الثالث، لكن الإمام علياً تركه وأخذ بالقرآن المعترف به وبحسب تسلسل آياته، كذلك اتّخذه الصحابي، أُبيٌّ بن كعب على الرغم من أن ترتيب الآيات في مصحفه لا تنطبق تماماً مع المصحف العثماني، بعد أن سلّم مصحفه للخليفة فحرقه أو غسله بالخلّ؛، والأمر نفسه ينطبق على مصحف أبي موسـى الأشـعري، وعبد الله بن مسـعود، وغيرها من المصاحف التي كانتْ بحوزة عددٍ من الصحابة.

ولم يقتصر الأمر على المستشـرق داود، فَقَدْ شـمل عدداً آخر من المستشـرقين الذين حاولوا تشـويه وتشـويش النصّ القرآني. وممّن أخضع كتاب الله إلى الدراسة والتحليل للوصول إلى نتائج واسـتنتاجات بشأن مسائل مهمة أخرى، كالفعل الذي قام به المستشـرق الفرنسـي بلاشـيه R. Blachere في كتابه المطبوع في باريس عام 1947 بعنـوان (مقدمـة وقـرآن Introduction and Coran) ومـا قام به المستشـرق جيفـري A. Jeffery فـي كتابه الموسـوم (مواد ومصـادر عَنْ تاريخ النـصّ القرآني Materials for the history of the text of the Quran) المطبـوع فـي ليـدن فـي هولنـدا عـام 1937. وكالآراء التـي عرضهـا المستشـرق ويلـج A. T. WELCH فـي بحثه المنشـور في دائرة المعـارف الإسـلامية بعنـوان al-Karan وفي ترجمته وتعقيباته على كتاب المستشـرق الألماني جاتيه H. Gatje بعنوان (القرآن وتفاسـير القرآن) باللغة الألمانية Koran und Koran exgegeisis الذي ترجم إلى الإنجليزية

بعنوان The Quran and its exegesis وطبع في لندن + بركلي، عام 1976. وجون برتـون John Burton في كتابه القيّم (جمع القرآن The collection of the Qur'an (Cambridge University Press 1977 ; Second edition 1979))

فقـد أثـار هؤلاء العلمـاء نقاطـاً كثيرة حـول النصّ القرآنـي، ومؤلفات التفسـير القرآني الإسلامية المعتمدة لتفسير آياته وشرح معانيها ومعاني الكثير من التعبيرات والمصطلحات الواردة فيه.

ووقـف آخـرون، نظير المستشـرق البريطانـي، برتـون J. Burton على موضوع جمـع القرآن فأثار تسـاؤلاتٍ بشـأن الطريقة التي جمع فيها، وبشـأن تاريـخ جَمْعِهِ، وَلَـمْ يغفـل برتون الوقوف على مسـألة المصاحـف التي كانتْ موجـودة قبل جمعه فـي مصحف هـو الذي نقرأ فيه. وسـلّط الضوء على مصاحف محـددة بعينها، نظير مصحـف الصحابي أُبيّ ابن كعب المديني المتوفى سـنة 18هـ/ 639م، وكَانَ كاتب الوحي؛ ومصحف الصحابي عبد الله بن مسعود المتوفي في سنة 33هـ/ 653، وكَانَ هـو الآخـر من كتّـاب الوحي. ووقف على مسـألة امتنـاع هذا الصحابي من تسـليم مصحفـه إلى الخليفة، ورفضه طلبه ووقوفه ضد عملية إحراق مصحفه أو إتلافه، إذْ اسـتمر في تعليم مصحفه للناس بالكوفة من دون أن يسـلّمه للخليفة. ودرس برتون جميع هذه المسـائل فـي كتابه الذي صار مصـدراً للمستشـرقين المحدثين وعنوانه (جمع القرآن) المطبوع في لندن عام 1977.

واللافـت للنظر، أن المستشـرقين المشـار إليهـم أعلاه وغيرهم، قَدْ استشـهدوا بالمصـادر الإسـلامية لتوكيد آرائهـم تلك ومن بينهـا المؤلفـات المصنفة في حقل اختـلاف المصاحـف، والمؤلفـات المصنفـة فـي تفسـير القـرآن. ومـن المعروف تاريخيـاً،إن العلماء المسـلمين، هم كذلـك وقفوا على هذا الموضـوع في اختلاف المصاحـف، فصنفـوا كتباً قَدْ وردت عناوينها مـن دون أن تصلنا بعضها كاملة. لكن المهـم جـداً،أن موضوع اختلاف المصاحف واختلاف القـراءات كَانَ عملاً قَدْ أثار اهتمام وعناية العلماء المسـلمين منذ أوائل القرن الثاني للهجرة/ الثامن للميلاد أي أبّان عصر بداية التدوين والكتابة العربية. فصنّف عبد الله بن عامر اليحصبي المتوفى

سـنة 118هـ/ 736م كتاباً عنوانه (اختلاف مصاحف الشـام والحجاز والعراق)، كما صنّف الكسـائي المتوفى سـنة 184هـ/ 805م كتاباً عنوانـه (اختلاف مصاحف أهل المدينة وأهل الكوفة وأهل البصرة). وهذان العنوانان يبرزان مسألةً في غاية الأهمية سـواءًأكَانَ في التخصيص المحلي أو المصري أم في اختلافها الذي يمثل مصاحف الصحابـة، أبـيّ وعبـد الله بن مسـعود، وأبي الـدرداء وغيرهـم ممن كانوا يشـكّلون مـدارس في القراءة أو فـي الأحرف. وهناك أيضاً المصحف الـذي ألفه خلف [كذا ورد اسمه وربما هو خلف بن هشام بن ثعلب البزاز المتوفى سنة 129هجرية/ 746 وَقَالَ ابن النديم: أن له كتاب عنوانه القراءات]وعنوانه (المصاحف)، والكتاب الذي ألفه أبو الحسـن علـي بن محمد المدائني المتوفى سـنة 231هــ/ 845 وعنوانه (في اختـلاف المصاحف وجمع القرآن). والعنوان يؤشـر إلى تأثيـر المدائني على فكرة المستشـرق برتون عند اختيارالعنوان نفسه لكتابه. كذلك ألّف العالم الفرّاء المتوفى سـنة 207هـ/ 822م كتاباً بعنوان (اختلاف مصاحف أهل الكوفة والبصرة والشـام). الأمر الذي يعكس اسـتمرارية تفكير العلماء المسـلمين في جدلية اختلاف قراءات الأمصار الإسـلامية. وألّف أبو حاتم السجسـتاني المتوفى سنة 255هـ/ 820م كتاباً بعنـوان، (اختلاف المصاحف)، وصنّف العالم ابن أبي داود السجسـتاني، صاحب السـنن المشهور والمتوفى سـنة 316هـ/ 928م كتاباً بعنوان، (المصاحف) وقيل إنه أيضـاً كَانَ بعنـوان (اختلاف المصاحـف)؛ وصنّف العالـم، محمد بـن عبد الرحمن الأصفهاني المتوفى سـنة 306هـ/ 970م كتاباً وعنوانـه (اختلاف المصاحف)؛ كما ألّف العالم ابن الأنباري المتوفى 328هـ/ 939م كتاباً بعنوان (اختلاف المصاحف).

فالملاحظـةإن هـذا الميـدان قَدْ أشـبع في الـدرس والتمحيص من قبـل العلماء المسـلمين، فالعالم عبد الله بن عامر اليحصبي، كما يقول ابن النديم، قَدْ أخذ القرآن عَـنْ عثمـان ابن عفان، وقرأ عليـه، ويُعدُّ من الطبقـة الأولى من التابعيـن[1]، ونلحظ أيضـاً اهتمـام علمـاء اللغة العربيـة والنحو كالكسـائي والفرّاء، بمعنـى التركيز على الجوانـب اللغويـة في اختـلاف الأحرف والقـراءات. والملاحظة الأخـرى،إن ابن

(1) فهرست، ابن النديم، ص 31-32.

النديم المتوفى حوالي سنة 401هـ/ 1010 الذي اهتم بشأن اختلاف المصاحف عند بعض الصحابة، فأتى عليها وقلّب بعضها، وأورد ترتيب وأسماء السور فيها قَدْ وقف على ذكر هذه المؤلفات الخاصة باختلاف القراءات واختلاف المصاحف وصارت مصدراً مهما لكل من المستشرقين برتون وويلج[1].

والمعروف أن هذه المؤلفات قَدْ وردت أسماؤها وتمّ تحقيق معلومات عنها من قبل المستشرقين الذين سبق ذكرهم تواً، نظير المستشرق المعروف جيفري A. Jefferyمثل كتاب المصاحف، لابن ابي داود السجستاني، واعتمد على عددٍ من المؤلفات الإسلامية في تحقيقه، كذلك، فإنه اعتمد على الكثير من المؤلفات الخاصة بالمصاحف وتفاسير القرآن في كتابه المذكور آنفاً (موارد أو مصادر حول تاريخ النصّ القرآني). كذلك لابد من الإشارة إلى فهرست ابن النديم، إِذْ أفرد حيّزاً من الكتاب، عَنْ هذا الميدان؛ وحول مؤلفات تفسير القرآن، فمما أورد ذكره، أن الإمام محمد بن علي بن الحسين الباقر، قَدْ صنّف كتاباً في تفسير القرآن ورواه عنه ، أبو الجارود، زياد بن المنذر، زعيم الجارودية وهي من بين فرق المذهب الزيدي[2].

والواقع، فإن كلا من المستشرقين جيفري وولج، قَدْ وقف على نقطة مهمة أشرنا إليهاأعلاه، ألا وهي إن نسخ المصاحف التي كانتْ بحوزة عدد من أصحاب رسول الله نظير مصحف أمير المؤمنين علي ومصحف الصحابي، عبد الله بن مسعود، ومصحف الصحابي، أبيّ بن كعب، ومصحف أبي موسى الأشعري المتوفى سنة 42هـ/ 664 وبيّنا عدداً من النقاط المهمة التي هي قابلة للنقاش. والملاحظة، أن مصحف الأشعري كَانَ معه في البصرة، ويعلّم به الناس هناك، لكنّه سلّمه حسب أوامر الخليفة، الذي أحرق المصاحف الشخصية، كالذي فعله مع مصحف أُبيّ بن كعب[3]. ولكنه في الوقت نفسه، أعاد الصحائف التي استلمها من زوج رسول الله حفصة؛ وهي بحسب قول السجستاني في كتابهالمصاحف كَانَ لها مصحف خاصٌ، يسمى مصحف حفصة.

(1) ينظر الفهرست، ص 38-39؛ Welch، (al-Kuran) in Encyclopedia of Islam (New Edition) Volume 5 (v) pp. 401-425.

(2) ابن النديم، الفهرست، ص 36.

(3) Welch، (al-Koran) in E. I. PP. 421-25.

ولمـا كنّا قَدْ أتينا في هذا الأوراق مـن المبحث على هذه النقطة، فلا ريب لنا من الوقـوف على ما ذكره العلامة ابـن النديم، إِذْ أنه أدلى بمعلومـات في غاية الأهمية، بشـأن هـذه المصاحـف الموجـودة عند عددٍ مـن الصحابـة وبشـأن خصائصها وما اشـتملت عليه من سور قرآنية وترتيب هذه السـور معتمداً في هذه المعلومات طبعاً على علماء كانوا على علم ودراية وتخصّص ومشـاهدة لهذه المصاحف، من أمثال الفضل بن شـاذان، ومحمد بن إسـحاق صاحب السـيرة النبوية. فيذكر على سـبيل المثـال، أنـه: «وجدت في مصحف عبد الله بن مسـعود السـور القرآنيـة على ترتيب مختلـف؛ فالسـورة الأولـى، هي البقـرة، ثم تأتي سـورة النسـاء، ثم آل عمـران، ثم سـورة ألمص، ثم الأنعـام، ثم المائدة، براءة، النحل، هود، يوسـف، بني إسـرائيل، الأنبياء، المؤمنون، الشـعراء، الصافات، الأحزاب، القصص، النور، الأنفال، مريم، العنكبـوت، الروم، يس، الفرقان، الحج، الرعد، سـبأ، إبراهيـم، ص، الذين كفروا، القمـر، الزمـر، الحواميم، المسـبّحات، حـم المؤمن، حـم الزخرف...والعصر لقد خلقنـا الإنسـان في خسـر وإنه فيه إلى آخر الدهـر إلا الذين آمنـوا وتواصوا بالتقوى وتواصوا بالصبر، إذا جاء نصر الله، إنا أعطيناك، قل الذين كفروا لا أعبد ما تعبدون، تبـت يـدا أبي لهب وتـبّ ما أغنى عنـه ماله وما كسـب وامرأته حمالـة الحطب، الله الواحد الصمد. فذلك مائة سـورة وعشـر سـور[1]، فهي رواية نتيجتها، كما نلاحظ، أن عدد سـور القـرآن الكريم في مصحـف الصحابي ابن مسـعود، تختلف عَنْ عدد سـور المصحف المتداول. وفي هذه المناسـبة، فإن ابن النديـم يذكر تعقيب راويته ابن شـاذان إِذْ قَالَ: «وَقَالَ ابن سـيرين، كَانَ عبد الله بن مسـعود لا يكتب المعوذتين في مصحفه ولا فاتحة الكتاب»[2]، وهذا يعني إن عددسـور القرآن الكريم عند ذلك ستكون مجموعها مائة وثلاث عشر سورة .

أما بشـأن مصحف الصحابي أُبيّ بن كعب، فيحدثنا ابن النديم أيضاً معتمداً على رواية ابن شاذان ما نصّها «قَالَ الفضل بن شاذان: أخبرنا الثقة من أصحابنا قال: كَانَ تأليـف السـور في قراءة أُبـيّ بن كعب بالبصرة فـي قرية يقال لها قريـة الأنصار على

---

(1) فهرست ابن النديم، ص 29.

(2) الفهرست، ص 29.

رأس فرسـخين،(كذا ورد في النص ولعل هذه المسافة التي بين البصرة وهذه القرية التي يرد ذكرها في المعاجم البلدانية ولعلها قرية النصر أو ما شابه ذلك)، عَنْ محمد بن عبد الملك الأنصاري، أخرج إلينا مصحفاً وَقَالَ:هذا هو مصحف أبيّ رويناه عَنْ آبائنا، فنظرت فيه، فاسْـتَخْرَجْتُ أوائل السـور، أو خواتيم الرسل (أو السور)، وعدد الآي فأوّلـه فاتحـةُ الكتاب، البقرة، النسـاء، آل عمران، الأنعـام، الأعراف، المائدة، الذي التبسـته وهي الأنفـال، التوبة، هود، مريم...بني إسـرائيل، الزمـر، حم تنزيل، طه، الأنبياء، النور، المؤمنين، حم المؤمن، الرعد، طسـم القصص، طس سـليمان، الصافـات، داود، سـورة ص، يس، أصحاب الحجر، حم عسـق، الـروم، الزخرف، حم السـجدة، إبراهيـم، الملائكة، الفتح، محمد، الحديد، الطهـار، تبارك، الفرقان، ألـم تنزيل،...عبس وهـي أهل الكتاب، لَمْ يكن أول مـا كان، الذين كفروا، الصف، الضحـى، ألم نشـرح لك، القارعة، التكاثـر، الخلع ثلاث آيات، الجيد سـت آيات، اللهم إياك نبعد وآخرها بالكفار ملحق، اللمز، إذا زلزلت، العاديات، التين، الكوثر، القدر، الكافرون، النصر، أبي لهب، قريش الصمد، الفلق، الناس، فذلك مائة وسـتة عشر سورة [1]، ثم يعقب ابن شاذان قائلًا: «قَالَ:لي هاهنا أصبت في مصحف أبيّ بن كعب، وجميع آي القرآن في قول أبيّ بن كعب سـتة آلاف آية ومائتان وعشـر آيات، وجميع عدد سـور القرآن في قول عطاء بن يسـار مائة وأربع عشـر سـورة وآياته ستة آلاف ومائة وسبعون آية »[2]. هذا ما ذكره مجهولٌ لابن شاذان، وهو الذي أوصل له الخبر عَنْ عدد سور القرآن بحسب مصحف الصحابي أبيّ.

ولنـا تعقيب مهمٌ على هذه الرواية بشـأن مصحف الصحابي أُبـيّ، فمّما يُضَعّفُ الرواية ثغرة تتعلق بالمعلومة التي وردت في المصادر على أن الصحابي أُبَيّاً قَدْ سلّم مصحفه إلى الخليفة، وقيل قَدْ اتلف النسـخة التي كانتْ بحوزته مباشـرة بعد تسلّمه الأمـر. وهذا يعني بوضوح جداً أن عمليـة الإتلاف أو الإحراق قَدْ تمّت زمن خلافة الخليفة الثالث، فكَيفَ إذنْ ما رواه هذا المجهول الثقة من أصحاب ابن شاذان من أنه رأى نسـخة مصحف الصحابي أُبيّ مع رجل يدعى محمد بن عبد الملك الأنصاري

(1) الفهرست، ص 29-30.

(2) م. ن. ص30.

في فترة لاحقة ومتأخرة عَنْ وفاة هذا الصحابي؟ كذلك في الرواية ثغرة أخرى تتعلق بالشخص المدعو الأنصاري وهو يخرج لابن شاذان مصحفاً للصحابي قائلاً له: «رويناه عَنْ آبائنا»[1]. فالرواية لا يقصد بها أنه قَدْ كشف ما لديه نسخة من مصحف الصحابي أبيّ، بَلْ كانتْ مسندة إلى آبائه؟ أما الثغرة الثالثة، فهي إن أبن شاذان، قَدْ نظر في المصحف، واستخرج أوائل السور وخواتيمها، فكانت مائة وست عشر.

وبحسب قول المؤرخ محمد بن إسحاق المديني المتوفى 150هـ/ 767، إذْ كَانَ فضلاً عَنْ شهرته الواسعة كعالم في السيرة النبوية الشريفة، محدّثاً اضطر إلى ترك المدينة المنورة، مدينته، بحدود سنة 140 هجرية/ 757 متوجهاً إلى الكوفة،ثم الحيرة قبل بناء مدينة بغداد لأسباب شخصية، ربما كَانَ أهمها الأحقاد العلمية لنفر من علماء المدينة ووقفوهم ضدّه وضدّ عالميته. وكَانَ توجهه إلى العراق ربما بدعوة من أبي جعفر المنصور العباسي لأنه- أي ابن إسحاق - كَانَ معروفاً بعلمه الغزير في التاريخ منذ بدء الخليفة، وكَانَ أبو جعفر مهتماً بضمّ العلماء البارزين إلى بلاطه ومهتماً بكتابة تاريخ للإسلام يبين فيه دور بني هاشم من العباسيين، بَلْ التركيز على دور جدّ الأسرة بصورة خاصة، إن كَانَ له دور إيجابي في الإسلام. وفعلاً فعندما وصل الكوفة عرّج على مدينة الحيرة، لأن أبا جعفر كَانَ مقيماً فيها، كارهاً المكوث في الكوفة، قبل تأسيسه مدينة بغداد، عاصمة له ولأبنائه من العباسيين. وقد عرض كتابه الكبير، الذي كَانَ في قراطيس حملها معه من المدينة ويتألف من ثلاثة أقسام المبتدأ، والمبعث والمغازي. ولهذا فإن روايته بشأن مسألة القراءات، ونسخ القرآن ومصاحف الصحابة، لها أهمية فيقول ابن إسحاق: «رأيت عدة مصاحف ذكر نسّاخها إنها مصحف الصحابي ابن مسعودٍ، ليس فيها مصحفين متفقين وأكثرها في رق كثير النسخ، وقد رأيت مصحفاً قَدْ كتب منذ مائتي سنة فيه فاتحة الكتاب»[2]. فهذه الجملة الأخيرة مهمة، وكأنها ردّ على رواية الفضل بن شاذان، بأن مصحف الصحابي ابن مسعود خالية من سورة الفاتحة. وللرواية أهمية أخرى، لا تقلّ فائدتها عَنْ التعليق السابق بشأن سورة الفاتحة؛ فهي تتناول مسائل

---

(1) الفهرست، ص 29.

(2) الفهرست، ص 29.

تؤدي بنا إلى تضعيف الرواية التي تزعم بأن مصحف الصحابي ابن مسعود كَانَ في نسخة واحدة وإنهرفض أول مرةٍ تسليمها للإتلاف والحرق. فضلاً عَنْ توضيحها مسألة اختلافها في تسمية السور وترتيبها عَنْ نسخة المصحف الذي جمعه الخليفة. والأهم أيضاً،بأن المصحف كَانَ موجوداً بعددٍ غير قليل من النسخ (عدة مصاحف). مع الاعتقاد، بأن المصحف ظل موجوداً بعد وفاة الصحابي، بما قدّرها ابن اسحاق (مائتي) ولعل الصحيح (مائة) أي بحوالي سنة 50هـ/ 670م بعد وفاة الصحابي. فهل نعتمد هذه الإشارة، لابن اسحق، والقول بأن مصحف الصحابي، لَمْ يحرق أو أنه ظلّ منه نسخة تؤكد على بقائه حياً إلى الفترة التي حدّدها ابن اسحاق، وربما إنه كَانَ مقروءاً أيضاً ومُعتَمَداً. وذلك لأن العبارة التي أوردها ابن اسحاق تقول: أنه رأى عدة مصاحفٍ بحدود سنوات حياته وقبل وفاته سنة 150هـ/ 767م وهي السنة التي اتفق عليها على الرغم من تباين الآراء بالنسبة إلى سنة وفاته بالدقة. وقول ابن اسحق، إن المصحف كَانَ مكتوباً على الرق، وكَانَ كثير النسخ، ربما يدفعنا إلى التساؤل عما إذا كَانَ ابن اسحق يقصد بكثرة النسخ، الأخطاء، أي أخطاء الناسخين، أم المراد بالعبارة، زيادة عدد نسخه المكتوبة على الرق؟.

وأفادنا ابن النديم في هذه المسألة كثيراً، إذْ أنه قدّم معلومات مهمة بالنسبة إلى ترتيب سور القرآن الكريم ومدى الاختلاف في القراءة مع المصاحف التي كانتْ موجودة وربما متداولة قبل أن يجمع في نسخة واحدة. فأورد روايةً جمعية بصيغة (حدثني أبو الحسن محمد بن يوسف قَالَ حدثنا أبو عبد الله محمد بن غالب قَالَ حدثنا أبو محمد عبد الله بن الحجاج المديني قدم من المدينة سنة 290هـ/ 902م، قَالَ حدثنا بكر بن عبد الوهاب المديني قَالَ حدثني الواقدي محمد بن عمر. قَالَ حدثنا معمر بن راشد عَنْ الزهري عَنْ محمد بن نعمان بن بشير قال: أول ما نزل من القرآن على النبي ، اقرأ باسم ربك الذي خلق إلى قوله علّم الإنسان ما لَمْ يعلم، ثم يا أيها المزمل، وآخرها بطريق مكة، ثم المدثر»[1]، فالرواية كما نرىٰ دقيقةً بخصوص الأماكن التي نزلت فيها سور القرآن الكريم، وهي أيضاً مهمة في نزول أول سورة وثاني سورة بخلاف ما جاء في القرآن الذي نقرأ به.

---

(1) الفهرست، ص 28.

فـي الوقت الذي قـدّم ابن النديم رواية عَنْ مجاهد بترتيب آخر لسـور القرآن، إذْ قَالَ أنه: -» نزلت تبت يدا أبي لهب ثم والشمس كورت، ثم سبح اسم ربك الأعلى، ثـم ألم نشـرح لـك صدرك، ثم والعصـر، ثم والفجـر، ثم والضحى، ثـم والليل، ثم والعاديات صُبحا، ثم إنا اعطيناك الكوثر، ثم ألهاكم التكاثر، ثم ارأيت الذي، ثم قل يـا أيهـا الكافرون، ثم ألم تر كَيفَ فعل ربك بأصحـاب الفيل، ثم قل هو الله أحد، ثم قل أعوذ برب الفلق، ثم قل أعوذ برب الناس، ويقال أنها مدنية، ثم والنجم، ثم عبس وتولـى، ثـم إنا أنزلناه، ثم والشـمس وضحاها، ثم والسـماء ذات البروج، ثم والتين والزيتون، ثم لإيلاف قريش، ثم القارعة، ثم لا أقسم بيوم القيامة، ثم ويل لكل همزة، ثم والمرسلات، ثم ق والقرآن، ثم لا أقسم بهذا البلد، ثم الرحمن، ثم قل أوحي، ثم يس، ثم ألمص، ثم تبارك الذي نزل الفرقان، ثم سورة الملائكة ثم الحمد لله فاطر، ثم سـورة مريم، ثم سـورة طه، ثم إذا وقعت الواقعة، ثم طسـم الشعراء، ثم طس، ثم طس الآخرة ثم سـورة بني إسـرائيل ثم سـورة هود ثم سورة يوسـف، ثم يونس، ثم سـورة الحجر، ثم سـورة والصافات، ثم سـورة لقمـان، آخرها مدني. ثم سـورة قَدْ أفلح المؤمنون، ثم سـبأ ثم سـورة الأنبياء ثم سورة المزمر، ثم سـورة حم المؤمن، ثم سـورة حم السـجدة، ثم سـورة حم عسـق، ثم حم الزخرف، ثم حم الدخان، ثم حم الشـريعة، ثم حـم الاحقاف، فيها آي مدنـي. ثم الذاريات، ثم هَـلْ أتاك حديث الغاشية، ثم سورة الكهف، آخرها مدني، ثم الأنعام، فيها آي مدني. ثم سورة النحل، آخرهـا مدني، ثم سـورة نوح، ثم سـورة إبراهيم ثم سـورة السـجدة، ثـم والطور ثم تبارك الذي بيده الملك، ثم الحاقة ثم سـئل سائل، ثم عم يتساءلون، ثم والنازعات، ثم إذا السماء انفطرت، ثم إذا السماء انشقت، ثم الروم، ثم ويل للمطففين ويقال أنها مدنية، ثم اقتربت الساعة وانشق القمر، ثم والسماء والطارق[1]. فهذا الترتيب لنزول سور القرآن الكريم فيه اختلاف مع الترتيب السابق برواية جمعية كما أنه يختلف في كثير من التسـميات والترتيب والتقسـيم بين مكّية ومدنية مع القرآن المقروء. فضلاً عَنْ أنه في رواية مجاهد هناك تصنيف لا أحسبه غير مقصود بين ذكر بداية ال آية من دون استعمال سورة كذا وبين ذكر البداية بشكلٍ مجرّدٍ نظير ثم لقمان، ثم الحاقة، ثم

(1) الفهرست، ص 28.

ويل للمطففين، فهل جاء هذا التصنيف على أساس طول السورة وقصرها بمعنى، أن رواية مجاهد في ترتيب السور القصيرة من دون تسميتها بسورة وبين السور الطويلة التي سماها سورة . وهذه المسألة تذكرنا، بأن منهج زيد بن ثابت في ترتيب سور القرآن حين شرع في تنسيق الصحائف وجمعها، بدأ بالسور الطوال، ثم القصار فرواية مجاهد إذنْ،ربما تعكسُ مَنْهَجَ مجاهد في الترتيب. ولكن مع هذا لَمْ يرد في رواية مجاهد على أنهُ صَنَّفَ مصحفاً بهذه المنهجية في الترتيب!!

وهناك رواية أخرى في هذا الصدد أوردها ابن النديم بالسند الآتي «قَالَ حدثني الثوري عَنْ فراس عَنْ الشعبي قال: نزلت النحل بمكة – وهذا هو المنصوص عليه في كتاب الله العزيز – ولكن الشعبي يقول: نزلت النحل بمكة إلّا هؤلاء الآيات، ﴿وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦ﴾ [أي يقصد الشعبي آيات 126، 127، 128 من سورة النحل وهي مدنية]. ورواية أخرى عَنْ ابن جريج عَنْ عطاء الخراساني عَنْ ابن عباس قال: «نزلت بمكة خمس وثمانون سورة ونزل بالمدينة ثمان وعشرون سورة . نزل بالمدينة البقرة، ثم الانفال، ثم الأعراف، ثم آل عمران، ثم الممتحنة، ثم النساء، ثم إذا زلزلت، ثم الحديد، ثم الذين كفروا، ثم الرعد، ثم هَلْ أتى على الإنسان، ثم يا أيها النبي إذا طلقتم النساء، ثم لَمْ يكن الذين كفروا، ثم الحشر، ثم إذا جاء نصر الله والفتح، ثم النور، ثم الحج، ثم المنافقون، ثم المجادلة، ثم الحجرات ثم أيها النبي لَمْ تحرّم، ثم الجمعة، ثم التغابن، ثم الحواريين، ثم الفتح ثم المائدة ثم التوبة ويقال نزلت المعوذات بالمدينة، ثم سائر القرآن»[1]. وهذا الترتيب لنزول القرآن يختلف عَنْ تسلسل السور المدنية في القرآن فسورة آل عمران نزلت بعد سورة البقرة، ونزلت الأعراف، قبل الأنفال، ونزلت الحجرات، قبل الفتح، ونزلت الممتحنة، قبل الجمعة والتغابن والفتح، وهكذا في مواضع أخرى لسور القرآن الكريم المتعلقة بترتيب السور التي نزلت في المدينة. أيضاً فرواية ابن عباس هذه، قَدْ ذكرت عدداً من السور التي نزلت على رسول الله في المدينة لكنها لَمْ تأتِ على السور المكية التي كَانَ عددها خمسٌ وثمانون سورة، لذلك ليس بوسعنا مقارنة ترتيبها بترتيب سور القرآن الذي نقرأ به.

(1) الفهرست، ص 28.

مصحف الإمام علي:

ونلاحظ إن ابن النديم عندما يأتي إلى مصحف الإمام علي يقدّم الموضوع بحسب العنوان الآتي (**ترتيب سور القرآن في مصحف أمير المؤمنينعلي بن أبي طالب كرّم الله وجهه**) يقول ما نصّه «وهذا ترتيب السور من ذلك المصحف»[1] وهنا ينقطع النصّ فَلَمْ يذكر ترتيب السور، ولعل هذا القطع متعمد ومقصود من ناسخ فهرست ابن النديم. فنصّ الرواية هكذا في النسخ المحققة من الفهرست، فهو بالتأكيد لَمْ يكن من فعل ابن النديم. ولعلنا في المستقبل نغير رأينا في حالة الكشف عَنْ نسخة جديدة للفهرست.

إن العمل في ماهية ترتيب السور القرآنية في مصحف الإمام علي لَمْ يبق مطموساً كما أعتقد ناسخ فهرست ابن النديم، فَقَدْ تحرّينا عَنْ ذلك فوجدنا بحمد الله مقالتنا وضالتنا. يقول اليعقوبي في تاريخه ما نصّه «وروى بعضهم أن علي بن أبي طالب كَانَ جمعه - أي جمع المصحف - لما قبض رسول الله ، وأتى به يحمله على جمل قَالَ:هذا القرآن قَدْ جمعته. وكَانَ قَدْ جزأه سبعة أجزاء»[2] وقد احتوت هذه الأجزاء السبعة على آيات كتاب الله وعلى الوفق الآتي:

- الجزء الأول، البقرة، وسورة يوسف، والعنكبوت، والروم، ولقمان، وحم السجدة، والذاريات، وهَلْ أتى على الإنسان، وألم تنزيل، السجدة، النازعات، وإذا الشمس كورت، وإذا السماء انفطرت، وإذا السماء انشقت، وسبح اسم ربك الأعلى، وَلَمْ يكن فذلك **جزء البقرة** ثمانمائة وست وثمانون آية وهو ست عشرة سور.
- الجزء الثاني: آل عمران، وهود، الحجر، والأحزاب، والدخان، والرحمن، والحاقة، وسأل سائل، وعبس والشمس وضحاها، وإنا أنزلناه، وإذا زلزلت، وويل كل همزة لمزة، وألم تر والإيلاف، بذلك **جزء آل عمران** ثمان مائة وست وثمانون آية وهو خمس عشر سورة .

---

(1) م. ن. ص30.

(2) تاريخ اليعقوبي، جزء 2، ص 91-92.

والجزء الثالث: النساء، والنحل، والمؤمنون، ويس، وحمعق، والواقعة، وتبارك الملك، ويا أيها المدثر، وارأيت وتبت، وقل هو الله أحد، والعصر، والقارعة، والسماء ذات البروج، والتين والزيتون، وطس، والنمل فذلك **جزء النساء** ثمانمائة وست وثمانون آية وهو سبع عشرة سورة .

- والجزء الرابع: المائدة، ويونس، ومريم، والشعراء، والزخرف، والحجرات، وق والقرآن المجيد، واقتربت الساعة، والممتحنة، والسماء والطارق، ولا أقسم بهذا البلد، وألم نشرح لك، والعاديات، وإنا أعطيناك الكوثر، وقل يا أيها الكافرون، فذلك **جزء المائدة** ثمانمائة وست وثمانون آية وهو خمس عشر سورة .

- والجزء الخامس: الأنعام، وسبحان واقترب والفرقان، وموسى وفرعون، وحم المؤمن، والمجادلة، والحشر، والجمعة، والمنافقون، ون والقلم، وإنا أرسلنا نوحاً، وقل أوحي إليّ، والمرسلات، والضحى، والهاكم فذلك **جزء الأنعام** ثمانمائة وثمانون آية وهو ست عشرة سورة .

- والجزء السادس: الأعراف، وإبراهيم، والكهف، والنور، وص، والزمر، والجاثية، والذين كفروا، والحديد، والمزمل ولا أقسم بيوم القيامة، وعم يتساءلون، والغاشية، والفجر، والليل إذا يغشى، وإذا جاء نصر الله، فذلك **جزء الأعراف** ثمانمائة وست وثمانون آية وهو ست عشر سورة .

- والجزء السابع: الانفال، وبراءة، وطه، والملائكة، والصافات، والأحقاف، والفتح والطور، والنجم، والصف، والتغابن، والطلاق، والمطففين، والمعوذتين، فذلك **جزء الأنفال** ثمانمائة وست وثمانون آية وهو خمس عشرة سورة »[1]. وعقّب اليعقوبي على روايته المهمة هذه بقوله: «وَقَالَ بعضهم إن علياً قال: نزل القرآن على أربعة أرباع، ربع فينا وربع في عدونا وربع أمثال وربع محكم ومتشابه»[2]. وهذا القول قَدْ جاء عند المفسرين الشيعة أيضاً.

---

(1) تاريخ اليعقوبي، (دار الفكر - بيروت 1375/ 1956)، جزء ص 91-92.

(2) م. ن. ص 93.

ومما يلفت النظر في رواية ابن النديم، تعقيبه بخصوص توثيق الفضل بن شاذان وتوثيق معلوماته إِذْ قَالَ «كَانَ أحد الأئمة في القرآن والروايات، ولذلك ذكرنا ما قاله دون ما شهدناه»[1]. لماذا سجل ابن النديم هذا التوثيق أإنه كَانَ يهدف إلى توثيق مدى مصداقية رواية ابن شاذان بخصوص مصحف الصحابي عبد الله بن مسعود، ومصحف الصحابي أبيّ والأشعري، باعتباره يعدّ في هذا الصدد أحد العلماء البارزين بما له علاقة بعدد سور وترتيب وتنسيق سور القرآن وآياته؛ أم أنه وجد في معلوماته هذه خطورة في عرضها للقراءة باعتبارها تقع ضمن دائرة إظهار الاختلاف في المصاحف والقراءات، ويعدّ هذا أمراً غير مرغوب فيه فهو لا ترضى به السلطة غير الشرعية؟ طبعاً علينا الإشارة إلى أن السجستاني قبله، قَدْ ذكر ذلك في كتابه المصاحف، أو اختلاف المصاحف، وبالأخص ما قاله بشأن مصحف الإمام علي ولهذا السبب بتر روايته من دون أن يذكر ترتيب سور مصحف الإمام وآياته، لعل ذلك كَانَ بفعل متعصب لا يريد أن تعمّ الإشارة، وتسود بالنسبة إلى مصحف الإمام. ومهما يكن من أمر، فهذه المعلومات تُبيِّنُ بجلاءٍ مسألةً في غاية الأهمية، تتعلق بموقف علماء المصاحف من أهل السنّة من مصحف الإمام علي الذي بحدّ ذاته يعدّ هو المصحف الأصلي، الذي كَانَ عند رسول الله.

أما الموضوع الآخر الذي لا تقلّ أهميته عَنْ الموضوع السابق، فهو ما رواه ابن النديم أيضاً لكن عَنْ طريق سند آخر، هو ابن المنادي وعلى وفق الصيغة السندية الآتية «قَالَ:ابن المنادي حدثني الحسن بن العباس، قَالَ:أخبرت عَنْ عبد الرحمن بن أبي حماد عَنْ الحكم بن ظهير السدوسي عَنْ عبد خير»[2]، وهو سند كما يلاحظ القارىء مرسل حيناً ومقطوع حيناً آخر فضلاً عَنْ وجود نهاية مجهولة، أي العبد الفقير أو عبد خير. ومحتوى هذه الرواية أن هذا العبد الخير روى عَنْ علي معلومة جاء فيها ما نصّه «أنه رأى من الناس طيَرة عند وفاة النبي فأقسم أنه لا يقع عَنْ ظهر رداءه حتّى يجمع القرآن فجلس في بيته ثلاثة أيام حتّى جمع القرآن، فهو أوّل

(1) الفهرست، ص 29.

(2) فهرست، ابن النديم، ص 30.

مصحـفٍ جمع فيـه القرآن من قلبـه. وكَانَ المصحف عند أهل جعفـر»[1]. والواقع، فإن العمل الذي نهد به الإمام علي بعد رحيل رسـول الله قَدْ توثق في مصادر سـابقة، نظيـر سـليم بن قيس الهلالي، وابن سـعد فـي الطبقات، وابن أبي الحديد في شـرح نهج البلاغة، والسيوطي في الإتقان وغيرهم مما قَدْ وقفنا عليه سابقاً بوجود قراءات وإضافـات، وحـذفٍ ونقصفي القـرآن. والأهم من ذلـك، أن هذه العمليـة الخطيرة بقيت إن كَانَ في كتابات ومؤلفات اختلاف المصاحف أم سائدة بين صفوف علماء القـرآن الكريم أم وهو الأكثـر خطورة من الولاة والسياسـيين حتَّى الربع الأخير من القـرن الثاني للهجرة/ الثامـن للميلاد. ففي رواية عَنْ عبيد الله بن زياد قَالَ يحيى بن حكيم حدثني يزيد الفارسي قَالَ «زاد عبيد الله بن زياد - والي الأمويين على العراق - فـي المصحـف - طبعـاً مصحف الخليفة عثمـان - ألفي حـرف»[2]. والواقع فَقَدْ وقـف محقق كتاب المصاحف الدكتور محيي الدين عبد السـبحان واعظ على هذه (ألفي زيادة) وقفة مستفيضة وهَلْ أن معناه في موضوع (الألف) أم حقيقة ألفي زيادة كما أشار إليها البروفسور في دراسته باللغة الألمانية المترجمة إلى الإنجليزية[3].

ولـم يقف الأمر عند هذا الحدّ فعندما ولـي الحجاج الثقفي أمر العراق زمن عبد الملـك بـن مروان قرأ تلك الزيـادات التي أضافها عبيد الله بن زياد وقيل أن شـخصاً أبلغـه بذلـك فَقَـالَ: «من ولي ذلـك لعبيد الله أن يفعـل ذلك. قالوا ولـي ذاك له يزيد الفارسـي. فارسـل إليّ - يعني الفارسـي - فانطلقت إليه وأنا لا أشـك أنه سيقتلني. فلمـا دخلـت عليه قال: ما بـال ابن زياد زاد فـي المصحف ألفي حـرف؟ قال، قلت أصلـح الله الأميـر، إنه ولد بكلأ البصرة فتوالت تلـك عني، قَالَ صدقت، فخلي عني وكَانَ الـذي زاد عبيـد الله فـي المصحـف: - كَانَ مكانه في المصحـف (قالوا) قاف لام، و (كانـوا) كاف واو فجعلهـا عبيـد الله (قالـوا) قـاف ألـف لام واو ألف وجعل

(1) م. ن.

(2) السجستاني، المصاحف، (تحقيق د. محب الدين عبد السبحان واعظ (ط2، دار البشائر الإسلامية، بيروت 1423/ 2002) جزء 3، ص 462-463.

(3) المستشرق.....

(كانـوا) كاف ألف نون واو ألف»[1]. وفي روايـة متعلقة في هذا المجال قَالَ أبو بكر «كَانَ فـي كتـاب أبيّ حدثنا رجل فسـألت أبي من هو؟ فقـال: حدثنا عبّاد بن صهيب عَنْ عوف بن أبيّ أن الحجاج بن يوسف غيّر في مصحف عثمان أحد عشر حرفاً»[2].

مـا هي التحريفـات التـي أدخلها الحجّـاج الثقفي علـى المصحـف العثماني الذي يعـدّ هو المصحف الذي يقرأ به المسـلمون؟ علماً بأن الحجّـاج الثقفي لا علاقة له بالمصاحف والقراءات لكنه أراد أن يدسّ على كتاب الله والأحرى أنه أراد أن يدنس كتاب الله. وهذه التحريفات التي أدخلها الحجّاج هي: -

- في سورة البقرة لَمْ يتسن وأنظر - وهي جزء من آية 259 من البقرة ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ ﴾ - غيرها الحجاج لَمْ يتسنه بالهاء.
- في سورة المائدة (شريعة ومنهاجا) غيرها إلى ﴿شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾.
- في سورة يونس (هو الذي ينشركم) غيرها إلى (يسيركم)- ينظر آية 22 من السورة ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾.
- وفي سورة يوسف (أنا آتيكم بتأويله) غيرها ﴿أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ ﴾- ينظر آية 45 من السورة.
- في سورة المؤمنين ﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ﴾ ثلاثتهن فجعل الحجاج الأخريين (الله الله).
- وفي سورة الشعراء قصة نوح ﴿مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴾ وفي لوط ﴿مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴾ فَغَيّرَها في نوح ﴿مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴾ وفي لوط ﴿مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴾.
- وفي سورة الزخرف (نحن قسمنا بينهم معايشهم) فقد غَيرَّها الحجاج ﴿مَّعِيشَتَهُمْ ﴾
- وغيّر (من ماء غير يسن) إلى ﴿مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ ﴾[3].
- وفي سورة الحديد (فالذين آمنوا منكم واتقوا لهم أجر كبير) غيرها ﴿مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ ﴾- وقد راجعت سورة الحديد آية 7 حيث ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾.

---

(1) المصاحف ج3 ص 462-463.

(2)

(3) المصاحف ص 463-464.

- في سورة والشمس كورت (ما هو على الغيب بظنين) غير **ظنين إلى** (بضنين)- راجعتُ القرآن الكريم، فلم أجد سورة باسم والشمس كورت إنما سورة التكوير وال آية 24 ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾.
- وغيّر في (وكان من الذين كفروا)[1].

أقولُ كيف تجرأ الحجّاج الثقفي، الحاكم الظالم، الذي عامل قرّاء القرآن والمسلمين الشيعة بمنتهى الوحشية أنْ يحرّف أو يزيد أو ينقص في كتابه الله. وقد سبق ذكر أقوال الأئمة أنَّ ما في المصحف كلّه من الله تعالى. وهو أمر خطير حقاً حتى أن مؤلف البحث في اللغة الألمانية جعل عنوان بحثه **(عملية أو مشروع المصاحف الثانية: هي خطوة لشرعنة النصّ القرآني.**

The secoud Masahif project: A step towards the canonization of the .[2](Qura›nic Text.27

وما الذي يقصدُ مؤلف هذا البحث بعملية المصاحف الثانية، إنه يقصد مصحف الحجّاج الثقفي، الذي أمر أن يكون هو الوحيد في القراءة في البصرة والكوفة، بُغضاً بمصحف الصحابي عبد الله بن مسعود، الذي عبّر عن كرهه له ولمصحفه. فما هو الدافع الذي دفع بالحجّاج الثقفي، أن يُغيّر في كتاب الله الذي أنزله الروح الأمين على رسول الله يقول المستشرق الدانماركي أو الألماني ديترتش A.Dietrich الذي ألف عدة بحوث منها بحثه المنشور في مجلة الإسلام Islam Tetkikleri Enstitusu Dergisi بعنوان **(ملاحظات عن سيرة الحجاج بن يوسف الثقفي)**[3]، وبحثه الآخر المهم بالنسبة إلى موضوع البحث المنشور في دائرة المعارف الإسلامية (طبعة

---

(1) القائمة موجودة على ص 463-464.

(2) Omar، Hamdan: «The second Masahif project: A step towards the canonization of the Qura›nic Text; idem، Konnen Korantexte der Fruhzeit durch michtkoranonische Lesarten rekonstruiert warden?» in the Quran as Text، Historical and Literary Inestigations into the Qur'anic Milieu edited by Stefan wild، (Brill-Leiden، 1996، Pp. 24-40 .

(3) A.Dietrich، Al. Haccde b. yusuf iun terceme-I haline dair bir Kas mulahaza» in lslam Tetkikleri En stitusu Dergisi، lyl، latanbul 1957، idem (al-Hadjdadj b. Yusuf b.al-Hakam) in EI.Vol pp. 39-43 especid- ly p. 41.

جديدة E.I.) في مجلدها الثالث ص 39-[1]43، وفي هذا البحث، يقدّم معلومةً مهمةً، وهي أنَّ الحجّاج إهتم ليس في السياسة والجوانب العسكرية، إنما عُنَي بشكل خاص بانتاج أو بصنع شكل وصيغة جديدة للنصّ القرآني. إنّه تدخل في النصّ القرآني، لهدفين الأول، منهما أن يضع حداً للاختلافات والتنازعات بين العلماء والفقهاء، بخصوص القراءات المختلفة والمتباينة وكذلك - إنتاج نصٍّ واحدٍ يعمل به جميع أفراد ما كان الخليفة الأول مزمعاً عليه في جعل المصحف الذي جمعه زيد بن ثابت بحرف زيد نفسه، وما أقَدم عليه الخليفة الثالث وبحرف زيد أيضاً إن كان إلّا محاولة هدفهُ منها وضعُ حدٍّ للمصاحف التي كانت عند الإمام علي والصحابة من كتّاب الوحي نظير الصحابي، عبد الله بن مسعود، والصحابي أبيّ بن كعب وغيرهما. ألم يكن عملهما مجدياً لتوحيد الأمة الإسلامية، حتى يأتي الحجّاج الثقفي، العدو اللدود للإسلام ووحدة المسلمين والخادم الطيّع لأسياده الأمويين وعبد الملك بن مروان، ذلك الذي نتذكر قوله عندما أتته الخلافة اللاشرعية وهو يخاطب القرآن.... غير أن المسألة أبعد من ذلك بكثير، وكما عبّر عنه المستشرق ذاته. فكانَ الحجّاج يريد أنْ يحذف أو يزيد أو يطمس كل ما له علاقة بالأمويين وبني أمية، وأن يُحَرّف ويحذفَ كلَّ ما له علاقة بتكريم آل بيت محمد. فربما كان الجمع الأول والثاني زمن الخليفتين الراشديين غيرُ كافٍ في محو الآيات التي تعظم الإمام علي وآل بيته الأطهار، لهذا وجد الحجّاج فرصته في حذف وإلغاء الآيات التي يُشم منها رائحة فيها تعظيم وتكريم لآل بيت محمد. ألا يرى قارىء القرآن أنَّ هناك حذفاً مقصوداً في الآيات الكريمة التي تؤشرُ إلى آل بيوت الأنبياء نظير: - آل نوح، وآل عمران، من دون ذكر لآل محمد. فإذا ما تجاسر والي الأمويين، وتجرأ بعدوانه على المصحف الشريف في هذه الإحدى عشرة مرة، فهل هنالك من يمنعه عن تطاولات وتجاوزات أخرى على آي القرآن إنْ كان مثل يزيد الفارسي والكثير من العلماء عبيد الفضة والذهب على أهبة الاستعداد للكتابة بين يدي الحجّاج، لإنتاج مُصْحفَ محرّف. **وقد تابعت تلك الإضافات والتجاوزات والتشويهات للقرآن فوجدتُ أن**

(1) Noldeke، Theodor، geschichte des Qurans Revised by Friedrich schwally and others، 2nd ed. 3vds. Leizig 1909-1935 p. 260، 263.

ما حرّفه الحجاج فعلاً هو المدّونُ، لا الكلمات والعبارات التي كانت في المصحف العثماني، فكيف السكوت عن القول للمسلمين، أنّ الحجّاج، قد أجرم بحق القرآن ونحن نقرأ الآن جريدة جرائمه الإحدى عشر والأكثر بكثير من هذا الرقم.

فعلى وفق ما وقف عليه المستشرق الألماني نولدكه Noldeke في كتابه الشهير الذي ترجم مُختصراً إلى اللغة العربية الموسوم Geschichte des Qurans في الجزء الثالث منه ص 260، فإنَّ تجزئة القرآن إلى إجازات مستقلة ومنفصلة، إنما ترجع إلى عهد الحجّاج. والأنكى من ذلك، أنّه أمر أنْ يأخذ المسلمون جميعاً بهذه التحريفات والإضافات، وأوامره بأنَّ مصحفه هو البديل لمصحف الصحابي ابن مسعود، الذي ألتزم به المسلمون في الكوفة وربما في البصرة كما أفادنا به المستشرق[1] نولدكه.

فالسلطة الطاغية المتمثلة بعبد الملك بن مروان وواليه على العراق الحجّاج الثقفي أرادا: أولاً تحجيم الدور الذي أداه الخلفاء الثلاث الأول واعتمادهم على الصحابي زيد بن ثابت في جمع القرآن وذلك من أجل الحيلولة دون إقرار المسلمين بالقرآن الذي أمر رسول الله الإمام علي بجمعه. وثانياً: أنه أراد أيضاً تحجيم بله وإعدام مصحف الصحابي الجليل، عبد الله بن مسعود، الذي ظل معترفاً به في البصرة والكوفة .

وثالثاً: جعل مصحفه المملوء تحريفاً ودسّاً وتشويهاً لخدمة أسياده الأمويين، هو المصحف البديل للمسلمين، وقد نجح في عمله.

كان إستمرار النظرية في عزل الخلفاء الأول للإمام ورفضهم للقرآن الذي كان عند رسول الله كما أنزله الوحي جبرئيل من الله تعالى. وواقعاً فإنَّ ما جمعه الإمام من القرآن يُعدّ تحدياً لجميع الروايات المتناقضة التي صاحبت رواية الخليفة الأول وعمر بن الخطاب وزيد التي أشرنا إليها مراراً، فالإمام علي كان أقرب منزلة إلى رسول الله وكاتباً لوحيه وحافظاً لآيات القرآن ويعدّ مصدراً للمسلمين بشأن آي كتاب الله العزيز، وهو بالتأكيد أكفأُ من الصحابي زيد حفظاً لكتاب الله تعالى ومكانة من النبي. فيروي سُليم بن قيس رواية كرّرها العلامة المجلسي، أن النبي قال في

---

(1) Noldeke، th.Ibid، p. 263.

مرضه الذي توفي فيه لعلي ، «يا علي هذا كتاب الله خذه إليك فجمعه علي في ثوب فمضى إلى منزله فلما قبض النبي جلس علي فألّفه كما أنزله الله تعالى وكان به عالماً»[1]. وفي الرواية نفسها اعتماداً على أبي العلاء العطار والموفق بن علي بن ربّاح إنه أمر علياً بتأليف القرآن فألفه وكتبه[2].

ولنرجع مرة أخرى إلى رواية السجستاني، وابن النديم، والسيوطي في الإتقان، تلك التي جاءت بصيغ متعددة ومن بينها هذه الصيغة «قال إبن المنادي حدثني الحسن بن العباس قال: أخبرتُ عن عبد الرحمن بن أبي حمّاد عن الحكم بن ظهير السدوسي عن عبد خير»[3]. والأكثر أهمية أنَّ هذا الذي عُرّف بالعبد الخير، روى عن الإمام علي بصيغة «سمعت علياً» أو عن «عبد خيّر عن علي» أو عن «عبد خيّر عن علي بن الحسين » وجميع روايات هذا العبد الخيّر تخبرنا عن ثلاثة مواضيع مهمة وأساسية:

- إن الإمام رأى من الناس طيُرة عند وفاة النبي فاقسم أنّه لا يضع عن ظهره رداءه حتى يجمع القرآن.لذلك لابدّ من القول بعد هذا الأستعراض الوافي الشافي من أن جمع الإمام علي للقرآن (المصحف) يُعدّ أول جمع لا كما يقول عمر كما أخرج ابن أبي داود من طريق الحسن «أن عمر سأل عن آية من كتاب الله فقيل: كانت مع فلان، قُتل يوم اليمامة فقال: إنّا لله! وأمر بجمع القرآن، فكان أول من جمع المصحف (وهو سند منقطع كما ذكر السيوطي ص169) لأن الحسن لمْ يلق عُمَرَ إذ أنّه ولد في آخر سني خلافته). كذلك لا كما أخرجه إبن أشته في كتابه المصاحف نقلا عن إبن بُريدة الذي قال: «أول من جمع القرآن في مصحف سالم مولى أبي حذيفة، أقسم لا يرتدي برداء حتى يجمعه، فجمعه» وهو حديث غريب جداً، لأن إبن بُريدة لَمْ يدرك سالماً كما نَوّهَ عن ذلك مُحقَقُ المصاحف، للسجستاني ص169.أقول ألا يرى الملاحظ الموضوعي، كيف

(1) كتاب سُليم بن قيس الهلالي، جزء 2 ص 580-581، المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، جزء 92 ص42.
(2) سُليم بن قيس الهلالي، جزء2 ص 580، بحار الأنوار، جزء 92 ص42.
(3) ابن النديم، فهرست، ص 30.

إن بُريدة الذي نقل روايته هذه، قد حَرّفَ وزَوّر في الرواية فجعل كلمات الإمام علي نفسها ونسبها السالم الذي كان مقرباً من عمر بن الخطاب والذي قتل في معركة اليمامة! هكذا يكون التزوير، الذي يقصد منه أولا وأخيرا التلفيق الرديء بإبعاد وعزل الإمام علي من المشهد القرآني.

- وذكر له (للعبد الخير) السيوطي ثلاث روايات حول الموضوع ذاته، غير أنَّ محتوى الرواية يختلف عن الذي نقله ابنُ المنادي، عند ابن النديم، ومفادها أنَّ الخليفة الأول، عاتب الإمام عن تَخَلُفهِ عن بيعته فقال: الإمام إنه رأى إختلاف الناس في القرآن، فأقسم أنَّ يلازم بيته لجمع القرآن.
- حوالي ست روايات أوردها السجستاني وغيره، إنّ الإمام قد إمتدح عمل الخليفة أبي بكر في جمع المصحف. فمن هو هذا العبد الخير؟ العلماء الذين ذكروا روايته، توحي بأنه كان قريباً من الإمام علي (سمعت علياً) أو (عن عبد خير عن علي... الخ).

غير أنَّ هؤلاء العلماء، لَمْ يقدّموا شيئاً عن إسمه وزمانه وفيما إذا كان من أنصار الإمام أم لا؟ غير أنَّ السند الذي أوردهُ يعدّ مسنداً مقطوعاً ومرسلاً لوجوده بصفته عبد خير، فضلاً عن سماعه الإمام، ولم يكن من اتباعه أو لم يكن عاش في زمن الإمام. وهذه المسألة تذكرنا أيضاً براوية راوية آخر، هو سويد بن غفلة الجعفي الكوفي، والذي يُعدّ من كبار التابعين المتوفي سنة 60هـ/ 680م؛ الذي يظهر في سلسلة إسناد تتعلق بالخليفة الثالث، عندما جمع القرآنَ حسب حرف زيد بن ثابت، إذْ أوردَ السجستانْي حوالي ثلاث روايات عن سويد هذا بصيغة (إنَّ علياً قال) أو (قال علي) والروايات هذه تؤشرُ إلى أنَّ الإمام قَد إمتدح عمل الخليفة الثالث وعلى السياق نفسه بالنسبة إلى عبد خير الذي إختصت رواياته بامتداح الإمام لعمل الخليفة الأول في جمع القرآن. وفحوى روايات سويد ما نصّه عند السجستاني «قال علي حين حرّف عثمان المصاحف، لو لَمْ يصنعه هو لصنعته» وكذلك روايته «لو لم يصنعه عثمان لصنعته»[1].

(1) المصاحف، ص 5-52.

ولمحاولة التعرف على هذه الشخصية أي عبد الخيّر أو العبد الخير أو عبد خيّر، فهناك عدة أسماء بهذا المعنى، إذ أورد إبنُ حجرِ العسقلاني في كتابه **تقريب التهذيب** شخصية باسم عبد الخير والمعتقد بأنه شخصية أخرى ثم أورد السجستاني راوية تحت اسم العبد الخير، وهو محمد بن عبد الله بن الزبير أبي أحمد الزبيري واصفاً إياه بكونه ثقة وثبت، غير أنّه يخطىء في حديث النوري مات سنة 203هـ والمعتقد أيضاً بأنه لا علاقة له بروايتنا ولعله الراوية الذي ينقل عنه السري بن يحيى الدارمي عند الطبري، ويرجع الفضلُ إلى العلامة إبنُ حجرِ العسقلاني في كتابه **تقريب التهذيب** لأنه عرّف شخصيةً باسم عبد خير بن يزيد الهمداني أبي عماره الكوفي مخضرم ثقة من الطبقة الثانية، لم يصحّ له صحبة. فإنْ كان هذا هو عبد خيّر فكيف سمع الإمام علي وهو من الطبقة الثانية وليس له صحبة؛ وعلى فرض إنّه كان ثقة ومخضرم، لكنه كان من أهالي الكوفة؛ والأحداث التي يروي عنها إنّما حدثت في المدينة لا الكوفة وبعد وفاة رسول الله. فالمعتقد إذن إنّ رواياته الست أو الأكثر حول الموضوع نفسه غير ثقةٍ ولا يمكننا تصديقها، وهي أقرب للإعلان عن الجهة التي أوكلت لنفسها جمع القرآن[1].

وقصة عبد الخير أو عبد خير هذه تشابُه تماماً قصة الراوي الآخر، الذي ظَهر فجأةً زمن الخليفة الثالث، فهو حسب رواية السجستاني، من كبار التابعين وتوفي سنة 60 هجرية/ 680م ولكنه برواية، ابن حجرِ العسقلاني، أنه سويد بن غفلة، أبو أمية الجعفي، مخضرم من الطبقة الثانية أيضاً، ومن كبار التابعين، قدم المدينة يوم دفن النبي وكان مسلماً في حياته ثم نزل الكوفة ومات سنة 80هـ/ 699م وله مائة وثلاثون سنة[2]. غير أنه كسابقه لا يمكننا الأخذ بروايته.

وأُثارت رواية عبد خيّر هذا نقاطاً تتعلق بما آلت إليه نسخة مصحف الإمام علي فيروي هذا الراوي ما نصّه «كان المصحف عند أهل جعفر»[3]؟ ويعقب إبنُ

(1) ينظر إبنُ حجر العسقلاني، تقريب التهذيب، تحقيق محمد عوامة، دار الرشيد - رسوريا، طبعة أولى 1406/ 1986 ج1 ص 336.
(2) ابن حجر العسقلاني، تقريب جزء1 ص 260.
(3) فهرست إبن النديم، ص 30.

النديم قائلاً: «ورأيت أنا في زماننا عند أبي يعلي الحسني رحمه الله مصحفاً قد سقط منه أوراق بخط علي بن أبي طالب يتوارثه بنو حسن على مرّ الزمان وهذا ترتيب السور من ذلك المصحف.. «ثمّ ينقطع نصّ الرواية فجأة»[1]. إذن فإن المقصود بجعفر في رواية عبد خير ربما جعفر بن أبي طالب. وكما ألمحنا سابقاً بخصوص إنقطاع الرواية دون ذكر الترتيب الذي رُتّبَ به مصحف الإمام، والانقطاع هذا قد وضحته رواية اليعقوبي، الذي إستقاها من مصدر شيعي، ولهذا فإنَّ كان القطع في رواية عبد خيّر، قد وقع سهواً أو إنَّ الفهرست المطبوع، لابن النديم هو ناقص، أو أن القطع قد حدث ربما من الناسخ متعمداً. كل ذلك قد عالجته رواية اليعقوبي القيّمة. والملاحظ في رواية ابن النديم أن مصحف الإمام ظل موجوداً عند آل الحسن إلى نهاية القرن الرابع الهجري وبداية القرن الخامس الهجري/ نهاية العاشر الميلادي وبداية القرن الحادي عشر على أساس أن وفاة ابن النديم كانت بعد سنة[2] 401هـ/ 1010م. وبقدر ما تتضمنه رواية ابن النديم، من أهمية بقدر ما تثير من تساؤلات، ومن جملة هذه الأسئلة، لماذا بقيت نسخة المصحف لحدٍّ هذه الفترة المتأخرة وإنَّ الإمام لم يُسلّم المصحف إلى عثمان ليسلقه بالخل أو ليحرقه؟ ولعل الجواب نعم، فالإمام بحسب رواية سليم بن قيس الهلالي، التي كرّرها العلامة المجلسي، قوله إنَّ الإمام رفض تسليم المصحف إلى عمر بن الخطاب، حين سأل الإمام أنْ يَطلَّع على المصحف قائلاً له: أنَّه سيبقى مخفياً حتى ظهور الإمام الحجة، ولذلك، فهو لم يُسلّمه إلى عثمان أيضاً. والأحرى القول، إنَّ الخليفة لَمْ يسأله تسليم المصحف، خشية أنّ يرفض الإمام، أوأنّ يكشف عن رأيه بما تَمَّ جمعه بحسب حرف زيد. ولماذا ظلّ المُصْحف عند آل الحسن من دون الأئمة بعد الإمام علي بن الحسين حتى الإمام العسكري ؟ وإن كان كذلك فلماذا لَمْ يأت علماء الشيعة نظير الشيخ الكليني، والشيخ المفيد، والشيخ الطوسي، والشيخ ابن بابويه وغيرهم على ذكر وجوده؟ ولماذا لم يتركه الإمام الحجة مع سفرائه الأربعة؟ لا سيما وإنّ العلماء الشيعة قد ألّفوا مؤلفات قيّمة عن عصر الغيبة، وعن عصرهم،

---

(1) فهرست إبن النديم، ص 30.

(2) ناجي، د. عبد الجبار؛ «ابن

أبّان عصر البويهيين وأصول الفقه الشيعي الإمامي والزيدي؟ وهنا تأتي المعلومات التي أفرد لها المؤرخ النسابة، جمال الدين أحمد بن علي الحسيني المعروف بابن عنبه المتوفي سنة 838هـ/ 1434م حيّزاً مهماً من كتابه (عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب) إذ أورد في روايته المفصلة ما يأتي: (مصحف بخط علي إحترق). ويروي ذلك عن أبي علي بن إبراهيم بن عبد الله بن جعفر الأعرج بن عبد الله بن جعفر، قتيل الحرّة، بن أبي القاسم محمد بن علي بن أبي طالب النسّابة وله مبسوط في علم النسب وزعم: - أنه رأى بخط أمير المؤمنين علي في آخره - كتب علي بن (أبو) طالب.

وقد كان بالمشهد الشريف الغروي مصحفٌ في ثلاث مجلدات بخط أمير المؤمنين علي إحترق حين إحترق المشهد سنة خمس وخمسين وسبعمائة يُقال أنه كان في آخره وكتب علي بن (أبو) طالب.

ولكن حدثني السيد النقيب السعيد تاج الدين أو عبد الله محمد بن القاسم بن معيه الحسني النسابة وجدي لأمي المولى الشيخ العلامة فخر الدين أبو جعفر محمد بن الحسين بن حديد الأسدي رحمه الله أن الذي كان في آخر ذلك المصحف علي بن أبي طالب، ولكن (الياء) مشتبهة (بالواو) في الخط الكوفي الذي كان يكتب به علي.

وقد رأيت أنا مصحفاً بالمزار في مشهد عبيد الله بن علي بخط أمير المؤمنين في مجلد واحد وفي آخره بعد تمام كتابته (أو آيات) القرآن المجيد (بسم الله الرحمن الرحيم كتبه علي بن أبي طالب. ولكن الواو تشتبه بالياء في ذلك الخط كما حكياه عن المصحف في المشهد الغروي. واتصل بيّ بعد ذلك أن مشهد عبيد الله إحترق واحترق المصحف الذي فيه»[1]

أقولُ وقد رأيت في مدينة مشهد المقدسة في مكتبتها المركزية مصحفاً بخط أمير المؤمنين كتب في نهايته، كتب بخط علي بن أبي طالب، ورأيت في كتابخانه آية الله النجفي المرعشي مصحفاً صغيراً بخط الإمام . وقد طبع قبل سنتين مصحفا باسم قرآن علي بن أبي طالب في اليمن وقد قلبته وكان أيضاً بخط الإمام علي .

---

(1) ابن عنبه، عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، (طبعة ثانية، عني بتصحيحه محمد حسن آل الطالقاني الحيدرية/ النجف 1380/ 1961، ص 20-21.

فرواية ابن عنبه وما رأيته تؤديان إلى أنْ نتسائل فيما إذا كان مصحفُ الإمام في نسخ متعددة، أم أنّ هذه المصاحف كانت كما قال ابن عنبه بشأن المصحف الموجود في مشهد عبيد الله إذّ كان في مجلد واحد، بينما كان في المشهد الغروي بثلاثة مجلدات. بمعنى أنها تفرقت بين المشاهد ومكتباتها، أم غير ذلك، أيّ إنَّ التي في مشهد عبيد الله وفي كتابخانه الإمام الرضا وفي اليمن أو غيرها لا تمثل النسخة الأصلية التي حملها الإمام علي على بعير أو في قطعة قماش إلى مسجد المدينة، ليقول للخليفة وعمر ومن كان موجوداً في المسجد، هذا هو القرآن الكريم، الذي جمعته اعتماداً على ما كان موجوداً عند رسول الله . وأخيراً وليس آخراً فهل هذا المصحف الذي علّق عليه المستشرقون وغيرهم من أهل السنّة، بأنه قرآن فاطمة عليها السلام؟ بينما الذي ورد في نص ابن عنبه إنه قرآن الإمام علي وبخطه.

حرف الإمام أو قرآن الإمام أو كتاب الإمام:

الرواية السالفة الذكر التي أوردها ابو الحسين أحمد بن جعفر بن محمد بن عبيد الله بن أبي داود البغدادي[1] بصيغة إسناد عن عبد خيّر عن الإمام تنصّ على عزم الإمام على جمع القرآن في مصحف، لأنه «رأى من الناس طيرة بعد وفاة النبي ». وبالفعل فقد حقق الإمام ما أوصاه به رسول الله بذلك فكان (أول مصحف جمع فيه القرآن)، فالمصحف هنا يؤشر إلى عدد من الحالات والتفسيرات فهو:

- أما أن يكون المقصود به المكان الذي جمع فيه الإمام آيات الذكر الحكيم، وبحسب تسلسل الرواية يبدو أنَّ الإمام لم يسلّم مُصْحفَه الذي جمع فيه القرآن الكريم بعد أنّ تمَّ جمعه رسمياً إلى الخليفة. وبذلك تقول رواية ابن المنادي (وكان المصحف عند أهل جعفر).
- وأما وبحسب ما رواه الأئمة الأطهار من نسل الإمام الحسين ، إنهم لم يشيروا إلى هذا المصحف بالذات. حقيقة إنهم وخصوصاً الأئمة الباقر،

(1) من أهل بغداد وينزل الرصافة. كان يغرّب في ألقاب كتبه ويتعاطى الفصاحة في تأليفه. وكان عالماً بالقراءات وغيرها وله مائة ونيف وعشرون كتاباً في علوم متفرقة. والذي كان الغالب عليه علوم القرآن. توفي سنة 334هـ/ 945 وله من الكتب: كتاب اختلاف العدد، وكتاب دعاء أنواع الاستعاذات من سائر الآفات والعاهات، ابن النديم الفهرست ص 41.

والصادق، والرضا والعسكري ، قد ألقوا أضواءً وآراءً قيّمة جداً بخصوص تفسير الكثير من آيات الذكر الحكيم إنْ كانت على صيغة أجوبة لما كان يسألهم أتباعهم وتلامذتهم ومن كان يحاورهم ويجالسهم، أم في توجيهاتهم ومحاضراتهم وتصويباتهم.

والجدير ذكره أن الإمام العسكري كان لـه تفسير - وإن كان رأي البعض من الباحثين بكونه منسوباً للإمام - لكنه موجود، ويقدّم العون الكثير في هذه النقطة من حضور الأئمة الأطهار الفاعل والجدلي بما لـه علاقة بتفسير آيات الذكر الحكيم، بأن الكثير منها إنما تؤشر إلى الإمام علي ، وإنها نزلت بحقه وبحق ولاية أهل البيت الأطهار، غير أنهم لَمْ ينصّوا على أنّ هذه الآيات أو بالأحرى هذه التفسيرات موجودة في قرآن الإمام المشار له آنفاً أو مقتبسة منه، وفي أحيان كثيرة ينصّ المفسرون الشيعة على قول الأئمة الأطهار على أن هذه الحالات والتفسيرات وردت في (كتاب) الإمام علي . وهناك ثلاث حالات تعدّ مهمة جداً، أوردها ابن النديم في فهرسته القيّم؛ الأولى منها بشأن النحوي المشهور الكسائي، المتوفى سنة 199هجرية/ 814م. والمعروف إنّ الكسائي، هو من القرّاء السبعة ومن أهل الكوفة، قد قرأ على عبد الرحمن بن أبي ليلى وحمزة ابن حبيب فيقول: ابن النديم ما نصّه «فما خالف فيه الكسائي حمزة، فهو بقراءة ابن أبي ليلى. وكان ابن أبي ليلى يقرأ بحرف علي »[1]. ولعل المقصود من هذا النصّ، إنّ عبد الرحمن بن أبي ليلى ظلّ حتى حوالي نهاية القرن الثاني للهجرة يقرأ بقرآن الإمام وذلك على أساس، أنّ الحرف وبحسب ما تقدم ذكره يعني القراءة أو القرآن. والرواية الثانية المهمة ما يتعلق بالقارىء أبي علي الحسن بن داود المعروف بالنقّار. كان النقّارُ قرشياً من بني أمية، ومن أهل الكوفة، ومن القرّاء المعروفين ترجع سلسلة قراءته إلى الإمام علي ثم إلى النبي ، فوفقاً لهذه الرواية وهي: «قرأ علي أبي محمد القاسم ويعرف بالخياط.. وقرأ الخياط على الشموني، وقرأ الشموني على الأعشى وقرأ الأعشى على أبي بكر وقرأ أبو بكر على عاصم وقرأ عاصم على أبي عبد الرحمن السلمي وقرأ السلمي على

(1) فهرست ابن النديم، ص 32.

علي وقرأ علي على النبي »[1]. فالمقصود هنا أيضاً إشارة مهمة على أن السُلمي قرأ حرف علي التي هي بدورها تعني، أنَّ الإمام قد قرأ قرآن رسـول الله ؛ فإن صحّ هذا الاستنتاج، فإنَّ قرآن الإمام كان موجوداً ومعروفاً بين طبقات القرّاء. ووردت الرواية الثالثـة ضمـن قائمة من روى عن أبي بكر بن أبـي النجود، عاصم بن بهدلة، وهو من قُرّاء الطبقة الثالثة من الكوفيين وتوفي سنة 128 هجرية/ 745م، فكانت قراءة حفص بن سـليمان قد أخذها عن عاصم وهي مرفوعة إلـى الإمام علي على وفق رواية أبي عبـد الرحمن السـلمي. والمهـم، أنَّ حفص بن سـليمان، قد توفـي بالطاعون الذي إنتشر في سنة 131هـ/ 748م. وكان عاصم أحد القراء السبعة أيضاً[2].

وما له علاقة بالموضوع السابق، إنَّ أبا القاسم فرات بن إبراهيم الكوفي صاحب تفسـير (تفسـير فـرات الكوفـي)، والمحدّث الشـيعي أبـو النصر العياشـي التميمي الكوفي من أعيان علماء الشيعة، صاحب كتاب التفسير، المعروف بتفسير **العياشي**، رويا وبحسـب سلسلة السـند الآتية:- عن سوران بن مسـلم عن بعض أصحابه عن أبـي عبـد الله ، قال: أبو علي الحسـن بـن محبوب وأخبرني عمر بـن عمر عن جابر، أنَّ الإمـام جعفـر الصادق أخبره أبيه قـال: «وجدنا هذا الكلام مكتوبـاً في كتاب من كتب علي بن أبي طالب حول الخلق وخلق الطبائع الأربعة الريح، والبلغم، والمرّة والـدم»،. وهذا المعنى يراد به كتابـاً للإمام بخصوص أقواله وعلمه في هذه الكيفية والكيفيات الأخرى ولا يقصد منه قرآن الإمام بحسـب رواية العياشي[3]. لكن يذكر فـرات الكوفي بسلسـلة سـند ترجـع إلى الإمام علـي في آيـة ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾، أنها في قراءة الإمام (هو كتاب علي لا ريب فيه هدى للمتقين)[4].

كذلـك فقد أورد العياشـي رواية بخصوص سـورة المائدة في قولـه عزّ من قائل

(1) م.ن ص 33.

(2) الفهرست، ص 31.

(3) العياشي: تفسير العياشي، (دققه وحققه وصححه وعلق عليه الحاج السيد هاشم الرسولي المحلاتي، جابخانه علمية، قم) جزء 1 ص 26-28.

(4) فرات، أبو القاسم فرات بن إبراهيم، تفسير فرات الكوفي، (تحقيق محمد الكاظم، طبعة ثانية تهران 1416هـ/ 1995، وزارة فرهنك وارشاد اسلامى) ص 25، 51-52.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُۖ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾[1].

ونقل العياشُـي عن سـماعة ابن مهران عن أبي عبد الله قال: كان أبي يفتي وكنّا نفتي ونحن نخاف في صيد البازي والصقور. فأمّا الآن، فإنّا لا نخافُ ولا يحلّ لنا صيدها إلّا أنّ تدرك. وإنه لفي كتاب علي إن الله تعالى قال: ﴿وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ﴾ فهي الكلاب[2].

كذلك بحسـب رواية الحلبي عن الإمام أبي عبد الله قال: إنّ ال آية ﴿وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ﴾في كتاب علي المقصود بها الكلاب[3]. وأورد العياشُـي بسـندٍ عن أبي هبيرة الحذّاء عن الإمام أبي جعفر قال: سمعته «يقول:- وجدنا في بعض كتب أمير المؤمنين قال: حدثني رسـول الله إن جبرئيل حدثه أن يونس بن متى بعثه الله وهو ابن ثلثين سنة»[4].

فهـذه الروايات المسـتندة إلـى أقوال الأئمة الأطهار، تؤشـرُ إلـى أنَّ للإمام علي كتابـاً يُعـرف بكتاب علي ، ولعله يحتوي على عدة كتـب، اعتماداً على أقوال الأئمة (كتب علي أو كتب أمير المؤمنين) والكتاب بحسـب المحتوى الذي ورد فيه تفسير فرات والعياشي له علاقة بالقرآن أو من جهة أخرى بتفسير آياته.

ولعـل أنَّ القرآن والكتاب، هما وحدة واحدة يضم بين دفتيه آيات الذكر الحكيم فضلاً عن معاني القرآن وأسـباب النزول والتفسير إستناداً إلى ما حدّث به رسول الله للإمام علي في مثل تلك الجوانب المهمة، ففي رواية للعياشـي بسـنده عن علي بن حمزة عن الإمام أبي عبد الله بشأن قوله تعالى في سورة هود ﴿إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾ فقـال: أبـو عبـد الله وهكـذا قرأه أميـر المؤمنين [5].وتـدلّ هذه الروايـة دلالة واضحة وجلية، أنَّ الإمام أبا عبد الله الصادق يُشـير إلى حرف لقرآن الإمام علي وهذا يشمل أيضاً كتابه.

---

(1) سورة المائدة، آية 4.

(2) تفسير العياشي، جزء 1 ص 294.

(3) م.ن جزء 1 ص 295.

(4) م.ن. جزء 2 ص 129.

(5) تفسير العياشي، جزء 2، ص 158.

وخلاصة لهذا الفصل من الكتاب فهناك جدلٌ لابد من ذكره بخصوص الفصول اللاحقة التي ستسلط إن شاء الله تعالى الضوء على آراء عددٍ من المستشرقين المُبشرين منهم والمستشرقين الغربيين واليهود والمستشرقين الإسرائيليين عن ما اطلقوا عليه قرآن الشيعة أو قرآن علي. فالخلفية التاريخية للمسألة عقيدية وتاريخية مهمة وتتعلق بالمصاحف التي كانت عند عدد من صحابة رسول الله قبل الإجراء الكبير الذي نفّذه الخليفة الثالث في جمع القرآن في مصحف واحد إستناداً إلى حرف واحد أو قراءة واحدة هي قراءة الصحابي زيد بن ثابت. وذلك يرتبط ارتباطاً وثيقاً في ثلاثة محاور هي:

- إستمرار القرّاء واعتمادهم (لعلهم من الشيعة) على قراءة حرف الإمام علي وعلى قراءة حرف الصحابي عبد الله بن مسعود والأكثر أهمية، إستمرار القرّاء، وبالأخص القرّاء السبعة وتلامذتهم على القراءة في هذين الحرفين حتى نهاية القرن الثاني للهجرة/ الثامن للميلاد.
- والراجح أيضاً أن حرف الإمام علي ظلَّ محفوظاً لدى أهل البيت الأطهار وكانوا يرجعون إليه ويعتمدونه في تفسير آيات القرآن الكريم دون أن يهملوا نصّ الآيات التي تؤشرعلى مكانة الإمام وآل بيته وولايته، فكانوا يرجعون إليه بالنسبة إلى أسباب النزول واختلاف القراءة.
- وفوق ذلك، فالقرآن الذي جُمع في مصحف واحد أبّان عهد الخليفة الثالث وتوزيع نسخ منه إلى مختلف الأمصار الإسلامية، ظلَّ كذلك يمثلُ مصحف عثمان المصحف الوحيد والأساس عند المسلمين جميعاً وفي كافة البلدان الإسلامية. ففي حديث أورده البُخاريُ عن عبد الله بن عباس، إذ قال له شداد بن معقل «أَتَركَ النبي صلّى الله عليه من شيء ؟ قال ما ترك إلّا ما بين الدفتين. قال: ودخلنا على محمد بن الحنفية فسألناه فقال: ما ترك إلّا ما بين الدفتين «صحيح حديث 5019.
- لَم يرد ذكر بشأن المسألة الدقيقة، بأنَّ هناك قرآن الشيعة أو قرآن الإمام علي وظل موجوداً وبخط موازٍ للقرآن بعد عملية جمعه في قرآن واحد، وهو القرآن الذي يقرأ به جميع المسلمين سنة وشيعة في مغارب الأرض ومشارقها.

أما بخصوص المسـألة التي أثارها المستشرق دي تاسي، وجولدتسيهر، وكانون إدوارد سـيل Sell، وكلير تسـدال وكذلك ما هو مذكور في كتاب دابسـتانى مذاهب (الملل والنحل) لمؤلفه كيخسـرو إسـفنديار، بأنَّ هناك سورتين (الولاية والنورين) قـد حُذِفتَـا من القرآن الكريـم. وهي الرواية التـي جندّها المستشـرقون ومن إتّبعهم مـن أبـواق مذهبية طائفيـة وهّابية طاعنة بالمذهب الشـيعي، ومُفادُ هـذه الإدعاءات والأبواق الضالة، أنَّ للشـيعة قرآناً غير القرآن الموجود عند المسـلمين. وقد حققت هذه الأبواق المأجورة الوهّابية موقعاً على شبكة الانترنت تكيل فيه الشتائم والسباب والتلفيقات المأجورة من السعودية الذين لا يُمثلون الإسلام قيد شعرة، إنما يمثلون الإسـلام على طريقتهم المنحرفة المعادية. وسـوف ندرس في الفصول اللاحقة من هذه الدراسة أدوار هؤلاء المستشرقين نظير كلير تسدال وآخرين بشأن هذه المسألة بهدف جعلها واضحة ومفيدة للوهّابية والسـعودية من أتباع التحريفات التي أجراها الملفق الحجاج الثقفي.



الفصل الرابع

المستشرقون وإشكالية(قرآن الشيعة) أو (قرآن الإمام عليّ)
(منتصف القرن١٩حتى العقد الأول من القرن العشرين)

مدخل لابدّ منه:

فيما عدا ما سبق طرحه بخصوص القرآن الذي جمعه الإمام علي في الفصول السابقة، فإننا الآن لا نملك النسخة الأصلية على الرغم من المعلومات القيّمة التي أوردها العلامة إبن عنبة التي نوهنا عنها في الفصل السابق. وهاهنا ستتابع هذه المسألة مع إدعاءات العديد من المستشرقين فيما إعتقدوه، بأنَّ نسخةً كانت موجودة في الهند تمثل هذه النسخة الأصلية والتي تتضمن على سورتين جديدتين. في إحدى الحلقات النقاشية التي دأب العلّامة السيد كمال الحيدري على عقدها في شهر آذار من هذه السنة أي 2011، فتح السيد الحيدري باب المناقشة بعد عرضه الموضوع وكان بشأن وحدانية الله عزّ وجّل، والله ليس كمثله شيء، ولا تدركه الأبصار. فكان من بين المداخلات مداخلة لأستاذ في أحدى الجامعات السعودية، وقد وجّه عدّة أسئلة تؤشر إلى وعيه وهي جديرة بالمناقشة؛ وقد ردّ السيد الحيدري ردّا مباشرا ومستشهدا بآية قرآنية كريمة. المثير للدهشة إن الأستاذ السائل تداخل مع حديث المحاضر الحيدري مدخلا كلمات تتضمن أهمية بالغة بالنسبة إلى موضوع البحث المتواضع هذا، إذّ عقّب على ما كان السيد الحيدري يدلي به من حجج جدلية تعقيبا خاطفا بما معناه هذه ال آية التي قد تلوتها توّا هي من أي قرآن؟ ويبدو إنَّ السيد الحيدري لَمْ يكن مدركاً عمق هذا التعقيب الخاطف الذي تداخل به الأستاذ السعودي، فلم يقف عليه ومن المحتمل لَمْ يأبه به .غير أنني أدركت في

حينها الهدف الحقيقي الكامن وراء هذا التعقيب؛ فالأستاذ -وهو في هذا القرن الواحد والعشرين، وفي سنة 2011 التي لم يمض عليها سوى بضعة شهور -كان يقصد في أعتقادي الآتي:- من أين أتت هذه الآية، هل هي في قرآنكم أيها الشيعة أو بما يسميه مناصروه، قرآن الشيعة ؟ بمعنى إنه أنطلق من اللاوعي الباطني

مباشرة لتوكيد وتوثيق بإن هناك قرآنا غير القرآن المتداول عند أتباع مذهب أهل البيت ، من دون أن يتمعن بدقّة ما أستشهد به السيد الحيدري من آية في سورة الفاتحة نقرأها دوما ويقرأ بها المحاضر وبالتأكيد يقرأ بها الأستاذ السائل ويقرأها جميع من يعتقد بالعقيدة الإسلامية وغير الإسلامية في الوعي أو في اللاوعي.

والمثير للدهشة والإستغراب إن الأخوة الوهابية في السعودية أو في غيرها من البلدان، قد أستثمروا هذا اللاوعي فراحوا يطلقون الأقوال والتخرّصات التي هي أشدّ قسوة من تخرّصات المستشرقين؛ وبالأخص تلك المعروضة على شبكة الأنترنيت في موقع خصّصوه لهذا الغرض وأطلقوا عليه (قرآن الشيعة) أو (قرآن فاطمة). وقد أقتبسنا الأقوال الآتية لما سنكشفه للقارئ المدى الذي يضمره هؤلاء الذين يدّعون الإسلام من الحقد والكراهية والإنغلاق الحضاري، تلك التي تربّوا عليها، فضلا عن كونها ستكشف عن مدى ضحالة أفكارهم المسمومة ومنها الآتي:

تحريف القرآن عند الشيعة ما نقص وما زاد وما تغير يا مسيحيو الشرق(وهو مرفق برسم كاريكتوري وفيه مخطط للشيطان وهو يسلم نسخة من القرآن الكريم إلى شخص أخاله من السعودية).

- قرآن علي ومصحف فاطمة هما عند الشيعة التوراة والتلمود.
- سور من قرآن الرافضة الشيعة الإمامية، المنتظر؟؟؟
- المعمم الشيعي عبد الحميد المهاجر يقول إنَّ المهدي سيظهر ومعه قرآن جديد.
- مقطع صوتي يثبت بإن الشيعة لا يؤمنون بالقرآن الذي بين أيدي المسلمين.
- العثور على قرآن الشيعة يا وهابية ....الله وأكبر.

- ما هو قرآن فاطمة الشيعي ووين نلاقيه؟
- أضحك مع قرآن الشيعة المزعوم(سورة الولاية).
- ما هو الردّ على النصارى الذين يقولون إن قرآننا محّرف؟؟
- كبار علماء الرافضة الإمامية يقولون بتحريف القرآن.
- قرآن فاطمة والإمام المهدي وتحريف القرآن.
- القرآن الخصوصي للشيعة؟ إذا كنت رجّال يا رافضي سمعّنا صوتك؟
- لائحة بأسماء علماء الشيعة الذين أقّروا تحريف القرآن.
- السور المفتراة في قرآن الرافضة المزعوم.
- آيات وسور من قرآن الشيعة،
- تعالوا يا سنة نجمع قرآن الشيعة.(الشبكة بعنوان الدفاع عن السنة).
- يا شيعة لماذا لا يدرس القرآن في الحوزات؟؟
- هذا قرآن الشيعة يا دعاة التقريب.
- سورة الولاية في قرآن الشيعة المجوس.
- رجم الشيخ والشيخة في قرآن الشيعة.
- هذا قرآن الشيعة، ماذا بقي يا شيعة من دينكم؟؟
- الوهابية يطبعون قرآن الشيعة والمسلمون بأجمعهم يقرأونه.
- قرآن الشيعة يتحداكم أيها المسلمون.
- الشيعة وجريمة القول بتحريف القرآن.
- قرآن الشيعة المحّرف.

وغبرها من الصرخات المهوّسة والترهات الصبيانية التي تضمنها هذا الموقع الأنترنيتي الوهابي، فضلا عن أن هناك المزيد في المواقع المعنية بالوهابية. وجميعها إنّما تعبّر عن اللاشعور الحاقد والمضاد لمذهب أهل بيت النبي (بيت

النبـوة الطاهـر) لا غير .فضلا عن كونه معبّرا ومعلنا عن مدى جهلهم بالإسـلام دينا وتاريخـا وحضـارة، ويدل على ضحالة أفكارهم لإعتقادهـم بذلك؛ على الرغم من أن علمـاءا من إخواننا أهل السـنة وغيرهم من الأزهر قد أعلنـوا بإن هذه مجرد فرية . إذ ليـس هناك من قرآن خاص للشـيعة أو ما يسـمونه بقرآن علـي أو قرآن فاطمة أو قرآن الشيعة. وإن بعض العلماء من أهل السنة، قد صرّحوا بأنهم أدّوا الصلاة خلف إمـام شـيعي، ولَـمْ يقرأ في صلاتـه إلّا آيات من القـرآن الذي يقرأ به المسـلمون في العالـم الإسـلامي. لذلك، فإنها خرافة تلـك التي ينادي بها ويؤمـن بها أمثال هؤلاء الحاقديـن والجهلـة. فإن كانت لديهـم أيّ عقيدة أو واقعية، فَلْيسـتمعوا إلى ما يرتّل من الذكر الحكيم وبأصوات شـجية في القنوات الشـيعية، فليحاولوا ويستمعوا ولو لمرّة واحدة، علما بأنهم صمّ بكمّ لا يفقهون شيئا ولا يريدون الأستماع إلى كلمات الله تعالى التي ترتل وتقرأ من قبل القرّاء الشـيعة ومن قبل العلماء الشـيعة أيضا. فلو كانـوا على هدى مـن أمرهم لتابعوا ما يحدث في كلّ عام من شـهر رمضان المبارك عند المسـلمين جميعا في مدن النجف الأشـرف، ومدن جمهورية إيران الإسـلامية في قم ومشهد المقدستين من برامج للمسابقات القرآنية وطيلة أيامه الفضيلة؛ وهي مسـابقات يسـهم فيها شـيوخ القراءة القرآنية في العالم الإسـلامي عرباً وغير عرب مـن دون الإقتصـار على العراقييـن أو الإيرانيين فحسـب[1]. فليحـاول أمثال هؤلاء الذيـن يفاخـرون ويفتخرون بوهابيتهـم؛ ولا ضير عليهم ولاخـوف عليهم من أحد إذا مـا أرادوا زيـارة العـراق أو إيـران –طبعـا من غير تفخيخ أنفسـهم لقتـل الأبرياء السـنة والشـيعة على حدّ سواء- ليفتشـواالجوامع والحسـينيات والمراقد المقدّسة بحثا وراء نسـخة واحدة ممّا يزعمون، وليقرأوا في القرآن في هذه الأماكن المقدّسة في النسـخ الكثيرة جدّا من القرآن الكريم الذي يقرأه الشـيعة يوميا بخضوع تام، لأنه كتاب الله العلي القدير، الذي منحنا العقل والحكمة والموعظة الحسـنة التي يتعامل بها الناس. وليعرضوا هذه النسـخ من القرآن الذي يقرأ به الشـيعة على مشايخهم أو

(1) من الجدير ذكره إن أحدث فعالية في هذا المجال، ففي الأول من شهر تموز سنة2011م تمّ عقد مهرجان للقرآن الكريم في مدينة الكاظمين وفي العتبة الكاظمية المقدّسة، وحضره عدد من القرّاء العرب والمسلمين نظير القارئ المصري المعروف الشيخ المنشاوي وغيره.

بالفعل ليتخذونه مصدراً لتراهاتهم على إنه قرآن الشيعة الخاص بالشيعة الإمامية، كالذي يرددونه في شعاراتهم الجاهلة والعاطفية والحاقدة. كذلك على مشايخهم أو مثقفيهم أن يتساءلوا مع أنفسهم عندما يقتنعون بعون من الله تعالى، بأنَّ الشيعة واقعاً يقرأون بنفس قرآنهم. وهناك نقطة جديرة، بأن نعقّب عليها وهي خشيتي من أن يكون هؤلاء الجهلة، قَدْ بنوا فكرتهم بشأن قرآن الشيعة، إذْ يرون الشيعة يقرأون دائماً عقب كلّ صلاة من الصلوات الخمسة يومياً في كتاب ضياء الصالحين فتصوروا بذلك إنه قرآن الشيعة؟.فيأخي الوهابي إنَّ الشيعة لا يكتفون بذكر الصلاة دون أن يقرأوا أدعية، وهذه الأدعية مؤلفة من أدعية بذكر المناسبات الدينية الصرفة أو أدعية تقرأ بعد كلّ صلاة .ولوقرأت أول كلمة في كتاب ضياء الصالحين مثلاً المؤلف من 610 صفحة متوسطة الحجم فستقرأ ما يأتي((سورة الأعلى بسم الله الرحمن الرحيم. ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾. وستجد في آخر صفحة مكتوبة قبل الفهرست ما يأتي (يا حيّ يا قيّوم يا ذا الجلال والإكرام وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وآله أجمعين الطيبين الطاهرين). هذا إنموذج أستندنا إليه لتبديد الخرافات المعشعشة في أدمغة لا تريد الحكمة والموعظة الحسنة.

ولكن مع ذلك هنالك من يتساءل، إن كان حصيفاً ومتتّبعاً، عن المصدر الحقيقي للمعلومة تلك التي ذكرت بشأن مسألة قرآن الشيعة؟؟

***

والمهم حقّا إن هذا الموضوع قد بدأ التصريح به والإعلان عنه من المستشرقين المبّشرين عامة ومن قبل اولئك الذين كانوا يخدمون البعثات التبشيرية في المدن الهندية التي كان سكانها من الشيعة نظير مدراس ولاهور ولكناو وغيرها. وقد أبتدأ البحث التبشيري وهو مدعوم ببحوث نفر ممّن خرجوا عن الخط الشيعي الإمامي، اقصد من البهائية أو ممّن بقي على ديانته الزردشتية؛ بما سنفصّل به في هذا البحث المتواضع.

في بحث سابق للباحث، نُشر في هذه المجلة العلمية الرصينة (المصباح) بشأن دور المستشرقين في ترجمة القرآن الكريم إلى اللغات الأوربية المختلفة؛ خلصنا

إلـى نتائج دقيقـة تركّز علـى الدافع الأساسـي أو مجموعـة الدوافـع الضاغطة التي حـدت بالمستشـرقين في أوربـا وأمريكا إلى دراسـة كتاب الله عزّ وجـلّ، والى بذل الجهـود المضنيـة لترجمته إلـى لغاتهم. فكان من بيـن أهم هذه النتائـج ما له علاقة مباشـرة بالعمل التبشيري، لاسيما منذ مطلع القرن التاسع عشـر بالنسبة إلى العمل التبشـيري الأمريكي، والى أبعد مـن ذلك بكثير - منذ الحروب الصليبية - بالنسـبة إلـى البلدان الأوربية. ذلك الباعثَ الـذي أثّر تأثيرا بالغ المدى على العقلية الأوربية (الغربيـة) في العصور الوسـطى، وإبّـان عصر النهضة الأوربيـة وبالأخص في واقع فهمهم للدين الإسلامي ولآيات الذكر الحكيم. يضاف إلى ذلك الباعث الآخر وبما شـهدته النهضة الإصلاحية الدينية في أوربا الوسـطى نظير حركة مارتن لوثر، فضلا عن الحركة الإصلاحية الكنسـية التي توجّهت بشـكل مركّز على مسـألة تشـخيص المفاهيـم الدينيـة الخاطئـة، بلـه المنحرفة للديـن المسـيحي تلك التـي كان رجال الكنيسة يمارسونها وفي تحديدهم المبالغ به كثيرا لنسخ الإنجيل بغية عرقلة توسيع إنتشاره أو قراءته من الشرائح الوسطى والفقيرة من المسيحيين. ولهذا، فالمعتقدُ إنَّ لوثر قد سـعى إلـى قراءة القرآن الكريم بلغة أجنبية لعلهـا اللغة اللاتينية للتعرف عن كثـب على التعاليم الدينية السـمحة، وإمكانية الإنتفاع منها ومـن غيرها من الأفكار المبثوثـة فـي القـرآن بهـدف تعزيـز نظريتـه الإصلاحية. وإنـه لا وجـود للخرافات والخزعبلات الكنسـية التي أحكم رجال الكنيسـة تثبيتها في عقول الناس والبسطاء منهـم على وجه التحديد. وأمثال تلك الخرافـات والتحريفات التي ظلّت عالقة في معتقد عدد غير قليل من المستشرقين، بإنَ كتاب الله العزيز هو من وحي النبي محمد نفسـه، وهو الـذي إخترعه وكتبه.ومثـل إدّعاءاتهم وجود أسـاليب لغوية متنوعة في نسيجه اللغوي؛ ورأى البعض الآخر منهم لاسيما الرأي المتعصب منهم وجود تأثير توراتـي وإنجيلي في القرآن، أو كما ذهب آخـرون إلى أن هناك ثغرات ونواقص في آيـات كريمة مكيّة أو مدنية. وغالى آخرون، نظيـر ديفيدN.A.Dawood الإنجليزي في ترجمته الموسومةThe Koran، translation with notes) الذي أقدم على طرح فرضية بشـأن ترتيب الآيات القرآنية ترتيبا جديدا على وفق مزاعمه معتمدا النغمات الشـعرية؛ فكانـت نتيجـة عمله أجراء تقديـم وتأخير في ترتيب الآيـات والى تدخل

من قبل المستشرق في تحوير وتحريف لمعاني القرآن الكريم[1]. وكذلك يعدّ عمله خرقاً غير مألوف في كتاب مقدس الآهي وردت آياته على هذا النسق وتمّ أتفاق نخبة من الصحابة رضوان الله عليهم على تكليف لجنة رسمية لجمعه، وهو قرآن متفق عليه عند المسلمين كافة منذ العصر الراشدي على وفق هذا ترتيب آياته وسوره الكريمة وليس من حق أحد أن يبدي رأيا أو يقطع أمرا مخالفا لما هو منصوص عليه في النظام الآلهي الذي كان يوحى إلى النبي من الله تعالى عن طريق الملك جبرئيل. ولم يقتصر الأمر على المستشرق ديفيد في محاولته التشويش على النص القرآني والتشويه في نسيجه الداخلي الآلهي؛إنّما هناك مستشرقون غيره، ممّن أخضع كتاب الله تعالى للدراسة والتحليل والإستنتاج بشأن مسائل مهمة أخرى، كالذي قام به المستشرق بلاشيرR.Blachere في كتابه المطبوع في باريس سنة 1947تحت عنوان (المقدمة والقرآنIntroduction and Coran) وما أبداه المستشرق البريطاني جيفريA.Jeffery في كتابه الموسوم (معلومات ومواد حول تاريخ النص القرآني Materials for the history of the text of the Quran)، المطبوع في ليدن سنة 1937.والأراء التي عرضها المستشرق فلجA.T.Welch في بحثه الموسوم (al-Kuran) المنشور في دائرة المعارف الإسلامية، وفي ترجمته وتعقيبه لكتاب جاتجيهH.Gatje باللغة الألمانية الموسوم (القرآن وتفسيراته Koran und Koran exegesis:The Quran and its exegesis) المطبوع في (لندن- بيركلي1976)[2].

ترجع بداية الكتابة عن موضوع «قرآن الشيعة» في دراسات المستشرقين إلى حوالي منتصف القرن التاسع عشر؛ إذْ نشر المستشرقُ الفرنسي المعروف دي تاسيGarcin de Tassy في المجلة الفرنسية المعنية بالدراسات الآسيويةJournal Asiatique في الجزء الثالث عشر لسنة1842م؛ وعنوان بحثه(آيات غير معروفة في

---

(1) ناجي، د.عبد الجبار: دور المستشرقين في ترجمة القرآن الكريم.في مجلة المصباح، العتبة الحسينية المقدسة، عدد أول، ربيع 2010م ص105-133ولاسيما ص. 130

(2) ينظر،

Woolworth، W. «A bibliography of Koran texts and translations» in Moslem World. Vol. 7، 1927 Pp.279-289;(Koran) in Encyclopedia of Islam، by.J.D.Pearson; Arthur.Jeffery: History of the text of the Quran، p.182-184.

القـرآن(Chapitre inconnue du Coran)[1]. وركّـز فيه على سـورة سُـميت بسـورة النورين، التي ورد ذكرها في كتاب فارسـي بعنوان(دبسـتاني مذاهب، بمعنى الملل والنحل) لمؤلف لَمْ يُتفق على هويته، ولكن الأكثر صحة قد ألّفه فارسـي زرادشـتي كيوانـي الطائفـة أسـمه كيخسـرو بـن آزر(أو آذر) كيفانـي أو كيواني. وقـد ورد في الدبسـتان باللغة الفارسـية، إنَّ كيخسـرو هذا كان من أتباع آذر كيوان، وكان محترماً من سائر الآذركيوانيين، وكان موبذا Mage[2]، وجاءت التسمية على شكل آخر هو، أزهـر أو آزر كيوان Azhar Kaiwan المتوفى سـنة1627م. ووصـف بكونه الكاهن الأعلى للزردشتيين Priest.

قبـل التطرق إلـى المسـاعي الحثيثة جـدا التي نهدَ بها المستشـرقون، ولاسـيما البريطانيـون منهم بشـأن كتاب دبسـتاني مذاهـب، لابدّ من إشـارة نقطة مهمـة مُلْفِتة للنظـر، ألا وهي ذلك الأهتمام العجيب وذلك الصدى الواسـع الذي حقّقهُ الكتاب منذ ظهوره في حوالي منتصف القرن السـابع عشـر للميلاد، سواء كان هذا الأهتمام متمثـلاً في طبعه باللغة الفارسـية لأكثـر من طبعة أم في الترجمـات المتنوعة الغربية والآسـيوية أم في إخضاعه للتعقيبات والإضافات من قبل المترجمين، أم في تقديم المقدّمـات وصنع مسـاردَ للمصطلحـات الدينيـة والحضارية الواردة فـي الكتاب. جميـع تلك النشـاطات، قد تمّت بعد سـنوات قليلة مـن ظهوره. وفـي أدناه تحليل كرونولوجي للمراحل التي شهدها تطوّر أنتشاره:-

1- على الرغم من وجود تباينات طفيفة بالنسبة إلى زمن ظهور الكتاب، لكن ذلك لا يتجاوز القرن السابع عشر الميلادي، إذ اعتماداً على ما ذكره كلير تسدال St. Clair Tisdall في بحثه المنشور في المجلة التبشيرية (عالم الإسلام) Moslem World في سنة 1913م الموسوم، (الإضافات الشيعية للقرآن)[3]، إذ ذكر، بأنَّ الآيات الجديدة قد أكتشفت في مخطوطة للقرآن

(1) See Garcin De Tassy، « Chapitre innconno de Coran ' in Journal Asiatique.VolumeXIII، 1842، Pp.431-439

(2) ينظر، دبستاني مذاهب (النصّ الفارسي)Farsi Text .Edited with glossary by.Nazir Ashraf(Calcuta 1809.

(3) See W.St.Clair Tisdall، » Shiah Additions to the Kuran» in Moslem World. A Quarterly Review.

في مدينة بانكيبور Bankipurفي الهند في شهر حزيران من1912م.وكانت موجودة في مكتبة قد أسّسها هندي مسلم ثريّ. وذكر أمين المكتبة، إنَّ هذه المخطوطة، قد تمّ شراؤها في مدينة لكناو الهندية قبل عشرين سنة، بمعنى في سنة 1892م من رجل من أسرة النوّاب؛ مع العلم بإن أمين المكتبة لَمْ يذكر أسم ذلك الشخص النوابي. وممّا يذكر إنَّ المخطوطة ربما ترجع على الأقل إلى حوالى مائتين إلى ثلاثمائة سنة ماضية. وأضاف تسدال إلى وجود صورة لهذه المخطوطة في عدد المجلة هذه[1]. وحسب علم المستشرق تسدال، فإنَّ هذه المخطوطة فريدة ولا وجود لمثيلها سوية مع السور الأصلية للقرآن التي تحتوي على الإضافات والتعديلات. ونصّ سورة النورين في النسخة التي بحوزة المستشرق تختلف في كثير من المواضع عن النسخة التي عند المستشرق الآخر كانون سيل Canon Sell الذي أستعارها من بحث ميرزا كاظم بيك Mirza Kazem Beg الذي نشره في المجلة الآسيوية J.A. في ديسمبر سنة1843م[2].

2- وتفيد المعلومة، بإنَّ الأستاذ السيد حسن عسكري، قد عثر على نسخة من المخطوطة في مدينة بتنه Patna وكانت مدينة المؤلف محمد محسن فاني أو ذي الفقار علي الحسيني الأردستاني وهو أحد الأحتمالات لأسم المؤلف الأصلي للدبستان. وعثر عليها في سنة1930عند عائلة إيرانية مسلمة[3]ويذكر مقدم الترجمة ميزة هذه النسخة بكونها تحتوي على ملاحظات نقدية على هامش المخطوطة. فضلا عن تقديمها معلومات قيّمة بشأن المؤلف، لَمْ تكن متوافرة في حينها للمترجمين المعروفين في ترجمتهما النسخة الفارسية إلى اللغة الإنجليزية وهما ديفيد شيّا David Schia وأنتوني ترويرAnthony Troyer في أول ترجمة للكتاب سنة1843م من قبل الأستاذ شيّا أولا تحت

Volume III، no.3، 1913.Pp.227-241.

(1) Ibid. P.E.

(2) Mirza Kazembeg، «Observaions sur chapitre inconnu du coran» in Journal Asiatique .Volume XIV.PP.371-429.

(3) See S.H. Askari، »Dabistan-I Madhahib and Diwan-I Mubad» in Indo-Iranian Studies Presented for the Golden Jubilee of the Pahlavi Dyanasty of Iran، ed. By، F.Mujtabai، New Delhi.Pp. 85-104

عنوان(دبستاني مذاهب Dabistan-i Mazahib) وترجم إلى الإنجليزية تحت عنوان(School of Religion) أو(School of Religious Doctrines)) أو (School of Manners).

3- وهناك رأي للعلامة الشيخ آغا بزرك الطهراني، في الذريعة إلى تصانيف الشيعة، أنَّ هناك عدّة آراء بالنسبة إلى المؤلف ومن بينها، إنه مير ذو الفقار علي الحسيني المتخلص بهوشيار، قد فرغ من كتابه في 23محرم سنة1266هجرية، وقد طبع في بومباي سنة 1262هجرية وهو مرتب على إثني عشر تعليما(أي فصلا) وكان يقع في248ورقة برفقة معجم في ثمان ورقـــات[1]. وأطلق على الكتاب (دبستان مذاهب أو دبستان في الملل والنحل).

4- ويرى كلّ من البرفسور هوروفتز J.Horovitz وهنري ماسيه H.Masse في بحثهما المشترك في دائرة المعارف الإسلامية(الطبعة الجديدة) بأن المؤلف قد أنتهى من تدوينه بين سنتي 1064- 1067 هجرية/ 1654-1657م[2].

5- مقابل ذلك التاريخ فهناك من رأى، إنَّ تاريخ ظهور الكتاب، وحسب ما أوردته دائرة معارف ويكبيديا Wikipedia في حوالي سنة1655م[3].

6- وأتفقت آراءُ كلّ من المستشرق غارسين دي تاسي Garcin de Tassy، وكلير تسدال W.St.Clair Tisdall وعددٍ من المستشرقين الإسرائيلين، نظير جوزيف أيلياش J.Eliash، وإيتان كوهلبرغ E.Kohlberg، ومائير بار آشر

---

(1) ينظر العلاّمة الشيخ أغا بزرك الطهراني: الذريعة إلى تصانيف الشيعة(جابخاه مجلس1330شمسي) جزء8 صفحة48-49. كذلك البحث القيم الذي أدخل في شبكة الإنترنيت بقلم البروفسور M.S.M.Saifullah من لندن والعلامة الشيخ صالح الكرباسي ضمن توليه الردّ القيم على المسألة في بحث بعنوان (هل صحيح إن قرآن الشيعة يختلف عن قرآن سائر المسلمين وإن فيه سورة تسمى بالولاية وأخرى بالنورين؟؟.

(2) Dabistan al- Madhahib) in Encyclopedia of Islam(New Edition) Volume II.P.74.By) J.Horovitz-H.Masse.

ينظر المقالة القيّة التي أدخلتها وهيأتها مؤسسة مقرنMuqran Org. بعنوان Surah al Nurayn and Surah al-Walayah.

(3) See Ency. Of Wikipedia(Dabestan-I Madhaheb)

Meir Bar Asher، حول تاريخ تأليفه في القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر للميلاد[1].

7- وحسب ماقدّمه الأستاذ فتح الله مجتبىF.Mujtabai في دائرة المعارف الإيرانية Encyclopedia Iranica معتمدا على كتاب البرفسور ريوRieu، الموسوم (المخطوطات الفارسية Persian Manuscripts Volume 143-I.Pp.141). فإن الكتاب قد تمّ تأليفه بين سنتي 1645-1658[2].

8- المهم فقد ظهر الكتاب باللغة الفارسية في سنة1809م في كلكتا، وهي تعدّ أول طبعة للكتاب نهد بها شخص ربما كان هندياً يتقن الفارسية أو فارسيا أسمه مولوي نظير أشرف أو نزير(أو نزار) أشرفNazir Ashraf أو Ushraf. فقد قام الأستاذ أشرف بطبعه في كلكتا، وزوّده بمعجم أو ما يسمى مَسْرَد Glossary للمصطلحات والتعبيرات الفارسية التاريخية والحضارية، وفسّر فيه الألفاظ الغريبة المستعملة في العربية والهندية. والأكثر أهمية، أنه نهَد بهذا العمل بتشجيع وإشراف من البريطاني المعروف في عمله السياسي والإداري في شركة الهند البريطانية الشرقية وليم بتروورث بيلي.Esq William Butterworth Baily الذي كان حسبما يبدو مسئولاً في حكومة الهند البريطانية أولاً ثم أنتقل لتسنم منصب المدير العام لشركة الهند الشرقية البريطانية. وبيلي هذا قد ساند نظير أشرف على كتابة خاتمة Epilgue للدبستان وتمّ طبعه في الأصل الفارسي في ذلك العام أي سنة1809م[3]. وحسب دراسة المترجمين الأستاذين شيّا وتروير، فإنهما أدخلا هذه الخاتمة في ترجمتهما بعد الفصل المخصّص عن التصوف والمتصوفة في الدبستان بالعنوان الآتي(Moulavi Nazer Ushraf، the editor of the Persian text

---

(1) See de Tassy، op.cit.;Claire Tisdal، »Shiah Additions».P.228.- ;Joseph Eliash،» The Shiite Quran:-A reconsideration of Goldziher، s Interpretation» in Arabica Revue D، etudes ARABES. Volume XVI، 1969.Pp.15-24; Meir Bar Asher، »Variant readings and additions of the Imami-SI، A to the Quran» in Shiism، critical concepts in Islamic Studies(2007) .Volume II، Pp.86-115.

(2) Fath Allah Mojtaba، by Ency. Iranica in (Dabestan-I Madhaheb) أعتمادا على الإنترنيت بعنوان دائرة المعارف الإيرانية.

(3) ينظر المعلومة الواردة في الجزء الأخير(الثالث) من الدبستان ترجمة ديفيد شيّا وأنتوني تروير

والواقع إنَّ عمل نظير أشرف (of the Dabistan printed in Calcutta[1]. بما يقابل تحقيق النصّ الفارسي للكتاب؛ وقامت مؤسسة أنتيوك البريطانية بتحمل طبعه Antioch Gate. والملاحظ فإن الكتاب قد أعيد طبعه عدة مرّات في الهند وبلاد فارس فطبع ثانية طبعة حجرية من قبل إبراهيم بن نور محمد في بومباي في سنة 1875م. وفي سنة1877م نشر الكتاب الأستاذ منشي نوال كشور Kishor بطبعة حجرية أخرى في كلكتا. وأعيد طبع الكتاب على الأستنساخ من قبل علي أصغر مستوفي في تهران سنة1982[2].

9 - أمّا ترجمته إلى اللغة الإنجليزية، فقد نهد بها الأستاذ فرنسيس غلادوين F.Gladwin بتشجيع من السير وليم جونزWilliam Jones الذي قرأ الكتاب عندما كان في الهند، وقرأه لأول مرّة في سنة1787م باللغة الفرسية، فإندهش كثيراً في ما تضمنّه من معلومات مهمة جداً، وأبدى أهتماماً بأمر الدبستان. فكتب رسالة شخصية في شهر حزيران سنة1787م إلى أحد زملائه في لندن وهوالمحترم جي.شورJ.Shore Esq. (الذي مُنَح لقباً عالياً هو اللورد تاينماوثLord Teignmouth مُبَيناً تأثره بهذا الكتاب الفريد، قائلاً: «إنَّ قسماً كبيراً منه مثير للأهتمام جداً بالنسبة إلى القارئ الذي يتمتع بحب الفضول». والواقع إن غلادوين الذي أطلق على مؤلف الدبستان الشيخ محمد محسن فاني - وترجم فاني ترجمة لها صلة بتصوف محسن أي (Perishable)- فصلاً واحداً من فصول الكتاب وهو الفصل الأول، الذي يتناول الديانة البارسية (والمناسب طرحه هاهنا، فالفصل باللغة الفارسية في الدبستان يسمى تعلم والجمع تعاليم) ونشرها في New Asiatic Miscellany الصادرة في كلكتا سنة1789م[3]. ويجدر التنويه إليه، إنَّ غلادوين أحد الأعضاء

---

(1) David Shai and Anthony Troyer;- Dabestan-I Madhaheb، Paris 1843 خاتمة نظير أشرف بعنوان (خاتمة نزار أشرفNazar Ushruf إذ أمتدح السير وليم بيليBaylay، بضمنها المسردGlossary

(2) Dabestan-I Madhaheb) in Ency. Iranica، by Fath Allah Mojtaba)

(3) وقد ترجم بعض التعاليم Teachings إلى الإنجليزية، وطبعها في New Asiatic Miscellany I-2، Calcutta، 1789. ينظر- Oriental Literature or the Dabistan(Translated from the Orignal Persian by Shea and Anthony Troyer with an introduction by A.V.Williams Jackson(New York، 1937.، كذلك ينظر بحث البروفسورفتح الله مجتبى في دائرة المعارف الإيرانية.

المتميزين في الجمعية التي أسّسها السير وليم جونز في الهند، وهي الجمعية الآسيوية، وترجمة هذا الفصل التي أنتفع منها الأستاذ ديفيد شيّا، الذي يُعدّ أول من أقدم على ترجمة كاملة للدبستان مذاهب إلى اللغة الإنجليزية. لكن المنية قد عاجلته ولمّا يتمّ الترجمة. فَنَهد لها البروفسور، أنتوني ترويز Anthony Troyer فترجم ما تبقى من الكتاب، وهو يقع في ثلاثة أجزاء. وقدّم له مقدّمة مستفيضة؛ وطُبع أولاً في باريس سنة1843م[1]. ثمّ أخذ البروفسور الأمريكي آبراهام فالنتين وليمز جاكسون A.V.Williams Jackson المتخصّص بالدراسات عن تاريخ إيران القديم، وبصورة خاصة عن الديانة الزردشتية وعن زرادشت مؤسّسها؛ فنشر الكتاب جميعه في كتاب واحد مختصر وطبعه في نيويورك-لندن سنة 1901م[2]؛وزوّده بمقدمة جديدة. ثمّ طُبعت ترجمة للكتاب باللغة الكجراتية في بومباي سنة1815وبعدها في سنة1845م. وأحدث نسخة باللغة الفارسية قد حقّقها الأستاذ رحيم رضا زاده ملك وطبعت في تهران سنة 1983م[3]، وهو في جزئين، أشتمل الجزء الأول على النصّ الكامل للدبستان، أمّا الثاني فقد أحتوى على دراسة فضلا عن هوامش وحواشي Anntations وملاحظات توضيحية على الكتاب[4].



إذنْ نلاحظ مدى الأهتمام الواسع الذي حصل عليه هذا الكتاب الذي تباينت الآراء بشأن مؤلفه الحقيقي والهدف الرئيس الذي سعى من أجله تدوين كتاب عن الملل والنحل في المشرق الإسلامي. ولعل من المناسب الإشارة إلى إنَّ الكتاب يتألف من إثني عشر فصلا (يطلق المؤلف تعبير تعلم عن الفصل، وكل تعلم يتجزء إلى أقسام

(1) David Shia(or sometimes Shea)and Anthoney Troyer:-Dabistani Mazaheb، School of Manners. Translated from Persian(Paris 1843، 2nd edition، London، 1844.

(2) ينظر A.V.Williams Jacoson وقد نشر كتاب الدبستان في جزء واحد مختصر مع مقدّمة جديدة في نيويورك سنة1937م ثم أعادها في سنة في نيويورك-لندن1901.

(3) أعتمادا على بحث البروفسور، مجتبى فَقَدْ طُبِعَ بالكجراتية طبعتين في بومباي في سنة1815م وفي سة 1845م. وأحدث طبعة قام بها الأستاذ رضا زاده ملكReza zada Malek في جزئين وطبعا في تهران في سنة1362 شمسي1983م.

(4) م.ن.

(ويطلق المؤلف على الجزء بمعنى Section تعبير نظر بالفارسية نزر). ويتناول في كل فصل تقريبا ديانة من الديانات الشرقية؛ ووزعها المترجمان شيّا وأنتوني تروير في ثلاثة أجزاء، أستهل الجزء الأول منه الحديث بالتفصيل عن الديانة البارسية Parsians عقائد وطقوس السبيسيانيين Sepasians والبارسين Parsians والبيمانيين Paiman-i والفرهنكFarhang وأعقبه جزءاً مطولاً أيضاً عن زرادشت والزرادشتية. هذان الفصلان قد دفعا البرفسور فتح الله مجتبي إلى الأستنتاج بكون المؤلف، مؤلف الدبستان، من أتباع الديانة البارسية. وواقعاً فأنّه كان في الأصل ينحدر من أسرة فارسية مسلمة، لكنه أرتّد عن الإسلام إلى الديانة المجوسية البارسية؛ ولهذا السبب يعزو البروفسور فتح الله مجتبى في بحثه المشار إليه آنفاً، سبب أخفاء أسمه الحقيقي من الدبستان[1]. وهذا الأستنتاج ربما يقودنا إلى الطعن في معلوماته التي دوّنها عن الإسلام في القسم السادس من الجزء الثالث من ترجمة المستشرقين شيّا وتروير الذي يحمل عنوان (حول الديانة المحمديةOf the Religion of the Mohammedans الذي توّزع في قسمين بعدد صفحات من 322-451. تناول في القسم الأول ديانة السنة Sonnites ثمّ وقف على موضوع أطلق عليه(رواية أو قصة الملائكة) وآخر بعنوان(رواية بشأن الأموية واليزيدية والعلاقة مع العلي ألاهيةAli-Ilahian). أمّا القسم الثاني فأعطاه عنوانا (حول ديانة الشيعة On the religion of the Shiahs)، وقد غطّى عددا من الصفحات من362-364، أعقبه وقفة على الفرق الإثني عشر للشيعة(كما نصّ عليه مؤلف الدبستان) من صفحة364-372. وقد أدلى هذا المرتد بإدعائه بالسورتين اللتين نسبهما إلى الشيعة الإمامية وهما، سورة النورين، وسورة الولاية. والأكثر أهمية في هذا الصدد، إن المؤلف اعتمد كلياً في حديثه المشّوه عن الشيعة عل أحد الملالي في وأصله من كشغر، إذْ يقول ما نصّه ((مؤلف هذا الكتاب يعزو كل ما علمه عن الشيعة إلى ملاّ محمد معصوم ومن محمد مومن ومن ملاّ أبراهيم اللذين كانوا في سنة 1053هجرية / 1643م في لاهور، ومن آخرين غيرهم.وبالنسبة إلى الملاّ أبراهيم، فإنه رجل كان مؤمناً ومتقيداً في دينه، وكان يمقت أو يبغض أتباع السنة والجماعة كثيرا had a great aversion . أمّا بخصوص ملاّ محمد معصوم من أتباع المذهب الحنفي

(1) Ency. Of Iranica(Dabestan-e Madaheb)

في كشغر، وكان رجلاً عالماً وفاضلاً، وكان تلميذاً لعالم من بادقهشان Badkahshan. وكان هذا العالم حذراً جداً من الشيعة، ولم يسمح لهم الدخول إلى منزله. وقد سأله مؤلف الكتاب في لاهور عن سبب مُقتِه وبغضه الذي كان يظهره دائما للشيعة؟. فأجاب قائلاً: إنه كان في الأصل شيعياً. وفي إحدى الليالي رأى في منامه إنَّ الإمام حسن (أو حسين) أبن الإمام علي أبن أبي طالب وسأله عن حقيقة دينه، وقال لي أن أكون سنيّاً وأن يبتعد عن التقلب أو التحول عنه constant، وذلك لأنهم أهل بدع أو هراطقة ويعبدونني idolators. فالطريق الوحيد للحقيقة، هو مذهب السنة والجماعة. وهنا فقد علمت من الشيخ حسن (أو حسين) وكذلك من ملاّ عادل Aadil، إن الشيعي ليس مسلماً. وحينما يسئل عن عقيدته، فهي عقيدة غير صحيحة، اعتماداً على حديث للنبي)) وهو في واقع الحال قد أشار إلى السورة الأولى، ووقف الباحث في كتابه تحت الطبع على هذه السورة بالتفصيل؟؟. وتعرض في هذا القسم أيضاً على موضوع ثالث وهو (حول ديانة الأخباريين) من صفحة 364-372. ثم تطرق إلى موضوع (رواية عن الإسماعيلية) من صفحة 372-397وموضوع (رواية عن العلي-ألاهية) من صفحة 451[1]-397. وطبعاً، فإنَّ أرقام الصفحات التي تؤشر إليها الترجمة المختصرة التي قام بها البروفسور وليمز جاكسون، هي غير تلك الأرقام.

لقد وقف بعض المستشرقين على مسألة مهمة تتعلق بالموارد التي أستند إليها مؤلف الدبستان سواء أكان هذا المؤلف، هو محمد محسن فاني الكشميري، أم كيخسرو الكيواني كما سنلقي على هذا الموضوع الضوء لاحقاً. فإلحاقاً بما ذكر توّا بأنه إستند في نقله بشأن الإسراء والمعراج إلى كتاب منسوب لإبن سينا الذي وصفه(The Lord Shaikh Abu Ali) وهو كتاب الإسراء والمعراج (The Ascent to Heaven)، ولم يعتمد النصوص الأصلية[2]. كذلك أشار المؤلف نفسه إلى

(1) Ibid. ينظر أيضاً محتويات كتاب الدبستان الذي ترجمه شيّا وترويز، فالجزءُ الأولُ يتألف من575صفحة، أمّا الجزءُ الثاني الذي يتضمن الديانة الإسلامية فيتألف من462صفحة، والجزء الثالث يتألف من 386صفحة.ينظر عن الأقتباسات المذورة بين المعكفين كتاب الدبستان الذي أوجزه الأستاذ جاكسونOriental Literature or the Dabistan .Op.cit.Pp.323_24.

(2) ينظر كتاب الدبستان الذي أختصره البروفسور جاكسون بعنوانOriental Literature or the Dabistan> Translated by David Shea and Anthony Troyer from the original Persian(New

المصدر الأساس للفصل الخاص بالسنة والشيعة وهو******، والمستشرق جوزيف إلياش أكد أيضاً إلى إنه أستند في ما أورده عن الشيعة الإمامية إلى ما سمعه من الشيعة في لاهور؛ فضلاً عن معلومات أخرى، كما يقول المؤلف بما عرفه وسمعه من الملاّ محمد معصوم Ma، sum، ومحمد مومن Mumin والملاّ إبراهيم، وجميعهم كانوا في لاهور في سنة 1053هجرية/ 1643م، وكان محمد معصوم، من أتباع المذهب الحنفي ويبغض التشيع ومن آخرين ونصّ قوله «ما سمعته من جماعة في سنة1053هجرية في لاهور فأوردته» ومن ثمّ أردف قوله هذه بذكر السورة[1]. فهو يزعم إذن:- إن بعض الشيعة يرون بإن عثمان قد أحرق نسخ القرآن، فضلاً عن كونه إستثنى أو أقصىRejected عددا من سوره تلك التي كانت بحق منزلة الإمام علي وفضائله وفي سورة النورين هذه[2]. والمؤلف عند تخصيصه بضعة صفحات للحديث عن الشيعة أعطى عنوانا هو، (أقوال عن الفرقة الثانية من المسلمين-ويقصد بعد فرقة السنة). وفي حالة واحدة صرّح المؤلف، وبأنه سمع ذلك من بعض الشيعة. وقد أستهل الأشارة إلى سورة النورين المزعومة بقوله» بعضهم-أي الشيعة-يقول»[3]، أو إنه، قرأها في كتاب لأبن شهراشوب المازندراني الموسوم بالمثالب. علما بأن هذا الكتاب منسوب لأبن شهراشوب المتوفى سنة588هجرية، هو موجود الآن ويخلو من أية أشارة إلى ما ذهب إليه مؤلف الدبستان المرتّد عن الإسلام. .والمناسب قوله، إن أبن شهراشوب يرى صراحة بصيانة القرآن من التحريف، وبالعكس فهو يذهب إلى القول بإن القرآن قد جُمِعَ ودوّن في عصر النبي ، فكيف يتمكن الخليفة عثمان من أنْ يحذف شيئا منه؟ ونصّ كلامه «وزعمتم -وهنا يوجه خطابه إلى اولئك المتشككين-جمع القرآن، وقال الله تعالى﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾[4] على إن لفظة القرآن تدلّ

.411-York 1937).Pp.398

(1) Ibid.P.323. وكذلك Dabestane-I Mazahib) in Ency. Iranica

(2) See Ibid.P.329; J.Eliash، op.cit.

(3) Jonah Winters، »Shii Quran:-An Examination of Western Scholarship (Bahai Library On-line) ينظر كتاب دبستاني مذاهب (الفارسية) جزء1صفحة244، 245، 246، 247.

(4) م.ن.

خطابه، لأن القرآن المجموع من الأمثال والحكم والوعد والوعيد وأمثالها... ورويتم أنّه لم يحفظ القرآن أحدٌ من الخلفاء، فكيف يجمع من لم يحفظه؟ أو يحفظ غير المجموع؟ وقد ثبت أنَّ النبي قرأ القرآن وحصره وأمر بكتابته...وكان يقرأ على جبرئيل كل سنة مرة إلّا السنة التي قبض فيها، فإنه قرأ عليه مرتين ولا يمكن قراءة ما ليس بمجموع ومؤلف ومرتّب»[1]

المستشرقون عموماً وبالأخص المستشرق، جوزيف الياش، ومحمود أيوب[2] يشيران إلى الدليل الوحيد الذي يعتمد بخصوص نسبة دبستاني مذاهب إلى الشيعة الإمامية، هو ما ذكر بإنَّ المخطوطة أو النصّ المعروف، بنصّ بانكيبور، قد تمّ شراؤها من مدينة لكناو في الهند، وكانت مركزاً لتعليم المذهب؛ وكانت عند شخص من آل النواب الشيعة الإمامية. ويقول البروفسور الياش، أنَّ هذا لا يعدّ دليلاً صلباً للأشارة إلى أن هناك قرآنا للشيعة موثوقا به ومقبولا من الجميع[3].

ومن الجدير بالذكر، إنَّ مؤلف الدبستان قد أورد معلومات حاقدة عن الدين الإسلامي عموما يستحيل على أي مسلم شيعي إمامي أو سنيّ قولها؛ وهي تدلّ دلالة قاطعة على الهدف الخبيث للمؤلف المرتّد من وراء تعريضه بالإسلام وذلك بالوقوف عليها. فمثلا أورد المترجمان الفاضلان، شيّا وتروير في الفصل الخاص بالمحمديين (وهي تسمية دأب على أستعمالها بدلاً من المسلمين؛ ويجدر القول إنها التسمية نفسها التي شاع أستخدامها من قبل عدد من المستشرقين توكيداً على نظريتهم الحاقدة، بأن الإسلام قد أصطنعه محمد) أشارتهما إلى نظرة المجوسية - أي الديانة البارسية التي يدين بها المؤلف كيخسرو إسفنديار -يعتقدون بإنَّ الأوثان والأصنام هي مجرد قبلة لهم Kiblah ويدعم ذلك بشعر لشاعر مجوسي هو راي

---

(1) أبن شهراشوب المازندراني:-مثالب النواصب(منسوب) نقلا عن ***مخطوطة في لكنهاو في الهند ورقة 468 حيث تمّ أكتشاف المستشرق تسدال مخطوطة الدبستان.

(2) See Tisdal.Op.Cit.P.228;J.Eliash، » op.cit.M.Ayob» The Speaking Quran and the Silent Quran;- a STUDY OF THE Principles and Develoment of Imami Shii tafsir» in Andrew Rippin، ed.Approaches to the history of the Interpretation of the Quran، Oxford Univer، Press. Oxford(1988)Pp.177-198.(State University of New York Press، Albany 1984)

(3) ;idem «The Quran and its Interpreters

منوهبار كوجوهّاه Rai Manuhar Kuchwahhah متوجها إلى المسلمين بقوله:-

يا أيها المسلمون إنَّ كانت الكعبةُ موضعاً لعبادتكم فَلِمْ إذنّ دمرتم الأصنام؟[1]

O Moslem if the Kabah be the object of worship، why does thou ?reproach the adorers of Idols

فضلا عن هذه الفكرة المجوسية، فالكتاب يشير إلى مجلس ديني دعى إلى عقده الإمبراطـور المغالـي جلال الدين محمـد أكبر العظيم في المعبد المجوسـي، الذي كان يُسـمى عبادت خانه(بيت العبادة) في مدينة فاتح بور سـكري Fatehpur Sikri .وقد ضمّ هذا الأجتماع أو المجلس أثنين من المبشرين المسيحيين وهما، رودولفو أكوافيفاRodolfo Acquaviva، وفرانسيسـكو هنريكFrancisco Henrique. كما أظهرت اللوحة رسـمهما، التي رسـمها الرسّام نار سـنغ في سنة 1605م Nar Singh .ووصف مؤلف الدبستان الجلسة بالتفصيل التي كان يديرها الإمبراطور نفسه فجاء فيهـا:- دخل الفيلسـوف العالم المجوسـي إلـى القاعة، وكان الهنـدوسُ حاضرين أيضـاً، وكان يجلـس فـي المجلس ثلاثـة من العلماء، مسـلم ونصرانـيNazarene ويهـودي. وكانوا قـد دعوا إلى هـذا الإجتماع، وأتخـذوا مواقعهم أمام الفيلسـوف العالم. وقد أفتتح الفيلسـوف المناقشـة بهذه الطريقة» إنَّ البعثة السـماوية لأنبيائكم لـم تثبـت بعد؟ وذلـك يرجع إلى عدة عوامـل:- الأول، أنَّ كلّ ما جـاء به الأنبياء أو مـا قالـوه يجب أن يكـون متوافقـاً Conformable مع العقـل؛ والثانـي، ينبغي على النبـي أن يكون غيـر مبيح للجريمة crime Free وأن لا يكون مؤذياً إلى المخلوقات الأخـرى. ولكن موسـى واعتمـاداً على رأي اليهـود قد ربّاه فرعـونPharoah وبعد ذلـك أتهمـه بخدعة حربية Stratgem وذلك بإغراقه في مياه النيل. أمّا المسـيح فقد سمح بقتل الحيوانات وأستخدامها أستخداماً سيئاًill using .وأمّا محمد فقد هاجم قريش وقوافلها بنفسه. وقد سفك الدماء، على يديه وبنفسه وليس هذا فحسبnay، وإنّما بقتل الكائنات الحيّة animated beings. فتداخل عندئذ المسـيحي قائلاً: «إن المسـيح قد ولد من دون أب» غير إنَّ العالم أجابه: «أنتم أنفسـكم قلتم إن جوزيف

(1) Ibid.

Josef النجـار قـد تزوج ماري، فكيف يصح القول بإنَّ المسـيح ليـس أبن جوزيف؟». فلم يردّ النصراني على ذلك. وشـرع الفيلسـوف تقديم وصف للإمبراطور أكبر العظيم وأراءه الحرة المتسـامحةlibreal قائلاً: «إن جلالـة الملك أكبر قد أمّر من قبل الله God وكان يُصلـي ويكبـح نوازعهcontaing، ويسـبح للشـمس باللغات الفارسـية والهندية والتركيـة والعربيـة. كان الجميع يصلـون صلاة واحدة، وهي صـلاة الهندوس. وكانوا يغنـون sing في منتصف الليل وعند الظهيرة. فضلاً عن هذا فالإمبراطور قد منع أتباعه من قتل البقر ومنعهم أن يأكلوا لحومها. فالهندوس يقولون أيضاً، لمّا كانت البقر تقدم الكثيـر مـن المنافع للناس، إذن ليس من الصحيح قتلها. وقد أسـند أو حافظ اليزيديون Yazdanian على هذه القيم، فمن الظلم والطغيانTyranny قتل الحيوانات الأليفة»[1].

جميع ما تقدّم وغيره لاسـيما المعلومات الخاطئة جدا التي أوردها بشـأن الإسـلام وعـن النبي وعـن الإمام المهـدي؛ تلك التـي أدخلهـا اليوغيزYogis المجـوس، التي تصرّح، بأن المسـلمين كانوا يأكلون الخنزير ولحم البشـر، وبـإن النبي، هو الذي ألّف القـرآن وإن المهـدي فـي حقيقته بدعـة أبتدعها الشـيعة وغير ذلك مـن أباطيل أدخلها المؤلف كيخسـرو أو محمد محسـن فاني كشـميري المتصوف الذي نُسبَ إليه تأليف الكتاب خطئاً أو محمد صاعد سـرمد، الشـاعر الذي ينحدر من أصل حاخامي يهودي Rabbanical origin، ثـم أعتنـق الإسـلام ثـمّ أرتّـد. وهـو الـذي وقع فـي حب غلام هندوسي أسمه آبهى جاند، كما أوضحه المترجمان وكما وقف عليه البروفسور وليمز جاكسون في مقدمة مختصر دبستاني مذاهب[2].

* * *

دور شركة الهند البريطانية في الهند في إخراج كتاب الدبستان إلى

(1) ينظر كتاب الدبستان الذي أختصره البروفسور جاكسون، المصدر السابق باللغة الإنجليزية P.329.، كذلك (Dabestan-e Mazaheb) in Ency. Wikipedia

(2) م.ن.

النور.

ظلّ مخطوط الدبستان مركوناً في مكتبة في أحدى المدن الهندية، وعلى الأرجح في مدينة المؤلف بتنه ثمّ أنتقل إلى بانكيبور إلى أنَّ أستقرت نسخة منه في مدينة لكناو، منذ حوالى الربع الأخير من القرن السابع عشر للميلاد، أي بعد الأنتهاء من كتابته. ولم يثر آنئذ أيَّ إهتمام من المهتمين الهنود أو الفرس حتى سنة 1879م، عندما توجهت إليه أهتمامات أحد المسؤولين السياسيين البريطانيين، وأقصد به وليم جونز Sir William Jones المتوفى سنة1794م. وكان لغوياً philogist وعالماً في تاريخ الهند القديم. ويعدّ مؤسّساً للجمعية الآسيويةAsiatic Society في كلكتا. وكان يعرف العربية والعبرية والفارسية واللاتينية والأغريقية والصينية. وقد ألتحق في مؤسسة أو كنيسة التمبل الأوسط Middle Temple، وفوق هذا وذاك فقد درس القانون لمدة ثلاث سنوات، أهّلته بله قادته للعمل في الهند، ربما لصالح شركة الهند البريطانية؛ وواقعاً فأنه كان مهتما بتاريخ الهند وبلاد فارس، فقدّم عدة محاضرات في الجمعية الآسيوية في كلكتا، وله بحوث في مجالات الدين والأدب والشعر والموسيقى. ولكن هذا لا يعدم من وجود أهداف من وراء تحفيزه فرنسيس غلادوين[1] الذي كان يُتقن الفارسية من ترجمة الكتاب والإعلان عن المعلومات التي أوردها مؤلفه عن الأديان الشرقية، وعن الإسلام بصورة عامة، والفرق الإسلامية، بخاصة بما له علاقة بالجوانب التي تَبرزُ حالات الإختلاف أو الإئتلاف بين الفرق الأساسية التي لها قواعد إجتماعية عريضة قي المجتمع الفارسي والهندي على حدّ سواء. وهناك حالة متماثلة مع هذا الأهتمام للمسؤولين الغربيين أو الدبلوماسيين في الأوضاع الدينية للمشرق، كإيران والهند وباكستان وغيرها. والمثال المتعلق بالسفير الفرنسي في طهران، الكونتْ جوبينو غير بعيد عن الأذهان، فقد مثّل جوبينو بلاده سفيراً لمرتين، الأولى كانت في سنة، 1855م. وكانت الثانية في سنة 1861م. وحتى سنة 1863م. إذْ كتب هذا كتاباً عن الأديان والفلسفات في آسيا الوسطى (Les Religions et Philosophies dans L، Asie .وطبعه في باريس سنة 1865، ثمّ أعاد طبعه سنة 1866، وطبع ثالثة في سنة 1900م.

---

(1) م.ن. 143-See Askari، op.cit.P.91; Rieu;e. Persian Manuscripts. Volume I، P.142.

وعرض فيه ما هو أشبه بالنظرية بشأن التشيع في إيران، بما يؤشر إلى متانة الروابط في التفكير والقيم والعادات والشعائر بين التشيع والديانات الفارسية المجوسية والزرادشتية، إذْ رأى بأن عقائد الشيعة الإمامية إنّ هي إلاّ نسخة متطابقة مع العقائد في الأديان الإيرانية القديمة[1]؛ وكرّر هذه الأفكار في كتابه الآخر، الموسوم (ثلاث سنين في آسيا Trois ans en Asie) المطبوع في باريس سنة1859. وهي أفكار ظلّت مؤثرة في دراسات المستشرقين الفرنسيين نظير دراسة البروفسور، هنري كوربان العلمية القيّمة المؤلفة من ثلاثة أجزاء بعنوان (إيران الإسلامية[2]:-أوجه من الروحانيات والفلسفات. وتناول الجزء الأول منها (التشيع الإثني عشري). والمستشرق كوسين دي برسفالCoussin de Perceval، إذْ كرّرها في كتابه الموسوم (دراسة حول تاريخ العرب قبل الإسلام) المطبوع في باريس سنة1847- 1848[3]، ويقع في ثلاثة أجزاء وتأثر بها عدد من المستشرقين الإسرائليين أيضاً. ومن الجدير ذكره إنّ آراء جوبينو قد ظَلّتْ مؤثرة على كرِّ السنين، وبالفعل فقد تأثر بها البروفسور كوربانCorbin، المشهور في دراساته عن الإسماعيلية، وعن التشيع الإمامي. والذي عمل على تأسيس مركز الدراسات الإيرانية. وكانت تجمعه روابط علمية مع المتخصّصين الإيرانيين[4].

فلعل السير وليم جونز، كان يمثل السياسة البريطانية في حكومة الهند البريطانية،

---

(1) ينظر دائرة المعارف الإيرانية بحثا(Dabestan-e Madaheb);Askari، op.cit. P.91 ومن الجدير ذكره إنّ محمد صاعد (أو ساعد) المعروف بسرمد كان يهودياً فارسياً ثم تحول إلى الإسلام وتَصوّفْ وعند إنتقاله إلى الهند وقع في غرام شاب هندوسي، وصار تلميذه .والمهم إن سرمد هذا وتلميذه الذي كان له معرفة بالأسفار اليهودية، هما اللذان زوّدا كيخسرو إسفنديار مؤلف الدبستان بالمعلومات حول الفصل (تعليم) الخاص بالديانة اليهودية. وقد ألف المستشرق اليهودي المعروف والتر(أو فالتر) فيشل Walter.J.Fischel بحثا عن البعثة التبشيرية اليهودية في بلاطات الأباطرة المغول في الهند في العصر الوسيط بعنوان«Jews and Judaism at the courts of the Moghul Emperors» in Medieval India «In Proceedings of the American Academy for Jewish Research. Volume 18(1948) .177-Pp.137

(2) ينظر مقدّمة دبستاني مذاهب الذي ترجمه الأستاذ شيّا وترويز، الجزء الأول، وهو بعنوان:- . Dabistan-I Mazahib، or School of Manners with the translation by Mauavi Nazir Ashraf

(3) Gobineau، Les Religions et Philosophies dans L، Asie central Paris 1865، 3rd edition 1900; idem، Trois ans en Asie( ) Paris 1859).

(4) Corbin، H. En Islam iranien، aspects، spirituels et Philosophiques.I، Le Shiisms doudecimain.

فنشط إلى تشجيع الكتابة عن الميادين الدينية التي كان هو بالفعل معنيّا بها، وربما لإنشغالاته، لم ينهد بها نفسه لكونه كان يتقن اللغة الفارسية، فحفّز الأستاذ غلادوين على القيام بهذا العمل. حقيقة إنَّ غلادوين، لم يُترجم جميع كتاب الدبستان، إنّما أختار بعض فصوله أو بالأحرى أختار فصلاً واحداً منه[1]. مع ذلك، فإنَّ عمله هذا يعدّ عاملاً مهماً في إحياء التفكير بالكتاب والإعلان عن الفحوى الأساسي الذي أشتمل عليه الا وهو، ذلك المتعلق بقرآن الشيعة. فكتاب الدبستان، الذي ظلّ قابعاً مخطوطةً، في مكتبة في إحدى مدن الهند مدة مائة عام تقريباً، لأن الكتاب قد طبع في كلكتا في سنة 1789م وذلك بتحفيز وتشجيع من السير وليم جونزWilliam Jones لزميله المتفقه باللغة الفارسية، فرنسيس غلادوينF.Gladwin.

وبعد أقل من عقدين من الزمان، تحفّز مسؤول بريطاني آخر، وهو وليم بتروورث بيلي، Esq.William Butterworth Bayley(or Bailey) الإنجليزي - الهندي، المتوفى سنة 1850م. وكان قد تثقف فيEton .وأرتفع شأنه السياسي عندما تسنم منصب الحاكم العام Governor-General للهند بين سنة 1828-1830. ثمّ صار المدير العام لشركة الهند البريطانية الشرقية في الهند. لهذا يصبح من الميسور علينا القول، إنَّ بيلي كان يتوجه في تشجيعه مولوي نظير أشرفMoulavi Nazer Ushruf الذي يبدو كونه هندياً، لكنه كان يتقن الفارسية إلى تحقيق دبستاني مذاهب وطبعه باللغة الفارسية، وتحفيزه على صنع خاتمةً epilogue ومسردGlossary من حوالي ستين صفحة بالكلمات والمصطلحات العربية والفارسية الغريبة مرتبة حسب الحروف الأبتثية تشتمل على أسماء الأعلام الواردة في الكتاب، فضلا عن المصطلحات الفنية. وتمّ طبع الكتاب في سنة 1809م في كلكتا، بعنوان دبستاني مذاهب، تحقيق نظير(أو نزير) أشرف.(Dabestan-I Mazaheb .Bayley.Epliogue، written by the editor of the Persian version Moulavi Nazer Ushruf)[2].

وقد أطنب نظير أشرف في هذه الخاتمة في مدحِ السير وليم بيلي والدور الذي

---

(1) Caussin de Perceval:-Essai sur l، histoire de Arabes avant

(2) (Islamism) ،اثلاثة أجزاء باريس 1847-1848م.

أضطلع به في التعريف بهذا الكتاب، الذي وصفه بإنه كتاب يُثير الأحترام لما تمّ عرضه من أديان وعقائد وتعاليم بكل تسامح وأحترام. فضلا عن أشارته إلى إنه قد جمع نسخا كثيرة موجودة في الهند؛ وهي تحتوي على أخطاء وتضاربات. وإنَّ نسخةً أكثر موثوقية قد حصل عليها من مدينة (ملك العالم) دلهي[1].

ولم تمض سوى حوالى ثلاثة عقود على تحقيق نظير أشرف، حتى شمّر الأستاذ البريطاني ديفيد شيّاDavid Schia، المتوفى في سنة1836م. وشيّا هذا كان لغوياً linguist أيضاً كما كان وليم جونز، ودخل كلية ترنتيTrinity في دبلن عام1793م وتخرج فيها سنة1797م؛ وكان هو وعدد من زملائه ينتمون إلى جمعية أو جماعة الإيرلنديين المتحدةSociety of United Irishmen. ويذكر بأن درايته باللغة الإيطالية، قد أهّلته للإضطلاع بمركز أعلى رجلChief Clerk (أو الموظف الأول) في مؤسسة mercantile التي كان موقعها في مالطا. وقد تعلم العربية والفارسية؛ وبعدها أصبح عضواً في القسم الشرقي في كلية شركة الهند البريطانية الشرقية Hailebury College. وكان مهتماً بالتراث الإسلامي، فترجم كتاب للعالم الفارسي، ميرخواند وعنوانه (تاريخ الملوك الفرس الأوائل)History of the early kings of Persia)، وطبع في لندن سنة1822م. بعدها تحرك لترجمة دبستاني مذاهب. غيرإنَّ الأجلَ قد وافاه ولمّا ينتهي من الترجمة؛ إذ توفي في كلية هيلدبيري في 11مايس 1836م. وبعد مدة نهد بإكمال الترجمة البروفسور إنتوني ترويرTroyer. وبعد الإنتهاء طبع الكتاب بثلاثة أجزاء في سنة 1843في باريس، ثمّ أعيد طبعه بطبعة ثانية في لندن سنة 1844[2] (وورد إنه وأنتوني ترويـر) قد ألّفا أو ترجما الفصل الخاص بالتصوف في كتاب الدبستان تحت عنوان (ديانة المتصوفة أو الصوفية The Religion of the Sufis) وطبع في مطبعة أوكتاغون Ocktagon Press Limite..وواقعياً فإن المترجمين قد أشارا إلى هذا الكتاب، على

---

(1) ينظر آية الله مرتضى المطهري:- الإسلام وإيران (ترجمة محمد هادي اليوسفي الغروي(منظمة الإعلام الإسلامي) جزء، ص.89-103، كذلك ناجي، د. عبد الجبار:- التشيع والأستشراق (بيروت 2011م ص177 211، 213، 221. ووكوربان وتأسيس المركز في إيران

(2) ينظر مقدّمة الأستاذ ترويرفي الجزء الأول من كتاب -Dabistan–I Mazahib or The School of Man ners

إنه مأخوذ من القسم الذي كتبه محسن فانـي وعلى الصيغة الآتيـةThe Religion of Sufis from the Dabistan of Mohsin Fani وطبـع فـي سـنة 1979في لندن[1]، وهو مؤلف من 87صفحة فقط. أمّا بشـأن زميل شـيّا في ترجمة الدبستان، أنتوني تروير، فهو عضو الجمعية الملكية الآسيوية لبريطانيا العظمى وإيرلندا فرع كلكتا وباريس[2].

وصف عدد من المستشرقين نظير جوزيف ألياش الترجمة والتحقيق الذي أضطلع به الأسـتاذان شـيّا وتروير بكونه عملاً جيداً يسـتحق الثناء[3]. فقد حقّق الأسـتاذ تروير مقدمةً مسهبة بحوالي مائة صفحة تعدّ بحدّ ذاتها دراسة دقيقة عن جدلية الكتاب ومؤلفه وتاريخ ظهوره في الهند. غير إنَّ البروفسور تروير لـم يحدّد بشكل واضح ونهائي هوية مؤلفه، فراح يتنقل بين كونه كتابا ألّفه الصوفي محمد محسن فاني الكشميري المتوفى سـنة 1671م أو1672م وبيـن الـرأي القائل، بـأن مؤلفه الحقيقي الموبـد(Mage باللغة الإنجليزية)الزردشتي كيخسرو أسفنديار بن آزر أو آذر الكيواني، وبين أنَّ يكون شخصا آخر بأسـم محمد صاعد، أو سـعيد الشـاعر الفارسـي الذي ينحدر من أصل حاخامي يهـودي، أعتنق الدين الإسـلامي. **آخذين بنظر الأعتبار ما أشـرنا إليه في أعلاه من رأي محدّد للبرفسـور الإيراني عسـكريS.H.Askari في بحثه القيّـم الذي ألقاه في مؤتمر بمناسـبة اليوبيل الذهبي للأسـرة البهلوية الموسـوم (دبسـتاني مذاهب وديواني موبد). وفيه يرى، بإنَّ المؤلف قد أخفى أسـمه، لأنه أرتد عن الإسـلام إلى الديانة المجوسـية؛ ومن الواضح إنَّ الشـريعة الإسـلامية، تُبيح قتـل المرتدِ عن الإسـلام[4]. ولذلك يمكننا الذهاب إلى القول بعدم صحة نسبة الكتاب إلى محمد محسن فاني الكشميري.**

جاءت الترجمة النهائية للدبسـتان من قبل الأسـتاذ تروير في ثلاثة أجزاء، كما أوردنا تـوّا، والحقيقـة فـإن تروير قد خصّـص الجـزء الأول، المُؤَلفّ من 574 صفحة لدراسـة عامـة، فمثـلاً أحتوى هـذا الجزء على أسـتهلال لإعـادة طبـع الكتاب في سـنة2006م.

---

(1) عن هذا الموضوع مقدّمة الجزء الأول من ترجمة ديفيد شيّا وأنتوني تروير لكتاب الدبستان باللغة الإنجليزية.

(2) م.ن.

(3) ينظر دائرة معارف Wikipedia

(4) كتاب فاني عن التصوف بعنوان The Religion of Sufis from the Dabistan–e of Mohsin Fani (London Octogon Press1979) 87pages

ثـمّ يبتدأ الحديث عن طبعـة 1843م ومحتوياتها:- فالفصل الأول، أشـتمل على مقدّمة ومبحثيـن، الأول منهمـا يتنـاول الموضوع الأسـاس، وهو كيف عُرِفَ الدبسـتان ومتى، ومن هو مؤلفه؟. ثم الموارد التي أعتمدها. أمّا المبحث الثاني، فهو مناقشة حول الدساتر Desatir. والفصل الثاني، يحمل عنوان الدول والأديان والفرق المذهبية ووجهات النظر الفلسـفية التي عُولجت في الكتاب (الدبسـتان). والفصل ينقسم إلى خمسة عشر مبحثاً يفصل فيها المترجم الميادين التي تضمنها الدبستان وهي:- الدين الأول، - دولة مهاباد وأباد آزر، وشاهي آباد...الخ. والثاني، يتناول البشدانية والأشكانية والساسانية. والمبحث الثالث عن الديانة الزرادشتية. والرابع عن الديانة الهندوسية. والخامس، عبارة عن إعادة تلخيص للأديان الفارسية والهندية. والمبحث السادس، حول الديانة في التبت. والسابع، عن الديانة اليهودية. والثامن، عن الديانة المسـيحية. والتاسع، عن المسلمين. والعاشر، عن السـداكيين. والحادي عشـر، عن الروشـانيين. والثاني عشـر، عن اللآهية. والثالث عشر، عن الفلاسفة. والرابع عشر، عن الصوفية. وأمّا الخامس عشر، فهو إعادة تلخيص لمحتويات الدبستان، بشأن تلك الموضوعات. والفصل الثالث تحت عنوان أستنتاجات، وهـو مؤلف من مبحثيـن. الأول منهما بعنوان، تقويم عام للدبسـتان ومؤلفه. والمبحث الثاني، فيركز على ملاحظة تتعلق بالنسخة المطبوعة وببعض المخطوطات، وبالترجمة لكتاب الدبسـتان. وأخيرا هناك عنوان المحتويـات. وبعد ذلك فقد خصّص المترجمان الجزئين، الثاني، والثالث الأخير لترجمة الدبسـتان. وفي آخر الكتاب تمّ وضع الخاتمة التي كتبها مولوي نظير أشـرف، محقّق النص الفارسي للدبسـتان المطبوع في كلكتا. ثمّ الفهرست وبعدها (جدول بالخطأ والصواب Errata)[1].

توجهات المستشرقين في التركيز على مسألة قرآن الشيعة

مثّـل موضـوع قرآن الشـيعة المزعـوم، لمؤلفـه المرتدّ عن الإسـلام الشـيعي، إلى المذهب الزردشـتي المجوسـي- ولهذ السبب كان قد أخفى أسمه الحقيقي، خوفاً من تطبيقات الشـريعة الإسـلامية في التعامل مع أمثاله من المرتدين عن الإسـلام وأسـمه في الواقع كيخسـرو بن إسـفنديار- أربعة توجهـات أو دوافع عند المستشـرقين الذين

(1) ينظر دائرة معارف ويكبيديا.

كرّسوا دراسات أو تعقيبات حول الكتاب، وهذه التوجهات، هي الأخرى، يمكننا توزيعها إلى مرحلتين تاريختين هما:- الأولى، تمثّل الفترة من منتصف القرن التاسع عشر حتى تقريبا العقدين الأولين من القرن العشرين، والثانية، تلك التي تؤشر إلى الفترة الممتدة من ذلك التاريخ حتى يومنا هذا. ولعلنا لا نبالغ القول، في تمييز أربعة توجهات للمستشرقين، أو بشكل أعمّ للغربيين في هذا المجال:-الأول، ذلك الذي يتماشى والنهج التبشيري، أمّا الثاني، فلعلنا نضعه ضمن التوجّه المنشّق عن المذهب الشيعي الإمامي، أي التوجّه البهائي، والثالث، ربما هو توجّه علميّ، لكنه غير مُتحَرر من الموقف السلبي من الإسلام ولهذا ينعكس في الموقف من تفسير مسألة قرآن الشيعة، والرابع، يتمثّل بالتوجّه اليهودي.

أولا:-

يعدّ المستشرق الفرنسي غارسين دي تاسي، وأسمه كاملاً Joseph Helliodore Sagesse Vertue Garcin de Tassy أول مستشرق قَدْ أماط اللثَام عن ما هو مزعوم بوجود سورة جديدة للقرآن وأختص بها الشيعة الإمامية، تلك التي تنصّ على أنَّ الإمام علي نورٌ، إلى جانب النور الأول نور النبي، وهي السورة التي عُرفتْ بسورة النورين. وقد أعطى دي تاسي لبحثه المنشور في المجلة الفرنسية المعروفة(المجلة الآسيوية Journal Asiatique) في سنة 1842م عنوانا هو(فصل - وهنا لابد من الأشارة إلى أنَّ بعض المترجمين الأجانب للقرآن يطلقون على السورة في القرآن بكلمة Chapter-غير معروف في القرآن)[1]. ودي تاسي مستشرق ولد في مرسيليا من أب تاجر سنة1794م وأنتقل إلى باريس، وتوفي في أيلول سنة1878م. ودرس تحت أشراف المستشرق المعروف، سلفستر دي ساسي، في المدرسة التي أسّسها المعروفة بمدرسة اللغات الشرقية التي اسّسها سنة 1795م، وقد مُنحَ لقب الأستاذية في مدرسة اللغات الشرقية الحيّة School living Orient Languages التي تأسّست سنة1838م، وهوأحد مؤسسي الجمعية الآسيوية Societe Asiatique. وكان متبحّراً في عدة لغات شرقية، كالعربية والعبرية والفارسية والتركية؛ وكان معنيّاً باللغة الأوردية، ومهتماً بالكتابة عن

(1) J.Eliash. Op.Cit. P.15-16

الإسـلام ولاسـيما الإسـلام في الهند. وكان يحتل الكرسـي الهندوسـتاني الذي تأسّس فـي سـنة1828م. والأهم مـن ذلك، فقد ألّـف كتاباً عن تاريخ الكنيسـة المسـيحية بعدة أجزاء، وإنَّ الجزء الرابع منه عنوانه(مسـيحيو العصور الوسـطى من590-1073). وكان لهذا المستشـرق دوراً في التبشـير، إذْ حملت مؤسسة تبشيرية أسمه وتلك هي المعروفة ببيـت دي تاسـي فـي أفريقيـا وهـيMissionnaires d، Afrique Blorcs، Maison a Tassy[1] ولذلك نؤكد مرّة أخرى، بأن مسـألة السـور المزعومة التي تشكّل ما عرف عند المستشـرقين وغيرهم، بقرآن الشـيعة قد أبتدأ تسـليط الضوء عليها وأخضاعها للدراسة والبحث من قبل المبّشرين الفرنسيين والبريطانيين، كما سنذكره لاحقا. ولهذا المستشرق شـهرة واسـعة في الكتابة عن الإسـلام، وأولُ عملٍ له ذلك الموسـوم (الإسـلام طبقاً أو أعتماداً على القرآن L، slamism d، apre le Coran l، enseignement doctrinal et la pratique). وطبعه الطبعة الثالثة في سـنة1874م في باريس. وله كتاب(فصل عن تاريخ الهند المسـلمة، أو كرونولوجية سلطان دلهي شهاب الدينUn chaipter de l، histoire de l، Inde musulman) ونشـره سـنة1865م. وألّـف كتابـاً عن ملاحظات بشـأن بعض الخصائص المتوافرة في ديانة المسـلمين في الهنـدMemoires sur les particularites de la religion musulmandans l، Inde) ونشـر في سنة 1832م. وفي سنة 1826 كتب كتاباً عن عقيدة الإحترام وأعمال الكياسة devoirفي الدين الإسلامي على وفق النصوص القرآنية والفقهية والأحاديث العربية)[2]. وبأختصار فالمستشرق دي تاسي، قد تناول عدة موضوعـات معتمدا فيهـا على القرآن الكريـم؛ إذْ كان يعرف اللغة العربيـة معرفة جيدة، فضلاً عن أنه كان قد كرّس نفسـه لتعلم اللغة الهندية. والنشـهر في أوربا بكفايته اللغوية والتاريخية. ومما يسـتحق الإشارة إليه أنَّ الباحثة سيده سـوريه حسين Sayida Surriya Hussain قد كتبت بحثاً شاملاً عن ترجمة حياة دي تاسي وإنتاجاته العلمية[3].

ومهما يكن من أمر، فلعل المتتبع يتسـاءل عن مدى تأثير طبع ونشـر كتاب دبستاني مذاهـب علـى توجيـه إهتمام دي تاسـي فـي تخصيصه البحث المذكور بشـأن سـورة

(1) يراجع دائرة المعارف الإيرانية Ency. Iranica، by Fath Allah Mojtaba

(2) يراجع ترجمة شيّا وترويز عن محتويات الكتاب ولاسيما في الجزء الأول. .

(3) Garcin de Tassy، «Chapitreinconnu de Coran» Vol.XIII، P. 433

النورين؟ آخذين بنظر الأعتبار، أنّهُ كان مهتما بالدراسات القرآنية، وكالذي ألمحنا إليه آنفا، ولكنه ليس من المؤكد تأثره بالترجمة الإنجليزية للدبستان، إذْ قد طبع الكتاب الذي ترجمه شيّا وترويز أولا، في باريس في سنة1843م في حين كان ظهور بحثه في المجلة الآسيوية في العدد الثالث عشر منها وفي سنة 1842م أيْ إنَّ طبعه جاء بعد سنة من نشر دي تاسي بحثه؛ إذنْ هل يجوز لنا التقدير بأنه قد تأثر إمّا بترجمة غلادوين إلى الإنجليزية للدبستان التي تمّ طبعها في كلكتا في 1789م، أو بالنسخة الفارسية التي ترجمها وحقّقها نظير أشرف وبتحفيز من السير وليم جونز في كلكتا في سنة 1809م مع خاتمة ومسرد للمصطلحات العربية والفارسية والتي أعتمد عليه الأستاذ ديفيد شيّا؟؟، أم إنه لم يتأثر بكليهما إنّما أعتمد على مورد آخر لم يشر إليه؟. المهم جداً إنَّ لبحث المستشرق دي تاسي أهمية لكونه يعدّ الأول من بين المستشرقين ممّن ترجم ودرس السورة المزعومة، ولأنه زعم، بأنَّ الشيعة الإمامية يقولون بتحريف القرآن، وبأنَّ الخلفاء، أبو بكر أو عمر بن الخطاب أو عثمان بن عفان قد أندفعوا لإستبعاد هذه السورة وسور أخرى عن القرآن الكريم خلال عملية جمعهم القرآن الكريم وذلك لإقصاء حقّ الإمام علي في الخلافة. ولربّ سائلٍ يتساءل عن هذه السورة الكاملة التي نشرها وترجمها دي تاسي إلى اللغة الفرنسية ونشر صورة فوتوغرافية لها، ففي أدناه نصّ السورة بعد طباعتها من الصورة الفوتوغرافية:-

(يأيها الذين آمنوا آمنوا بالنورين أنزلناهما يتلوان عليكم آياتي ويحذرانكما عذاب يوم عظيم. نوران بعضهما من بعض وأنا السميع العليم. إن الذين يوفون ورسوله في آيات لهم جنات النعيم (؟؟ وال آية كما هو واضح مختّلة في المعنى والبنية اللغوية- الباحث) والذين كفروا من بعد ما آمنوا بنقضهم ميثاقهم وما عاهدهم الرسول عليه يقذفون في الجحيم. ظلموا أنفسهم وعصوا الوصي الرسول أولئك يسقون من حميم.إن الله الذي نور السموات والأرض بما شاء واصطفى من الملائكة وجعل من المؤمنين اولئك في خلقه يفعل الله ما يشاء لا إله إلّا هوالرحمن الرحيم .قد مكر الذين من قبلهم برسلهم فأخذهم بمكرهم إنّ أخذي شديد أليم .إن الله قد أهلك عادا وثمود بما كسبوا وجعلهم لكم تذكرة فلا تتّقون(وهاهنا نلحظ تبعثر الأفكار وعدم موضوعيتها-الباحث). وفرعون بما(لمّا-الباحث) طغى على موسى وأخيه هارون

أغرقته ومن تبعه أجمعين ليكون لكم آية وإن أكثركم فاسقون. إن الله يجمعهم في يوم الحشر فلا يستطيعون الجواب حين يسألون .إن الجحيم مأواهم وإن الله عليم حكيم. ياأيها الرسول بلّغ إنذاري فسوف يعلمون .قد خسر الذين كانوا عن آياتي وحكمي معرضون. مثل الذين يوفون بعهدك أني جزيتهم جنّات النعيم. إن الله لذو مغفرة وأجر عظيم. وإن عليّا من المتّقين وإنّا لنوفيه حقه يوم الدين ما نحن عن ظلمه بغافلين. وكرّمناه على أهلك أجمعين فإنه وذريته لصابرون. وإن عدوهم إمام المجرمين. قل للذين كفروا بعدما آمنوا طلبتم زينة الحياة الدنيا وأستعجلتم لها ونسيتم ما وعدكم الله ورسوله ونقضتم العهود من بعد توكيدها وقد ضربنا لكم الأمثال لعلكم تهتدون. يا أيها الرسول قد أنزلنا اليك آيات بينات فيها من يتوفاه مؤمنا ومن يتوليه0(؟) من بعدك يظهرون فأعرض عنهم إنهم معرضون.إنّا لهم محضرون في يوم لا يغني عنهم شيء ولا هم يرحمون.إنّ لهم جهنم مقاما عنه لا يعدلون .فسبّح بأسم ربك وكن من الساجدين. ولقد أرسلنا موسى وهارون بما أستخلف فبغوا هارون فصبر جميل. فجعلنا منهم القردة والخنازير ولعنّاهم إلى يوم يبعثون.فأصبر فسوف يبصرون. ولقد أتينا لك الحكم كالذين من قبلك من المرسلين. وجعلنا لك منهم وصيّا لعلهم يرجعون. ومن يتولى عن أمري فإني مرجعه فليتمتعوا بكفرهم قليلا فلا تسأل عن الناكثين. يا أيها الرسول قد جعلنا لك في أعناق الذين آمنوا عهدا فخذه وكن من الشاكرين. إنّ عليا قانتا بالليل ساجدا يحذر الآخرة ويرجو ثواب ربّه. قل هل يستوي الذين ظلموا وهم بعذابي يعلمون. سنجعل الأغلال في أعناقهم وهم على أعمالهم يندمون .إنّا بشرناك بذريته الصالحين.وإنهم لأمرنا لا يخلفون.فعليهم مني صلوات ورحمة أحياءا وأمواتا يوم يبعثون. وعلى الذين يبغون عليهم من بعدك غضبي. إنهم قوم سوء خاسرين. وعلى الذين سلكوا مسلكهم مني رحمة وهم في الغرفات آمنون. والحمد لله ربّ العالمين[1].

فسورةُ النورين المزعومة والمعروضة للقراءة والتعليق، لا تبدو أكثر من محاولة فاشلة، ربما يرجع مصدر فشلها إلى كون مؤلف الدبستان شخصية مرتدّة عن الإسلام،

---

(1) عن حياة دي تاسي ومؤلفاته ينظر Sayida Surriya Hussain:-Garcin de Tassy .Biographie et etude critique de ses oevres(Publication de، l institute francais d، Indolgie.no.22 Pondicherg 1962. .Volume، XX.Pp

وكان هدفه الرئيس والمباشر توجيه الطعن للقرآن والعمل على إضعافه والتشكيك بالحجّة البلاغية والإعجازية التي وُصِفَ بها الكريم وأستحالة تقليده أو الأتيان ب آية واحدة لا سورة كاملة تماثله في المنطوق الروحاني الآلهي، وما التحدي الربّاني للكفّار من قريش، كما ورد ذكره في كتاب الله إلّا الدليل الواضح والمباشر لتهافت ما تشتمل عليه هذه السورة المزعومة والسورة التي سنأتي على ذكرها لاحقا-الباحث).

* * *

وللمرّة الثانية، يعاني كتاب الدبستان من مشكلة، تتمثّل في ركونه في زاوية النسيان، إذ ظلَّ قابعاً في تينكم الدراستين، دراسة دي تاسي، وكاظم بيك لمدة طويلة بمعنى من سنة1842-1843الى سنة 1909م. وفيها أُعيدتْ الحياةُ ثانيةً إلى الجدل الدائر بشأن قرآن الشيعة المزعوم .ومع إنه ليس من الواضح بالتأكيد مدى أرتباط دي تاسي بالحركة التبشيرية؛ علماً بأنه كان قد كرّس جُلّ نشاطاته البحثية عن الميادين المتعلقة بالإسلام ديناً وفكراً وفي الهند على وجه الخصوص، والمهم فسيرته الذاتية، وإنه كان تحت إشراف سلفستر دي ساسي في مدرسة اللغات الشرقية، ربما تؤشر إلى عدم إستبعاد بإنه كان له دور في ذلك. غير أن الحالة منذ العقد الأول من القرن العشرين تؤشر مباشرة إلى جهود المبشرين البريطانيين في إعطاء جرعة من الحياة ثانية إلى الموضوع تحت البحث، عندما نشر المُبشّر البريطاني كانون أدوارد سيلCanon Edward Sell بحثه في مجلة الجمعية الأدبية المسيحية في مدراس في الهند سنة1909م بحثا بعنوان (تنقيح القرآنThe Recension of the Quran) ويقع في ست وعشرين صفحة[1]. والمهم إنَّ سيل، أستند إلى كتاب دبستاني مذاهب، وعلى سورة النورين فيه. فمن هو كانون سيل؟ إنه كان في الكنيسة الإنجليزية، وولد في وونتليك Wantlage الواقعة في جنوب غربي أوكسفورد سنة1839م. وأنهى دراسته في كلية البعثة التبشيرية الكنسية في لندن. وفي مدراس صار زميلا في الجامعة في مدراس. وتسنّم منصب القس Priest سنة1867م. وصار مديرا لعدة مدارس تبشيرية في مدراس. وله مؤلفات ونشاطات بحثية كثيرة عن الإسلام، ديناً وعقيدة. فنشر كتاباً في سنة 1880م، وأعيد طبعه مرّات، الطبعة الثالثة منه

---

(1) ينظر Ency. Wikipedia(Garcin de Tassy)7

في سنة1907، وهو الموسوم (عقيدة الإسلامThe Faith of Islam)[1]. وله كتاب آخر بعنوان (بزوغ الإسلام وتطور تعاليمه الدينيةIslam and its Rise and Progress of the Religious Orders of Islam) ونشره في سنة 1908م. وكتب كتابا عن (تبجيل علي أو عبادة عليThe Cult of Ali) وطبعه في سنة 1909م. وألّف كتابا بعنوان (حياة محمد) وطبعـه في لندن- مدراس سـنة 1913. وكتب كتاباً عن أئمة الشـيعة الإثني عشـرية[2]؛ وكتابا عن الخلفاء الراشـدين. وله كتاب أو ربما ترجمة للقرآن وهو الموسوم (القرآن) وطبع في سـنة 1909. وبإختصار، فإن سـيل قَـدْ أَنَجْزَ أعمالاً كثيرة عن الإسـلام. وهو في مجال قرآن الشـيعة المزعوم قد اعتمد في ذكر السـورتين، النورين، والولاية، على البحث الذي كتبه ميرزا كاظم بيك؛ ولعله أطّلع وأنتفع من بحث المستشرق دي تاسي أيضـا. والفـارق الوحيد بين النصّ الذي أورده للسـورتين نقلا عـن كاظم بيك وبين ما سنعرضه في أدناه من النصّ الذي أعتمده المستشرق المبشر الآخر، كلير تسدال Rev. St.Clair Tisdall، ويتلخصُ، إنَّ كانون سيل، قد إستند إلى الطبعة أو النسخة الفارسية للدبستان بينما إستند تسدال إلى مخطوطة باللغة العربية، تمّ إكتشافها في مدينة بانكيبور Bankipur في الهند سنة1912م، وأخرى باللغة الفارسية .وأمّا المستشرق دي ساسي، كما ألمحنا سـابقاً فقد أعتمد الترجمة الإنجليزية التي نهد بها غلادوين أو على النسخة الفارسية التي حقّقها مولوي نظير أشرف.

ولم تمض على دراسة كانون سيل سوى ثلاث أو أربع سنوات حتى شمّر المستشرق المبشـر البريطاني كلير تسـدال في الهند من ساعده ليؤلف في هذا الميدان بحثاً بعنوان جديـد هو (إضافـات الشـيعة علـى القـرآنShiah Additions to the Koran)[3]. ومن المناسب ذكره إنَّ كلير تسدال المتوفى في سنة1928م، مؤرخ بريطاني وله عناية خاصة بفقه اللغة، وقَدْ خَدَم في جمعية البعثة التبشيرية الكنسية الإنجليزية المعروفة(Church

(1) See above Sayida Surriya Hussain

(2) See Mirza Kazembeg، »Observations sur Chapitre inconnu du Coran« in Journal Asiatique، Volume XIV (1843) .Pp.430-431;Clair Tisdall، »Shiah additions to the Qoran« in The Moslem World.Volume III، 1913.P.242

(3) Canon Edward Sell، »The Recensions of the Quran« inChristain Literature Society، Madras(1909) P.53.

وكان يحتـل منصـب (of .(England، s Missionary Society in Isfahan، Persia أمين سـرّ الجمعية. وكان متمرساً في اللغات الشـرقية وبضمنها اللغة العربية. ومن بين أهم مؤلفاته التي تُظِهرُ مدى أهتمامه بالدين الإسلامي من أجل تحقيق أهدافه التبشيرية، كتـاب (المـوارد الأصلية للقـرآنThe Original (Sources of the Quran. الذي طبع في لندن - نيويورك عام 1905م. والواقع فإنَّ نظرة إلى الفصول التي أخضعها للدراسة فـي هـذا الكتاب تعكـس بجلاء توجهه التبشـيري؛ فمـن بين محتويـات الكتاب:- أثر المعتقدات العربية القديمة - أي ما قبل الإسـلام - والطقوس والممارسـات الجاهلية فـي القرآن. ثـم أثر الأفكار والممارسـات الصابئيـة واليهودية في القـرآن. وأثر الديانة المسـيحية وأسـفار العهد القديم الأربعة عشـرApocryphal في القرآن. ثم وقف على العناصـر الزردشـتية فـي القرآن والحديـث الشـريف. وأخيراً درس الأحنـاف، ومدى تأثيراتهـم علـى ولادة nascent الديـن الإسـلامي. ووصـل المستشـرق تسـدال مرتبة عالية في الكنيسـة Reverent ووصل إلى درجة علمية عالية في الكنيسـة هي (دكتوراه فـي اللاهـوتM.A.D.D.). فضلاً عن ذلك فقد كتب بحثاً آخر يحملُ عنوان (سـورة الولايه وسورة النورين:- مدى صدقيتهما وماهية أسلوبهما الأدبيSura al-Walayah and Sura al-Nurayn:-Authenticity and Literary Style[1]. يشـير فيـه إلـى أنَّ كانون سـيل قد رجع في بحثه المشـار إليه آنفا إلى النسـخة الفارسية، وهي حسب رأيه نسـخة غير دقيقة تماماً. فعلى سـبيل المثال، يقول المستشرق تسدال، هناك في النسخة الفارسـية وفـي سـورة الولايه (ولايـت) إضافة إلى ال آيـة الأخيرة هي فـي الواقع غير موجـودة في النسـخة العربية، وفي الوقت نفسـه هنـاك حذف في جزء مـن آية أخرى. ومن الناحية الأخرى فالنسـخة الفارسـية توفّر هوامش وتعقيبات قيّمة غير موجودة في النسـخة العربية. وهذه المسألة تؤشّـر إلى ملاحظة مثيرة، مفادها إن تسدال لـم يشر إلى جميع الترجمات والطبعات التي قد مرّ بها كتاب دابسـتاني مذاهب السـابقة الفارسية، والأرديـة والإنجليزيـة منـذ أول محاولة قام بها فرنسـيس غلادوين، ولا نعرف سـبب ذلـك، اللهـم إلّا إنه كان يجهلها. ففي الأسـطر الأولـى من بحثه (إضافات الشـيعة..) يقـول ما نصّ ترجمتـه:- لا يعرف حتى الزمن الذي يكتب فيه البحث، بأنَّ الفيلسـوف

(1) عن حياة سيل ينظرCanon Edward Sell (Ency. Wikipidea)

والمحقّق الفارسـي، مؤلف الكتاب الذائع الصيت الموسـوم دبسـتاني مذاهب، الذي دوّن أكتشافه لسورة تسمى سورة النورين، وإنَّ عدداً قليلاً من الفرقة الشيعية المسلمين، قد سـعوا لدعم وجهات نظرهم في الأشارة إلى سـورة غير موجودة في النسخ السائدة مـن القـرآن[1]. فالمستشـرق، أفترض عـدّة فرضيات لَمْ ينتـه الجدل حولها، منها اسـم المؤلف، فإنَّ كان يقصد به محمد محسـن فاني الكشـميري، فهو لـم يكن فيلسـوفاً ولا محقّقاً إنّما كان متصوفاً وشـاعراً مغموراً. فضلاً عن هذا فالكتاب أو مؤلفه لم يكتشف السـورة، إنّما اعتمد على عنصر سـندي ضعيف جدا من الناحيـة المصدرية، إذ يصرح بكونه سـمع بعض الشـيعة يقولون بأن الخليفة عثمان أو غيره من الخلفاء الراشدين قد عمل أو عملوا على تحريف الآيات القرآنية كما يزعم اولئك الذين سـمعهم يتحدثون كما نصّ حرفياً. كذلك لم يشر إلى من هم اولئك الشيعة الذين كانوا يسعون للحصول علـى تأييد لموقفهم هذا، ولـم يذكر أيَّ مصدر لمعلوماته هذه. وبعد صفحة واحدة من أقوالـه تلـك، يذكرُ ما نصّ ترجمته:- إنَّ هذه المقاطع - ويقصد السـور والإضافات - جميعهـا قد تمّ اكتشـافها في مخطوطةMS. للقـرآن موجودة فـي بانكيبورفي الهند في شـهر حزيران 1912م[2]. إذن كيف تحقّق المستشـرق بالتأكيد عـن هوية المؤلف وعن سيرته العلمية؟؟.

ويسـتمر تسـدال في عـرض الفوارق بين النسـخة التي بحوزته مـن المخطوطة عن السورتين وأصلها، كما يقول من الهند، وبين نسخة مصوّرة فوتوغرافيا لسورتي النورين والولايه، (ولايت)، فيخرج بنتيجة تفيد، بإنَّ النسـخة التي بحوزته ليسـت دقيقة تماماً. وأن القارئ للنصّ العربي بخاصة لجميع الإضافات وبضمنها سورة الولايه مزيفة وغير حقيقية، ولا يمكن القول، إنها من القرآن، بإستثناء سورة النورين، معتمدا في رأيه على تحليله المتعلق بالجانب اللغوي والنحوي وعلى وجود أخطاء نحوية يسـتحيل قبولها بكونها جزءا من القرآن. ولكن تسدال مباشرة وبعد تصريحه السابق يقول: -اللهم إلّا أن تكون هذه الأخطاء النحوية ترجع إلى الناسـخ أي ناسخ المخطوطة. ويعود مرّة أخرى إلـى موضوع تضعيفه للسـور، وبكونها مزورة، قائلا:- ولهذه الظروف والملابسـات،

---

(1) م.ن.

(2) Clair Tisdal، The Shiah additions ...».Op.Cit. .

فالعجيب إننا لَمْ نجد إنَّ بعضاً من هذه المقاطع - ويعني السور والإضافت - مقبولة وبشكلها العام من قبل الشيعة، أو إنها ضمن النسخ القرآنية المطبوعة التي بحوزتهم[1]. مع إنه يصرّ إصرارا عجيبا على التناقضات التي يقع بها مرّة تلو الأخرى؛ إذ نراه مباشرةً بعد إستنتاجه الأخير حول عدم قبول الشيعة وعدم أعترافهم بوجود هذه السور والإضافات التي صارت عنوانا لبحثه يقول ما نصّ ترجمته:- ومن البديهي إنَّ الخلفاء السنة لهم كلّ الحقّ والتبرير، لأن يسعوا إلى حَجِبْ أيَّ من تلك السور والإضافات. مع إنه من الصعب تصديق أن يكون أبو بكر أو عمر أو عثمان، الذين بالتأكيد كانوا أمناء ومؤمنين ومعتقدين بثبات بمحمد وليس من السهل أن يتعمدوا تبني سياسة في التحريف وبهذا يعرضون أنفسهم للإدانة وعقاب الجحيم -هنا يقصد المستشرق ما جاء في عدّة آيات كريمة في ذكر الله العزيز نظير ما ورد في سورة هود قوله عزّ من قائل بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَـٰدُ هَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾آية 18 وكذلك ال آية الكريمة في سورة النحل رقم 105، إذ يقول الله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ﴾. وما ورد في الحديث النبوي الشريف (من كذب عليّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار) ..الخ[2]). وهو تعقيب تفوح منه رائحة الدسّ المسموم من قبله.

ولعل القارئ الكريم يستفسر عن فحوى السورة الثانية المزعومة، وهي سورة الولاية التي ترجمها وصوّرها المستشرق أو بالأحرى أكتشفها لأول مرة، لأن المستشرقين السابقين، إنّما يشيرون دائما إلى سورة النورين .ونصّ السورة مطبوعة من السخة المصّورة حسب الآتي:-

---

(1) عن حياة تسدال ومؤلفاته ينظر Clair Tisdall(Ency. Wikipidea)

(2) Ibid.P.227.

سورة الولاية سبع ايات

بسم الله الرحمن الرحيم

ياءيها الذين أمنوا أمنوا بالنبي وبالولي الذين بعثناهما يهديانكم إلى صراط مستقيم. نبـي وولـي بعضهما من بعض وأنـا العليم الخبير.إنّ الذين يوفـون بعهد الله لهم جنّات النعيـم .والذيـن إذا تليـت عليهـم آياتنا كانـوا بآياتنا مكذّبيـن. إنّ لهم فـي جهنم مقاما عظيمـا(؟؟)، إذا نـودي لهم يـوم القيامة أين الظالمـون(؟؟) المكذّبون للمرسـلين.ما خلفهم المرسـلين إلّا بالحق، وما كان الله ليظهرهم(؟؟) إلى أجل قريب .وسبّح بحمد ربك وعلي من الشاهدين.)[1]

والقارئ اللبيب سوف يرى الركاكة والضعف الواضح في البنية اللغوية والأسلوبية والأدبيـة لهـذه الكلمات التي وضعت جنبا إلى جنب لكـي تبدو وكأنها آيات من الذكر الحكيم وهي بالتأكيد ليس منه بشيء.

وقبل أن نطوي الحديث عن هذين المستشـرقين، لا ريب من توحيد الأفكار بشـأن توجههمـا التبشـيري. واقعا كان من المفـروض أن نضمّن في هذه القائمة المستشـرق المبشـر الأمريكي الناشـط جداً، صموئيل زويمرS.Zwemer الذي أدّى دوراً مهما في الحركة التبشـيرية إذْ ترقّى إلى مرتبة رئيس المبشـرين في الشـرق الأوسـط قبل أنتقاله إلـى الهنـد أيضـاً إذ أصبح سـنة1913 رئيس تحرير المجلـة التي كان تسـدال يعمل بها وينشـر بحوثه وهي عالم الإسـلامMoslem World. فضلاً عن إنه تسَنم منصب رئيس الهيئة التبشـيرية الأمريكية في الشرق الأوسط، وكان لقبه العلمي دكتوراه في اللاهوت D.D.F.R.G.S.؛ وقـد ألّـف عدّة إسـهامات عن الإسـلام، وعن النبـي محمد[2]. وله كتاب عن القرآن الكريم .لكننا نجهل عن موقفه من هذا المحور المتعلق بقرآن الشيعة المزعـوم. كذلـك الحال بالنسـبة إلى المستشـرق البريطاني المبشـر الآخر المشـهور دوايت دونالدسونDwight Donaldson مؤلف الكتاب الذي ظلّ لمدة طويلة معتمدا

(1) Ibid.228.

(2) Ibid.

من المستشرقين والعلماء المسلمين على حدّ سواء والموسوم(الديانة الشيعية:-تاريخ الإسلام في بلاد فارس والعراق The Shiite Religion:- A History of Islam in Persia and Irak) المطبوع في لندن سنة 1933م[1]. فإنّه لَمْ يقف على الموضوع في كتابه، على الرغم من ذكره في قائمة مصادره كتاب دبستاني مذاهب الذي ترجمه الأستاذان شيّا وترووير المطبوع في لندن سنة1843م والأكثر صحة في 1844م لأن الطبعة الأولى في باريس كانت بالفعل في سنة1843، علما بأنه نسب تأليفه إلى ميرزا محسن كشميري من دون أن يذكر أسمه الصحيح محمد محسن فاني الكشميري[2]، فضلا عن أهماله شأن المؤلف الحقيقي الزرادشتي كيخسرو إسفنديار الكيواني. فكان مثلاً من المتوقع أن يقف دونالدسون على القرآن المزعوم للشيعة، عند حديثه عن الصحيفة التي حسب ما ورد ذكرها كانت للإمام علي، فضلا عن حديثه المفّصل عن كتاب الجفر، لكنه لم يشر إلى إن الإمام كان له قرآن خاص فيما عدا القرآن الذي تمّ الأتفاق عليه عند المسلمين[3]. مهما يكن فنطمح الآن إلى توحيد الأفكار السابقة وحسب الأتي:-

- حتى الآن فإنَّ التعبيرات التي أقترحها المستشرقون السابقون كعناوين للتدليل على وجود قرآن للشيعة هي:- سورة غير معروفة للشيعة في القرآن - دي تاسي وكاظم بيك-؛ تنقيح الشيعة للقرآن - حسب عنوان كانون سيل-؛ إضافات الشيعة للقرآن - حسب عنوان تسدال-. وقد أستمر ترديد هذه التعبيرات من المستشرقين في الفترة بعد العقدين الأولين من القرن العشرين حتى وقتنا الراهن.

- والعنصر المشترك بين كانون سيل وتسدال، على الرغم من أختلافهما في ذكر عدد السور إذ تحدّد الأول بسورة النورين، فيما توسّع الثاني إلى سورة الولاية أيضا، فضلا عن آيات كثيرة أخرى بصيغة آيات وليس على شكل سور كاملة.

(1) Ibid.P.229

(2) مَصْدَر عن الحديث عن الكَذِبْ وقول تسدال حول صعوبة القول عن الخلفاء***

(3) سورة الولاية مصدر ينظر الصورة الفوتوغرافية للسورة في بحوث المستشرقين دي تاسي De Tassy وبحث ميرزا كاظم بيك Mirza Kazembeg وكلير تسدال Clair Tisdall المشار إليها سابقا أستنسخت من مخطوطة بانكيبور وغيرها من المخطوطات.

- كانون سيل وتسدال، كانا من المبُشرين في الهند، والأول منهما، في مدينة مدراس. والمهم إن ميدان عملهما التبشيري كان الهند، المكان الذي أنتج مخطوطة كتاب دبستاني مذاهب، الذي أختصّ بمفرده ولوحده ذكر السورتين.
- وأجتمع المستشرقان بكونهما من بريطانيا، ولعلهما كانا مرتبطين سياسياً بحكومة الهند البريطانية أو ما تسمى بمدرسة الهند البريطانية.
- وكانا من بين العناصر الأساسية في الإرساليات التبشيرية. فضلا عن كونهما من الأعضاء البارزين في مجلة عالم الإسلام. وهي المجلة Review التي تصدر كلّ ثلاثة شهور، وتغطي أبحاثها ونشاطاتها الأحداث السياسية الجارية في المنطقة، كذلك الأحوال الأدبية والفكرية للمسلمين. فضلا عن التطرق إلى النشاطات والفعاليات التي تنهض بها البعثات التبشيرية في البلدان الإسلامية[1]كما أشارت إليه الصفحة الأولى من المجلة.

وأخيرا لا بدّ من كلمة نختتم بها الحديث عن هذا التوجه التبشيري في الدراسات التي عنيت بهذا الموضوع. فيبدو إن دراستّي المستشرق كلير تسدال عن(الإضافات الشيعية على القرآن) وبحثه (مدى مصداقية السورتين النورين والولاية وأسلوبهما الأدبي) قد أسدل الستار على هذه المسألة عند المستشرقين المبشرين، فالمبشر الأمريكي زويمر، والمستشرق البريطاني دونالدسون، لم يقفا عليهما، على الرغم من أنَّ الأخير قد ذكر كتاب دبستاني مذاهب ووقف بشيء من التفصيل على صحيفة الإمام علي وعلى كتاب الجفر. لذلك لا يجوز لنا القول بإحتمالية جهله بالجدل الذي شغل مساحة فكرية واسعة بين العلماء منذ ظهور الكتاب حتى فترة إعداده لدراسته عن الديانة (أو حسب ما أطلق عليه مترجم الكتاب إلى اللغة العربية عقيدة الشيعة) الشيعية. فمجال ذكره في كتابه عن ديانة الشيعة، إن كان يهدف إلى الهدف الموجّه له، هو المجال الملائم جدا للوقوف على قرآن الشيعة. لكنه، حسب إعتقادنا، ليس لديه من جديد بالنسبة إلى المسألة، لاسيما وإنَّ تسدال قد أغلق المجال عند تشكيكه في إنَّ السورتين وبالأخص سورة الولاية والآيات الأخرى هما ليسا من القرآن الذي يقرأ

---

(1) عن زويمر، يُنظر العقيقي، نجيب:المستشرقون(دار المعارف/ القاهرة1964جزء 3ص138.، Addison
.James Thayer:-The Christain Approach to the Moslem.(New York1900) P.169

به المسلمون عامة، وإنهما مزيفتين وغير مقبولتين من الجانبين اللغوي والأسلوب الأدبي والى حدّ ما التاريخي.

ثانياً:-

يبدو وكأن هذه المسألة المتعلقة بقرآن الشيعة المزعوم، قد خُطّط لها، إذ حالماً ظَهر نصٌ بحثٍ المستشرق دي تاسي، حتى أنتعشت جهود الباحثين على أثر ذلك. ففي السنة اللاحقة، أي في سنة1843م، نشرت المجلة الفرنسية ذاتها أي المجلة الآسيويةJ.Asiatique، وفي العدد الرابع عشر للأستاذ ميرزا أسكندر كاظم بك Mirza Kazembeg بحثا تعقيبيا على بحث دي تاسي بعنوان (ملاحظات على فصل(أو سورة) غير معروفة في القرآنObservations sur chapitre inconnu du Coran)، وقد كتبه باللغة الفرنسية أيضاً[1]. فمن هو ميرزا كاظم بيك، مؤلف الملاحظات التعقيبية على بحث دي تاسي؟ الواقع إنَّ المعلومات عن سيرة هذا الرجل شحيحة، فذكر بإنه عالم روسي من القوقاس، وهو الآخر كان من المنشقين عن الخط الشيعي الإمامي، إذ وصف بكونه بابيا أو بهائيا وقد كرّس نفسه للكتابة عن هذا الميدان؛فكتب في سنة 1865م كتابا عن البابية بعنوان(Babi Babidui) وتمّ طبعه في سنت بطرسبورغ .وبعد عام واحد نشر الكتاب في المجلة الآسيوية باللغة الفرنسية عام1866م. والكتاب يعدّ من الموارد الأساسية في الغرب عن البابية؛ وظلّ كذلك يُعتمد عليه لسنوات كثيرة[2]. فهو إذن كما تذكُره المعلومة عالم بالعقيدة البهائية، وله مؤلفات وأبحاث تتعلق بهذه الفرقة.

والظاهر إن رأي دي تاسي في بحثه وملاحظات وتعقيبات ميرزا كاظم بيك ظلّا مثار جدلٍ حول حقيقة السورتين الجديدتين أوغير المكتشفتين واللتين تدللان على نقص القرآن الكريم أو تحريفه، كما يزعم هؤلاء، على وفق إدّعاء الشيعة الإمامية كالذي رَكّزْت عليه الدراسات السابقة، ففي دراسة حديثة للبرفسور الألماني رينير برونرRainer Brunner باللغة الفرنسية بعنوان (تساؤل بشأن تحريف القرآن في التفسيرات الشيعيةLa question de la falsification du coran dans l، Exegese

(1) See Dwight M.Dodaldson;The Shiite Religion:-A History of Islam in Persia and Irak (London، 1933)

(2) Ibid.P.376.

Chiite). والملاحظ إنَّ الدكتور برونر قد نشر هذا البحث أيضاً باللغة الألمانية ولكن هذه المرة في مجلة ألمانية في سنة 2001 هي Abhandlungen fur die Kunde de Morgenlandes (Band LIII /I بعنوان (الشيعة ومسألة تكذيب القرآن Die Schia und die Koranfalschung يقف بشكل مركز على تفاسير كلٍّ من فرات الكوفي، وعلي بن إبراهيم القمي، وتفسير العياشي، وتفسير النعماني، وتفسير الطبرسي وغير ذلك من التفاسير الشيعية ورجع إلى كتب الأصول الأربعة بشأن التحريفات، من وجهة نظر برونر طبعا، في القرآن الكريم، وهو الآخر يركز على المعلومة التي سلّط دي تاسي عليها الضوء[1]. وللدكتور برونر بحث ثالث عن التاريخ والفقه عند الشيعة، تفاسير القرآن الشيعية، وهو باللغة الألمانية أيضا، Geschichte und Theologie der Schia Shiische .Koranexegese

وحديثاً أيضاً وقف المستشرقُ، الذي يبدو إنه من أصل باكستاني ومتجنس بالجنسية الأمريكية أو الكندية، الأستاذ جناح ونترز Jonah Winters، المتخصّص كذلك في ميدان البهائية أو بالأحرى البهائي العقيدة، على موضوع قرآن الشيعة. فقد كتب بحثا بعنوان (قرآن الشيعة:- دراسة تحليلية للبحث عند العلماء الغربيين Shii Quran;an Examination of Western Scholarship)، ونشر في مجلة الدراسات البهائية الكائن في أوتاوا J. Of Baha، i Studies 1995، Volume 9:3Pp.69-75. عام 1995 على الإنترنيت، والمناسب ذكره إن الباحث ونترز كان قد حصل على الماجستير في البحث الموسوم (الموت من أجل الله:- الشهادة في الديانتين الشيعية والبابية Dying for God; Martyrdom in the Shii and Babi Religions) وتقع الرسالة في 134 صفحة، في سنة 1997. فالأستاذ جناح ونتر، البهائي المذهب، قد كرّس أعماله العلمية على هذا الحقل. وقد أسهم مع روبرت ستوكمان Robert Stockman في الكتاب الموسوم (دليل مصدري للبحث العلمي عن العقيدة البهائية Resources Guide for Scholarly Study of the Baha، I Faith) المطبوع في Wilimette:United States Baha، I National Center Research Office). إذ تناول فيه علاقة الدين الإسلامي بفقه

(1) Ibid.Pp.47-49.

وكتاب بهاءالله[1]. وقد نهض بجمع وتهيأة فهرست بحوث تتعلق بألواح بهاءالله عنوانه Bibliography for the Tablets of Baha، u.LLah، والأول معني بتلـك الألـواح للفترة من1863[2]-1853.

وبخصوص بحث البرفسـور جناح ونتر بشـأن (قرآن الشيعة) فإنه أستقى معلومات من كتاب بهاءالله الموسـوم(Kitab-I Iqan)، الذي حققه وقدّم دراسـة مسـهبة حوله البرفسـور، بوك كرستوفر(Buck Christopher)، ويحمل عنواناً هو(الرمز والمخبؤ:- تفسـير القـرآن في كتـاب بهاءاللـه كتاب إيقن:- دراسـات فـي الديانة البابيـة والبهائية Symbol and Secret; Quran Commentary in Baha، u، Llah، s Kitab-I Iqan)[3]. وعلى ذكر البروفسور السابق روبرت ستوكمانRobert H.Stockman فهو المُنَسِّـقُcoordinator مركز الدراسـات البهائية في جامعة ديبولDePaul ومدير مركز ويلميتWilmette الذي تأسّـس في سنة2007وقد نشر العديد من الكتب والدراسات البهائيـة، فضلا عن كونه عضـوا في الأتحاد(أو الجمعيـة) الأحصائية للمجموعات أو الجماعات الدينية الأمريكية الذي تأسّس سنة2007 أيضا.وله عدّة مؤلفات عن البهائية نظير:- العقيدة البهائية:-الأنتشار المبكر-1900 1912، والمرأة في المجتمع البهائي في شيكاغو من1900-1912في مجلة World Order، الجزء25عدد2لسنة1993-1994. إذن فإنَّ البروفسور روبرت ستوكمان بهائي أيضاً[4].

فالخلاصـة التـي نهدف من ورائها في تتبع أمال ونشـاطات هـؤلاء العلماء إنّما هو تسليط الضوء على مدى الإهتام الواسع لأتباع هذه الفرقة المنشقّة عن الإسلام الشيعي الإمامي الإثني عشري، مع كونه موضوعا خارجا عن حدود الفترة الزمنية التي حَدّدتْ هذا القسم، الأول من الدراسة المتواضعة هذه. فهل يا ترى كان هذا الإندفاع هو الآخر، يتماهى وإندفاع المستشرقين المبشرين في التركيز على أنَّ هناك موقفاً شيعياً من القرآن الكريـم المتـداول بين أيدي جميع المسـلمين فـي العالم؟ وبمعنى آخـر هل هو منهج

(1) The Moslem World:- A Quarterly Review:-of current events، literature and thought among Mohammedan and the progress of Christian Missions in Moslem Lands

(2) Op.Cit.

(3) ينظر بحث تسدال (Clair Tisdall ;Shiah additions....) P.230

(4) "See Rainer Brunner، ' La question de la falsification du Coran dans l، exegese Chiite»

يعمل في الباطن أو العلني على تمزيق الأمة الإسلامية وتوسيع شقّة الخلاف والتناحر وعلى الأقل، الحجاج وعدم الإتفاق بين المذاهب الدينية الإسلامية؟. إذ بالأمكان الأسترشاد بما أشار إليه البروفسور جناح ونترز في بحثه بشأن قرآن الشيعة المنوّه عنه في أعلاه ما نصّ ترجمته:- ليس من الغرابة أنَّ المسألة التي تحيط بالقرآن، هي شديدة الحساسية؛ وإن الإختلافات في النصّ القرآني وحتى إحتمالية تحريفهcorruption هي مسألة عصيبة وحاسمة. إنها مسألة تتطلب معالجة ملحّةexigent حينما نأخذ بنظر الأعتبار الإنقسامات المذهبية والفرقية وربما الهرطقية بما له علاقة بالبدع في المجتمع الإسلامي. فالتحديات أو إرتياب الشيعة بالقرآن المعترف به، هو أبعد من كونه حب فضول أو حب إستطلاع فيلولوجي في فقه اللغة[1]. هذه الآراء تظهر الحقيقة التي يريد البروفسور جناح عرضها بما يتماهى وعرض تسدال وغيره من المستشرقين المبّشرين وغير المبشرين، دون أن نتجاوز عن توجّهه الرامي إلى حالة خطورة وجود هذه المسألة من زاويته ونظرته بأعتباره من أتباع الفرقة البهائية.

ثالثا:-

وهناك توجّه ثالث لعل من الممكن وصفه بالتوجّه العلمي الموضوعي في عرض هذه الإشكالية. وخير من يمثّلها البرفسور النمساوي الأصل والأمريكي الجنسية جوستاف فون غرونباومG.E. Von Grunebaum، تثقّف في جامعتي فينا وبرلين ثمّ أنتقل للعمل في جامعة نيويورك الأمريكية وبعدها إلى جامعة شيكاغو. وقدّم خلال هذه الحقبة دراسات مهمة وعديدة عن الجوانب الحضارية الإسلامية، ولا سيما عن التمدن الإسلامي[2]. حقيقة إنَّ البرفسور غرونباوم قد توفي في سنة1972م، بما يعني عدم شموله بالفترة التاريخية التي حدّدت ميدان هذا القسم من الدراسة ولكن الرأي الذي أدلى به في كتابه الذي يرجع زمن طباعته إلى الثلاثينيات من القرن العشرين له علاقة قوية بتنوع التوجّهات في دراسات المستشرقين ومسألة قرآن الشيعة. وواقعا فإنه لم يسهم في ميدان قرآن الشيعة مساهمة مباشرة، إنّما ضمّن الأشارة إلى الموضوع

---

(1) البهائيةJonah Winters

(2) ;Dying for God .Martyrdom in the Shii and Baha، i Religions.(1997)، 134 P.pages.

في كتابه المشهور (الإسلام:- دراسات بشأن نمو الحالة الثقافية Islam: Essays in the Growth of a Cultural .Tradition وإشارته الجانبية عن موضوع قرآن الشيعة مفادها:- إنَّ الشيعة قد وجّهوا تهمة، بأنَّ حذوفات خبيثة أو حقود malicious omissions نفذّها الذين جمعوا القرآن (أي النسخة العثمانية كما وصفها حرفيا)، لآيات فردية أو حتى لسور كاملة تدعم مذهبهم. والمهمُ إنه عقّب على قوله هذا بما ترجمة نصّ بتصريحه إنَّ السورتين الشيعيتين الوحيدتين اللتين ظهرتا إلى النور (ويقصد غرونباوم سورة النورين والولاية) هما سورتان مزيفتان بشكل جليّ. أمّا بالنسبة إلى الحذوفات الأخرى من الآيات، في إضافات قد أملتها إعتبارات عقائدية dogmatic، وهي من حيث الأسلوب غريبة عن الفترة العثمانية - ويقصد خلافة عثمان- وليس من الممكن إقامة الدليل والحجة على وجودها أصلا؛ والشيعة أنفسهم لم يتفقوا على التحريف المزعوم للنصّ المقدس الذي عمل أعداء التشيع على جمعها (والإشارة هاهنا إلى عملية جمع القرآن الكريم زمن الخليفة الثالث[1].

فالمستشرق غرونباوم، قد أدلى برأيه القاطع، بإنَّ مسألة قرآن الشيعة غير صادقة ولا يمكن التدليل عليها، والواقع يبدو إنه لم يرغب في المضي قُدما بذكر الأدلة والحجج المؤيدة لموقفه لا كما اعتقده البرفسور البهائي جناح ونترز في بحثه عن قرآن الشيعة، بإنَّ غرونباوم أهمل مسألة دعم موقفه الذي نوّه عنه.

فضلا عن ما طرحناه بصدد مواقف البروفسور جناح، فإنَّه يعبر عن موقف آخر ربما هو أقرب إلى التشكيك ودعم الأختلاف منه إلى أتّخاذ الحيادية في العرض؛ فيقول ما نصّ ترجمته مثلاً تحت موضوع (قراءات مختلفة للقرآن:- سورتان جديدتان) ما يأتي:- التنقيحات المتعددة للقرآن المعمول به اليوم هي ليست الاختصارات أو النواقص الوحيدة للنصّ القرآني. فالمجتمع الشيعي قد عاش في أزمنة معينة وأستند على حقيقة أو على واحدة تتفق ومعتقداتها، أي ما يعرف أنَّ هناك نصّاً أصلياً أو غير مُحرّف يصرّح بإنَّ علياً والأئمة، هم الورثةُ الشرعيين لمحمد. ويقول في موضع آخر ما نصّ ترجمته:- ليس هنالك من شك بوجود قراءات متنوعة للنصّ القرآني، وفي حالة

(1) ينظر (Jonah Winters; Bibliography for the Tablets of Baha، u، llah(Wilmette Institute.

عـدم وجود شـيء آخر، فإن هـذه الحقيقة بعينها هـي التي دفعت عثمان إلـى أنَّ يقرّ أو يُشرّع نصّاً منفرداً. وإنَّ الكثير من المسلمين، أولئك الذين كانوا مستائين أو غير راضين من الحكم الأموي، كانوا أيضاً غير راضين أو مسـتائين من النصّ العثماني، وبالأخص أنصـار علـي[1]. وإنه من الواضح، فإنَّ إعتراضات أو رفض لهـذا التنقيح بفترة أقدم من ذلـك، لأن الحزب السـني وجدوا من الضروري أن يختلقـوا الأحاديث التي يظهر فيها علـي، بإنـه قد أعلن عـن قبوله بنصّ عثمان. والعامل الحاسـم في هذه المسـألة هي:- ماهي النصوص المختلفة؟ ثمّ كيف وكم هي مختلفة، فإنها لـم تكتشف أبداً. والغموض هذا قد فسح المجال إلى ما هو مثبّت بإنه من أكثر الموضوعات سخونة في الجدل بين العلماء للقرآن الشيعي من كلّ من الشيعة ومن المستشرقين على حدّ سواء[2].

رابعاً:

أدى المستشـرقون اليهـود دورا ملحوظـا فـي الدراسـات التاريخيـة والحضاريـة الإسـلامية ولاسـيما فـي الدراسـات الأقتصاديـة والأجتماعيـة للمجتمـع الإسـلامي والمجتمع اليهودي بشكل أخص. أمّا عن دورهم في حقل الفرق والمذاهب الإسلامية والسيرة النبوية المطهّرة فهو أكثر وضوحا. واقعا إنهم والمستشرقون الألمان من اليهود وغير اليهود قد إلتفتوا إلى هذا الحقل منذ الفترات المبكرة من القرن التاسـع الهجري، على عكس المستشـرقين المبّشـرين الذين حصروا زاوية إهتماماتهم في دراسـة سيرة النبـي والديـن الإسـلامي وتعاليمـه والقـرآن الكريـم. والـذي يعنينا حقل الدراسـات الشـيعية، فمستشرقون نظير جولدتسـيهر، وشتروسمان، وفايل، وإسـرائيل فريدلاندر قد أسـهموا أسـهاماً واسـعاً في هذا المجال وأضحت هذه الدراسات مواضيعا للجدل والمناقشة بين المستشرقين وغير المستشرقين حتى وقتنا الراهن. فمثلا قدّم فريدلاندر

(1) ينظر (Jonah Winters; Symbol and Secret Quran Commentary in Baha، u، illah، s Kitab-I Iqan (by Christopher Buck(Los Angeles، 1995

(2) عن روبرت ستوكمان ينظر Ency.Wikipedia (Robert H. Stockman) «Resource Guide Scholarly Study of the Baha، I Faith (Wilimette;USA. Bahai National Center Research Office).Idem.، Idem.، 'Women in the.1912-The Baha، I Faith in America.Volume 2:-Early Expansion 1900 .(1994-in World Order، Volume 25، no.2(1993 «1912-Chicago Baha، i Community 1900

بحوثـا عديدة ولكن بحثيه عن عبد الله بن سـبأ وعن البدع الشـيعية كما قدّمها أبن حزم الظاهـري الحاقد على التشـيع فـي كتابه (الفصل فـي الملل والأهـواء والنحل) يعدّان تطـورا ليحتلا مركز الصدارة عند المستشـرقين المعاصرين له والمتأخرين عنه بشـكل خاص حينما يتعرضون إلى العقيدة الشيعية الإمامية.

ودراسات المستشرق أغناص جولدتسيهر Yitzhaq Yehuda Ignaz Goldzeiher هـي الأخرى باتـت لا تفـارق المخيـال الأستشـراقي العـام واليهودي والإسـرائيلي؛ ناهيك القول إن بعضها نفذ إلى العقلية العربية والإسـلامية منذ بواكير القرن العشرين. وهـذه جميعهـا تعـدّ دليـلا جليّـا على سـعة إطلاعه فـي التاريـخ العقيدي والسياسـي والفرقي للإسـلام؛ وطبيعي فإنَّ ما أشـرت إليه لا يُفهم منه صواب وصدقية إستنتاجاته وتفسـيراته، بقدر ما هي دراسـات تحفّز على المحاججة والردّ. إنه مستشـرق هنغاري توفي سنة1921م، وقد عُدّ والمستشرق الألماني ثيودور نولدكه والمستشرق الهولندي سـنوك هورجرينيه من المؤسسـين للدراسـات الإسـلامية الحديثة. وهـو بصورة عامة يكتـب باللغـة الألمانيـة فقـد درس وتثقـف في جامعـات بودابسـت وبرليـن وليبتزج وليدن، وزار فلسـطين ومصر وسوريا، وحَضَر محاضرات شيوخ المسلمين في جامعة الأزهـر[1]. وينبغـي علينا ملاحظة أمـر مهم الا وهو إنَّ المصنفين العرب للمستشـرقين يضعونه ضمن اولئك المستشـرقين المناوئين والحاقدين بسبب تفسيراته السلبية بشأن الإسـلام والتاريخ الإسـلامي. له دراسـات كثيرة ومتنوعة. ويؤسـفني القول، بأنَّ عدم معرفتي اللغة الألمانية قد حال بيني وبين قراءات مستفيضة لإسهام هذا العالم ومناقشة آرائـه والـردّ عليهـا ردّا علميا ومباشـرا. وعندما كنت فـي دور إعدادي كتاب (التشـيع والأستشـراق) المطبـوع حاليـا، ترجم لـيّ أحد الأخوة مشـكورا بحوثه بشـأن مذهب التقيـة المنشـور في مجلة ZDMG في سـنة1906 وبحثـه مختصر تاريـخ أدب الجدل السني الشيعي Beitrage zur Literaturgeschichte der Shia und der sunnitschen Polemik المنشور في سنة1874م. وللمستشرق الإسرائيلي البروفسور إيتان كوهلبرغ

---

(1) ينظر بحث البروفسور جناح Jonah Winters «The Shii Quran:- an Examination of Western Scholarship» inJournal of Bahaı I Studies .Volume 9:3 Pp.69»73.Idem. The Origins of Shi-.ism:- A Consensus of Western Scholarship

رأيـا أبداه بصدد مواقف غولدتسـيهر عن التشـيع لا بدّ من الإستشـهاد بـه، إذْ يرى بإنْ جولدتسيهر غني عن التعريف وهو غير معنيّ تماما بالتشيع ولكنه قدّم آراءاً وتفسيرات فـي غايـة الأهمية، وهي تـدل على ذكائـه ومقدرته العلميـة[1]. فأعتمادا على مـا وفّرَتهُ تلـك البحـوث والبحوث المتعددة التي أسـهم في دائرة المعارف الإسـلامية (بطبعتها القديمـة) وما تُرجم مـن بحوثه إلى اللغة الإنجليزية وجدت هذا المستشـرق قد أعتنى أيضاً بالمسـألة التي نحن بصددها وهي قرآن الشـيعة. والشـكر موصول إلى البرفسور جوزيـف أيليـاش الـذي كتب بحثـا قيّما فـي المجلة الذائعـة الصيت آربيـكاArabica بعنوان(قرآن الشيعة:-إعادة نظر في تفسير جولدتسيهر[2].

The Shiite Quran:A Reconsideration of Goldziher، s Interpretation

وتفسـيرُ جولدتسـيهر المتعلـق بموضـوع قـرآن الشـيعة قـد ورد أيضاً في دراسـته الموسـومة (توجهـات أو نزعـات التفاسـير الإسـلامية للقـرآنDie Richtungen der islamishen Koranauslengung)، المطبوع طبعة أولى في أبسـالا سنة 1913، وأعيد طبعـه في ليدن في سـنة1952م. وأعتمادا على ملاحظات كلّ من البروفسـور جوزيف اليـاش والبرفسـور مائير بار آشـر، فإنَّ أصل هـذا الكتاب عبارة عـن محاضرات قدّمها لطلبة جامعة أبسـالا في ميدان تفسـير القرآن وعرّج خلالها على موضوع قرآن الشيعة. وأعـاد النقاط الأساسـية في محاضراته السـابقة تلـك في كتابه حول الفرق الإسـلامية الموسوم(Vorlesungen uber den Islam) المطبوع في هايدلبرغ في سنة1910 وطبع طبعة ثانية في سنة1925م، وترجم إلى اللغة الفرنسية بعنوان (Le dogme et la loi de l، Islam) ونشر في سنة 1920م.

لقـد وصِـفَ العرضُ الـذي سَـلّطتْ محاضـرات البروفسـور جولدتسـيهر الضوء عليهـا بإنه أوّلُ وأعْمقُ عرض لمسـألة قرآن الشـيعة المزعوم، وهو فـي الواقع ركّز في هـذا الميـدان على العلاقة بين التشـيع وبين القرآن بصورة عامـة دون أنْ يجعل ترجمة السـورتين، النوريـن والولايـة، المحـور المركـزي لرأيـه. ففـي كتابـه (التوجّهات أو

(1) يُنظر العقيقي، نجيب:- المستشرقون(دار المعارف، القاهرة 1962)ج3 ص17.

(2) ينظر Jonah Winters; (The Shii Quran) Op.Cit.P.70.أيضا ص71.

النزعات الشيعية...الخ)-أعتمادا على وصف البروفسور جوزيف ألياش الذي يرجع إليـه الفضل في التعريف بتفسير جولدتسيهر-يأخذ بناصية أستنتاجه على وفق أربعة عناصر أساسية:- أولها الشيعة تدّعي بإنَّ القرآن الذي عمل الخليفة عثمان على جمعه بواسطة اللجنة المنتخبة من قبله ليس القرآن الأصلي أو الحقيقي True Quran الذي أنزل على النبي محمد. وثانيها وفي هذا السياق، فهناك آيات كثيرة والبعض منها سورة، كاملة فيها ذكر لتمجيد علي وتدافع عن حقه وتعرضُ مكانته العالية وفضائله وأهل بيته، قد حذفها عثمان أو حذفتها اللجنة المشكّلة. فضلا عن إن الخليفة قد غيّر وبدّل في نظام ترتيب السور والآيات الأخرى. بعد هذه المقدمة يذكر جولدتسيهر، بأن هناك سورتين قد حُذفتا من القرآن وهما، سورة النورين The Two Lights وتشتمل على أحدى وأربعين آية وسورة الولاية Walaya وتشتمل على سبع آيات. وثالثها إنَّ عليا يمتلك نسخة من القرآن وهي النسخة الصحيحة والمتكاملة، والتي أنتقلت من بعده إلى الأئمة من بعده والى الإمام الثاني عشر. ورابع تلك العناصر التي أستنتجها المستشرق تفيدُ بإنه في حالة غياب الإمام المهدي، فعلى المؤمنين أن يقبلوا بالنسخة العثمانية(نسبة إلى الخليفة عثمان) المنقحة recension.والمناسب ذكرهُ إنَّ البروفسور ألياش قال بكونها إستنتاجات قد تبناها دون تردد وبشكل كامل الإسلاميون-ويقصد العلماء المتخصّصون في الميادين الإسلامية.

ولمناقشة النقاط الإفتراضية التي توصل إليها المستشرق جولدتسيهر والتي أفترض البروفسور ألياش أنها مقبولة من المؤرخين في التاريخ الإسلامي، يتبادر إلى الذهن تساؤل عن الجانب المصدري الذي أعتمده جولدتسيهر. حقيقة فإنَّ الباحث قد وقف بمساحة فصل كامل في الكتاب الذي هو الآن تحت الطبع على مسألة حيوية مثل تلك معتمدا على المنابع الإسلامية الأساسية. فبالنسبة إلى الإستنتاج الأول يبدو إنه أستقاه من كتاب دبستاني مذاهب نفسه، إذ يقول مؤلف الدبستان، بأنه سمع الشيعة، في المدينة التي كان يسكنها، يزعمون بإنَّ عثمان قد حرّف النسخة الأصلية من القرآن وحذف الآيات والسور الي تمتدح عليا، فالمستشرق جولدتسيهر، أمّا إنه قد أستقاها من النصّ الفارسي للدبستان الذي أورده كلّ من ديفيد شيّا وأنتوني ترويَر، وورد أيضاً في مختصر الدبستان الذي نهدِ به الأستاذ وليمز جاكسون، ونص ترجمته كالآتي:- يقول الشيعة

إنَّ أبـا بكـر وعمر وعثمـان وآل أمية وآل العبـاس وأتباعهم قد أغتصبـوا مكانة الأئمة، وذلك بغضاً لهم وحسـداً منهم. والبعض منهم زعم إنَّ عثمان قد أحرق بعض الأجزاء Volumes من القرآن، ومن ثمّ ألغى بعض السور تلك التي كانت في صالح علي وذريته، وفيما يأتي واحدة من هذه السـور... ويقدم ترجمة بالإنجليزية لسـورة النورين. أو من التحقيق الذي قام به مولوي نظير أشرف المطبوع في كلكتا سنة 1809م، أو من النسخة التي نهد بترجمتها كلّ من ديفيد شيّا وأنتوني ترويز إلى اللغة الإنجليزية في سنة1843م. أمّا بشـأن النقطتين الثانية والثالثة، فهما أيضاً قد تمّ ذكرهما في دبستاني مذاهب، فضلاً عن ذلك، فقد كانتا هما المسألتان الأساسيتان لبحثّي المستشرقين الفرنسي البروفسور دي تاسي والروسي ميرزا كاظم بيك، فقد ترجما سورة النورين إلى اللغة الفرنسية. أمّا النقطة الأخيرة في إستنتاجات البروفسور جولدتسيهر، فلا نعرف المصدر الذي أستند عليه، ولعله أحد مؤلفات العلامة المجلسي المتأخر.

إذن، فـإنَّ إسـتنتاجات جولدتسـيهر شـأنها شـأنِ التفسـيرات السـابقة مرجعهـا الأسـاس كتاب دبسـتاني مذاهب الـذي ألّفه أحد المرتدين عن الإسـلام الشـيعي إلى الديانـة الزردشـتية أو المجوسـية ولكنها هُولّـتْ وعُمّمتْ وضُخّـم حجمها من جانب المستشـرقين المتنوعين في توجّهاتهم الأستشـراقية لتكون نتيجتها متناغمة مع فلسـفة هؤلاء إزاء مذهب التشـيع بأنه مذهب هرطقي ويتبنى البـدع، تماما كما أنطلق أول مرّة كيخسـرو إسفنديار وقبله بزمن بعيد يرجع إلى القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي أبن حزم الظاهري المعادي لمذهب أهل البيت .



الفصل الخامس

مناقشة وتحليل دراسة المستشرق مائير ميخائيل بار-آشر
وإشكالية تحريف الشيعة للقرآن الكريم.

(1)

استهلال

يهـدف هذا البحث المتواضع إلى تسـليط الضـوء على أعمال المستشـرق اليهودي العديدة عن القرآن الكريم وبخاصة تلك الإسهامات التي لها علاقة بمسألة جديّة ومهمة الا وهي تحريف الشيعة الإمامية للقرآن الكريم الذي تمّ جمعه وتوحيده بعد رحيل رسول الله إلى جوار ربّه وآمن به جميع المسلمين في العالم على إنه كتاب الله عزّ وجل الوحيد بمـا عبّر عنه الأئمة الأطهار بمعيار بأن القـرآن هو ما بين الدفتين لا زيادة فيه ولا نقصان. لهـذا ليس هنالك من رأي آخر يخالف هذا التعريف الواضح والجليّ. غير أننا عزمنا في هـذا البحـث على تناول هذه الإشـكالية، لأنَّ هناك نَفَراً من المسـلمين ممّن أعتمد على بحوث ودراسـات كثيرة نهدَ بها المستشـرقون منذ منتصف القرن التاسـع عشـر للميلاد وإسـتمروا في دراسـتها حتى وقتنا الراهن، بهدف التشـويه والأسـاءة للثورة الإسـلامية والتحـدي للمذهب الشـيعي الإمامي. المذهب الذي حقّق نجاحـات باهرة منذ انطلاقة الثورة الإسـلامية فـي إيران ومن ثمّ عَمّتْ مبادؤها الإسـلامية الحقّـة والصحيحة عموم العالم الإسـلامي، قبالة التحجر والتخلّف في فهم المبادئ العادلة والقويمة التي جاءت بها رسالة الإسلام والتي نقلها النبي العظيم محمد إلى البشرية.

منذ اللحظات الأولى لإنسحاب الغرب (أي المسيحبة البيزنطية والكنيسة الكاثوليكية)

من بلاد الشـام بفعل إنتصارات الجيوش الإسلامية الظافرة في معارك الفتوح الإسلامية في القرن الأول الهجري السابع الميلادي، تلك العمليات العسكرية المُذْهلة، أخذ موقفاً مُتجذراً في تاريخه من الإسـلام والقرآن والنبي؛ فعبأ نفسـه ليكـون مصدرا لخزين هائل من الحقد والكراهية والانتقام بهدف الاندفاع إلى أخذ الثأر أو بالأخص إسترداد مناطق نفوذه في الشرق الإسلامي:- امّا بالسلاح والحرب إنْ أمكنْ، وكان هذا أمراً عسيراً جداً آنذاك وبعد تقهقره - أي الغرب- وهزيمته من ميادين المعارك مع المقاتلين المسلمين؛ وأمّـا، وهـو الأهم، عن طريـق توجيه هذا الحقد والبغضاء نحو اسـتخدام سـلاح الفكر والقلم من أجل تشـويه هذا الدين الجديد والتسفيه بالرسالة السماوية والطعن بشخصية رسول الله وتشويه سيرته المباركة وسيرة آل بيته الأطهار. والأكثر خطورة السعي الحثيث والمتواصل إلى تعلم اللغة العربية والتشـجيع على تعلمهـا وتعليمها بين صفوف رجال الديـن الكنسـيين بهدف قراءة القـرآن المجيد ومن ثمّ ترجمته إلـى اللغة اللاتينية؛ ولكن كيف كانت صفة هذه الترجمة؟ إنها ترجمة وبتوجيه من البابا والرهبان المتطرفين، القصدُ منها تشـويه مباني القرآن الكريم وتحريف آياته الكريمة والعمل الدؤوب على الدسّ فيه بالأباطيل والأكاذيب فتكون المحصلة النهائية ترجمةً مشـوّهة عملت منذئذ على التأثير السلبي للعقلية الغربية في فهم الإسلام وفي فهم كتاب الله العزيز فهما خاطئا وذلك لكي يتهيأ للغرب ثمّة نتائج منها:-

- توفير الأمن والأطمئنان للكنيسة من الخطر الذي يمثله الإسلام القادم لا محالة إلى الغرب.
- إشاعة روح الحقد والكراهية المتأججة في صدور رجال الدين وبين صفوف المجتمع الغربي والتأثير في العقلية الغربية.
- تشجيع العقلية الغربية الساذجة أو حتى المتعلمة في العصور الوسطى للإسهام في هذه المعركة الفكرية الضارية ضدّ من أطلق عليه الرهبان ورجال الكنيسة بالعدو الكافر والمغتصب (أي الإسلام).
- التوصل إلى حلول ووسائل متعددة لتشجيع المبشرين والحركات التبشيرية على نشر المسيحية على حساب الدين الإسلامي وبالذات في المناطق التي إنسحب منها الغرب بالإكراه أي سوريا. وأهداف أخرى لا مجال إلى ذكرها جميعا.

فكان كتاب الله العزيز، وسيرةُ سيد الأنام هما الميدانان الرئيسان اللذان توجهت الأقلام الغربية صوبهما. نظير الحالة التي سعى إليها الراهب الضليع بالتبشير بطرس الناسك وحثّه المتواصل على روبرت الكيتوني أو الإنجليزيRobert of Ketton[1]على ترجمة القرآن ترجمة محرّفة بالكامل. وقد تأثر بهذه[(1)] الترجمة المحرّفة عدد غير قليل من المستشرقين الذين نهدوا إلى ترجمة القرآن فيما بعد وحتى زماننا هذا.فمن بين الترجمات المؤثرة في الغرب وفي الكتابات الاستشراقية، ترجمة المستشرق الإنجليزي ثم الأمريكي رودويلJ.M.Rodwellالذي كان يشغل منصب استاذ الدراسات الشرقية في جامعة كمبردج وترجمة المستشرق الإنجليزي ثم الأمريكي بالمر[(2)]E.H.Palmer. وكان هو الآخر يَشْغلُ منصب أستاذ اللغة العربية في الجامعة. نفسها وقد سبق أنْ عَرْضتُ جملة أخطاءٍ وتحريفاتٍ في ترجمتهما للقرآن الكريم في بحث نَشَرتْه سابقاً بعنوان (دور المستشرقين في ترجمة القرآن الكريم)، منذ أول ترجمة لروبرت الكيتوني التي نشرت سنة1143م وحتى نهاية القرن العشرين في ترجمة المستشرق آندريه خوراكيAndre Chouraqui في 1999م.

(2)

ومما ينبغي قوله، إنَّ المدارس الأستشراقية وبشكل خاص الفرنسية، والألمانية والإسرائيلية قد أولتْ اهتماماً ملحوظا بمسألة تحريف الشيعة المزعوم لكتاب الله العزيز؛ ولكننا في دراستنا هذه المتعلقة بواحد من المستشرقين، سَنُركّزُ على بعض النماذج المعاصرة للمستشرق مائير بار-آشر. فالمستشرق الألماني المعاصر رينر برونرRainer Brunner، مستشرقٌ متخصّصٌ في هذا الحقل وبالأخص بما له علاقة بتحريف الشيعة المزعوم للنصّ القرآني حسب زَعْمِه في أطروحته للدكتوراه من جامعة فرايبورغFreiburg في ألمانيا الموسومة باللغة الألمانية (الشيعة وتحريف القرآن Die Shia und die Kora-falschung)[(3)] التي طبعها في ورزبورغ Wurzburg سنة

(1) Daiel; N.; ISLAM and the West:the making of an Image(Edinburgh، 1960)p.169.

(2) J.M.Rodwell;The Koran(London and Hertford، 1861); E.H.Palmer. The Quran (Oxford; 1900)

(3) See Rainer Brunner، Die Shia und Koran -falschung.(Wurzburg، 2001)، idem «La question de la falsification du Corandansl'exegeseChiitedoudecimaine «in Arabica Revue D'etudesArabes، volume 52(2005).

2001م.وقد نشـر هذه الدراسـة بعدئذ باللغة الفرنسـية بصيغة بحث تحت العنوان ذاته غير أنه يبدو قد تدارك الموقف، فأضاف الي العنوان السـابق تعبير تسـاؤل أو إشـكالية أي (تسـاؤل أو إشكالية بشـأن تحريف القرآن في التفاسير الشيعية La question de la .(Falsification du CorandansL،exegeseChiite

وتابع الدكتور برونر في هذا الكتاب مسـألة تاريخية لموضوع قرآن الشـيعة، ووقف على الدراسـة القيّمة التي سـبق أنْ درسـها كلٌّ من المستشـرقين جولدتسـيهر الألماني وجوزيـف ألياش ومائير بار-آشـر. وقـد تناول الموضـوع من زاوية مؤلفات التفسـير الشـيعية بدءاً من تفسير فرات الكوفي وتفاسـير القمي والعيّاشي والطوسي والطبرسي وعلمـاء التفسـير الشـيعة المتأخريـن؛ وضمّـن هدفـه في جمـع الآيات التـي توجهت أهتمامات بار-آشـر اليها. في الوقت نفسـه، فقْد ثْمّن دراسات البروفسور آرثر جيفري وبالأخص دراسـته المعنية بتفسـير زيد بن علي[1].والدكتور برونر، يبدو إنه يهودي، إذْ شـغل مرتبة زميلٍ في مركز الدراسـات العليـا المتقدمة في جامعة أورشـليم (القدس) من سـنة2004-2005م. وهوأستاذ الدراسات الشـرقية في جامعة فرايتبورغ. وهو يُعدّ مـن المستشـرقين المتخصصيـن في التشـيع والفقه الشـيعي. فقد حقّقَ دراسـة بعنوان (الشـيعة الإثني عشـرية في الأزمنة الحديثـة:- في التاريخ الديني والثقافي والسياسـي The Twelver Shia in modern times:-Religious، Culture and Political History) وتمّ نشـر البحث في كتاب جامع حقّقهُ المستشرقان زوسمّنZusammen، والمستشـرقُ الأمريكـي المتخصّـص في حقل التشـيع المعاصر وورنـر أيند Werner End والذي تمّ طبعه في ليدن-بريل سنة 2001م وعنوان هذا الكتاب الجامع (دراسات اجتماعية وأقتصادية وسياسية للشرق الأوسط وآسيا)، مجلد.72[2].

ومهما يكن من أمر، فقد وقع أختيارنا في هذه الدراسة على بحث من تلك البحوث

---

(1) Ibid.» La question de la falsification'in Arabica .Vol.52.P.59.

(2) عن حياة برونر ومؤلفاته ينظر دائرة معارف ويكيبديا ومن بين مؤلفاته الأخرى The TwelverShiain in Modern times:Religious، Culture and Political History(Leiden 2001).Editor Zusammen، mit Werner Ende، in Brill .in Social، Economic and Political Studies of the Middle East and .Asia.Band 72

المعاصـرة المتعددة المشـار إليها في هذا البحث المتواضع ألا وهو بحثُ البروفسـور مائير ميخائيل بار - آشرMeir M. Bar-Asher. والملاحظ فإن بار-آشر والبروفسور يوري روبينUri Rubin من المستشـرقين الإسرائلين المحدثين وقدعنيا بشكل خاصّ بالدراسـات القرآنية. وأمّا ما يتعلق بالبروفسـور روبين، فإنه أسـتاذ في قسم الدراسات العربيـة والإسـلامية في جامعة تل أبيـب وتخصّصه في حقل القـرآن الكريم، فنهدَ إلى ترجـة القـرآن إلى اللغة العبرية وتمّ طبعه في تل أبيب سـنة2005م وهـو مُزّودٌ بهوامش وشـروح وفهرسـاً كاملاً[1]. وله كتاب آخر وعنوانه (بين التـوراة والقرآن:-أبناء أو بني إسرائيل والصورة الذاتية للإسلامBetween Bible and Qur›an:-The Children of (Israel and the Islamic self-Image[2].

أمّا البروفسور مائير بار- آشر، فهو الآخرُ يُشْغلُ منصبَ أستاذٍ في قسم اللغة العربية والأدب العربـي فـي الجامعـة العبريـة في أورشـليم (القـدس)، وله مصنفـات عديدة منها بحثه القّيم المشـار إليه آنفا وهو(قراءات مختلفة وإضافات للشـيعة الإمامية على القرآن)، وهو البحث الذي ستتركّز عليه دراستنا الحالية، فقد نشر البحث أولا في سنة 1993م في مجلة الدراسـات الإسـرائيلية الشـرقية صفحة 39الى صفحة 74. ثمّ أُختير ضمـن بحـوث الكتاب القيّـم الضخم الـذي يحمل عنـوان (التشـيع:مفاهيم نقدية في الدراسـات الإسلامية Shiism: Critical Concepts in Islamic Studies)، والكتاب من تحقيق كلّ من بول لفتLuft وكولن تيرنرTurner). وحسـب أشـارة مائير بار آشر علـى صفحـة 106من الكتاب، فإن بحثه في قسـمه الأول منه يُعدّ أصـلاً أعادة طبع لما تضمنته أطروحته للدكتوراه الموسومة (دراسات في مؤلفات التفاسير الشيعية الإمامية

---

(1) ينظر عن سيرة يوري روبين موقعه على الإنترنيت.ومن مؤلفاته:-
The eye of the beholder:The life of Muhammad as viewed by the early Muslims(a Textual analysis). The Darwin Press Princeton، New Jersey، 1995;The Qura›n:Hebrew Translation from Arabic.annotations، appendices and index.(Tel Aviv، 2005);idem.Between Bible and Qura›n:The Children of Israel and the Islamic Self-Image.(The Darwin Princeton، New Jersy1999;idem.and David J.Wassestein(eds.):Dhimmis and others، Jew and Christians and the World of classical Islam.(Israel Oriental Studies، 17، 1997.

(2) See M.M.Bar-Asher: Studies in Early Imami-Shi›iQura›n Exegesis (3d-4th(9th-10th Centuries). Ph.D.Dissertation، Jerusalem، 1991(in Hebrew).

(Studies in Early Imami- Shii Qur'an Exegesis 3rd–4th centuries المبكـرة
التـي تخرّج فيها من جامعة القدس عام 1991م وكانت باللغة العبرية.أمّا القسـم الثاني من بحثه، فهو جَدْوَلة القراءات الشيعية المتنوعة لآيات الذكر الحكيم وهي تُنشر لأول مرة[1]. فضلًا عن هذا، فقدْ ألّفَ كتاباً آخر بعنوان (القرآن:- مقدمةThe Qur'an:- An introduction) ولا نعـرف عمّـا إذا كان هـذا الكتـابُ قد صدر أم مـا زال تحت الطبع وهـو أمر مشـكوك فيه. كمـا ألّف كتابا ثالثا في هـذا الميدان بعنـوان (الكتاب المقدَّس ومؤلفات التفاسـير في التشـيع الإمامي المبكر:-الفلسـفة الإسـلامية والفقه والعلم- نصوص ودراسـاتScripture and Exegesis in Early Imami –Shiism(Islamic Philosophy Theology and Science (Texts and Studies)) وتـمّ طبعـه فـي سـنة 1999م. وألّـفَ بحثـاً بعنـوان (تفسـير للقرآن منسـوب إلى الإمام الحسـن العسـكري The Qur'an commentary ascribed to Imam Hasan al–Askari) ونشـره فـي مجلـة الدراسـات للعربية والإسـلام فـي سـنة2000م. وهذا البحـث أيضاً قـد أختاره البروفسـور لفـتLuft ضمن بحوث كتاب (التشـيعShiism) في الجـزء الثاني منه من صفحة321[2]–300.

نلاحظ إن البروفسور بار–آشر يشيرُ في الأسطر الأولى من بحثه إلى أنه، أي البحث، يُعدُّ، بحسـب علمه، أول محاولة في هذا الأتجاه، أي إتّجاه متابعة القراءات الشيعية،إذْ لم تسـبْقها دراسـة مماثلة تهدف إلى جمع جميع القراءات أو الحروف المختلفة فضلاً عن جمع الإضافات المتعددة التي تمثّل القراءة الشـيعية الإمامية للقرآن وحشـدها في مجموعـة واحـدة ومتكاملـة[3]. وبالفعل فبَحثـه هو عمل متقن ومجهد في الآن نفسـه، إذْ رجع إلى مؤلفات التفاسـير الشـيعية التي لَمْ تُشـرْ إليها المصادر الإسـلامية السـنيّة ولا حتى التفاسـير السـنيّة. فأعتمد على أقدم التفاسـير الشـيعية بدءا من تفسـير فرات بـن إبراهيم الكوفي، وعلـي ابن إبراهيم القمي ومرورا بتفاسـير العيّاشـي، والنعماني، وأبي جعفر الطوسي، وأبي علي الفضل الطبرسي، وإنتهاءا بتفسير محمد بن المرتضى

(1) See M.M.Bar-Asher;TheQura›n commentary ascribed to Imam Hasan al-›Askari»inLuft and Turner(eds.)، Shiism، op.cit.Volume II، Pp.86-113.

(2) Ibid.Ps.86، 106.

(3) See Rev.ClairTisdall»Shi›h Additions to the Koran»in Moslem World، no.3، July 1913 Pp.227-241.

(محسن الفيض) والطباطبائي في الميزان. وتضمنت هذه التفاسير، كما سنقف عليه لاحقا، قراءات وتفسيرات تأويلية على لسان الأئمة المعصومين الأطهار وبخاصة الإمامين الباقر والصادق.

وزَّعَ المستشرق بحثه إلى قسمين وخصّص القسم الثاني منه إلى عرض جدول أو قائمة تضمّنت القراءات الشيعية فضلا عن الآيات المضافة التي كان الشيعة - وبحسب رأي المستشرق وتفسيره- يعتقدون بأنها أمّا أن تكون قَدْ حَذفتْ عمداً أو تقصداً أو أنها قد أُقصيت أثناء عملية جمع القرآن الكريم زمن الخليفة الثالث عثمان، بحجة كونها آيات أو تعبيرات كانت داخلة في آيات تتضمن عقائد شيعية أو أنها تؤشر إلى فضائل الإمام علي والى إبراز مكانته ومكانة أهل بيته من الأئمة الأطهار. وفي الأسطر الخاصة بالشكر والعرفان في بحثه هذا، يُقدّمُ شكره وتقديره لأستاذه المستشرق المعروف إيتان كوهلبرغE.Kohlberg الذي، كما أسلفنا، هو الآخر قد أسهم ببحث قيّم بشأن هذه المسألة، ولمّا كانت لكلمات بار- آشر أهمية فلذلك سندوّنُ ما يمكننا ترجمته على الوفق الآتي:-أمتناني إلى البروفسور إيتان كوهلبرغ الذي قرأ مسودة أولية هذا البحث وقدّم تعقيبات قيّمة. والشكر موصول له أيضاً على أثارته أهتمامي صوب أرقام الأختلافات في القراءات القرآنية[1]. ويعدّ هذا التعقيب في أعتقادي مهما بالنسبة إلى تقويم دراسة بار-آشر القيّمة فعلاً، إذْ إنه تابع بموضوعية القراءات والإحالات والتخريجات والتفسيرات لكثير من الآيات القرآنية في المصحف الذي بين أيدينا وليس بمصحف آخر ربما يتوهم بعض المتوهمين فيتراءى لهم أنه يحيل إلى قرآن خاصّ بمعيته كأن يكون قرآن الشيعة مثلا.

وقبل التحول إلى النقطة الجوهرية وهي التوزيع الموضوعي للبحث لا مندوحة من عرض مداخلة أو تعقيب على الملاحظة التي أبداها المستشرق، بأنَّ دراسته في جمع القراءات والآيات الإضافية وجعلها في مجموعة واحدة هي دراسة رائدة في نوعها ولم يسبقه أحد فيها؛ فأقول بتواضع، بأنَّ المبشّر البريطاني البروفسور كلير تسدال Rev. Cl.Tisdall قد سبقه في هذه المنهجية بأكثر من نصف قرن أي في تقديم قائمة بالآيات

(1) See A.Jeffery، »TheQura›n Readings، op.cit. Pp .249-289.

القرآنية التي زعم فيها بأنَّ الشيعة الإمامية كانوا يعتقدون بعدم نصّها في النسخة القرآنية الكريمة المتداولة بين أيدي المسلمين. والمستشرق تسدال وزّع أيضاً هذه الإضافات في بحثه الموسوم (الإضافات الشيعية على القرآنShiah additions to the Koran)[1] مستخدما تعبيرAdditions بدلا من التعبير الذي أستخدمه المستشرق بار - آشر وهو Variants الذي قد يتضمن أيضاً معنى القراءات. ومحاولة كلير تسدال، على الرغم من الثغرات والهفوات التي أشتملتها تلك القراءات التي وقفت عليها بالتفصيل في دراسة تحت الطبع، تُعدّ خطوة أولى في دراسات المستشرقين في مجال القرآن المزعوم للشيعة. كذلك لا بُدَّ من إثارة الأنتباه إلى القائمة التي صنعها البروفسور آرثر جيفري A. Jeffery في دراسته القيّمة (قراءة زيد بن علي للقرآن) التي تمّ نشرها بعد دراسة كلير تسدال بحوالي العقدين من الزمان أي في سنة 1936م. إذْ ترجم آرثر جيفري هذه الآيات التي كان قد جمعها من مخطوطات التفاسير الشيعية التي كانت في متناول يده آنذاك، فضلاً عن مخطوطات أخرى مهمة أفلح في الوصول إليها بمتابعاته المتواصلة. وكانت القائمه التي صنعها جديّة ومفصّلة وغَطّتْ خمساً وثلاثين صفحة من مجموع بحثه الذي شغل أربعين صفحة فقط[2]. لهذا كلّه نقول، بإنَّ دراسة بار -آشر، وفيما يخصّ الأمر بقائمته وجدولة الآيات قد سبقتها دراستين تناولتا ذات المحور، والفارق المتميز بين تلك الدراسات هو إجادة البروفسور بار -آشر في عنصر تكثيفه لإحالاته وفي موضوعية تخريجاته معتمدا على مؤلفات التفسير الشيعية الإمامية، فهو بحق جهد مُضْني وأصيل.

وواقعاً فإنَّ قائمة بار -آشر للآيات قدْ عُرِضَتْ على صيغة جدول يتماهى والجدول أو الصيغة المرتبة على وفق ما عرفsynoptic table (ربما يقصد هاهنا النظام المتّبع في الأناجيل الثلاثة الأولى من العهد القديم بحسب قاموس Webster's Seventh New Collegiate Dictionary، 1966، p.894.)، وموزّعة حسب الآتي:-

1- الآية في القرآن الكريم المتداول بين أيدي المسلمين كافة. وقد خصّص له المستشرق جانبا من الصفحة.

---

(1) M.M.Bar-Asher، » Variant Readinges»، op.cit.Pp.95-105.

(2) Ibid.Pp.87-88.

2- بينما قدّم القراءة الشيعية الإمامية على الجانب الآخر المقابل نظير المثال الآتي:-

المصحف العثماني رقم السورة وال آية القراءة الشيعية

1- ﴿ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ ﴾سورة 43 آية 39 (أي سورة ﴿ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ ﴾ آل محمد ﴿أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴾ الزخرف وهي مكيّة) حقهم ﴿أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴾ينظر تفسير القمي، علي بن إبراهيم ج2ص286 / 15-16، بينما عند محمد بن مرتضى (محسن الفيض) ج2ص530/ 10؛كذلك ينظر هاشم بن سليمان البحراني في كتاب البرهان في تفسير القرآن، طهران، ج4ص صفحة143/ 3 إذ يذكر محمد بن العباس

2- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا ﴾ سورة 3 آية 33 أي ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ ينظر تفسير العياشي ج1ص169، 34-35 وتفسير القمي ج1ص100، 12-14(بينما في كتاب البرهان ج1 ص 277-279؛وفي الشافي في التفسير ج1 ص226/ 13 14-. وتقرأ في بعض المصادر وآل محمد وآل عمران يُنظر تفسير فرات ص 78، تفسير الطوسي ج 2ص441/ 5-6، الطبرسي،مجمع البيان ج 3ص62/ 10-11، ينظر أيضاً A.jeffery، (مصادر أو مواد تاريخ النص القرآني) ص22، كوهلبرغ (بعض الملاحظات على الموقف الإمامي من القرآن ص212

3- ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ سورة 26آية 214(أي سورة ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ ورهطك منهم الأقربين الشعراء المخلصين)ينظر تفسير القمي ج2ص124 / 7 ونفس الذكر ص126/ 1؛ تفسير فرات ص 302/ 22-24؛الطبرسي، مجمع البيان ج19 ص188/ 22؛ البحراني، البرهان ج3ص-189 192؛ محسن الفيض، الشافي ج2ص227/ -1 17 إذ يقدّم مصادر عدّة على هذه الإضافة، منها تفسير القمي؛ينظر أيضاً الطبري، جامع البيان ج19ص121/ 5و25. ويقدّم جيفري إضافتين أخريين لهذه الآية؛ مصادر أومواد تاريخ النصّ القرآني ص358

4- (فلولا أنه سورة 37 آية 143-144 كان من المسبّحين للبث (ويقصد سورة في

بطنه إلى يوم يبعثون) الصافات) ﴿ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ ينظر، تفسير فرات ص٢٦٥/ ٣-٦.

5 - (ومن أحسن قولا ممّن سورة 41آيـة33(أي ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ سورة فصّلت) وعمل صالحا وهو صبيّ وقال إننيوقال إنني من المسلمين) من المسلمين) ينظر أبا جعفر الطوسي التبيان ج1ص279، 286؛ بينما عند البحراني ج4ص111/ 1.

6- (ويقول الكافر سورة 78آية40(41) ﴿وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَـٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴾ينظر يا ليتني كنت ترابا) (ويقصد سورة النبأ آية تفسير النعماني ج27، -17 .18 / 40 وليس هناك آية 41)

7- (ذلـك بأنهم كـرهـوا ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَـٰلَهُمْ ﴾ سـورة 47آيـــة9(10) علي فأحبط أعمالهم) ينظر، تفسير القمي (ويقصد سورة محمد آية ج2ص302/ 10-11، التي منها أخذ رقم 9و10) البحراني، البرهان ج4ص182/ 1(وينظر أيضاً الحديث رقم 2 الذي ذكره محمد أبن العباس)؛محسن الفيض، كتاب الشافي ج2ص563/ 15-18(وذكـر فضلا عن تفسير القمي الطبرسي، مجمع البيان فقرأ ال آية في حقّ علي ص26، 32، 191)

8- (سأل سائل بعذاب سورة 70 آية 1-2(ويقصد ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾.للكافرين بولاية واقع للكافرين) سورة المعارج آية 1فقط لأن علي ليس لها دافع) ينظر أبا جعفر آية 2﴿لِّلْكَـٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ﴾ الكليني، الكافي ج1ص47:422(إذ في حين البحراني، البرهان، ج4ص381 / 1، 4و5؛محسن الفيض، كتاب الشافي ج2ص742/ 10-11)

9- (تتّخذون أيمانكم دخلا بينكم أن تكون أمة سورة 16آية92(94) ﴿تَتَّخِذُونَ أَيْمَـٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ﴾ (ويقصد هاهنا سورة تكون أئمة هي أزكى من أئمّتكم) النحل آية 92وليس آية ينظر تفسيرالعياشي ص268، 64/ 94) وتفسير القمي ج1ص389/ 17(وكلاهما وقد ذكراعند البحراني في كتاب البرهان ج2 ص282-283؛محسن الفيض، الشافي ج1ص939، 3-6.

10- (إنّ الذين فرّقوا دينهم وكانوا شيعا) سورة 6 آية 159(160) ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا﴾ (ويقصد سورة الأنعام ينظر، تفسير العياشي ج1ص385، 131 آية 159لا160) (في حين البحراني ج1ص565/ 3؛ محسن الفيض، كتاب الشافي ج1ص560، 3-4؛ المجلسي، بحار ج9ص389؛كذلك ينظر تفسير القمي ج1ص222، 10(ذكر عند البحراني، م.ن. وعند محسن الفيض م.ن.) الطوسي، التبيان ج4ص328؛الطبرسي؛ مجمع ج8ص244، 2؛الزمخشري. الكشّاف ج2ص64؛ ينظر أيضاً جيفري، المصدر السابق ص42

11- (فأنزل الله سكينته سورة 9آية40(ويقصد ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ﴾سورة التوبة آية 40) تفسير العياشي ج2ص58، 89(في حين عند البحراني ج2ص128، 10؛الشافي ج 1ص702/ 12-15؛المجلسي، بحار ج19ص23، 80.

12- (وقل اعملوا فسيرى سورة 9آية105 الله عملكم ورسوله (106) (ويقصد سورة والمؤمنين) التوبة آية 105لا106) ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ ينظر، الكافي ج1ص424، 62(في حين البحراني ج2ص137وكتاب الشافي ج1ص 727، 4-5

13- (إن الله يأمر بالعدل سورة 16آيـــة90(92) ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى﴾ (ويقصد سورة النحل ذي القربى حقّه ...) ينظر، تفسير العياشي القربى..) آية 90لا92. ج2ص267، 60(في حين البحراني ج2ص281، 5؛ الشافي ج1ص937/ 8- 10؛ المجلسي، بحارج7ص129.

(يشغل الجدول عشر صفحات من أصل البحث الذي هو ست وعشرون صفحة)[1]

وعلى هذه الشـاكلة، يواصل البروفسـور بار -آشر رسـم جدوله في ستٍ وخمسين حالـة بهدف تبيـان الآيات القرآنية في القـرآن المتداول بين أيدينا وبين ما شَـخّصه من التعبيـرات أو الإضافات أو الزيادات أو التحريفات في القراءة الشـيعية الإمامية للقرآن الكريـم. والجدولُ مهـمٌ للغاية، ويثير الأنتباه إلى عدّة نقاط من الضروري التنويه عنها،

(1) Ibid.P.89.

بَـلْ والبدء بذكرها وتشـخيصها قبل الدخول في تفصيلات البحث الجديرة بالمناقشـة وإلقاء الضوء عليها.

والواقع إنني لَمْ أتدخل مع الفقرات أو الحالات التي تضمنها الجدول، فكان عملي مُقْتصـراً على ترجمة محتويات الجدول إلى اللغـة العربية، اللهم ما عدا المعلومة التي حَصرْتُها بين قوسـين بغية توضيح أسـم ال آية الكريمة، لأن المستشـرق قدْ دأب، شأنه شـأن المستشـرقين والغربيين الآخرين، على تدوين أرقام السـورالقرآنية الكريمة دون ذكر أسمائها، ولهذا فقد بينت أسم السورة؛ فضلا عن ما أشّرتُ إليه في حالات معدودة إلى الرقم الصحيح لل آية الكريمة، وذلك لأن المستشـرق في هذه الحالات يضعُ رقم يـن لـل آية التـي وردت فيهـا الإضافة. كذلـك، فقد جَهِـدتُ مُحاولاً ملاحقـة إحالاته التي أحالها إلى المصادر التفسـيرية الشـيعية، لغرض التحقّق مـن صدقية وصحة تلك الإضافات والتعبيرات والإحالات.

ومهما يكن، فمن بين أهم النقاط التي يخرج منها الباحث النقاط الآتية:-

- دعما لما سبق قوله بشأن موضوعية المستشرق بار- آشر، فهو عند توزيعه فقرات الجدول قد جعلها على الصيغة الآتية:-

1- ذال آية ورقمها

2- ما أطلق عليه المصحف العثماني Uthmanic Codex

3- ما أطلق عليه القراءة الشيعية الإمامية أو القراءة الإمامية الشيعية. وهذا ما يجعلنا نندفع إلى إبراز حقيقة مفادها أنَّ المستشرق لَمْ يعترف أصلاً بما هو مزعوم بقرآن الشيعة. فالقراءة أو الحرف لا يعني قرآنا، إنّما قراءة شيعية قبالة القراءات السبعة أو التسعة أو العشرة أو ما إلى ذلك من قراءات. وهذا ما أنعكس على الإختلاف في نطق كلمة أو في إحلال كلمة بدلا من أخرى.

- توثيقهُ لهذه القراءة بمصادر شيعية مع الإدلاء بوجود إختلافات بينها، أي ليس هناك أتفاق كامل حول مدى صحتها، نظير الحالة في سورة آل عمران آية 33، فاعتماداً على تفسير فرات الكوفي، وتفسير أبي جعفر الطوسي شيخ الطائفة، تكون القراءة (آل محمد وآل عمران وآل إبراهيم).كذلك نجد في السورة نفسها

في ال آية رقم 123، إذْ إختلفت القراءة فيها (ولقد نصركم الله ببدر وأنتم ضعفاء) بحسب تفسير الشافي، لمحسن الفيض وكتاب البرهان للبحراني؛ وقراءة (وأنتم قليل) بدلا من أذلّة أو ضعفاء بحسب قراءة تفسير العياشي. وما هو أيضاً واقع في سورة التوبة آية رقم 118وهي كما جاءتْ في نصّ القرآن الكريم (وعلى الثلاثة الذين خلّفوا حتى ضاقت عليهم الأرض...) فحسب ما ورد في تفسير العياشي ج2ص115، 152، وكذلك في قراءة تفسير القمي ج1ص297/ 18-19 (خالفوا بدلا من خلّفوا)، وبحسب ما ذكرهJeffery بإن الإمام علي يُفَضلْ قراءتها (المخلّفين بدلاً من خالفوا) ينظر دراسته عن مواد تاريخ النصّ القرآني P.187،وهي أيضاً قراءة الأعمش والكوفيين. ينظر المصدر نفسه P.319. بينما قرأ الزمخشريُ الفعل (خَلّفوا بفتح الخاء لاضمّها)، ينظر الكشّاف عن حقائق جوامع التنزيل، 4 أجزاء، 1983. ومثل ذلك الإختلاف، قد ورد في سورة الإسراء آية رقم 60 إذْ قال عزّ من قائل ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ ۚ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ﴾. فبينما أبقى القميّ في تفسيره على كلمة (للناس) لكن محسن الفيض قد حذّفها فصارت قراءته (الّا فتنة لهم ليعمهوا) ينظر ج1ص 916/ 7-9. أمّا Jeffery فيعطي قراءة (إلّا فتنة لهم)على كونها قراءة الصحابي عبد الله بن مسعود P.55. وورد أختلاف في قراءة ما جاء في سورة الشعراء آية رقم 214، إذْ قال الله تعالى (وأنذر عشيرتك الأقربين) وفي القراءة الشيعية زيادة، هي (ورهطك منهم المخلصين) حسب قراءة القمي وآخرين كما بيّنا أعلاه، غيرأنَّ البروفسور جيفريJeffery ص68، 358. قد زوّدنا بقرائتين أُخريين وهما (وهم أهل بيتك ومن اتّبعك من المؤمنين فإنْ عَصَوْكَ ورهطك منهم المخلصين فقل إني بريء ممّا تعملون* وتوكّل على العزيز الرحيم)، وواقعا فالزيادة التي حسبها البروفسور جيفري والبروفسور بار-آشر لم تكن زيادة، إنّما موقعها يأتي بعد آية ﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ حسب النصّ القرآني الكريم، ولذلك فالزيادة كما هو واضح تكون فقط (ورهطك منهم المخلصين)، وعليه فعلينا أنْ لا نبالغ في هذه الزيادات كالذي يعتقده المستشرقان جيفري وبار -آشر. وكذلك حسبما يذكر بار- آشر أنَّ البروفسور جيفري قد قدّم قراءة ثالثة يقول أنها القراءة التي قرأ بها الإمام علي

وعبد الله بن مسعود وهي(وهم أهل بيتك من المؤمنين فإن عصوك ورهطك منهم المخلصين فقل إني بريء ممّا تعملون)، بمعنى إنَّ هذه القراءة قد حذفَ منها (ومن اتّبعك).

فهذه الملاحظات تؤكدُ أنَّ المستشرق بار - آشر لم يكن في مخياله بأن هذه القراءات في بعض الكلمات أو التعبيرات تشكّل القرآن المزعوم للشيعة.

(3)

إذن عودة على بدء، فإنَّ البروفسور بار-آشر قدُ دأب في جدوله على إلحاق كلّ إختلاف شيعي في القراءة ليعقبه أقتباس للمصدر الذي جاءت فيه تلك القراءة وذلك تدليلا على منهجه التوثيقي، فضلا عن إحالته إلى المرجع أو المراجع الحديثة حيثما كان هناك حاجة لمناقشة النصّ مثلاً، وكذلك من أجل تزويد القارئ بملاحظات مختصرة يريد من ورائها توضيح عقيدة أو مذهبية الرواية أو القراءة الشيعية الإمامية. ويبدي المستشرق ملاحظة منهجية مهمة لها علاقة بالقائمة أو بما أسميناه الجدول، إذْ يقول إنها قائمة تشتمل على تلك القراءات التي لها خصوصية شيعية فحسب. أمّا القراءات الأخرى المختلفة الموجودة في مؤلفات التفسير الشيعية والسنّية، فإنّها خارجةً عن نطاق هذه القائمة.

في الآن نفسه، فقد أشار إلى مصادر المعلومات التي أعتمدها، تلك التي تتمثّل بالدرجة الأساس في تفاسير القرآن الكريم الشيعية الإمامية المبكرة تلك التي وصلت إلى متناول المستشرق وهي:-

1- مؤلفات علي بن أبراهيم القمي.

2- تفسير فرات بن إبراهيم الكوفي.

3- تفسير أبو النضر محمد بن مسعود العياشي.

فجميع هؤلاء العلماء الثلاثة قد أزدهروا علميا عند نهاية القرن الثالث الهجري ومطلع القرن الرابع الهجري/ نهاية القرن التاسع الميلادي ومطلع القرن العاشر.

4- محمد بن إبراهيم بن جعفر النعماني (المتوفى حوالى 360هجرية/ 971م).

5-أبو جعفر الطوسي (المتوفى في 460 هجرية/ 1067م)، ويُعدّ واحداً من كبار علماء الإمامية في حقبة نهاية العصر البويهي.

6-أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (المتوفى في 485هجرية/ 1153م).

فضلا عن المؤلفات الإمامية غير التفسيرية المبكرة أيضاً ولكنها، مع ذلك تتضمن معلومات ومواد تفسيرية كثيرة؛ ونخصّ بالذكر منها كتاب بصائر الدرجات، لمؤلفه محمد بن الحسن الصفّار القميّ (المتوفى قي290هجرية/ 903م)، وكتاب الكافي، لمؤلفه أبي جعفر محمد الكليني (المتوفى في 329هجرية/ 941م). وأخيراً، كما يقول المستشرق بار-آشر، فالمؤلفات الإمامية المتأخرة، قد تمّ اعتمادها أيضاً بضمنها المؤلفات التفسيرية نظير: تفسير البرهان لمؤلفه هاشم بن سليمان البحراني (المتوفى في 1107هجرية/ 1693أو1109هجرية/ 1697م.، وكذلك تفسير الشافي في تفسير القرآن، لمؤلفه محمد بن مرتضى (محسن الفيض) الكاشاني (المتوفى في 1091هجرية/ 1680م)؛ والمصنفات المهمة جداً الأخرى، مثل بحار الأنوار لمؤلفه العلّامة محمد باقر المجلسي (المتوفى في 1110هجرية/ 1700م).

أمّا المصادر السنيّة الرئيسة التي أعتمدها المستشرق بهدف إجراء موازنات مع المصادر الشيعية، فهي مؤلفات تفسير القرآن المهمة جدا وهذه المؤلفات في الواقع قد ألحقت بملحق في كتاب البروفسور آرثر جيفري المشار إليه عدّة مرات وهو(Materials for the History of the Text of the Qur'an). ويقول أنَّ الملاحظة التي ينبغي التشديد عليها، فإنَّ هذه الموازنات قد بيّنتْ بإنَّ القراءات المختلفة الشيعية للنصّ القرآني من النادر جدا وجودها في المؤلفات غير الشيعية.

وبعد هذه المقدمة المنهجية الضرورية، ينتقل البروفسور إلى مسألة جديرة أخرى في بحثه، وقد خصّص لها عنوانا هو (الصيّغ أو الأشكال المختلفة للقراءات والإضافات) وقد وزّع تلك الإضافات أو الزيادات تبعا للجوانب الآتية[1]:-

- فهي أمّا تبديلات طفيفة وغير مهمة لكلمات؛ أو وإضافة أو أستبدال حرف أو تبديل لفظة مثلما ورد في المصحف العثماني- وهذا هو المصطلح الذي رسمه

(1) Ibid.P.102.

المستشرق- في سورة 45 آية 29(28) - أي سورة الجاثية آية رقم 29 لا 28 - إذْ قال الله تعالى في محكم كتابه ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيۡكُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّا كُنَّا نَسۡتَنسِخُ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾. فالقراءةُ الإمامية تراها (هذا بكتابنا ينطق بالحقّ)-وهنا يعطي المستشرق تفسيرا لهذه القراءة بأن (هذا) المقصود به أمّا محمد أو الإمام علي. ومثال آخر عن القراءة الإمامية نجده في سورة 78 آية 40(41) (أي سورة النبأ آية رقم 40 وليس هناك آية برقم41). فبدلا من القراءة ﴿وَيَقُولُ ٱلۡكَافِرُ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا﴾؛ فالقراءة الإمامية تُبدل تراباً إلى(ترابيا). ينظر بحث المستشرق صفحة 88.

- أو صيغة أستبدال كلمة بأخرى، وأنسب مثال على ذلك آية رقم 104 و آية رقم 110 في هذا الصنف هو أستبدال كلمة (أمة) بكلمة(أئمة) في أغلب الحالات التي وجدت في القرآن الكريم. وحسب رأي المستشرق، إنَّ أدخال هذا التعبير يهدف إلى عرض عقيدة الإمامية في الإمامة في النصّ القرآني؛ ومثال على هذا نذكر ما جاء في سورة 3 آية 106 (أي سورة آل عمران آية رقم 104 لا كما أورد المستشرق 106، (أي سورة آل عمران آية رقم 110 إذ تقول﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ﴾ وعند الإمامية (كنتم خير أئمة).

- وهناك صيغة تتمثّل في إعادة ترتيب أو إعادة تنظيم لموضع كلمة ما أو تعبير ما؛فالكثير من علماء التفاسير الإمامية يُظهرون أو يُبدون ملاحظة على أنَّ السورة11 آية 17 (ويقصد بها سورة هود)، إذْ قال الله تعالى﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتۡلُوهُ شَاهِدٞ مِّنۡهُ وَمِن قَبۡلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامٗا وَرَحۡمَةً ﴾، فهاهنا يَرَوْنها نموذجاً من نماذج تحريف القرآن لما هو موجود في أصل القراءة القرآنية. فاعتماداً على تفسيرهم، ينبغي أنْ يكون ترتيب هذه ال آية في النسخة الأصلية للقرآن على وفق هذا الترتيب (ويتلوه شاهد منه إماما ورحمة)، والفارق المهم بين القرائتين هو:- في القراءة السنيّة، فإنَّ تعبير (إماماً ورحمة) قد فُصلتْ عن تعبير(شاهد منه) وجاءت بعده، وهذا التعبير بحسب الرواية الشيعية يشير إلى الإمام علي .

- وهناك صيغة أخرى، متمثلة بإضافة كلمات عديدة لا كلمة واحدة فقط. فالرواية الإمامية أو الحديث الإمامي، يعتقد بل ويؤمن بأنَّ هناك تعبيرات مُحدّدة قد حُذفتْ بَعمْدٍ أو بتقصد من القرآن الكريم من قبل المفسرين السُنّة؛ ومن بين هذه

التعبيرات تعبيران متحلقان الواحد حول الآخر cluster وهما تعبيران يجمعهما قاسمٌ مشتركٌ:-

1- في علي

2- آل محمد، وفي بعض الأحايين آل محمد حقّهم.وعادة بما إن المفعول به للفعل المشتق من جذر(ظلم) هو تعبير يتردد كثيراً في القرآن. فهذه الإضافات قد أُضيفت بقصدٍ لإظهار أنَّ أجراءات الظلم المذكورة في بعض الآيات القرآنية لمْ تكنْ خالية الهدف no neutral، إنّما تشيربشكل خاص إلى مظلومية أهل البيت أو تشير إلى أستلاب أو أغتصاب حقّ آل- أو عائلة-محمد وذريّته، بمعنى الشيعة أنفسهم.(هنا يشير المستشرق إلى تفسير النعماني، وتفسير القمي، والى بصائر الدرجات لإبي جعفر الصفّار والى دراسة المستشرق اليهودي إغناص جولدتسيهر).

ويستمر المستشرق في عرض أفكاره لشرح فقرات جدوله فيقول:-والأمر نفسه يمكننا ذكره بالنسبة إلى عقائد شيعية خاصة أخرى أو مستنتجة أو مستخرجة من النصّ القرآني عن طريق إضافة كلمة أو بالشكل الذي هو عند هذا المفسر أو ذاك، ومن خلال إجراء «إعادة» النصّ الأصلي بإضافة الكلمات أو إجراء ترميم على النصّ الأصلي بإضافة كلمات قد حذفها أولئك الذين أعدّوا النصّ (ويقصد بهم اللجنة التي جمعت القرآن الكريم). ويرى المستشرق، بإنَّ هذا ما وقع فعلا في عدد من الآيات القرآنية؛ فكلمات «في ولاية علي» قد أضافها علماء التفسير الشيعة بغية تأويل النصّ ليخدم مهمة ولاية (أي آل علي). (وأحال المستشرق في هذا التفسير إلى عدّد من المصادر، نظير رجال النجاشي ص188؛وبحار الأنوار للعلّامة المجلسي؛ وكتاب الإحتجاج للطبرسي؛ والمستشرق جيفري الذي يذكر أنَّ هذه الرواية كانتْ مذكورة في مصحف أبيّ بن كعب (ينظر صفحة 109 من البحث بالإنجليزية).

وفي حالة مماثلة لمثل هذه الإضافة، هي إضافة كلمات (من أجل مسمى) إلى آية المتعة (سورة رقم 4 آية رقم 24(28) (أي سورة النساء آية 24 وليس كما ظنّ المستشرق 28). وهي إضافة يراد بها الصيغة المؤقتة أو الطبيعة المؤقتة لنكاح المتعة (يلاحظ أنَّ المستشرق قد ترجم المتعة إلى الإنجليزية بكلمةpleasure بمعنى الإستمتاع). وهذا الموضوع-أي المتعة- قد أختلف حوله الشيعة والسنّة عبر التاريخ[1].

---

(1) Ibid.92.

(4)

وممّـا هـو جدير بالملاحظـة، ذلك المتعلق بإسـتنتاج المستشـرق بشـأن أختلاف القراءة من جهة، والإضافات التي أدخلها، كما يعتقد، الشيعة الإمامية من جهة أخرى، ففي رأيه، بأنَّ ذلك كلّه لا يشكّل في نطاقه العام إلّا نسبة محدودة؛ فضلا عن ذلك، فإنَّها لا تشـملُ إطلاقـا جميع الآية برمتهـا، لكنها واقعا تتمثّل بتبديـل أو إضافة عدد محدود جـدا من الكلمات فـي تركيب الآية المعنية. وهناك إسـتثناء واحد علـى تلك القاعدة، إذْ أسـتبدلت آية موجودة في المصحف العثماني بأكملها في بعض المصادر التفسـيرية الشيعية الإمامية، والمثال الذي ضربه المستشرق على مثل هذه الحالة ما ورد في السورة الكريمة رقم 26آية214في قوله عزّ وجلّ ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾؛ ففي حديث رواه القميّ في تفسـيره ويرجع سـنده إلى الإمام جعفر الصادق قوله، بإنَّ أصل هذه الآية قد أنزلهـا الله هي (ورهطك منهم المخلصين). لكـن ليس من الواضح إنْ كان قول الإمام الصـادق يُفْهـمُ منه وجوب إحلال هـذه ال آية محلّ تلك ال آيـة القرآنية في المصحف العثمانـي، أم أنها تكـون مجرَّد إضافة تضاف على تلك ال آيـة المذكورة؟ والواقع ممّا يجـدر القول، بإنَّ هذه الكلمات قد وردت في تفسـير القمي أيضاً ولكن بإسـناد يرجع إلـى أبي الجارود، إذْ اعتمـاداً على ذلك حُذِفتْ الآية القرآنيـة في المصحف العثماني تمامـاً، ولـم يبق منهـا إلّا (ورهطك منهـم المخلصين) دون تقديم أي تفسـير أو تأويل إضافـي آخـر. ومن الجانب الآخر، فقد ورد في تفسـير فرات الكوفـي رواية ثالثة وهي رواية تربط معاً بين الآيتين المذكورتين في أعلاه. فالذي يبدو إن هذا النصّ، أي النصّ في تفسير فرات، يُمثّلُ نوعاً من الأتجاه التوفيقي بُغية أنْ يكونَ مقبولاً لكلا النصيّن[1].

أثار المستشـرقَ تسـاؤلاً عـن الكيفية التي يمكنـه بها التمييز بيـن مختلف القراءات من جهة وبينها وبين الإضافات التفسـيرية أو التأويلية؟ وهو تساؤل قد خصّص له فقرة مسـتقلة من بحثه للأجابة عنه أو لشرحه. ومفاد رأيه، إنَّ هذه الأختلافات في القراءات وفي الإضافات التفسـيرية أو التأويلية عند المفسـرين أو في مصادرهم، تسـتند أساسـاً إلـى الجانـب الترمولوجـي، أي الخـاص بالمصطلـح الفني. ففـي كثير مـن المواضع

(1) Ibid.P.91.

حيث يقترحُ المفسّرُ رواية لآية قرآنية ما، فأنه يقوم بذلك بإستخدام صيّغ نموذجية. وقد جَرتْ العادة في الرواية الشيعية، بأن يَذكر تعبيرات نظير:- نزل جبرئيل بهذه الآية هكذا؛ أو هكذا نزلت؛ أو بالقول المباشر الواضح، بإنَّ هذه الرواية هي هكذا بحسب قراءة أحد الأئمة المعصومين. وفي أحيان تَستخدمُ تعبيرات أكثر قوة من أجل التشديد على أن هذه المقاطع أوتلك من القرآن التي أحتفظ به السنّة أو عند السنّة هي غير صحيحة. وفي هذه الحالات، فإنَّها تتضمن أقوالا أو تعبيرات صِيغَتْ بشكلٍ سلبي أو بصيغة النفي نظير:- على خلاف ما أنزل الله أو فيما حرّف من كتاب الله. (وها هنا يشير المستشرق إلى المصادر التي أوردت ذلك مثل، تفسير العياشي، أو تفسير القمي)؛ وفي حالة غياب مثل هذه الأدلة، فإنه يصعب تحديد الإجابة:- أكان التبديل المذكور هو مجرد تعليق أم إنَّ المفسّر يبدي رأيا في قراءة بديلة لما هو موجود في النصّ القرآني. وضَربَ المستشرق مثالا ذكر بإنه مثالٌ جيّد على ذلك، وهو الحالة غير المؤكدة الموجودة في تفسير آيات من سورة رقم 81 (أي سورة التكوير) آيات8-9 إذْ قال الله تعالى (وإذا المؤودة سُئلتْ بأي ذنب قُتلتْ). فبدلاً من شرح هذه الآيات وكونها تتعلق بالمؤودة (أي الطفل المدفون وهي العادة التي كانت متبعّة في الجاهلية للعرب قبل الإسلام/ الوأدُ) قد فُهِمَتْ من قبل المفسر الشيعي بكونها ترتّبط بتعبير المودة (الحب، العطف)، وهو حب آل النبي والأئمة.(ومصدر المستشرق في هذا الموقف تفسير فرات وتفسير القميّ)[1].

بهذه الطريقة من التحليل في إستخدام المصادر الشيعية قد حاول المستشرق أنْ يقدّم أطروحته في كيفية التفريق بين القراءات من جهة وبين الإضافات التأويلية من جهة أخرى.

فنلاحظ إذنْ البروفسور بار- آشر كان يركّز والى حدّ هذه المعلومة في بحثه على مسألة لا شكّ بإنها جديرة بالأهتمام من قبل المختصين في هذا الحقل من التفسير التأويلي، وهي مسألة قابلة للمحاججة والنقاش بالأخصّ بما يتعلق الأمر بالآيات التي قد أضافها أو قد رأها الشيعة الإمامية، وحسب التفسير التأويلي، المراد بها أحقّية

---

(1) Ibid.P.91-92.

آل البيت الأطهار. والمهم إنه لَمْ يتطرّق لا من قريب ولا من بعيد إلى الإشكاليّة التي أنشغل بها المستشرقون والمبشرون وغيرهم، تلك المتعلقة بقرآن الشيعة. فهو يكتفي فقط بإشارة وردت على صفحة 91من بحثه حين يعرض إستنتاجاً مهماً ومباشراً فيقول ما ترجمته:- ومهما يكن ففي الواقع، وحسب معرفتي، إنَّ الشيعة الإمامية تقريباً لَمْ يتّخذوا أيَّ أجراء وأيَّ خطوةٍ ترمي إلى الإقرار أو الإعتراف canonize بقراءاتهم المختلفة أو الآيات التي يعتقدون بكونها قد حُذِفتْ من النصّ القرآني[1]. فالشيعة على الرغم ممّا أورده مفسّروهم بشأن الكلمات والتعبيرات تلك التي رأوا أنها تخصّ الإمام علي وآل بيت محمد، لَمْ يجيزوا القراءة بها أو لم يجيزوا حتى إدخالها في القرآن المتفق عليه، إنطلاقاً من أحاديث وردت على لسان أئمتهم المعصومين، بإنَّ القرآن هو ما بين الدفتين لا يزيد ولا ينقص.

وتعقيبا على أستناج المستشرق المشار إليه تواً فقد نوّه إلى وجود أستثناء واحد على القاعدة العامة التي طبقّها، وهو أستثناء كما نعتقد يبدو وكأنه يتعارض مع ما توصل إليه في السابق من رأي، إذْ أردف قائلاً ما ترجمته:- وهناك أستثناء واحد لهذه القاعدة - ويقصد قاعدة عدم إعتراف الشيعة الإمامية بما ورد من قراءات وإضافات-وهي تلك المتمثّلة بمحاولة متأخرة زمنياً ظهرتْ عند إكتشاف مخطوطة للقرآن في أحدى المدن الهندية وهي بانكيبور Bankipur في بداية القرن العشرين، إذ أحتوت هذه النسخة إلى جانب بعض الآيات الإضافية التي سبق التطرق اليها، سورتان مشكوك في صدقيتهما apocryphal وهما سورة الولاية أي الولاء لبيت علي. وسورة النورين، ويقصد بهما محمد وعلي، فهما النوران[2]. والذي يهمّ موضوع البحث هذا، إنَّ المستشرق قد بيّن بشكل واضح ومباشر موقفه المُفنِّد والرافض لما كان المستشرقون يرونه بكون هاتين السورتين هما من قرآن خاصّ يتداوله الشيعة الإمامية ويقرأون به. فعبّر بموضوعية وجهة نظره عند وصفه عملية التزوير والإفتراء؛ والأكثر أهمية، فقد وصفها بكونها محاولة قد رُتّبتْ أو بالأحرى قد تمَّ صنعها في فترة تاريخية متأخرة، أي في مطلع القرن

(1) Ibid.

(2) Ibid.P.92-93.

العشـرين[1]. وهـو من الجانب الآخر، ذلـك المتعلّق بالقـراءات والإضافات وحالات إسـتبدال كلمات أو تعبيرات كالذي دوّنه في جدول الموازنة بين ما أسـماه المصحف العثماني وبين القراءة الشيعية الإمامية، وبحسب كلامه، لَمْ يُجِزْها الشيعة، بل لَمْ يسعوا إلى إدخالها في القرآن المتداول بينهم، وذلك لأنّها آيات تؤشـر إلى ما قد أفترضه عدد مـن المستشـرقين بكونـه موقف علمـاء الشـيعة، لا بل موقف عمـوم الشـيعة الإمامية السـلبي والمعارض لعملية جمع نسـخ القرآن التي كانت عند بعض الصحابة في زمن الخليفـة الثالـث في نسـخة واحدة هي الموجـودة بين أيدي جميع مسـلمي العالم من دون أستثناء. وبمعنى آخر، لم تُتّخذْ أيّة خطوة وأية محاولة من قبل الأئمة المعصومين ولا من قبل علماء الشـيعة وفقهائهم أو من قبل الشـيعة الإمامية أنفسـهم بعملية إدماج مـا يعتقدونـه بمـا ورد في مؤلفاتهم التفسـيرية الشـيعية مـن أمثال تلـك الإضافات في نسـخة قرآنية خاصة بهم. وهي مسـألة في غاية الأهمية للردّ على من يرى خلاف ذلك. علماً بإنَّ المستشـرق بار -آشـر قد وقف علـى نقطة جوهرية حصرها فـي فقرة بعنوان (القراءات الإمامية المختلفة وإشـكالية القراءات المتعددة أي بما له علاقة بالمتعارف عليـه بـإن القرآن نزل على سـبعة أحرف). ويثيـر في هذا الجانب تسـاؤلا حول موقف الإمامية من إصرار أهل السنّة في معتقدهم هذا الذي يستند على حديث متداول عندهم أن القـرآن قـد أوحي أو قد أنزله الوحي على رسـول الله على سـبعة أحـرف كلّ حرف شاف كاف[2]. والملاحظ إن هذا الحديث وخلال الفترة التاريخية الأولى قد أندمج أو ضُمَّ مع القراءات المختلفة للقرآن وقد عدّت جميعها وعلى حدّ سواء قانونية وشرعية ومعترف بها. فالتسـاؤل هنا، ما هو موقف الشيعة من هذا الحديث أو من هذا الأجراء، أجراء القراءات السـبعة أو التسـعة أو العشـرة للقـرآن الكريم فهل هـي معترف بها من قبلهم؟. يبدي المستشـرق وجهـة نظره التي تفيد بأنهم وقفوا فـي الوهلة الأولى موقفاً معارضاً، بل ورافضاً لهذا التفسـير طالما أنهم يعتقدون بنسـخة أو رواية شـيعية إمامية

---

(1) ينظر الكليني:أبا جعفر محمد بن يعقوب؛ الأصول في الكافي (صححه علي أكبر الغفاري؛تهران جابخانه حيدري (1381هجرية)ج1ص4.أيضا p.93، Variant Readings..، M.M.Bar-Asher;

(2) ينظر الشيخ الطوسي، أبو جعفر:تفسير التبيان**(تحقيق أحمد حبيب قصير العاملي(طبعة النجف) مجلد 1ص7؛ الكليني؛الأصول ج 1 ص228و239؛ M.M.Bar-Asher، ibid.p.93.

للقـرآن الـذي أنزله الله تعالى على النبـي محمد، وإنَّ الإعتراف بـه وقبوله يعني القبول بشـرعية هذه القـراءات، وهو أمْرٌ يقود إلى تقويض وإضعـاف تفوقهم وأفضليتهم التي طالما أنفردوا بها في قرائتهم الخاصة. وحسب رأيه، كان الشيعةُ حسبما يبدو مختلفين أو غير متفقين بشـأن هذه المسـألة. فهناك طرفان أو فريقان تعارضت آراؤهما في فهم المسألة بشكل خاص. وهما موقفان يكشفان عن الصلة المباشرة والمشتركة بين علماء الشـيعة إزاء وحـدة القـرآن وبين القراءات الأخـرى المختلفة. ففـي الحقبة الأولى من العصر البويهي، وهو العصر الذي إنتشرت فيه نظرية التشيع في مسألة وجود التحريف فـي القرآن عنـد جمعه أول مرّة، ظهر موقـفٌ صريحٌ في تبني الأحـرف البديلة للآيات القرآنيـة التي سـبق رفضها من قبلهم. وأعتمد المستشـرق على روايـة أدلى بها العلّامة الكلينـي فـي كتابـه الكافي (تحقيق علـي أكبر الغفـاري، تهـران 1377–1382 هجرية) بأسناد شيخه علي بن إبراهيم القميّ مفادها إنَّ الإمام جعفر الصادق سُئِلَ من سائل بإنَّ «الناس يقولون نَزَلَ القرآن على سـبعة أحرف مختلفة، فهل هذا صحيح؟ فكان جواب الإمـام الصـادق، كلّا هـؤلاء أعـداء الله فقـد كذبوا، وذلك لأنـه أوحي مـن الله الواحد وبحرف واحد»[1]. وهناك حديث آخر مشـابه لذلك الحديث، وورد على لسـان الإمام الباقر، مع إضافة أو زيادة توضيحية مفادها «ولكن الإختلاف يجيء من قبل الرواة»[2]؛ وأبو القاسـم الخوئي الموسـوي في البيان في تفسـير القرآن، وهو تفسيرٌ حديثٌ، يؤكد أيضـاً النظريـة التي تذهب إلـى القول، بأنَّ القـرآن الكريم نزل على حَرْفٍ واحد، وأنَّ هناك حرفاً واحداً فقط للقرآن موثوقا به أو جديرا بالأعتماد[3].

أمّا الموقف الثاني، فبحسب رأي المستشرق بار – آشر، فهو الموقف الذي يمثّله أبو جعفر الطوسي وهو يمتّ بصلة إلى فترة متأخرة من العصر البويهي، وهو الموقف الذي يرفـض الرأي القائل بتحريف القرآن والذي يتبنى موقفـا آخر وهو أقل تطرفا (والتعبير

---

(1) يراجع الكليني، الأصول؛ أبن بابويه، محمد، رسالة في الإعتقادات ص100؛أبو القاسم الموسوي الخوئي، البيان في تفسير القرآن ص177.M.M.Bar-Asher op.cit.p92-93.

(2) الشيخ الطوسي، تفسير التبيان مجلد1ص7-8؛ الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن؛مجمع البيان في تفسير القرآن(النجف 1367-1385/ 1957-1965م بعشرة أجزاء)مجلد1ص23-26.

(3) الطوسي، تفسير التبيان مجلد1ص7-8.M.M.Bar-Asher، op.cit.p.93

وينظر بحث (Abu Dja'far al-Tusi)in Encypledia of Islam، (New edition.ByM.Ali Amir Moezzi

الذي إستخدمه المستشرقُ للتطرّف بالإنجليزية (militant)فيما يتعلق الأمر بالأحرف المتعـددة. فالطوسـي، فـي مقدمته لكتاب تفسـير القـرآن، نَجِـدهُ يقترب من إشـكالية القـراءات وذلـك بذكـره الحديث المتعلـق بالأحرف السـبعة، وموقفـه يماهي اؤلئك الذين سـبقوه، إذْ يُشـير إلى التفسـيرات أو التأويلات المختلفة لها؛ ولكنه عندما واجه مسـألة تعدّد القـراءات أو الأحرف قال-كما ترجمه المستشـرق إلى اللغة الإنجليزية- »عليك أنْ تعلم بأنَّ الرأي المقبول من إخواننا - وبكلام الطوسي- «العرف من مذهب أصحابنـا» إن القـرآن قـد نـزل به الوحـي على النبي فـي حرف واحدـــ وحسـب كلام الطوسي نصّا- «بالحرف الواحد على نبي واحد». ومهما يكن، فقد تمّ قبوله من قبلهم، بإنَّ المرء قد يقبلُ حرفاً نُقِلَ إليه من قبل القراء-والنص كما أورده الطوسـي- هو» غير إنهم أجمعوا على جواز القراءة بما يتداوله القراء»، والمرءُ حرٌّ في أختيار الحرف الذي يفضلـه. كذلك، فإنَّهم أحجموا أو أمسـكوا عـن تزكية خاصة لأي قـراءة من القراءات -والنصّ عند الطوسـي- «وكرهوا تجويد قراءة بعينها».وواقع الحال، إنَّ شيخ الطائفة قـال ما نصّه في تفسـير التبيـان الآتي: «لكنهم من جانب آخر تسـاهلوا فقط في الحرف الذي ثبت بين القراء - والنصّ عند الطوسـي - بل أجازوا القراءة بالمجاز الذي يجوز بيـن القراء»؛ والنصّ في تفسـير التبيان كما أطّلعنا عليه في النسـخة التـي حقّقها أحمد حبيـب العاملـي هو»وأعلمـوا أنَّ العُـرْفَ مـن مذهب أصحابنا والشـائع مـن أخبارهم ورواياتهـم، أنَّ القرآن نـزل بحرف واحد على نبي واحد.غير أنهـم أجمعوا على جواز القراءة بما يتداوله القرّاء، وأنَّ الأنسـان مُخَيّر بأي قراءة شـاء قرأ. وكرهوا تجويد قراءة بعينهـا، بل أجازوا القرّاء بالمجاز الذي يجـوز بين القرّاء ولم يبلغوا بذلك حدّ التحريم والحظـر. وروى المخالفـون لنا عن النبي أنه قال: (نزل القرآن على سـبعة أحرف كلها شـاف كاف)؛ وفي بعضها (على سـبعة أبـواب)، وكثرت رواياتهم ولا معنى التشـاغل بإيارادهـا. وأختلفوا في تأويل الخبر. فأختار قوم إنَّ معناه على سـبعة معان: أمر، ونهي ووعد ووعيد وجدل وقصص وأمثال. وروى أبن مسـعود عن النبيإنه قال: (نزل القرآن على سـبعة أحرف: زجر، وأمر وحلال وحرام ومحكم ومتشـابه وأمثال.»[1]. والجدير ذكره أنَّ الطوسـي كان حذراً في الأعلان عـن رأيه بصراحة ودقة إزاء الحديث المتعلق

(1) يراجع M.M.Bar-Asher، op.cit.p93.

بالأحرف السبعة أو بالقراءات السبع، علماً بإنه يشدّد القول بكون هذه الأحرف هي بحسب معتقد أعداء الشيعة-والنصّ عند الطوسي «وروى المخالفون لنا»-لكنه مع ذلك لم يرفضها جملة[1]. والشيخ محمد بن الحسن بن علي الطوسي المتوفى في سنة 459هجرية1066م أو في سنة 460هجرية1067م هو من العلماء البارزين في الفقه الإمامي، وقد درس تحت إشراف مشايخ المذهب الإمامي بضمنهم أبي الحسن بن أبي جدّ وأحمد بن محمد بن موسى الأهوازي الغضائري وأبن عبدون وبصورة خاصة شيخ الإمامية الكبير، الشيخُ المفيد، الذي أطلق عليه البروفسور محمد علي أمير معزي M.Ali Amir Moezzi في بحثه القيّم الموسوم (ابو جعفر الطوسي) في دائرة المعارف الإسلاميةpowerful doyen للعقلية الإمامية المتأثر بعقلانية المعتزلة. وعند وفاة السيد الشريف المرتضى علم الهدى، الذي كان هو الآخر قد تتلمذ تحت إشراف عبد الجبار المعتزلي، صار الطوسي شيخ الطائفة. إذ تتلمذ في مدرسته نفر من علماء الشيعة، كالنجاشي، وأبي يعلى الجعفري. وقد تعرّض خلال الغزو السلجوقي لبغداد سنة447هجرية / 1065م إلى معاناة وشدّة من قبل التحالف السنيّ -حسب قول البروفسور معزي ــ بقيادة الحنابلة، إذ نهبوا بيته وأحْرقوا مكتبته الكائنة في محلة باب الطاق في جانب الكرخ من بغداد. لذلك أضطر إلى ترك بغداد متوجها نحو النجف، وبقي هناك يواصل الدرس والتدريس إلى أن وافاه الأجل[2].

رأي المستشرق في موقف علماء الشيعة من هذه الإشكالية.

يوضح بار-آشر، بأنَّ هذا الموقف المتسامح الذي كان غالبا بين الشيعة قد بدأ خلال العصر البويهي، ويبدو إنه موقف مفهوم جدا؛ طالما إنَّ العقيدة الشيعية بشأن صفة المصحف العثماني وكونه ناقصاً أو مُحَرّفاً قد أخذت بالتراجع. وإن العلماء الشيعة، كان بأستطاعتهم تبني موقفا إيجابيا إزاء إشكالية القراءات المتعددة للقرآن وإزاء تبرير الحرف أو القراءة الشيعية ضمن هذا الإطار. لكن من الجانب الآخر ينبغي علينا عدم

(1) يراجع بحث البروفسور إيتان كوهلبرغ Etan Kohlberg(أبو ترابAbu Turab) في مجلة الدراسات الشرقية الآسيوية والإفريقيةSOAS الصادرة في مدرسة الدراسات الشرقية الآسيوية والإفريقية في جامعة لندن سنة 1978.

(2) ينظر أبا جعفر الطبري: جامع البيان جزء 6ص282.

إغفال إمكانية كون هذا الموقف المتساهل أو المتسامح الذي تبنّاه الشيعة آنذاك كان موقفا تكتيكيا مقصودا لتحقيق غرضٍ محدّدٍ أكثر من كونه يعكس أو يظهر معتقداتهم الحقيقية. وبكلمة مباشرة، نقصد الرغبة في تجنب مواجهة مباشرة مع السنّة، وهي رغبة قد بنيت على أساس، وكما هو الحال في مسائل أخرى، مبدأ التقية التي تسبّبت في إنهيار خارجي ظاهر في المواقف الشيعية المتطرفةmilitant بينما كان الشيعة داخلياً متمسكين بموقفهم ويواصلون العمل على وفق وجهة نظرهم وفلسفتهم القاضية بكون نظريتهم في قرائتهم وفي حرفهم للقرآن، هوالحرف الصحيح دون غيره[1].

(5)

تحليل قائمة المستشرق بار- آشر:-

ذكرنا في السابق، بأنَّ الجدول الذي رسمه البروفسور بار -آشر لم يكن فكرة أصيلة، إذ سبقه فيها المستشرق المبشر كلير تسدال، غير أنَّ جدول بار -آشر أكثر علمية وموضوعية بما له علاقة بالبحث العلمي، وأنه قد بنى منهجه على متابعة مصادر التفسير الشيعية، فضلاً عن مصادر الأصول الأربعة. فقد دعم نظريته في ما أطلق عليه بالقراءة الشيعية بمصادر أساسية من تفاسير القرآن الكريم؛ ولم يعتمد على التفاسير غير الشيعية ما خلا بطبيعة الحال تفسير فرات بن فرات الكوفي الذي حسبما ذكر إنه زيديّ المذهب، والعياشي الذي كان في الأصل مُتسنناً ثمّ تحول إلى التشيع الإمامي وقدّم خدمات جليلة مادية وعلمية إلى المذهب، وفي حالة أو أكثر رجع إلى تفسير محمد بن جرير الطبري في تفسيره للقرآن الكريم. المهم إنَّ المداخلة هذه لا تُضْعِفُ الرأي بمدى علمية بحث المستشرق وفي أخذه المعلومة الصحيحة من منبعها الأصلي.

لقد اشتمل الجدول على ستٍ وخمسين حالة أدخلها بار- آشر في حقل القراءة الشيعية، وهذه القراءات إشتملت بدورها حالات وموضوعات فرعية متنوعة عن الإضافات والقراءات الشيعية، ولعل من المناسب تصنيفها وتوزيعها حسب الفقرات الآتية؛-

(1) ينظر أبن أبي الحديد؛شرح نهج البلاغة مجلد3جزء 11ص15-17؛الطبري، أبو جعفر:جامع البيان في تأويل آي القرآن (طبعة ثانية، 1372هجرية/ 1954م)جزء6 ص282، 283.

- الحالةُ الأولى، تلك التي تكرّر فيها إضافة تعبير(آل محمد حقّهم) وفي الأغلب الأعم وردت هذه الجملة أو التعبير بعد كلمات(ظلمتم أو ظلموا أو الظالمون) الواردة في آيات الذكر الحكيم. ويرى المستشرقُ في هذا التعبير على شاكلة ما رآها كلّ من المستشرقين المبشرين، كانون سيل، وكلير تسدال، إنه المعنيّ بالإضافة الشيعية على القرآن الكريم .وقد وقفت على هذه النقطة وقفة بحثٍ وموازنة مفصلة في دراسة سابقة. ومهما يكن فعدد مثل هذه الحالة في قائمة بار -آشر تسع مرات.

- وحالة أخرى تكرّرت ضمن حقل الزيادات أو الإضافات، هي إدخال اسم الإمام علي إلى آيات قرآنية بذاتها بحسب القراءة الشيعية أو الحرف الشيعي. والصيغة البنيوية اللغوية في عملية إدخال الأسم جاءتْ برمتها بعد تعبيرات واحدة هي (نزّلنا في) أو(أنزل الله في) أو(أنزلت في). وعدد هذه الحالات تسع. وهناك إضافات بصيغة مباشرة أي (في علي) من دون وجود الفعل أنزل أو أنزلنا. وردت الأولى في سورة النساء آية رقم 66 إذْ قال الله تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ﴾ والإضافة تقع بعد (يوعظون به في علي)؛ وكذلك في ما ورد في سورة النساء أيضاً وفي آية رقم 64وفيها يقول عزّ من قائل ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ﴾ وهاهنا الإضافة هي (جاءوك يا علي). وما ورد في سورة (ق) آية رقم 24 وفيها يقول العزيز الحكيم ﴿أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾ فالإضافة هنا على صيغة (يا محمد يا علي ألقيا في جهنم .. الخ الآية). وما ورد في سورة الجمعة الآية رقم 11 إذ يقول تعالى (وإذا رأوا تجارةً أو لهواً انفضّوا إليها وتركوك قائماً... الخ الآية) والإضافة هي (انفضّوا إليها وتركوك مع علي قائماً... الخ الآية).

- أمّا الحالة الثالثة فتمثّلت بإضافة كلمتين هما (ولاية علي) إلى الآية القرآنية، والصيغة التي تكرّرت فيه هذه الإضافة هي (في ولاية علي) مثلما ورد في سورة النساء آية رقم 170 إذ قال الله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَـَٔامِنُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ فالإضافة هنا تأتي بعد (بالحقّ من ربّكم في ولاية علي) وكذلك بعد تكفروا في نفس ال آية بصيغة (تكفروا بولايته ...الخ الآية)؛ وكذلك ما ورد في سورة

الزّخرف آية رقم 13 إذ جاء فيها (كبر على المشركين ما تدعوهم إليه اللّه يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب) والإضافة تقع بعد كلمة المشركين بصيغة (كبر على المشركين بولاية علي) وأيضاً في نفس ال آية بعد ما تدعوه بصيغة ﴿مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ اللَّهُ يَجْتَبِي﴾؛ وكذلك مثل ما ورد في سورة الجمعة آية 11 إذ قال تعالى ﴿وَتَرَكُوكَ قَائِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ ۚ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ فالإضافة تقع بعد كلمة قل بصيغة (قل يا محمد ما عند الله من ولاية علي والأوصياء خير من اللهو... الخ الآية). وما ورد في سورة المعارج آية رقم 1-2 إذ قال تعالى ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ﴾[1] والإضافة هاهنا هي (للكافرين بولاية علي..الخ الآية)، وما ورد في سورة الجنّ آية رقم 23فيقول فيها الله تعالى (إلّا بلاغاً من الله ورسالاته ومن يعصّ الله ورسوله فإنّ له نار جهنّم خالدين فيها أبدا) والإضافة تأتي بعد ومن يعص الله ورسوله (في ولاية علي).

- في الوقت نفسه يمكن الإشارة إلى أن الجدول قد تضمّن حالات تؤشر إلى زيادات في عدد من الكلمات والأسماء مثلما هو وارد في سورة آل عمران آية 33 إذ يقول الله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ ووردت هذه ال آية في تفسير فرات وتفسير التبيان للطوسي وتفسير مجمع البيان للطبرسي بصيغة تأخير آل إبراهيم بعد آل عمران أي على الشكل الآتي ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ أو (آل محمد وآل عمران وآل إبراهيم على العالمين). وورد في ذات السورة آل عمران آية رقم 2 إذ قال عزّ من قائل ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ فقرئت في تفسير العياشي وتفسير البحراني وكتاب الشافي في تفسير القرآن لمؤلفه محسن الفيض ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ لرسول الله ثمّ الإمام من بعده). وورد في سورة الأعراف آية رقم 172قوله تعالى (و إذ أخذ ربّك من بني آدم من ظهورهم ذرّيّتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربّكم... الخ الآية) فقرئت في تفسير العياشي وتفسير البحراني وفي بحار المجلسي بإضافة كلمات بعد «ألست بربّكم» هي (وأنّ محمّدا

---

(1) م.ن.

رسول الله - وفي أحد التفاسير أدخلت كلمة نبيكم بعد رسول الله-وأنّ عليّا أمير المؤمنين). وفي سورة الإسراء آية رقم 60 قوله تعالى ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّءْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْءَانِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴾ فقرئت في عدد من التفاسير في ثلاث صيغ ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّءْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْءَانِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴾ وفي قراءة ثانية (إلّا فتنة للنّاس ليعمهوا ..الخ) وأمّا الثالثة فهي (إلّا فتنة لهم) من دون يعمهوا ولا النّاس.

- وهناك حالة أخرى لعلها تقترب إلى الجانب التفسيري التأويلي، كالتي ذكرت في كلمة (أمّة) الواردة في كثير من آيات الذكر الحكيم، فهي بحسب عدد من التفاسير الشيعية الإمامية يقصد بها (أئمة). وتكرّر ذكر هذا التعبير في آية الذكر الحكيم ففي سورة البقرة آية رقم 143يقول عزّ من قائل ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾، فالقراءة الشيعية هي (وكذلك جعلناكم أئمّة ...الخ الآية)، ووردت كذلك في سورة آل عمران آية رقم 110 إذ يقول الله تعالى ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ فتكون القراءة الشيعية (كنتم خير أئمّة ...الخ الآية)، ووردت كذلك في سورة النحل آية رقم 92 يقول الله تعالى فيها ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ ﴾، ففي القراءة الشيعية تكون (أن تكون أئمّة هي أزكى من أئمّتكم...الخ الآية).

- وهناك حالة هي في الواقع قراءة جديدة للكلمة مثلما جاء في سورة آل عمران آية رقم 28 إذ قال تعالى ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾، فهي بحسب القراءة الشيعية (أن تتّقوا منهم تقيّة ...الخ الآية). وكالذي ورد في سورة آل عمران آية رقم 123 فيقول عزّ من قائل ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾فكلمة أذلّة قد قرأت بصيغة (وأنتم ضعفاء) وفي قراءة أخرى (وأنتم قليل). وما ورد في سورة الأنعام آية رقم 159 إذ جاء فيها ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا ﴾ تكون قراءة (فرّقوا) بحسب التفسير الشيعي (فارقوا دينهم). وفي سورة المائدة آية رقم 6 إذ قال الله تعالى

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ﴾ والقراءة الشيعية تقرأ (وأرجلكم بكسر اللام لا بفتحها). وما ورد في سورة التوبة آية رقم 105 يقول فيها الله تعالى ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فقرئت كلمة (المؤمنون) في بعض التفاسير الشيعية بصيغة (والمأمونون). وما ورد في سورة التّوبة آية رقم 118 إذ قال تعالى ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَـٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ﴾ قرئت في عدد من التفاسير الشيعية بصيغتين وهما (وعلى الثلاثة الذين خالفوا ...الخ الآية) أو (وعلى الثلاثة المخلّفين ...الخ الآية). وكذلك ما ورد في سورة النّحل آية رقم 90 قال الله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآىِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾، فقرئت في بعض التفاسير بإضافة كلمة حقّه بعد ذي القربى أي (وإيتاء ذي القربى حقّه ...الخ الآية). وفي سورة الحجّ آية رقم 52 إذ قال الله تعالى ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ﴾ قرئت في التفاسير الشيعية بإضافة كلمة ولا محدّث (وما أرسلنا من قبلك من رّسول ولا نبيّ ولا محدّث ...الخ الآية). وفي سورة الفرقان آية رقم 74 إذ يقول الله تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّـٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ تكون في بعض التفاسير الشيعية على الشكل الآتي ﴿وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾. وما ورد في سورة الجاثية آية رقم 29 إذ قال تعالى ﴿هَـٰذَا كِتَـٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فقرئت في بعض التفاسير بصيغة (هذا بكتابنا ...الخ الآية). وفي سورة الفرقان آية رقم 28 إذ يقول الله تعالى ﴿يَـٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾ قرئت في تفسير البحراني بالشكل الآتي (يا ويلتى ليتني لم أتّخذ الثاني خليلا). وهناك حالات قد قرئت في بعض التفاسير الشيعية بإضافة عدّة كلمات نظير ما ورد في سورة النساء آية رقم 24 التي قال فيها الله تعالى ﴿فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ فقرئت في عدد من التفاسير الشيعية بالشكل الآتي (فما استمتعتم به منهنّ إلى أجل مسمّى فآتوهنّ ...الخ الآية). وجاء في سورة التّوبة آية رقم 40 قال الله تعالى ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ﴾ ففي بعض التفاسير قرئت ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾. وفي

سورة الشعراء قرئت آية رقم 214 التي يقول فيها الله تعالى﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ بإضافة جملة عليها بالشكل (وأنذر عشيرتك الأقربين ورهطك منهم المخلصين). وورد في سورة التّوبة آية رقم ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ ﴾ فقرئت (لقد تاب الله بالنّبيّ على المهاجرين والأنصار الذين أتّبعوه ...الخ الآية).

- في الوقت نفسه يمكن الإشارة إلى أن الجدول قد تضمّن حالات تؤشر إلى زيادة في عدد من الكلمات والأسماء مثلما هو وارد في سورة آل عمران آية 33 إذ يقول الله تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ ووردت هذه ال آية في تفسير فرات وتفسير التبيان للطوسي وتفسير الطبرسي بصيغة تأخير آل إبراهيم بعد آل عمران أي على الشكل الآتي (إنّ الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران وآل محمد على العالمين) أو (آل محمد وآل عمران وآل إبراهيم على العالمين). وورد في ذات السورة آل عمران آية رقم 2 إذ قال عزّ من قائل ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ فقرئت في تفسير العياشي وتفسير البحراني وكتاب الشافي في تفسير القرآن لمحسن الفيض (ياأيها الذين آمنوا اتّقوا الله حقّ تقاته ولا تموتنّ وأنتم مّسلمون لرسول الله ثمّ الإمام من بعده). وورد في سورة الأعراف آية رقم 172قوله تعالى ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ فقرئت في تفسير العياشي وتفسير البحراني وفي بحار المجلسي بإضافة كلمات بعد ألست برّبّكم هي (وأنّ محمّدا رسول الله - وفي أحد التفاسير أدخلت كلمة نبيكم بعد رسول الله–وأنّ عليّا أمير المؤمنين). وفي سورة الإسراء آية رقم 60 قوله تعالى ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ ۚ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ﴾ فقرئت في عدد من التفاسير الشيعية في ثلاث صيغ (وما جعلنا الرؤيا الّتي أريناك إلّا فتنة لهم ليعمهوا فيها والشجرة الملعونة في القرآن ...الخ الآية) وفي قراءة ثانية (إلّا فتنة للنّاس ليعمهوا ..الخ) وإمّا الثالثة فهي (إلّا فتنة لهم) من دون يعمهوا أوالنّاس. وما ورد من إضافة في سورة طه آية رقم 115 إذ قال الله في محكم كتابه ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴾ والإضافة كما جاءت في كتاب الكافي للكليني وفي تفسير

البحراني وكتاب الشافي لمحسن الفيض موضعها- قبل فنسي-(ولقد عهدنا إلى آدم من قبل في محمد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين والأئمّة ومن ذرّيّتي فنسي ...الخ الآية).

- وتضمّن الجدول حالة لعلها أقرب إلى أن تكون توضيحية كما ورد في سورة الزخرف آية رقم 38 إذ يقول تعالى ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيۡتَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَ بُعۡدَ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ فَبِئۡسَ ٱلۡقَرِينُ ﴾، فقرئت (جآءنا) بحسب رواية في كتاب الشافي في تفسير القرآن جآءنا(يعني فلاناوفلانا) أو قرئت على شكل (جآنا)؛ وبحسب تفسير القميّ قرئت ال آية (حتّى إذا جاءنا يقول لصاحبه حين يراه يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين).

- وورد في حالة أخرى هي في الواقع تعكس إختلافا في قراءة مختلفة ففي سورة النّبأ آية رقم 40 قال الله تعالى ﴿إِنَّآ أَنذَرۡنَٰكُمۡ عَذَابٗا قَرِيبٗا يَوۡمَ يَنظُرُ ٱلۡمَرۡءُ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلۡكَافِرُ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا ﴾، فحسب تفسير النعماني تكون قراءة ترابا (ترابيا). فالمستشرق يشير هنا إلى أن ترابيا المقصود به الإمام عليّا ويعتمد على تفسير النعماني في إظهار الغرض من هذه القراءة، وكذلك يعمّم رأيه بالأشارة إلى بحث البروفسور إيتان كوهلبرغ Kohlberg الموسوم (أبو تراب) المنشور في مجلةSOAS في سنة 1978[1].

خلاصة وموقف

لعل الدراسة القيّمة التي عرضناها توّا للبروفسور بار -آشر تحفّز الباحث والقارئ على حدّ سواء على:- إمّا أتّخاذ مواقف سلبية أم إيجابية من المسألة التي تمّت مناقشتها وإما إلى إثارة تساؤلات وأستفسارات ذات صلة بالموضوع. وفي كلّ الأحوال فأهم نقطة يمكن الشروع في تقويمها ودراستها تدخل في باب حيوي من الدراسات القرآنية ذلك المتعلق بعلم أسباب نزول القرآن الكريم وبعلم تفسير القرآن الظاهري منه والتأويلي. ففي كلام تعقيبي طرحه أبن أبي الحديد المعتزلي وهو يذكر معتقد الشيعة في إن هذه ال آية أو تلك إنّما نزلت في بيت النبوة أو في الإمام علي شخصياً أو في بعض الأئمة قد دفعت بالجانب الآخر،

(1) يراجع سورة التحريم آيات رقم

بمعنى أهل السنّة، إلى أن يطبّقوا المبدأ نفسه على عدد من صحابة رسول الله رضوان الله عليهم ممّن كانت له منزلة عالية عند رسول الله فقالوا بإن هذه ال آية مثلاً قد أنزلها الله تعالى في أبي بكر[1]، وواقعاً فإن المؤرخ الإسلامي الكبير والمفسّر المشهور للقرآن الكريم أبا جعفر الطبري قد توجه هذا التوجه أيضاً. ففي تفسيره لل آية رقم 54من سورة المائدة التي يقول الله تعالى فيها ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ قوله «أختلف أهل التأويل في أعيان القوم الذين أتى الله بهم المؤمنين وأبدل المؤمنين وكان من أرتدّ منهم. فقال بعضهم: أبو بكر الصديق وأصحابه الذين قاتلوا أهل الردّة حتى أدخلوهم من الباب الذي خرجوا منه. ذكر من قال ذلك: حدثنا هناد بن السري قال ثنا حفص بن غياث عن الفضل عن الحسن قال ال آية هذه والله أبو بكر وأصحابه. أو أنها نزلت في أبي بكر وآصحابه»(*) إذن فالطبري يؤكد عن طريق إسناده الحسن أو عن طريق أبن حديج بإن ال آية نزلت في أبي بكر، علماً بكون ال آية في سورة البقرة المدنية وإن حروب الردّة قد حدثت بعد وفاة رسول الله وبعد نزول آيات ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾ . بمعنى قبل أن تقع الردّة بسنوات. فضلاً عن ذلك فالطبري لم يكتف بقوله هذا إنّما أعقب مجموعة من الروايات التي تؤشر إلى أن ال آية الكريمة أنزلها الله تعالى في الخليفة أبي بكر وأصحابه، الذين لم يكَشف النقاب عن أسمائهم ولعل خالد بن الوليد كان من بينهم، في حروب وقعت بعد أنتقال رسول الله إلى جوار رفيقه الأعلى، وهو أيضاً قد قدّم أكثر من رواية بأسانيد مختلفة مفادها إن ال آية قد أنزلها تعالى في قوم من أهل اليمن ثم يردف هذه الرواية بأخرى فيقول «وقال بعض من قال ذلك منهم هم رهط أبي موسى الأشعري. وقول آخر عن عياض الأشعري قوله: أومأ رسول الله إلى أبي موسى بشيء كان معه، فقال هم قومنا هذا» (**) وهاهنا يناقض الطبري نفسه في روايتين متباعدتين

(1) ينظر العياشي، المحدّث الجليل أبا النضر محمد بن مسعود بن عيّاش السلمي السمرقندي؛تفسير العيّاشي التميمي الكوفي(صحّحه وحقّقه الحاج السيد هاشم الرسولي المحلاتي، جابخانه علميه، قم)جزء1ص143.

في حقيقتهما التاريخية غير أنهما يهدفان إلى غرض واحد ألا وهو إن الله جلّ وعلا قد أنزل تلك ال آية في هاتين المجموعتين من المسلمين. وغير ما ذكره أبن أبي الحديد هناك إشارات أخرى تؤشر فضلاً عن ذلك إلى ما نسب بإنّ هذه ال آية أو تلك قد أنزل الله تعالى في عمر بن الخطاب أو في عثمان بن عفّان؛ وإن هذه ال آية أو تلك قد نزلت في واحد من عائلة بني أمية أو هذه ال آية أو تلك قد نزلت في العباس بن عبد المطلب أو هذه ال آية أو تلك قد نزلت في المنافقين أو في غيرهم؛ وهي آيات كثيرة لمن يقرأ مؤلفات التفسير السنيّة والشيعية على حدّ سواء نظير ال آية رقم 1 في سورة المجادلة إذ المقصود بالتي أشتكت زوجها إنها نزلت في خولة بنت ثعلبة وزوجها أوس بن الصامت، وال آية رقم 1و2 من سورة عبس أنزلها الله تعالى في الصحابي أبن أم مكتوم؛ أمّا ال آية رقم 5 من السورة نفسها قوله تعالى (أمّا من أستغنى) فنزلت في كلّ من عتبة بن ربيعة وأبي جهل بن هشام والعباس بن المطلب وأبي وأمية إبني خلف وجميع هؤلاء كانوا من الكفّار المشركين القرشيين؛ وال آية رقم 118 من سورة التّوبة إذ قال الله تعالى ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَـٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟﴾ نزلت في كلّ من كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهو من بني عمرو بن عوف وهلال بن أمية من بني واقف وهم جميعاً قد تخلفّوا عن غزوة تبوك؛ وإن آية رقم 110 من سورة آل عمران قوله تعالى ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ حسب قول عكرمة ومقاتل نزلت في أبن مسعود وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولى أبي حذيفة؛ وإن ال آية رقم 77 من سورة آل عمران قد نزلت في الأشعث بن قيس كما يقول نفسه حين خاصم رجلا إلى رسول اللّه؛ وال آية رقم 135من سورة آل عمران إذ يقول عزّ من قائل﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَـٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ ﴾ قد أنزلها الله بحسب تفسير أبن عباس في نبهان التّمّار لإعتدائه على أمرأة حسناء؛ وإن ال آية رقم 7من سورة النساء التي يقول فيها الله تعالى﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ ﴾ بحسب بعض المفسرين من أهل السنّة قد نزلت في أوس بن ثابت الأنصاري إذ توفي وترك امرأة وثلاث بنات له منها؛وال آية رقم 10 من نفس السورة التي قال الله فيها ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ظُلْمًا ﴾ بحسب قول مقاتل بن حيّان قد نزلت في رجل من غطفان أسمه مرثد بن زيد؛ وإنّ ال آية رقم 22 من السورة

ذاتها قوله تعالى(ولا تنكحوا ما نكح أباؤكم من النّساء... الخ الآية) قد نزلت في حصن بن أبي قيس إذ تزوج من إمرأة أبيه وفي الأسود بن خلف وفي منظور بن زبّان وهؤلاء قد تزوجوا من زوجات آبائهم؛ وال آية رقم 43من سورة النّساء أيضاً التي يقول فيها الله تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَـٰرَىٰ ﴾ قد نزلت بحسب تفسير أبي عبد الرحمن قوله إنّ عبد الرحمن بن عوف قد صنع طعاماً لجمع من صحابة رسول الله وقدّم لهم الطعام والشراب فسكروا وصلّوا المغرب وهم سكارى؛ وإنّ ال آية رقم 58من سورة النّساء قال الله تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا ﴾وبحسب تفسير مجاهد نزلت في عثمان بن طلحة الحجبيّ، وكان سادن الكعبة وعنده مفتايحها فأغلق الباب في وجه المسلمين عند دخول رسول الله مكة يوم الفتح وصعد إلى سطح البيت هارباً؛ وال آية رقم 1و2من سورة المسّد أنزلها الله تعالى في الكافر أبي لهب وزوجته حمّالة الحطب؛ وإنّ الآيات الأولى من سورة التحريم قد أنزلها الله تعالى في بعض نساء النبي وبالذات في أثنتين منهنّ إذ يقول عزّ من قائل ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ۖ تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١﴾ قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَـٰنِكُمْ ۚ وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِىُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ ۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَـٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٣﴾ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِن تَظَـٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَـٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴾[1].وهكذا الحال عندما يقرأ المرء مؤلفات التفسير سيجد الكثير من الإستشهادات التي تدعم قول الإمام عليّ بإنه ما من آية من آيات الذكر الحكيم إلّا ونزلت في واحد من المسلمين. فحسب رواية سندها يرجع الى0.. جابر بن عبد الله الأنصاري عن عبد الله بن يحيى قال» سمعت عليّا وهو يقول ما من رجل من قريش إلّا وقد نزلت فيه آية أو آيتان من كتاب اللّه. .فقال له رجل من القوم فما نزل فيك يا أمير المؤمنين ؟ فقال أما تقرأ ال آية التي في الهود[2] ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَـٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ

(1) م.ن.
(2) أبن النديم، محمد بن أبي يعقوب أسحق؛كتاب الفهرست للنديم (تحقيق رضا-تجدّد ص277.

مَوْعِدُهُۥۚ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُۚ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ بينة وأنا الشاهد»[1]. كذلك فقد نزلت آيات في المنافقين أوالمشركين أو اليهود أو في هذه المرأة أو تلك من أمهات المؤمنين أو من المسلمات أو من نساء الكفّار والمشركين. نظير قول الله عزّ وجلّ في سورة النور آية رقم 11-13 ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُمۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴾ فهذه الآيات الكريمة قد أنزلها الله تعالى في حادثة الإفك وفي أهل الإفك كما أوردها المفسرون .ومهما يكن الأمر فالسؤال المهم هل يا ترى بالأمكان عدّ هذه جميعا زيادات أو إضافات إلى القرآن الكريم الذي سمّاه المستشرقون بالقرآن العثماني نسبة إلى الخليفة عثمان لأنه الخليفة الذي نفّذ عملية جمعه عند تشكيله لجنة خاصة لهذا المشروع الضخم الذي تحقّق في مدة خلافته جمع القرآن الكريم؟ وهل بالأمكان أيضاً أن يطلق عليها بقرآن الصحابة أو قرآن أبي بكر أو قرآن غيره من الصحابة؟ طبعا كلّا. إنّما تعرّف بكونها الآيات التي رأها المفسرون بأنها نزلت في هذا الصحابي أوذاك. ولنأخذ مثالا واضحا آخر فيذكر أبن النديم في فهرسته الرائع أثناء ترجمته للأشعري، أبو جعفر محمد بن محمد وهو من علماء الشيعة والروايات والفقه، وألّف عدّة مؤلفات منها كتاب (ما نزل من القرآن في الحسين بن علي)، بمعنى الآيات التي فسّرها أو رأها الأشعري نفسه أو الشيعة عامة في أن هذه الآيات الكريمة من القرآن الكريم الذي بين أيدينا إنّما أنزلها الله تعالى في الإمام الحسين بن عليّ[2]. وفي مؤلفات التفسير الشيعية هناك الكثير من الآيات التي أنزلها الله تعالى بحسب تفسير المفسرين الشيعة الإمامية كونها نزلت في الأئمة أو في الإمام عليّ أو في فاطمة الزهراء أوفي الحسن أو في الحسين. إذ ورد في تفسير فرات الكوفي

---

(1) ينظر، فرات الكوفي، أبا القاسم فرات بن إبراهيم بن فرات الكوفي:تفسير فرات (تحقيق محمد الكاظم (طبعة ثانية 1416هجرية/ 1995م، تهران وزارت فرهنك وارشاد اسلامي1416قمري) ص46 – 47؛ النعماني، أبا عبد اللّهمحمد بن إبراهيم بن جعفر الكاتب النعماني، تفسير النعماني، في شرح التفسير(تحقيق الحاج الشيخ حسن الفريد الكلبايكاني 1399هجرية) ص5.

(2) ينظر تفسير فرات الكوفي ص47، 48.

رواية عن الحكم عن أبن عباس قُال:- أخذ النبي يد عليّ فقال:- إنّ القرآن أربعة أرباع ربع فينا أهل البيت خاصة وربع في أعدائنا وربع حلال وحرام وربع فرائض وأحكام وإنّ اللّه أنزل في عليّ كرائم القرآن)[1]؛ ووردت رواية في تفسير فرات وعلي بن إبراهيم القمي عن الأصبغ بن نباته قول أمير المؤمنين عليّ إذ قال (القرآن أربعة أرباع ربع فينا وربع في عدونا وربع سنن وأمثال وربع فرائض وأحكام ولنا كرائم القرآن)[2].

ومن أجل لملّمة المسألة تحت البحث فعلماء التفسير عند مختلف الفرق الإسلامية قد طبّقوا مفهومية متشابهة إلى درجة كبيرة في فلسفتها وذلك في إحالة المقصود من هذه ال آية الكريمة أو تلك لتؤشر إلى صحابيّ أو صحابية أو كافر أو يهودي أو منافق وما إلى ذلك من أفراد المجتمع الإسلامي خلال عصر الرسالة الرشيدة بإن هذه ال آية أو تلك قد أنزلها الله تعالى فيه أو فيها وهو ما يتوافق تماما وقول الإمام عليّ الذي دوّناه توّا والى الرواية التي نقلها سليم بن قيس الهلالي إذ سمع الإمام يقول «ما نزلت آية على رسول الله إلّا أقرأنيها وأملاها عليّ، فأكتبها بخطي، وعلّمني تأويلها وتفسيرها وناسخها ومنسوخها ومحكمها ومتشابهها، ودعا الله ليّ أن يعلّمني فهمها وحفظها، فما نسيت آية من كتاب الله ولا علم أملائه عليّ فكتبته منذ دعا ليّ بما دعا» [3].

أقول بإن الموضوع في حقيقته متعارف عليه في مؤلفات التفسير الإسلامية بصورة عامة بما يتعلق الأمر بصيغة الفعل (نزلت هذه ال آية أو أنزل الله أو نزّل الله هذه ال آية في فلان أو فلان من المسلمين والمسلمات أوفي غير المسلمين والمسلمات). وعلى المستشرق أو من يجاريه في الأحكام من المتعصبين أن لا يبالغوا في تهويل الأمور إلى الحدّ الذي يجعل ذلك وكأنه آيات جديدة من غير آيات الكتاب العزيز أو آيات إضافية تضاف إلى القرآن الكريم أو أنها تمثّل قرآنا جديدا. فالعمل الأساسي لعلماء التفسير، هو تفسير الآيات الكريمة، إنّما يركّز على مصاديق الكثير من الآيات في كونها نزلت أو أنزّلها الله تعالى في المشار اليهم من المسلمين والمسلمات تبعا للأحداث التاريخية

(1) يراجع تفسير العيّاشي، ص14-15.
(2) ينظر الطبري؛ جامع البيان عن تأويل آي القرآن؛ مجلد3صفحة100 - 101.
(3) الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فنيّ الدراية والرواية من علم التفسير(الكويت1985)سورة البقرة آية 274هامش ص58.

أو الأجتماعية أو الشرعية وتبعا إلى درجة ملحوظة إلى ميول هؤلاء المفسرين المذهبية أو حتى الطائفية منها. ولنضرب أمثلة على صدقيّة ما تقدّم فرضيته فال آية الكريمة برقم 274من سورة البقرة إذ يقول سبحانه وتعالى فيها ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾؛ فإعتمادا على كتاب جامع البيان عن تأويل آي القرآن لأبي جعفر الطبري يقول ما نصّه» حدثنا يعقوب بن إبراهيم .... قال حدثني شيخ من غافق أن أبا الدرداء كان ينظر إلى الخيل مربوطة بين البراذين والهجّن فيقول: أهل هذه، يعني الخيل من الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا أو علانية، فلهم أجرهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون. وقال آخرون: عني بذلك قوما أنفقوا في سبيل الله غير إسراف ولا تقتير. ذكر من قال ذلك عن قتادة قوله﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم ﴾ هؤلاء هم أهل الجنة. ذكر لنا نبي اللّه كان يقول المكثرون هم الأسفلون. قالوا: يا نبي الله ألا من؟ قال: المكثرون هم الأسفلون(قالها بثلاث مرات ثم أردف قائلا) هؤلاء قوم أنفقوا في سبيل الله التي أفترض وأرتضى في غير سرف ولا إملاق ولا تبذير ولا فساد). ويستمر الطبري في تفسيره هذا بقوله» وقد قيل إن هذه الآيات من قوله﴿ إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ﴾ إلى قوله(ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) كان ممّن يعمل به قبل نزول ما في سورة براءة من تفضيل الزكوات فلمّا نزلت براءة قصروا عليها ويستطرد الطبري في تفسيره فيقول «ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد... عن أبن عباس قوله﴿ إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ﴾ الى﴿ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ فكان يعمل به قبل أن تنزل براءة فلما نزلت براءة بفرائض الصدقات وتفضيلها أنتهت الصدقات اليها»[1].

أنتهى تفسير الطبري من دون التعرض لا من قريب ولا من بعيد إلى كون هذه ال آية قد أنزلت بحق الإمام علي مثلا. كذلك الحال بخصوص ما ورد في كتاب أسباب النّزول للنيسابوري الواحدي-المتوفى سنة 468 هجرية وفي كتاب البيان في آداب حملة القرآن للنووي-المتوفى سنة 676 هجرية-فإنها نزلت بحسب قول «يزيد بن عبد الله بن غريب عن أبيه عن جدّه عن رسول الله في أصحاب الخيل، وقال لا تخبّل أحدا في بيته فرس عتيق من الخيل. وهذا قول أبي أمامة وأبي الدرداء ومكحول والأوزاعي

(1) يراجع أبن كثير، الحافظ(المتوفى سنة774هجرية)؛ تفسير القرآن العظيم(الطبعة الأولى، دار مكتبة الهلال بيروت-لبنان/ 1986م) مجلد 1ص469.

ورباح بن زيد قالوا:هم الذين يربطون الخيل في سبيل الله تعالى، ينفقون عليها سرا وعلانية.نزلت فيمن لم يرتبطها خيلاء ولا لضمار.عن حنش بن عبد الله الصنعاني، أنه قال: حدّث أبن عباس في هذه ال آية قال:إنها في علف الخيل.ويدلّ على صحة هذا ما أخبرنا عن أسماء بنت يزيد قالت:قال رسول الله : المنفق في سبيل الله على فرسه كالباسط كفيه بالصدقة. عن عجلان بن سهل الباهلي قال:سمعت أبا أمامة الباهلي يقول:من أرتبط فرسا في سبيل الله لم يرتبطه رياء ولا سمعة كان ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾[1]. والملاحظة الأساسية على هذا التفسير البسيط في فحواه والذي لا يحتاج إلى كلّ هذه الإحالات المصدرية، فضلا عن إن فحوى ال آية الكريمة لا ينسجم مع هذا التفسير البسيط وهوعلف الخيل في الوقت الذي تتمحور الآيات الكريمة السابقة لهذه ال آية وحتى اللاحقة منها على موضوع الصدقات والإنفاق على الفقراء ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾ سورة البقرة آية رقم 273 أي ال آية التي تسبق ال آية المشار إليها تماماً. أمّا إذا أخذنا كتاب تفسير القرآن العظيم للحافظ أبن كثير المتوفى سنة774هجرية وموقفه من تفسير هذه ال آية فسوف نواجه موقفا نقديّا من جهة وسرديا من الجهة الأخرى، فيقول ما نصّه» ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ ﴾ هذا مدح منه تعالى للمنفقين في سبيله وأبتغاء مرضاته في جميع الأوقات من ليل أو نهار والأحوال من سر وجهار حتى إن النفقة على الأهل تدخل في ذلك أيضاً كما ثبت في الصحيحين إن رسول الله قال لسعد بن أبي وقاص حين عاده مريضاً عام الفتح وفي رواية عام حجة الوداع وإنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلّا أزددت بها درجة ورفعة حتى ما تجعل في فيّ أقرانك، وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر قال سمعت عبد الله بن يزيد الأنصاري يحدّث عن أبن مسعود عن النبي (أن المسلم إذا أنفق على أهله نفقة يحتسبها كانت له صدقة) أخرجاه من حديث شعبة به.وقال أبن أبي حاتم عن سعيد بن يسار عن يزيد بن عبد الله بن عريب المليكي عن أبيه عن جدّه عن النبي قال نزلت في أصحاب الخيل.وقال حبشي الصنعاني عن أبن شهاب عن أبن عباس في هذه ال آية قال: هم الذين يعلفون الخيل في سبيل اللّه. ثم ينتقل أبن

---

(1) يراجع القرآن الكريم وبالهامش زبدة التفسير من فتح القدير وهو مختصر من تفسير الإمام الشوكاني المسمى (فتح القدير الجامع بين فنيّ الدراية والرواية من علم التفسير. محمد سليمان عبد الله الأشقر (الطبعة الأولى، الكويت1406هجرية/ 1985م)سورة البقرة آية 274 ص58.

كثير مباشرة إلى تفسير آخر عن أبن أبي حاتم أيضاً عن أبي سعيد الأشج وأخيرا عن مجاهد عن أبن جبير عن أبيه قال: كان لعلي أربعة دراهم فأنفق درهما ليلا ودرهما نهارا ودرهما في السر ودرهما علانية فنزلت الآية، وكذا رواه أبن جرير عن طريق عبد الوهاب بن مجاهد وهو ضعيف لكن رواه أبن مردويه من وجه آخر عن أبن عباس إنها نزلت في علي»[1] وهكذا ينهي أبن كثير هذه الرواية بإيجاز شديد ويضعّف في سندها عبد الوهاب بن مجاهد قبالة ذلك الإسهاب في تفسيرها كونها أنزلت على سعد بن أبي وقاص أو نزولها بحق أصحاب الخيل. ونفس الحالة في موقف المفسّر أي مفسّر لاسيما ذلك المتأثر بميوله أو مذهب طائفته. فقد ورد في مختصر تفسير الشوكاني المسمّى فتح القدير الجامع بين الدراية والرواية من علم التفسير لمحمد سليمان عبد الله الأشقر طبعة الكويت لسنة 1406هجرية 1985م وهو (زبدة التفسير من فتح القدير)، فإنه يخصّص تفسيره فقط في تفسير الكلمتين ﴿بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ ويقول ما نصّه «لزيادة رغبتهم في الإنفاق، وشدة حرصهم عليه حتى أنهم لا يشركون ذلك ليلا ولا نهارا، ويفعلونه سرا وجهرا، عند أن تنزل بهم حاجة المحتاجين﴿فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ﴾»[2]. وهو تفسير غير منطقي تماماً لاسيما وإن عملية القطع واضحة فيه فمن هو أو فمن هم أولئك الذين يرغبون في الإنفاق بل من هم أولئك الذين يحرصون عليه. وما علاقة كلّ هذا بعلف الخيل؟ وهل المعني بهؤلاء هم أصحاب الخيل المشار اليهم في أعلاه؟.

أمّا إذا راجعنا تفسيرات علماء الشيعة الإمامية فسنجد الأمر مختلفا ولكنه ربما هو أكثر إنسجاما مع فحوى الآيات الكريمة السابقة واللاحقة؛ فال آية بحسب تفسير فرات الكوفي بإسناد عن أبي صالح (وهو السند الدائم الذكر ثم)عن أبن عباس وبحسب تفسير العياشي عن عبد الرحمن بن كثير عن الإمام أبي عبد الله ؛ وبحسب تفسير علي بن إبراهيم القمي عن أبي بصير عن الإمام أبي عبد الله قد نزلت في عليّ، إذ كان عنده أربعة دراهم فتصدّق بدرهم ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم سرا وبدرهم علانية[3].

---

(1) تفسير فرات الكوفي، ص71-72والرواية جاءت في أربع روايات بإسناد أبن عباس وإسناد مجاهد وإسناد عبد الرحمن السلمي.

(2) محمد مخلوف، الشيخ حسنين: تفسير كلمات القرآن الكريم (دمشق 1995)وهو مذيل بالكتابين أسباب النزول للإمام الواحدي النيسابوري والبيان في آداب القرآن للإمام النووي ص94-96.

(3) ينظر أبا جعفر الطبري، محمد بن جرير؛ جامع البيان عن تأيل آي القرآن (الطبعة الثانية، مصر، 1370هجرية/ 1954م) مجلد6ص286و287و288و289.

والواقع فإن مؤلف (تفسير كلمات القرآن الكريم –تفسير وبيان– للشيخ حسنين محمد مخلوف–الطبعة الأولى دمشق 1995) قد أدلى بعد أن ذكر التفسير الأول الذي يفيد بأنها نزلت في أصحاب الخيل إذ يقول ما نصّه» قول آخر:عن أبن عباس في قوله﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾ قال نزلت في علي أبن أبي طالب، كان عنده أربعة دراهم فأنفق بالليل واحدا وبالنهار واحدا وفي السر واحدا وفي العلانية واحدا. وعن عبد الوهاب بن مجاهد عن أبيه قال: كان لعلي أربعة دراهم فأنفق ....الخ رواية التفسير».ويشير أيضاً إلى رواية محمد بن السائب الكلبي قوله» نزلت هذه ال آية في علي بن أبي طالب ، لم يكن يملك غير أربعة دراهم، فتصدّق بدرهم ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم سرا وبدرهم علانية؛فقال له رسول الله ما حملك على هذا؟ قال:حملني أن أستوجب على الله الذي وعدني، فقال له رسول الله :ألا إنّ ذلك لك، فأنزل الله تعالى الآية»[1].

هناك إنموذج آخر حول مثل هذا التعارض وربما الأبتعاد عن التفسير الصحيح لأسباب نزول الآيات الكريمة أو حول مفهومية تفسيرها تبعا لميول هذا المفسّر المذهبية أو العقيدية أو ذاك وما جاء في تفسير آية رقم 55من سورة المائدة إذ قال الله تعالى ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴾؛ فإذا راجعنا تفسير جامع البيان لأبي جعفر الطبري نرى موقفا في تفسيرهذا؛ ونصّ تفسير وموقفه هذا هو الآتي فيقول «يعني تعالى ذكره ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ ﴾ ليس لكم أيها المؤمنون ناصر إلّا الله ورسوله والمؤمنون الذين صفتهم ما ذكر تعالى ذكره.فأمّا اليهود والنصارى الذين أمركم الله أن تبرءوا من ولايتهم، ونهاكم أن تتّخذوا منهم أولياء فليسوا لكم أولياء ولا نصراء، بل بعضهم أولياء بعض، ولا تتّخذوا منهم وليا ولا نصيرا». ويتابع تفسيره هذا بقوله»وقيل إن هذه ال آية نزلت في عبادة بن الصامت في تبرئه من ولاية يهود بني قينقاع وحلفهم، إلى رسول الله والمؤمنين» وبعد ذلك يقول ما نصّه ذكر من قال ذلك، حدثنا هناد بن السري قال ثنا يونس بن بكير قال ثنا أبن أسحاق قال ثني والدي أسحاق بن يسار عن عبادة بن الصامت قال: لمّا حاربت بنو قينقاع رسول الله، وكان أحد بني عوف بن الخزرج فخلعهم إلى رسول الله وتبرأ إلى الله والى رسوله من حلفهم وقال:

---

(1) أبن كثير، تفسير القرآن الكريم؛ مجلد2ص69–71.

أتولى الله ورسوله والمؤمنين، وأبرأ من حلف الكفّار وولايتهم ففيه نزلت ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ﴾. يقول عبادة أتوّلى الله ورسوله والذين آمنوا وتبرئه من بني قينقاع وولايتهم إلى قوله ﴿فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾. ويقدّم الطبري روايتين أخريين عن هذا التفسير أيضا. ثمّ يعاود حديثه فيقول «وأمّا قوله ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ فإنّ أهل التأويل أختلفوا في المعين به فقال بعضهم عني به علي بن أبي طالب وقال بعضهم عني به جميع المؤمنين» وأردف هذا الموقف بتفسير آخر بقوله» **ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين....عن السدي قال: ثمّ أخبرهم بمن يتولاهم، فقال ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ﴾** هؤلاء جميع المؤمنين ولكن علي بن أبي طالب مرّ به سائل وهو راكع في المسجد فأعطاه خاتمه. حدثنا أبن وكيع قال ثنا المحاربيّ عن عبد الملك قال: سألت أبا جعفر عن قول اللّه ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ﴾ قلنا: من الذين آمنوا قلنا: بلغنا إنها نزلت في علي قال: علي من الذين آمنوا»[1]. فجميع المعلومات التي أحاط بها تفسير الطبري تعدّ محاولة ذكيّة للتحجيم ممّا يؤشر إلى كون ال آية الكريمة قد أنزلها الله تعالى بالإمام علي بخاصة..وأمّا الحديث عن موقف أبن كثير فأمره مهم إذ تطرّق تفسيره إلى جوانب شتى إذ يقول ما نصّه «وقال: يقول الله تعالى مخبرا قدرته العظيمة إنه من تولّى عن نصرة دينه وإقامة شريعته فإن الله يستبدل به من هو خيرا لها منه وأشّد منعة وأقوم سبيلا كما قال ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم﴾. وقال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي يرجع الحق إلى الباطل. وقال محمد بن كعب نزلت ال آية في الولاة من قريش» لكنه لا يبيّن هوية هؤلاء الولاة؟ إنهم الولاة في عهد الخلفاء الراشدين أم ولاة الأمر من الأمويين؟. ويستمر أبن كثير في عرضه المسهب هذا فيعاود الأشارة إلى ال آية ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ﴾ فيستنتج منها «أي ليس اليهود بأوليائكم بل ولايتكم راجعة إلى الله ورسوله والمؤمنين) وقوله ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ أي المؤمنون المتصفون بهذه الصفات من أقام الصلاة التي هي من أركان الإسلام وهي عبادة الله وحده لا شريك له وإيتاء الزكاة التي هي حق المخلوقين ومساعدة المحتاجين من الضعفاء والمساكين. وأمّا قوله(وهم راكعون)، **فقد توهم بعض الناس إن هذه الجملة فيموضع الحال من قوله(ويؤتون الزكاة) أي في حال ركوعهم ولو كان هذا كذلكلكان دفع الزكاة في حال**

---

(1) يراجع تفسير القدير للشوكاني هامش صفحة 148

الركـوع أفضـل من غيره لأنه ممدوح وليس الأمر كذلكعند أحد من العلماء ممّن نعلمه من أئمة الفتوى.وحين بلغ أبن كثير إلى غايته لم يكن بمقدوره إلّا أن يعرّج على التفسير الشـائع فيقـول «وحتى إن بعضهم ذكر فـي هذا أثرا عن علي بن أبـي طالب إن هذه ال آيـة نزلت فيه وذلك إنه مرّ به سـائل في حال ركوعه فأعطـاه خاتمه. فقال أبن أبي حاتم حدثنا الربيع بن سليمان الراوي...عن عتبة بن أبي حكيم قوله ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ﴾قال هم المؤمنون وعلي أبن أبي طالب. وحدثنا أبو سـعيد الأشـج عن سلمة قال: تصدّق علي بخاتمه وهو راكع فنزلت ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ﴾ وقال أبن جرير....سـمعت مجاهد يقول في قوله ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ﴾ نزلت في علي تصدّق وهو راكع. وقال عبد الرزاق عن أبن عباس قوله:نزلـت فـي علـي.» غير إن أبن كثيـر أراد أن يقلّل مـن أهمية هـذه الرواية بتضعيفه سلسلة إسنادها فعقّب عليها مباشرة بقوله«**عبد الوهاب بن مجاهد لا يحتّج به**». كذلك شكّك في سلسلة سند أبن مردويه عن طريق سفيان الثوري عن أبي سنان عن الضحاك عن أبن عباس التي تفيد بكون الإمام علي كان قائما يصلي فمرّ سائل وهو راكع فأعطاه خاتمـه فنزلت الآيـة. فإبن كثير يعلّق قائلا ((الضحاك لم يلق أبـن عباس))؛ أمّا الرواية التي أوردها أبن مردويه عن طريق محمد بن السائب الكلبي فيصف أبن كثير محمد بن السـائب الكلبي قائلا «هو متروك». لكنه يثني من جانب آخر على السـند الذي يتضمن أبا صالح عن أبن عباس بقوله» وهذ إسناد لا يقدح به». بينما يطعن ويضعّف من الرواية التي رواها أبن مردويه وعمّار بن ياسر وأبو رافع إذ يقول» وليس يصحّ شيء منها بالكلية لضعـف أسـانيدها وجهالة رجالها». وبعـد أن يدلي أبن كثير بعدد مـن الروايات حول مصـداق نـزول ال آية الكريمة فـي الإمام علي، يختتـم ذلك بقول نصّه «وقـد تقدّم في الأحاديـث التي أوردناها أن هذه الآيات كلها نزلت في عبادة بن الصامت حين تبرأ من حلف اليهود ورضي بولاية الله ورسوله والمؤمنين، ولهذا قال تعالى بعد هذا كلّه ﴿وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾....(الـى قوله تعالى) المفلحون).فكلّ من رضي بولاية الله ورسـوله والمؤمنيـن فهو مفلح في الدنيا والآخرة ومنصور فـي الدنيا والآخرة»[1]. إلى هاهنا أنتهى تفسـير أبن كثير المسـهب والمكرّر في بعض فقراته والخارج عن الفحوى المباشـر والصريح لل آية لا لشـيء سـوى محاولتـه تهميش أو بالأحـرى تضعيف أمر

(1) تفسير كلمات القرآن ص هامش صفحة 223-224.

نزول ال آية بحق الإمام علي. وكذلك الحال عندما نقرأ في كتاب (صفوة البيان لمعاني القرآن)وهو تفسير أعتمد فيه مؤلفه الشيخ حسين محمد مخلوف على عدد من علماء التفسير من أهل السنّة كابن صلاح والسفاقسي وأبن تيمية وأبن القيّم الجوزية وأبي عبد رضوان المخللاتي والشاطبي في ناظمة الزّهر وغيرهم نجده يهمل تفسيرها أو تفسير أي كلمة فيها بالمرّة، ولعله فعل ذلك لأن مصادره تلك هي الأخرى قد أهملت تفسيرهذه الآية. كذلك الحال عند قراءة (مختصر تفسير الشوكاني المسمّى فتح القدير الجامع بين فنّي الدراية والرواية من علم التفسير، أي زبدة التفسير من فتح القدير)، فقد أكتفى المفسّر بالتفسير اللغوي قائلا «إنّما وليكم اللّه» يعني الولي الذي تجب موالاته. «وهم راكعون» والمراد بالركوع الخشوع والخضوع لله أي يقيمون الصلاة وهم خاشعون خاضعون لا يتكبرون على أحد من المؤمنين، ويؤتون الزكاة فيضعونها في مواضيعها غير متكبرين على الفقراء ولا مترفعين عنهم»[1]. فالمتمعن في ال آية الكريمة سوف لن يراها بهذا الشكل البسيط من تفسير معاني الكلمات والتعبيرات فهي تشير بشكل جليّ وواضح إلى أن هناك شخصا أو مجموعة أشخاص (المؤمنون مثلا) يمثلون حالة الأيمان الخالص ﴿أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ كما تصفهم ال آية التي قبل آية (إنّما وليكم..) أي آية 54من السورة ذاتها. ونرى مثل ذلك أيضاً في (كتاب التفسير المعين) إذ وصف الشيخ محمد هويدي منهجه قائلا إنه ((طريقة جديدة في عالم التفسير تجمع القرآن الكريم وتفسيره وأحاديث السنة النبوية الشريفة في كتاب واحد)) ولكنه حينما يأتي إلى آية رقم 55من سورة المائدة تلك يتجاوزها في حقل معاني الكلمات والمصطلحات، والأهم من ذلك إنه يتجاوزها في حقل قد أطلق عليه نفسه عنوان (موضوع الآية) بمعنى جميع آي القرآن الكريم. ومع هذا فالشيخ حسنين مخلوف في كتابه الموسوم (تفسير كلمات القرآن الكريم) قد ذيّل على كتابه بكتاب للإمام الواحدي النيسابوري الموسوم(أسباب النزول) وأورد تفسيرا تاريخيا وعقيديا مهما ننقل نصّه في الآتي إذ يقول» قال جابر بن عبد الله: جاء عبد الله

---

(1) (إنّما وليكم...الخ الآية) في تفسير فرات ص123-124 عن الإمام أبي جعفر. وهذه الرواية جاءت بأربعة رواية وأسانيد مختلفة بعضها بإسناد أبن عباس عن الإمام أبي جعفر ثمّ عن الإمام جعفر الصادق، وإسناد عن أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية.

بن سلام إلى النبي فقال؛ يا رسول الله إنّ قوما من قريظة والنّضير قد هجرونا وفارقونا، وأقسموا ألّا يجالسونا لا نستطيع مجالسة أصحابك لبعد المنازل. وشكا ما يلقى من اليهود، فنزلت هذه الآية، فقرأها عليه رسول الله ، فقال رضينا باللّه ورسوله وبالمؤمنين أولياء، ونحو هذا. قال الكلبي (ويلاحظ بإن محمد بن السائب الكلبي هو المصدر الذي تكرّر ذكره عند أبن عباس عن طريق الراوية أبي صالح) أي الكلبي عن أبي صالح عن أبن عباس وزاد: بأن آخر ال آية نزل في علي بن أبي طالب، لأنه أعطى خاتمه سائلا وهو راكع في الصلاة.عن أبن عباس، قال:أقبل عبد الله بن سلام ومعه نفر من قومه قد آمنوا، فقالوا: يا رسول اللّه، إنّ منازلنا بعيدة، وليس لنا مجلس ولا متحدّث، وإنّ قومنا لمّا رأونا آمنّا باللّه ورسوله وصدّقناه وآلوا على أنفسهم ألّا يجالسونا ولا يناكحونا ولا يكلمونا، فشقّ ذلك علينا.فقال لهم النبي صلّى الله عليه وآله ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ .ثمّ إنّ النبي خرج إلى المسجد والنّاس بين قائم وراكع، فنظر سائلا فقال:هل أعطاك أحد شيئا؟قال:نعم، خاتم من ذهب، قال من أعطاكه؟ قال:ذلك القائم، وأومأ بيده إلى علي بن أبي طالب، فقال:على أي حال أعطاك؟قال:أعطاني وهو راكع. فكبّر النبي ثمّ قرأ ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾[1].وهكذا نلاحظ بإنّ وراء نزول هذه الآية الكريمة قصّة مؤلفة من محورين مهمين لم تتطرق اليهما التفسيرات السابقة ولا نعلم لماذا تجاهلت هذه التفاسير ذلك الأمر؟.

ومؤلفات التفسير الشيعية كتفسير فرات الكوفي وتفسير القميّ والطبرسي تبيّن بحسب أسانيد متنوعة، تؤدي في نهاية الحلقة السندية إلى الإمام المعصوم أبي جعفر، العامل الذي سبق ذكره بحسب قول محمد بن السائب الكلبي في نزول الآية وهي إنّما أنزلها الله تعالى في الإمام عليّ؛ ففي سند معنعن عن عبد الله بن عطاء عن الإمام أبي جعفر، وكذلك بأسانيد أخرى بعضها عن أبن عباس عن الإمام أبي جعفر، وعن الإمام جعفر مباشرة وعن أبي هاشم عن عبد الله بن محمد بن الحنفية، جميعهم يشير إلى أنها نزلت في عليّ بن أبي طالب. وهناك تفسير آخر سنده عن أبي حمزة عن الإمام أبي جعفر قوله»بينما رسول الله جالس في بيته وعنده نفر من اليهود نزلت آية ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ

(1) ينظر ابن النديم، الفهرست ص 34، 35،، 38، 68، 69 72، 82.

﴿وَرَسُولُهُ﴾فتركهم رسول الله في منزله وخرج إلى المسجد فإذا بسائل، قال له رسول الله أأصدّق عليك أحد بشيء قال:نعم هو ذاك المصلي فإذا هو عليّ»[1].

ثمّ هناك نقطة هامة مشتركة بين موقف الفرق الإسلامية من مسألة تفيد بإن القرآن الكريم إنّما نزل على سبعة أحرف أو تسعة أو عشرة أحرف، فما هو المقصود بذلك، أإنها قراءات أو أحرف مختلفة في تلاوة كتاب الله العزيز كالذي أوردته المعلومات عن السبب الرئيس الذي حدا بالخليفة الأول إلى التفكير بجديّة في جمع القرآن ألا وهو أختلاف العرب المسلمين في جبهة بلاد الشام العسكرية في قرائته بحسب لهجاتهم؟ أمّ إنه بسبب ما كان معروفا من تباين في معاني الكلمات والتعبيرات الجنوبية القحطانية والشمالية العدنانية؛ وهي حالة مألوفة وتتردد كثيرا في المؤلفات المعجمية اللغوية؟ أمّ هو بسبب الاختلافات في التهجئة أو الهجاء؛ كالتي هي معروفة أيضاً عند العرب؛ فما تتهجاه اللهجة التميمية مثلاً تختلف عن لهجة الأعراب في الحجاز أو في قبيلة هذيل مثلا؛ لهذا فقد فضّل النحاة سماع تلفظ قبائل بعينها دون غيرها إذ كانوا لا يأخذونها من قبيلة أو قبائل قد عرفت بفساد التهجئة وأن هناك كتبا ألّفها علماء اللغة عن الهاءات أو عن اللاءات[2] أوعن معاني القرآن ومشكله ومجازه أوعن غريب القرآن أوعن متشابه القرآن أوعن مقطوع القرآن وموصوله أوعن الوقف والإبتداء في القرآن أوعن المجاز في القرآن أوعن هجاء المصحف أوعن وقف التمام في القرآن مثلا؟[3]. ويقف الشيخ أبو جعفر الطوسي على هذه النقطة واصفا جميع التفسيرات بخصوص القول المنسوب إلى رسول الله فيقول» وروى أبو قلامة عن النبيإنه قال(نزل القرآن على سبعة أحرف:أمر وزجر وترغيب وترهيب وجدل وقصص وأمثال.وقال آخرون «نزل القرآن على سبعة أحرف» أي سبعة لغات مختلفة، ممّا لا يغير حكما في تحليل وتحريم مثل(هلم).ويقال من لغات مختلفة ومعانيها مؤتلفة.وكانوا مخيرين في أول الإسلام في أن يقرأوا بما شاؤوا منها.ثمّ أجمعوا على حدّها فصار ما أجمعوا عليه مانعا ممّا أعرضوا عنه.وقال آخرون «نزل على سبع لغات من اللغات الفصيحة لأن القبائل

---

(1) م.ن.38و39، 41، 71.

(2) تفسير التبيان، مجلد1ص7.

(3) م.ن.ص8 – 9.

بعضهـا أفصح من بعض». وهو الـذي أختاره الطبري[1]. وقال بعضهم: هي على سـبعة أوجـه مـن اللغات متفرقة في القرآن لأنـه لا يوجد حرف قرئ على سـبعة أوجه. وقال بعضهم وجه الإختلاف في القراءات السبعة:-

- أختلاف إعراب الكلمة أو حركة بنائها فلا يزيلها عن صورتها في الكتاب ولا يغير معناها نحو ﴿هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡ﴾ سورة هود آية رقم 78 بالرفع والنصب.

- الإختـلاف في إعراب الكلمـة وحركات بنائها ممّا يغيـر معناها ولا يزيلها عن صورتها في الكتابة مثل ﴿رَبَّنَا بَٰعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا﴾ سورة سبأ آية رقم 19، على الخبر ربّنا باعد على الدعاء.

- الإختـلاف في حروف الكلمـة دون إعرابها ممّا يغير معناها ولا يزيل صورتها نحو قوله ﴿كَيۡفَ نُنشِزُهَا﴾ سورة البقرة آية 259 بالزاء المعجمة وبالراء.

- الإختلاف في الكلمة ممّا يغير صورتها ولا يغير معناها نحو قوله ﴿إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ سورة يس آية برقم 29، 49، 53.

- الإختلاف بالتقديم والتأخير مثل قوله ﴿وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّ﴾ سورة (ق) آيـة 19. وجاءت سـكرة الحـقّ بالموت. الإختـلاف بالزيادة والنقصان مثـل قوله ﴿وَمَا عَمِلَتۡهُ أَيۡدِيهِمۡ﴾ سورة (يس) آية رقم.

وهـذا الخبـر عندنـا وإن كان خبرا واحدا لا يجـب العمل به فالوجـه الأخير أصلح الوجـوه مـا روى عنهـم فـي جواز القـراءة بمـا أختلف القـرّاء فيـه»[2]. ومن ثـمّ يأخذ الشـيخ الطوسـي كلّ نقطة من نقاط الإختلاف تلك على حدة فيناقشها. ويختتم دراسته التحليلية الرائعة بقوله «وأمّا ما روي عن النبي إنه قال(ما نزل من القرآن من آية إلّا ولها ظهر وبطن وقد رواه أيضاً أصحابنا عن الأئمة فإنه يحتمل ذلك وجوها...»[3].

والأكثر أهمية ماذكره أبن النديم في الفهرسـت بشـأن أخبـار عاصم بن بهدلة وكان

---

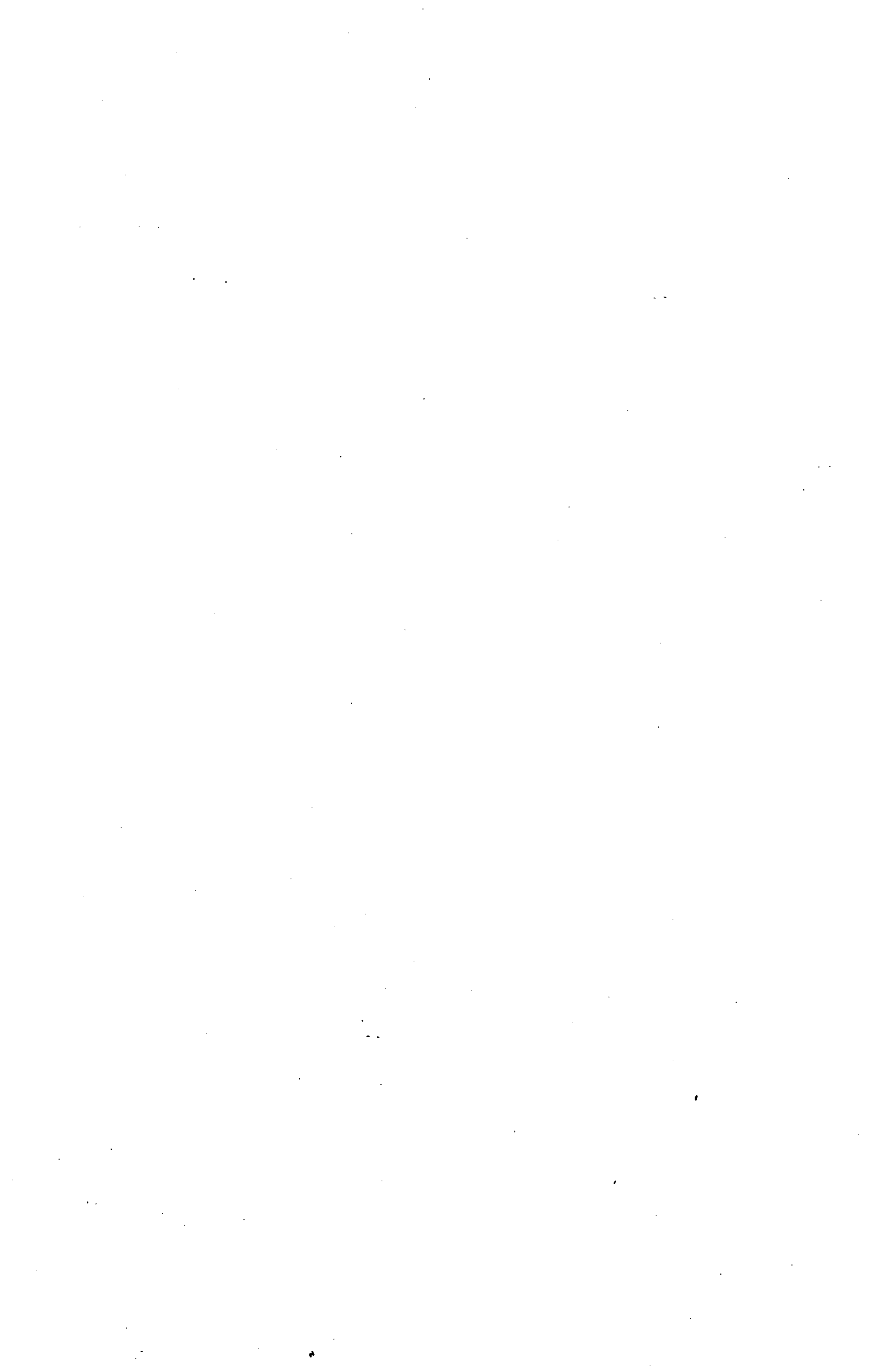
(1) م.ن. مجلد 1ص9-10.

(2) أبن النديم؛ الفهرست ص31، 32.

(3) تفسير النعماني ص5.

في الطبقة الثالثة من الكوفيين؛ وقد قرأ على أبي عبد الرحمن السلمي. وممّن روى عن عاصم حفص بن سليمان. يقول أبن النديم ما نصّه «وكانت القراءة التي أخذها -يعني حفص- عن عاصم مرتفعة إلى علي بن أبي طالب رواية أبي عبد الرحمن السلمي»[1].
فالقراءات السبعة أو غيرها تتضمّن إذن ما له علاقة بتلك الموضوعات التي سبق ذكرها. أقول في نهاية هذه الملاحظة بإن القراءات السبعة إذا ما أخذت بحسب ما تقدّم ذكره تعدّ تعارضا مع ما تنطق به الكثير من آيات الذكر الحكيم من وحدة موضوعية ولغوية ومقصدية وإنه نزل بلسان عربي مبين، وبإن إتهامات الكفّار وإدعاءاتهم بوجود شخص أجنبي كان يساعد رسول الله في الكتاب العزيز باطلة لأنه كما هو أنزل بلسان قريش العربي. وعلى أساس هذا الاعتبار يكون قول الشيعة الإمامية بإنه نزل في حرف واحد على نبي واحد، فجاء في تفسير النعماني ما نصّه» سأل أمير المؤمنين شيعته عن مثل هذا (أي عن مقاصد القرآن الكريم) فقال إن الله تبارك وتعالى أنزل القرآن على سبعة أقسام كلّ منها شاف كاف وهي أمر وزجر وترغيب وترهيب وجدل ومثل وقصص. وفي القرآن ناسخ ومنسوخ ومحكم ومتشابه وخاص وعام ومقدّم ومؤخر وعزائم ورخص وحلال وحرام وفرائض وأحكام ومنقطع ومعطوف ومنقطع غير معطوف وحرف مكان حرف».؛ وبحسب ما قاله الشيخ أبو جعفر الطوسي»بحرف واحد على نبي واحد»[2]. وفي الختام يستنتج العلاّمة الطوسي حول هذا الموضوع بقوله «والذي نقوله في ذلك. إنه لا يجوز أن يكون في كلام الله تعالى وكلام نبيه تناقض وتضادّ». كذلك قوله «ولا ينبغي لأحد أن ينظر في تفسير آية لا ينبئ ظاهرها عن المراد تفصيلا أو يقلد أحدا من المفسرين إلّا أن يكون التأويل مجمعا عليه فيجب إتّباعه فكان الإجماع لأن من حمدت طرائقه ومدحت مذاهبه كأبن عباس والحسن وقتادة ومجاهد وغيرهم، ومنهم من ذمّت مذاهبه كأبي صالح والسدي والكلبي وغيرهم».

(1) الطوسي، تفسير التبيان مجلد 1ص7-12.
(2) الطوسي، تفسير التبيان مجلد 1ص7.



الفصل السادس

المستشرقون وإشكالية قرآن الشيعة
عند مستشرقي القرن العشرين

ما ينبغي عرضه:

وقفنا في الفصل الرابع غلى البدايات الأولى لدراسات المستشرقين بصدد القرآن الكريم عامة والقرآن الذي يسبونه بأنه القرآن المتواجد عند الشيعة إلى جانب القرآن الذي يطلقون عليه بالمصحف العثماني نسبة إلى الخليفة عثمان بن عفّان؛ وهو القرآن الذي يمثل الجمع الثاني بعد أن جمعه أولا الخليفة الراشدي الأول وعمر بن الخطاب بواسطة الصحابي زيد بن ثابت، وهو الذي يطلق عليه الجمع الأول للمصحف الكريم. غير أن المستشرقين ظلّوا مستمرين على المضي في دراساتهم هذه من أجل أن يبرهنوا على صحة إدّاعهم ذلك الذي بدأوا بعضه منذ أواسط القرن التاسع عشر، وطبيعي فقد أثرت آراء المستشرقين القدامى ليس على مواقف وآراء المستشرقين المحثين إنّما على الكثير من السلفيين والمتعصبين ضد التشيع عموما ممّن تأثر بأولئك المستشرقين أو حاكى تفسيراتهم بأن للشيعة الإمامية قرآنا خاصا بهم يعرف عادة بقرآن الشيعة، ومن ثمّ بالغ الحاقدون إلى تسميته (قرآن الإمام علي أو قرآن فاطمة)[1]. وقفنا فيه على المحاور الأساسية الأربعة الهادفة تلك التي تأسست عليها دراسات هؤلاء المستشرقين بخصوص هذه المسألة وبخاصة ذلك الأهتمام المتزايد من قبل الغربيين،

---

(1) يراجع البحث الموسوم(المستشرقون وإشكالية قرآن الشيعة أو قرآن فاطمة:- القسم الأول-من منتصف القرن التاسع الميلادي إلى العقد الأول من القرن العشرين-)تحت الطبع في المجلد الخامس من مجلة المصباح التي تعنى بالدراسات والأبحاث القرآنية.

سـواءا كانوا من السياسـيين أو من المستشـرقين أو المبشـرين، في طبع ونشر وترجمة الكتـاب الـذي يعدّ المصدر الأسـاس لقصة قرآن الشـيعة وهو: - دبسـتاني مذاهب أو دبسـتان المذاهب؛ الذي ترجـم بترجمات متنوعة نظيـر:-The School of Manners أوThe School of Relegions أو The Debestan-e Mazaheb أو The School of Religious Doctrinesمنـذ حوالي القرن الثامن عشـر للميلاد؛أي بعد مرور نصف قرن تقريبا على الأنتهاء من تأليفه في مدينة بتنه الهندية من شـخص يدعى كيخسـرو بن أسـفنديار الكيواني؛ وكان فارسـيا مسـلما شـيعيا ثم أرتدّ عن الديانة الإسلامية وأعتنق المجوسـية البارسية أو الزردشـتية[1]. وبعد أرتداده وتحوله من الإسلام إلى المجوسية شـمّر عن سـاعده في تدوين كتاب شـامل عام عن ديانات الشـرق بدءا بديانته البارسية -الزرادشتية-وأنتهاءا بالديانات التوحيدية، اليهودية والمسيحية (النزارية كما يسميها) والمحمديـة (ويقصد بها الديانة الإسـلامية)، وأخيرا أدخل فصلان يخصّان الفلاسـفة والمتصوفة. وهما فصلان لـم يكتبهما أسفنديار نفسه إنّما أدخلهما في كتابه فقط، وهما في الأصل قد كتبهما شاعر متصوف طالما نسب كتاب الدبستان خطئا إليه وهو (الشيخ) محمد محسـن فاني الكشـميري (وقد ترجم المستشـرقون الذين ترجموا الكتاب إلى الإنجليزيـة ديفيد شـيّا وأنتوني تروير وبعدهما البروفسـور الأمريكي وليمز جاكسـون ترجمـا كلمـة فاني إلـى Perishable تعبيرا عن الفاني حسـب مصطلـح المتصوفة)[2]. ومحمد محسـن هـو الآخر فارسـي الأصل أنتقل من إيـران إلى الهنـد، وقام برحلات مكوكيـة بيـن مدن الهنـد المختلفة إلى أن ألتقى، هو نفسـه أو شـخص آخر مجهول قد نسب تأليف كتاب الدبستان أيضاً له وأسمه محمد صاعد أو ساعد أوسعيد، وكان أيضاً فارسـي الأصل أنتقل من إيران إلى الهنـد وكان في الأصل يهوديا حاخامي الديانة وقد أعتنق الإسـلام في الهند. وحسـب المعلومات التي أوردها وليمز جاكسون عن صاعد إنـه أو فاني، وكانا شـاعرين كما تمّ ذكره، قد التقى بشـاب هندوسـي في أحدى المدن الهندية ووقع في غرامه. وكان هذا الشـاب الهندوسـي على أطّلاع بالأسـفار اليهودية.

(1) م.ن. وينظر David Shea and Antony Troyer;Dabistan-e Madhab

(2) See A.R. Williams Jackson: Oriental Literature or The Dabistan، translated from the Orginal Persian by David Shea and Anthony Troyer، introduction by A.V.Williams Jackson(New York، 1937، Sonnites P.323.ShiahsP.326

والأكثر أهمية إن أحدهما التقى بمؤلف الدبستان الأصلي كيخسرو بن أسفنديار في مدينة لاهور. وهناك سلّم فاني أو محمد صاعد إلى كيخسرو بن إسفنديار الفصول الخاصة بالفلاسفة والمتصوفة[1].

فكان خلاصة هذه القصة التي تطرّقنا إليها في القسم الأول من البحث هو ذلك التداخل العجيب بين الأسماء ذوي الأصول الفارسية واليهودية والمجوسية والزردشتية التي دخلت مصادرا أساسية عند كيخسرو أسفنديار في تدوين كتابه دبستاني مذاهب؛ فضلا عن مصادر أخرى صرّح بكونه قد سمعها (سماعا) من بعض المشايخ وكانوا من أتباع مذهب الإمام أبي حنيفة، ومنهم، وأعتمادا على وصف مؤلف الكتاب نفسه، كان مبغضا للشيعة والتشيع وكان من المتعصبين كثيرا إلى مذهب الحنفي[2]. فهؤلاء هم الذين زوّدوه بالمعلومات الخاصة عن الشيعة الإمامية وعن عقائد الشيعة. فجميع هذه العناصر المتناقضة والمتداخلة والمبغضة في الآن نفسه قد أسهمت في إنتاج وفبركة قصة السورتين اللتين يخلو منهما القرآن الكريم الذي بين أيدي المسلمين، وهما سورة النورين وسورة الولاية. والأفدح خطورة من كلّ هذا وذاك النتيجة التي خرجت بها هذه القصة التي تفيد بإن هاتين السورتين وآيات أخرى كثيرة هي المكوّن الأساس لقرآن جديد بعنوان قرآن الشيعة.

والمدهش حقّا بإنه خلال بضعة سنوات من فبرّكة كيخسرو وصنعه لكتابه الطاعن ليس في المذهب الشيعي الإمامي فحسب بل بعموم الدين الإسلامي والعقيدة الإسلامية طارت الأخبار بتأليفه في الهند أو في غيرها البلدان بشأن هاتين السورتين الجديدتين وكونهما، بحسب زعم المستشرقين إن الشيعة الإمامية ترى أنهما حذفتا وأسقطتا من القرآن الكريم بفعل من الخليفة الثالث ، أو من قبل أعضاء اللجنة التي ألفها الخليفة للعمل على جمع القرآن في نسخة واحدة وإتلاف جميع النسخ الأخرى التي كانت بحوزة عدد من صحابة رسول الله . وكان يترأس لجنة جمع القرآن الكريم عبد الله بن الزبير.

---

(1) Ibid.P.2، 3، 4.

(2) Ibid.P.327، 329.

والسـورتان المعنيتـان كاملتـان قد أتقن كيخسـرو أو غيره في صنعهمـا وقد صيغتا بأسـلوب مقلّـد للأسـلوب القرآنـي الكريم، ولكنهمـا قطعـاً لا يتماهيان والأسـلوب البلاغـي والرحماني الـذي تميّز بهما القرآن ولن يبلغا مبلغه وسـموّه سـواءا كان ذلك في تماسـك نسيجهما الرباني الداخلي الذي سـاد في جميع آيات الذكر الحكيم أم في بلاغة القرآن وأهدافه السـماوية. وعلى الرغم من تباين آراء الغربيين (السياسـيين منهم والمستشـرقين والمبشـرين) بصدد مـدى موثوقيتهما -أي الآيتين-، فـإن هذا الأدّعاء سـرعان ما أخـذ يتردد ويتكرر في دراسـاتهم وتفسـيراتهم ومؤلفاتهم عـن الإمام علي خاصة أووالتشـيع الإمامي بشكل عام. وصارت عنوانات دراساتهم تنحو هذا المنحى الطاعن والحاقد؛ فالبعض منها قد أسـتخدم عنوانا(قرآن الشيعة)[1] وآخر عنوّنها(قرآن غير معروف للشـيعة)[2] وثالث تحت عنوان (تحريف الشـيعة للقـرآن)[3] ورابع عنوانه (إضافات الشـيعة من سـور وآيـات علـى القرآن)[4]....وغيـر ذلك مـن عناوين هادفة وحاقدة.

وهنـاك نقطـة أخرى توصّـل إليها البحـث في القسـم الأول وهي تلـك التي تتعلق بالأجماع تقريبا بين آراء المستشـرقين والمبشـرين وبحدود العقدين الأولين من القرن العشـرين وفي مواقفهم إزاء صدقية أو عدمها لهاتين السـورتين المكتشفتين في نسخة خطيّـة للقرآن تمّ العثور عليهـا في مدينة بانكيبور في الهند التـي تحتوي عليهما، وهما سـورة النورين وسـورة الولاية. إذ اسـتقر الرأي بصورة شـبه مؤكدة إنهما مزورتان ولا صحـة لهما بناءً على جملة حقائق من بينها ضعف أسـلوبهما ووقوع صانعهما بأغلاط لغوية ونحوية عديدة وكون أسـلوبهما الأدبي ركيك جدا لا يمكن موازنته بالأسـلوب البلاغي العالي المستوى للقرآن الكريم. وقد نقلت هاتين السورتين في البحث السابق لعـل القـارئ الكريم يراجع البحث فيقرأ السـورتين المزعومتين ويتأكد بنفسـه على ما

---

(1) See، Josef Eliash.»The Shi، ite Qur، an، a Reconsideration of Goldzciher، s Interpretation» in Arabica، vol.16(1969)Pp.15-24.

(2) See، De Tassy، »Chapitre inconnu du Coran» in Journal Asiatique. Volume XIII(1842)Pp.431-439.

(3) Dr. Rainer Brunner، » La question de la falsification du coran dans L، exegese Chiite»in****

(4) See the Rev.Clair Tisdall، »Shi، ah Additionsto the Koran»in The Moslem World، no.3، July1913. Pp.227-241.Meir M.Bar-Asher، »Variant readings and Additions of the Imami-Si، a»Paul Luft and Colin Turner(eds.) Shiism، 4 volumes(Routledge، London، New York 2008).Pp.86-115.

شخّصه المستشرقون من عيوب وأغلاط في مبانيهما اللغوية والأدبية. فأنامل ذلك المرتّد الذي سطّر كلمات السورتين إنّما هي أنامل عملية منظمة تهدف إلى النيل من مذهب التشيع، المذهب الذي كان يدين به قبل أرتداده. فضلا عن ذلك أنه لم يعتمد على مصادرمادية موثوقة ماخلا تلك المعلومات التي سمعها من بعض شيوخ المذهب الحنبلي؛ وهي معلومات شفوية لا تقوى على الصمود أمام المنهج البحثي العلمي. وواقعاً فمؤلف الدبستاني قد نال من التشيع كثيراً في الفصل الذي خصّصه للديانة المحمدية (ويقصد بها الإسلام).

مواقف المستشرقين في القرن العشرين

وبينما ينتهي الجدل بشأن هذه المسألة أو بالأحرى يصل إلى نهاية مسدودة بخصوص فساد الرأي وبطلانه بشأن السورتين بخاصة، وبشأن قرآن الشيعة عامة من قبل الغربيين أنفسهم، نرى الجهلة من أتباع الوهابية حتى هذه اللحظة من شهر رمضان الخير والمحبة في قرننا الواحد والعشرين يزّمرون ويطبّلون لها ويصرون على وجودهما دون علم، ومتخذيهما (حقائق؟؟) للتهجم على مذهب أهل بيت النبي محمد، وعلى الشيعة والشيعة الإمامية بشكل أخص.

الذي يثير الأهتمام في بحثنا السابق هو التنبيه لمسألة تثير الدهشة والتعجب وهي إن التدوين والكتابة عن السورتين لا بل الشروع في الكتابة عنهما وإثارتهماعلى مستوى واسع في طبع الكتاب (دبستاني مذاهب) وترجمته إلى لغات أوربية وشرقية عديدة، وعملية التهويل في أهمية ما أحتواه من معلومات عن الديانات الشرقية-على الرغم من أن دراسة البروفسور وليمز جاكسون قد كشفت النقاب عن ضعف معلوماته بشأن الديانات التوحيدية وعن الفلاسفة والمتصوفة-قد مرّ عبر النسق الكرنولوجي الآتي:-

- كيخسرو بن أسفنديار المرتّد عن الإسلام إلى المجوسية.
- وعبر عدد من المبشرين؛ والواقع من زعماء الحركة التبشيرية في مدن الهند كالبنجاب ومدراس ولاهور وغيرها.
- وعبر مجلة عالم الإسلام Moslem World التبشيرية في مدراس برئاسة تحرير رئيس الحركة التبشيرية في عموم الشرق الأوسط المستشرق الأمريكي صموئيل زويمر.

- وعبر أتباع الفرقة البابية والبهائية، الفرقة الخارجة عن مذهب التشيع الإمامي؛ وهي تعدّ من الفرق الغالية التي ترى في الباب نبيا والآها.
- وعبر عدد من المستشرقين اليهود وبالأخص إغناص جولدتسيهر.

لهـذا كلّه وفـي ختام هذا التمهيد الإسـتردادي للقسـم الأول من البحـث، فإن هذا القسـم أي الثاني سـيتعرض إلى متغير أساسـي شـهدتة الدراسـات اللاحقة في القرن العشـرين؛ بمعنـى الدراسـات التي أعقبت دراسـات كانـون سـيل Canon Sell وكلير تسدالClair Tisdall، ويتمثل هذا المتغير بإسدال الستار على العنوان التقليدي السابق الذكر وهو(قرآن الشـيعة)، والتوجه إلى دراسـات تعدّ جديدة في نمطها وفي مواقفها، غيـر إنها قديمة في نسـيجها الداخلي وفي عرضها الذي يسـلط الضـوء على القراءات القرآنية السـبعة وعلى قرآءة الشيعة بما يعرف بأحرف القرآن وبحرف الشيعة على وجه الخصـوص. وحملت هذه الدراسـات عناوين لا علاقة لهـا بالعناوين التي غلبت على دراسـات المستشـرقين قبل القرن العشرين نظير:-بحث المستشـرق الإسرائيلي رهبر داودRahbar Daud الموسـوم (علاقـة الفقـه الشـيعي بالقـرآن Relation OF Shi، a Theology to the Quran)، ودراسـات المستشرق البريطاني آرثر جيفري A.Jeffery المتعددة، ومن بينها كتابه المطبوع في سنة 1937م الموسوم (مواد ومصادر لتاريخ النصّ القرآني Materials for the History of the Text of the Qura,n)؛ وبحثه القيّم الآخر (قراءات زيد بن علي للقرآن Quran Readinges of Zaid b.Ali). وبحث البروفسـور الإسـرائيلي مائير ميخائيل بار آشـر Meir M.Bar--Asher الموسوم (قراءات متباينة وأضافـات للشـيعة الإماميـة علـى القـرآن Variant readings and additions of the Imami-Sia to the Qur,an)[1]. وبحـث البروفسـور م.أيـوب M.Ayoub الموسـوم (القرآن الناطق والقرآن الصامت:- دراسـة للمبادئ والتطور في التفسـير الإمامي The Speaking Qura,n and the Silent Quran:- A Study of the principles and

(1) See Rahbar، Dawod:'Relation of Shi'I Theology to the Qura'n» in Moslem World(1961، 1961). Arthur Jeffery، A. Materials for the study of the Text of the Qura'n.Meir Bar-Asher.»Varaiant readings، op.cit.

(Development of Imami Tafsir)[1]، وبحثه الآخر عن(موقف الشيعة الإمامية من القرآن)[2]. وبحث البروفسور الألماني رينر برونزRainer Brunner وهو بحث مستل من أطروحته حول (مسألة تحريف الشيعة للقرآنLa question de la falsification (du Coran dans l›exegese Chiite).والواقع فإن البروفسور برونر قد ألف كتابا باللغة الألمانية حول هذا الموضوع بعنوان(الشيعة وتحريف القرآن Die Shia und die Koran falschung). وقد طبعه في سنة 2001م. ثمّ لابدّ من الأشارة إلى البحث الوحيد الذي ظلّ يحمل العنوان السابق (أي قرآن الشيعة) وألفه البروفسور الكندي تود لاوسون B.Todd Lawson الموسوم (ملاحظة بشأن «قرآن الشيعة»Note for the A «Shai، i Qur›an» Study of a)[3].

وقبالة هذا يلاحظ المرء الأهتمام المتميز للمستشرقين المعنيين بالدراسات القرآنية-وهي دراسات متنوعة في حقولها--في الدراسات المتعلقة بتفاسير القرآن الكريم .وبالنسبة إلى مجال بحثنا في مؤلفات التفسير الشيعية، وهي مؤلفات لم يعتمدها أو يتطرّق إليها الباحثون والعلماء من أهل السنة القدامى منهم والمحدثون وبالأخص ممّن هم من المعنيين بهذا العلم. بينما خصّص عدد من المستشرقين دراسات قيّمة في هذا الجانب. فهناك من المستشرقين من حقّق وبحث في (تفسير الإمام الحسن العسكري للقرآن الكريم The Qur›an Commentary ascribed to Imam Hasan al-Askari). والبحث من تأليف البروفسور مائير ميخائيل بار- آشر[4]؛ ولهذا المستشرق كتاب بعنوان (الكتب المقدسة والتفاسير عند الشيعة الإمامية في المرحلة التاريخية المبكرةScriptures and Exegesis in Early Imami Shiism)[5]. ومما ينبغي ذكره إن البرفسور بار-آشر من بين تلامذة البروفسور إيتان

(1) M.Ayoub، »The Speaking Qur، an and the Silent Qur، an:-A Study of the Principales and Development of Imami Tafsir»in A.Rippin (ed.)Approaches to the History of the Interpretation of the Qura، n. Oxford University Press، 1988.Pp.177-198.

(2) Ibid.،

(3) B.Todd Lawson، »A Note for the Study of a «Shai، I Qur، an» in Journal of Semitic Studies، 36(991) II، p.279-295.

(4) See Meir M.Bar-Asher، »The Qur، an Commentary ascribed to Imam Hasan al-Askari»in Shiism(edited by Luft and Turner).Volume II، Pp.300-321.

(5) Ibid.:Scripture and Exegesis in Early Imami Shiism(Islamic Philosophy، Theology and Sience(Texts

كوهلبرغE.Kohlberg وقد تأثر بكتاباته وعلمه، والبروفسور كوهلبرغ هو الآخر قد أسهم في هذا المجال من الدراسات فألّف بحثا بعنوان(الكتب المقدسة الموثوقة في التشيع الإمامي المبكرAuthoritative Scriptures in Early Shiism)[1]. وهذا التوجه أوالتأثير يظهر لنا تواصل الخط البحثي في دراسات بار-آشر وهو متأثر بشيخه. وكذلك وقف البرفسور يوري روبين الإسرائيليUri Rubin على موضوع أهمية التفاسير الشيعية للقرآن الكريم في دراسته الموسومة(الأنبياء وأسلافهم في الحديث أو في الرواية الشيعية المبكرة Prophets and Progenitors in the Early Shia Tradition)، المنشورة في سنة 1979م[2]. وبحث البروفسور روبرت غليفRobert Gleave وهو أستاذ محاضر في الدراسات الإسلامية، وعنوان بحثه (المؤلفات التفسيرية الشيعية وتفسير القرآن:-سورة النساء وحصرا آية رقم 24Shiite Exegesis and the Interpretation of Qur'an 4:24)[3]. وهي دراسة ركّزت بشكل خاص على الزيادة التي يرى المفسرون الشيعة وأعتمادا على حديث للإمامين الباقر والصادق أنها أسقطت من المصحف العثماني وهي(فما أستمتعتم به منهنّ فآتوهنّ أجورهنّ فريضة)، والقراءة الشيعية تزيد جملة﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾. (سورة النساء، آية 24. وحول هذه المسألة فقد أختلف المستشرقون برتون وروبرت غليف وونسبرو J.Wansbrough مع وجهة نظر المستشرق المتخصّص في ميدان الفقه الإسلامي جوزيف شاخت الألماني في كتابه (أصول الفقه أو الشريعة المحمديةThe Origins of Muhammadan Jurisprudence) المطبوع في أوكسفورد سنة1950.وكتابه الآخر (مصادر الشرعية الإسلاميةSources of Islamic Law). الذي يرى فيه إن هذه الزيادة

---

and Studies)1999.

(1) See Etan Kohlberg «Some Notes on the Imamite Attitude to the Qur، an»in S.M.Stern، A.Hourani، V.Brown(eds.)Islamic Philosphy and the Classical Tradition، Essays Presented to R.Walzar، Oxford 1972، Pp.209-224، idem.»Authoritative Scriptures in early Shiism»in Les Retours aux ecritures:fundamentalism presents et passes، E.Patlagen and A.Le Boulluec، eds.Louvain and Paris، 1991.Pp.295-312.

(2) See Uri Rubin»Prophets and Progenitors in the Early Shi، a Tradition»in Shiism:critical concepts in Islamic Studies Volume III، Ppp.50-77.

(3) Robert Gleave، »Shi، ite Exegesis and the Interpretation of Qur، an4:24»in (Shiism op.cit. Volume، III.Pp.303-330.

«كاملة ولا لبس فيها fuller and unequivocal»[1]. بينما يرى كلّ من البروفسور برتون ووسبورو وهما يعتمدان على نسخة أو دليل آخر، بأن هذه القراءة ليست تاريخية إنّما هي تفسيرية[2]. وهو موضوع سأقف عليه مفصلا في بحث تحت التنفيذ إن شاء الله تعالى. والواقع فقد أسهم البروفسور البريطاني المتخصّص في حقل تفسير القرآن برتونJ.Burton في عدد من الدراسات الجادّة، من بين أهمها كتابه الموسوم (جمع القرآنThe Collection of the Qur›an) المطبوع في كمبردج سنة 1977، إذ خصّ فيه مسألة مؤلفات التفسير الشيعية الأولية بما لها علاقة بسورة النساء وبالآيات المتعلقة بالنكاح ونكاح المتعة وبالتفسير التأويلي في حوالي عشرين صفحة(من29-45) من بحثه هذا، وله نظرية تتعلق بالموقف من آية المتعة تخالف، كما ألمحنا توا، وجهة نظر البروفسور الألماني شاخت[3]. وكتب البروفسور برتون بحثا آخر بعنوان(معنى إحسان The Meaning of I›hsan) المنشور في سنة1974م[4]. وله بحث آخر شارك فيه في المؤتمر العاشر الذي يعقده الإتحاد الأوربي عن الإسلام والعرب وعنوانه (المتعة والتمتع والأستمتاع أرتباك وإضطراب في مؤلفات التفاسير الشيعية والسنيّة،Mut‹a، Tamattu‹ and Istimta‹ a confusion of tafsirs))[5].وله بحث ثالث في هذا المجال وعنوانه(طرق فهم الأخباريين الشيعة للتفسيرAkhbari Shi‹ I Approaches to tafsir)، ونشره في كتاب بعنوان (طرق فهم القرآن Approaches to the Qur›an الذي حقّقه البروفسور هاوتنغG.R.Hawting وعبد القادر شريف؛ وطبع في لندن سنة 1993م[6]. وهناك أيضاً بحث البروفسور غريبتزA.Gribetiz وعنوانه (غريب يضاجع في الفراش:- متعة النساء ومتعة الحج؛ دراسة مستندة على مصادر التفسير السنيّة والشيعية وعلى مؤلفات الحديث والفقه:-

(1) See J.Schacht. The Origins of Muhammadan Jurisprudence، Oxford 1950.P226-227.

(2) See J.Burton، The Collection of the Qur، an.(Cambridge، 1977)); J.Wansbrough.Quranic Studies (Oxford، 1977).

(3) J.Burton، »The Meaning of Ihsan»in Journal of Semitic Studies، (1974)Volume I، Pp. 47-75.

(4) Ibid.»Mut، a، Tamattu، and istimta، a confusion of tafsirs»in Union Europeene des Arabisants، .Tenth Congress Proceedings، ed. By Robert Hillenbrand، Edinburgh(1982)

(5) Ibid.

(6) Ibid.Mut، a، and Tamattu، and Istimta، .P.5-6

Mutat al-nisa and Mutat al-Hajj. Strange Bedfellows

.[1](A Study Based on Sunni and Shii Sources of Tafsir، Hadith and Fiqh

وقد نشـر هذا الكتاب في برلين سـنة1994م. وحقّق البروفسـور ربـنA.Rippin كتابا ضمّ مجموعة من البحوث المتخصّصة في مسائل مختلفة تتعلق بتفسير القرآن وعنوان دراسـته(طرق فهـم لتاريخ تفسـير أو تأويـل القـرآن Approaches to the History of the Interpretation of the Qur'an). وتـمّ طبعـه فـي مطبعة جامعة أوكسـفورد سـنة 1988م[2]. وتعدّ إسهامات البروفسور آرثر جيفري A.Jeffery من الدراسات المباشرة والقيّمـة وقـد أعتمدها المستشـرقون من المـدارس الأوربية والأمريكية والإسـرائيلية المختلفة. ولاسـيما تلـك المتعلقة بمصادر ومـواد القرآن. ففي عـام1937 ألّف كتابا[3] في هذا الشـأن يحمل عنوان (مواد ومصادر حول تاريـخ النصّ القرآنيMaterials for the History of the Text of the Qur'an). وتطـرّق فيـه إلـى ما جمعه من معلومات بخصـوص مصحـف أبي بن كعـب ومصحف عبد الله بن مسـعود. وقـام بمهمة صعبة ولكنهـا مهمـة جـدا وهـي متابعة بعـض مـا ورد فـي هذيـن المصحفين مـن توافقات وأختلافـات فـي القراءة والتفسـير على حدّ سـواء. كذلك نهد البروفسـور جيفري في كتابـة بحـث مهم يتعلـق بمصاحف صحابة رسـول الله الأوائل-رضـوان الله عليهم-، فجمـع عددا من القراءات المختلفة تلك المنسـوبة إلى زيـد بن علي [4] ومصحف عبد الله بـن عبـاس وعبد الله بن مسـعود. ووصل إلى أسـتنتاج مهم، فيقول إنـه من اللافت للنظر بأن هذه المصاحف الي نسبت إلى الصحابة لا تتضمن أيا من السورتين، النورين والولاية، لذلك فقد رأى أنهما سورتان مزيفتان وغير حقيقيتين مستندا إلى جملة أسس منها ضعف بنائهما الأسلوبي واللغوي، وإنهما سورتان فقيرتان ومخيبتان في تقليدهما للسور القرآنية البليغة، فضلا عن كونهما مملوئتان بالأخطاء النحوية واللغوية. ووصل

(1) See Gibeitz»Strange bedfellows:Muta، t al-nisa، and Mut، at al-Hajj-A Study Based on Sunni and Shi، I Sources of Tafsir، Hadith and Fiqh(Ph.D.Dissertation)، Jerusalem، 1991).

وقد تمّ طبع الرسالة في برلين سنة1994

(2) Andrew Rippin (ed.)، »Approaches to the History of the Interpretation of the Quran;(Oxford University Press 1988)، according to Prof.Meir Bar-Asher

(3) See A.Jeffery: Materials for the History of the Quran(Leiden، 1937)

(4) Ibid.»Quran Readings of Zaid b. Ali»in Rivista of degli Studie Orientali، 16(1936).Pp.249-289.

البروفسور جيفري إلى القول بإن البحث في الدراسات الغربية الحديثة قد أظهر بكون مؤلفهما لم يكن شيعيا بل من أتباع الديانة البارسية الزردشتية. كذلك لا بدّ من الأشارة إلـى دراسـة المستشـرق البريطانـي وونسـبوروJ. Wansbourgh الجديـرة التي تحمل عنوان (دراسـات قرآنيـةQur'anic Studies) المطبوع في سـنة 1977م. ويشـاطر هذا المستشـرق المستشـرق برتون في الموقف من التفاسـير الشيعية وبالنسـبة إلى مسائل الزيادات وفي مسـألة التأويل التفسـيري سـواءا في مسـألة آيات النـكاح ونكاح المتعة أم فـي مواضيـع أخـرى في القـرآن الكريم. وهـو يرى أن جميـع الصيغ في الشـرح أو فـي التأويـل أو في أسـتبدال المرادفات أو شـبه المرادفات تلك التـي تجلّت خلال ما يعـرف فـي المصاحف المختلفة، هي فـي الحقيقة من أنتاج عمليات التفسـير التأويلي المتأخرةhermeneutic processes التي نسـبت بعدئذ إلى مراجع أو مرجعيات مبكرة في الإسـلام. وقد أسـتعمل مصطلحا غير مألوف وهو(تفاسير الماسـوره Masoretic Exegesis و(الماسـوره القرآنيـةThe Qur'anic Masorah وهو مصطلح قد ورد أثناء مناقشـة المستشـرقين لموضوع الزيادة التـي ذكرناها في أعلاه في ال آية 24من سـورة النسـاء (فما أسـتمتعتم به منهنّ..الخ)، فهل هي (ما) أو(من)، فلعل المقصود بها ما له علاقة بهذين الضميرين. ويرى هذا المستشـرق ما ترجمته:- إن الماسـوره القرآنية في الواقع هي برمتها مسألة تفسيرية، حتى وإن نقلت أو أوصلت مضامينها بهيأة أو بمظهر قراءات نصيّة. فالتطور الكرونولوجي لأدب المصاحف يدعم بشكل قوي أن مصاحف الصحابة قد صنعت من المواد التفسـيرية لدعم ومحاججة مركزية للرواية التقليدية في الإقرار بشـرعية التحريـف العثماني[1].ومن المستشـرقين البريطانيـن الآخرين الذين توجهت أهتماماتهم إلى هذا الحقل في المؤلفات التفسيرية الشيعية البروفسور نورمان كالـدرN.Calder الـذي أنجز بحوثـا متعددة عن التشـيع .ففي المجـال تحت البحث فقـد كتـب بحثا ضمن كتاب (طرق فهـم القـرآن Approaches to the Qur'an بعنوان (التفسـير من الطبري إلى أبن كثير:- إشـكاليات في الوصف أو في الأسـلوب الروائي والمسرحي ممثلا أو موضحا بالأخص في قصة آبراهام(إبراهيم Tafsir from Tabari to Ibn Kathir:- problems in the description of a genre .Illustrated with

(1) See J.Wansbrough: Quranic Studies، (Oxford، 1977)Pp.205-207.

reference to the story of Abraham). وهـو بحـث مهـم للقـراءة والبحـث ويتعلق بشـكل خاص في تبيان التطور التاريخي في التفسـير الكلاسـيكي السنّي المبكر. فورد فيه على سـبيل المثال رأيه في ما ترجمته:- «إن الخصائص التي تميّز بين مفسّـر وآخر تكمـن فـي مدى تطورهما وفي مدى قدرتهما على العـرض التقني والفني وذلك الذي يؤشـر إلى أسـهامهم في الأسلوب أو النظام الأدبي وفي المحافظة عليه «ونفس الشيء يمكن ملاحظته في التفسير الشيعي»[1].

إذن فقد لحظنا في أعلاه المدى الذي توجه فيه المستشـرقون إلى مؤلفات التفسير، وكذلك يتبين المدى في تجاهلهم عن الوقوف على المسألة التي إنشغلت فيها دراسات المستشـرقين السـابقين ألا وهي قرآن الشـيعة المزعوم، إلى موضوع في غاية الأهمية وهو يرتبط أيضاً بالأطار العام للجدلية حول مواقف الشـيعة الإمامية من تفسير الآيات الكريمة التي يخالفون في تفسيرها المفسرين من أهل السنّة.

ومع ذلك فقد ظلّت أصداء تفسـيرات المستشـرق المبشّر كلير تسدال والمستشرق اليهودي جولدتسـيهر بشأن قرآن الشـيعة وآرائهم بشأن مؤلفات التفاسير الشيعية تتردد في مواقف وآراء المستشرقين الآخرين من الجيل اللاحق. فالمستشرق البريطاني آرثر جيفري، المشـار إليه آنفا، قد أسـهم في هذا المجال بشـكل يفوق ما قام به المبشر كلير تسـدال بشـأن القراءات أوالحروف الشيعية الإمامية بخصوص القرآن الكريم. إذ جمع فـي بحثـه المتعلق بقراءة زيد بن علي، جميع الآيات التي تخالف القراءة أو الحرف في مصحف الخليفة عثمان وترجم وصنّف هذه الآيات تصنيفا جيدا. وفوق ذلك فقد عثر على بعض الآيات المتفرقة الأخرى في مختلف المخطوطات المعروفة؛ ومع هذا فقد عثـر علـى آيات غير تلـك الموجودة في المؤلفات الشـيعية فـي مخطوطات قد حصل عليها بطريق الصدفة، كما يذكر، غير تلك التي كان يعرفها. والجدير ذكره إنه قام بجمع ما شغل أكثر من خمس وثلاثين صفحة من بحثه الآنف ذكره مرتبا إياها ترتيبا على وفق سور القرآن الكريم، وفي ختام الجدول الذي قدّمه لهذه الآيات سعى إلى أن يتخّذ قرارا عن ما إذا كانت هذه المجموعة من الآيات يمكن أعتبارها قراءة شـيعية خاصة بالشيعة

---

(1) See N.Calder، »Tafsir from Tabari to Ibn Kathir:problems in the description of a genre Illustrated with reference to the story of Abraham»in Approaches to the Qur›an.P106

فحسب. وقد توصل في هذا الأمر إلى أستنتاجين مهمين؛ أولهما قوله بإن نسخة زيد بن علي هي نسخة صحيحة أعتمادا على ما أكتشفه بكون هذه الآيات متطابقة مع النسخ الأخرى غير النسخة التي وحدّها الخليفة عثمان. وثانيهما رأيه الذي يفيد بإنه على الرغم من إن زيد بن علي هو شيعي لكن لا يمكن أعتبار قراءته على أنها قراءة فرقية، بمعنى تنتسب إلى فرقة إسلامية بعينها. كذلك فإن قراءته في الأغلب الأعم تتّفق مع تلك الحروف أوالقراءات التي جمعها علماء أهل السنّة نظير الحسن البصري. وفي بعض الأحايين على حساب مطابقتها مع النسخ للقراءات الشيعية. وخلاصة لهذ لعله من المناسب جمع آرائه وأستنتاجاته على الوفق الآتي:- فيبدو إنه من الصعوبة بمكان البرهنة على وجود برنامج بيّن وجليّ لفرقة الشيعة يصرّح بالأعلان عن وجود خطأ في القرآن الشرعي أو حتى في محاولة أستبداله بقرآن شيعي خاصّ بالشيعة الإمامية فحسب[1]. كذلك فقد ترددت أصداء تفسير جولدتسيهر عند المستشرقين الإسرائيلين حتى قرننا الواحد والعشرين هذا. فيرى البروفسور مائير بار- آشر في دراسته الموسومة (قراءات مختلفة وإضافات الشيعة الإمامية على القرآن) الذي سبقت الأشارة إليه آنفا المطبوع أولا في سنة 1993م، ثمّ أعيد نشره ضمن بحوث الكتاب الموسوم(التشيع) الذي حقّقه البروفسوران الأمريكيان لفت ترنر) Luft and Turner[2] فقد وصف تفسير جولدتسيهر بما يمكننا ترجمته في الآتي:- لقد صوّر أغناص جولدتسيهر في كتابه القيّم والأساس ground breaking بالدقة والتفصيل أهمية القراءات المتباينة للمصحف المعترف به أي القرآن الموجود في المؤلفات التفسيرية الإسلامية بخصوص القرآن عامة، وفي مؤلفات التفاسير الشيعية الإمامية بشكل خاص.وقدّم في هذا الكتاب مؤشرا إلى نماذج من الآيات القرآنية التي عرضها أو أظهرها الشيعة بكونها القراءات الفريدة والإستثنائية البديلة والمختلفة عن تلك الآيات. ومهما يكن فإنه وحسب علمي لم تجرّ، حتى الآن، أية محاولة دقيقة وشاملة لجمع ما تبعثر من هذه الإختلافات للقراءة الشيعية الإمامية في مجموعة واحدة ومستقلة[3]-هذا هو نصّ ما قاله-. ولهذا العامل

(1) See A.Jeffery، »The Qura›n Readinges of Zaid b.Ali»in Rivista degli Studie Orientali 16(1936). Pp.249-289.

(2) See Luft and Turner (eds.):Shiism:critical concepts in Islamic Studies.Volume، II، Pp.86-113.

(3) Ibid.، P.86.

المرتبط بمدى أصالة وجديّة نظريات وأفكار المستشرق اليهودي جولدتسيهر فإن البروفسور الإسرائيلي الآخر جوزيف الياش قد خصّص حيزا مهما عن هذه المسألة أي قرآن الشيعة في أوائل الستينيات من القرن العشرين في أطروحته للدكتوراه الموسومة (علي بن أبي طالب في العقيدة الإثني عشرية) في جامعة لندن عام1966؛وكذلك في بحثه الذي سلّط فيه الضوء على أطروحة جولدتسيهر بشأن قرآن الشيعة والموسوم (إعادة نظر أوإعادة تقويم لتفسير جولدتسيهر بشأن قرآن الشيعة)[1]، إذ وصف فيه عمل جولدتسيهر بما ترجمته:- كرّس جولدتسيهر جانبا حيويا من محاضراته القرآن تلك التي ألقاها على الطلبة في جامعة أبسالا المتعلقة بتفسير القرآن عند الشيعة في سنة1913م بشأن مسألة قرآن الشيعة.فضلا عن ذلك فقد وقف على هذه الموضوع في كتابه حول الفرق الإسلامية المطبوع سنة1930 في فصل تناول فيه الفرق في كتابه هذا باللغة الألمانيةVorlesungenالإسلامية.وواقعا فإن أستناجاته القيّمة أضحت مهمة- حسب قول جوزيف ألياش-فقد تبناها برمتها ومن unquestioninglyالإسلاميون Islamists دون تردد[2] فالبروفسور ألياش في دراسته الموسومة (قرآن الشيعة) هو في حقيقته إحياء وإعادة النظر فيه والأعتبار إلى ما قدّمه المستشرق جولدتسيهر، فيلخص فيه آراء جولدتسيهر على وفق أربعة محاور. ولكنه في المحصلة التي شخصّها يفند الرأي الذي يصرّح ويعلن عن جديّة نسخة القرآن، قرآن الشيعة، التي تمّ العثور عليها في مدينة بانكيبور الهندية. فالمستشرق ألياش يشدد على تهافت الإدعاء بأن هذه النسخة المخطوطة من القرآن في بانكيبور هي قرآن الشيعة الإمامية. والأكثر جدوى فقد ركّز على عدم موثوقية المصادر التي أعتمدها مؤلف كتاب (الدبستاني مذاهب) وعلى هشاشة البناء اللغوي والأسلوبي للسورتين اللتين زعم أنهما يمثلان قرآن الشيعة المختلف عن المصحف العثماني.وتطرق البروفسور ألياش إلى نقطة تتعلق بمؤلف كتاب الدبستان بقوله إن مؤلفه سواءا كان محمد محسن فاني الكشميري المتصوف أو كيخسرو أسفنديار لم يكن شيعيا إماميا أو غير إمامي فهو زرداشتي. ولذلك فمن غير

(1) See J.Eliash، «Shi›ite Qura›n، a Reconsideration of Goldziher›s Interpretation»in Arabica، volume، 16(1969)Pp.15-24.

(2) Ibid.P.21-22.

الصحيح القول بإن الدبستان هو مصدر شيعي إمامي[1]. وهنا لا مندوحة من التنويه بإن البروفسور ألياش قد تابع ما أورده مترجما كتاب الدبستاني مذاهب الأستاذان ديفيد شيّا وأنتوني ترويز بخصوص سيرة وحياة محمد محسن فاني ومسألة أنتقاله من إيران إلى الهند. ووقف أيضاً على التعريف بنسخة المخطوطة المكتشفة لقرآن الشيعة في مدينة بانكيبور الهندية؛ وفي هذا الصدد يقول ما نصّ ترجمته:- ففيما يتعلق الأمر بنصّ بانكيبور، فإن الصلة والرابطة الوحيدة التي تربطه بالشيعة الإمامية هو الأدعاء بكونها مخطوطة قد تمّ شراؤها من أحد الأشخاص من عائلة النواب الشيعية الإمامية في مدينة لكناو-وكانت مركزا مهما لتعاليم المذهب الإمامي في الهند. فهذا الأدعاء لوحده لا يشكل دعما أو مستندا موضوعيا للقول بإنه قرآن جدير بالقبول بصحته والأعتماد عليه في بناء الرأي الفصل بكونه قرآن الشيعة الإمامية؛ من جانب آخر فيلاحظ بإن مؤلفه لا يصرّح علانية عن هويته وإسمه، أوبكونه شيعيا[2]. والأكثر أهمية إن الكتاب لم يتعرض للمذهب الشيعي سوى في بضعة صفحات لا تنطوي على أهمية في معلوماتها، وقد عنوّن فصله هذا بالعنوان الآتي (أقوال عن الفرقة الثانية من المسلمين-يلاحظ ذلك لأنه تناول السنّة بكونها الفرقة الأولى-الذين يعرفون بالشيعة)[3].

وفي أوائل الستينيات وقبل أنجاز البروفسور ألياش ببضع سنين أسهم المستشرق الإسرائيلي داوود رهبر Rahbar Daud ببحث طويل مؤلف من أربعة أقسام على مدى سنتي 1961 و1962م نشره في المجلة التبشيرية المعروفة في الهند (عالم الإسلام Moslem World وعنوانه (علاقة أو صلة الفقه الشيعي بالقرآن Relation of Shi، a Thelogoy to the Qur›an). وبحث داوود رهبر هذا يعدّ أول عمل في هذا الشأن بعد بحوث ودراسات البروفسور آرثر جيفري. ففي هذه الدراسة تتّبع البروفسور الآيات الجديدة التي حسب القراءة الشيعية تختلف عن ما ورد في المصحف العثماني؛ وفي الحقيقة فإنه تابع ما سبق أنجازه من قبل المستشرق المبشر كلير تسدال الذي نشر بحثه في المجلة ذاتها في سنة 1913م، والذي جمع فيه مثل هذه القراءات الشيعية. ولكنه

(1) Ibid.P.23-24.
(2) Ibid.P.24.
(3) Ibid.

لم يضف إلى ما قدّمه تسـدال كثيرا. والواقع فإنه قدّم تعقيبات وملاحظات ذكية ونافذة البصيرة حول مواقف الشيعة الإمامية من القرآن وتفسيره[1].

فإذا ما أنتقلنا من سـتينيات القرن العشـرين الذي مثّله جوزيف ألياش وداوود رهبر للتعرف على مسـاهمات المستشـرقين المحدثين بالنسبة لما أسـهموا به في دراساتهم المعنيّة بقرآن الشـيعة بعد دراسـة ألياش القيّمة وفي نفس فترة الستينيات من هذا القرن سـنجد قاسما مشـتركا يلتقي بالآراء التي طغت على الدراسات الغربية في حقبة ما بعد العقدين الأوليين من القرن العشـرين، وأقصد هاهنا دراسـات المبشـرين كانون سـيل وكلير تسدال؛ ففي البحوث التي أسهم بها البروفسور محمود محمد أيوب -ولعله من باكستان أو من المشرق- ومنها (القرآن الناطق والقرآن الصامت أو غير الناطق:- دراسة في المبادئ والتطورات في التفسير الشيعي الإمامي The Speaking Qur›an and the Silent Qur›an:-A Study of the principles and development of Imami Shi‹i Tafsir) المنشـور في سـنة 1981. فقد تطرّق أيوب إلى آراء كلير تسـدال بشـأن قرآن الشيعة ورأيه في حقيقة هوية مؤلف كتاب (دبستاني مذاهب)، وكرّر موقف البروفسور أليـاش بكـون المؤلف ليس شـيعيا. ولهذا السـبب لم يعـدّ الرأي الذي يفيـد بأن هناك قرآنا خاصاً بالشـيعة أي أهمية. فضلا عن إن البروفسـور أيوب قد فنّد حقيقة السـورتين المزعومتين، فهما سورتان، في رأيه، مزيفتان، وقد نسبهما المؤلف إلى الشيعة الإمامية وهو زعم كاذب وخطأ. فالمؤلف قد أخفى هويته عمدا ولـم يحدد هويته وأسمه بجلاء ووضوح. وأورد البروفسور أيوب ثمّة نقاط بحاجة إلى مناقشة منها:- إن الله قد أوحى النـصّ المقـدس القـرآن على النبي ، وهذا ما يعـرف، القرآن هو «ما بيـن الدفتين» وهو الـذي علّمـه النبـي للأغلبية العظمى مـن المؤمنيـن المخلصين. وفـي الوقت الحاضر -أي بحـدود الثمانينيات من القرن العشـرين- فمن المؤكد القول، حسـب أيوب، بإن السـورتين مزيفتـان قام بتزويرهمـا جماعة صغيرة من شـيعة الهند؛ ويعقّـب على قوله هذا بإن الشـيعة والمستشـرقين يؤكدون هذا الرأي. وقوله بإن الشـيعة يصرّون على أن الله تعالـى قـد أوحى إلى نبـي الرحمة محمد القرآن والتفسـير فـي آن واحد وعلى هذا

(1) See Rahbar Daud‹ »Relation of Shi›a Thelogy to the Qura›n« in The Moslem World.Volume 51‹ Pp.92-98‹ 211-216.Volume 52‹ pp.17-21‹ 124-128.

الأساس فقد وقفوا ضدا للمصحف الذي تمّ جمعه أيام الخليفة الثالث[1]. أولا وقبل كلّ شيء يظهر أن البروفسور أيوب على مذهب مخالف للتشيع وذلك ينعكس في قوله أعلاه. وثانيا فقد عارض ما سبق جزمه بكون السورتين غير حقيقيتين، في الوقت الذي يؤكد -حسب رأيه- بإن جمعا من شيعة الهند هم الذين أبتدعوهما أو زيفوهما بإدعاء أنهما من قرآن خاصّ للشيعة، وهذا هو سوء فهم لما أدلى به كلير تسدال الذي يعدّ مصدره. فهذا المستشرق المبشّر قد وقف موقفا سلبيا من مخطوطة بانكيبور، وهو أول من ناقش نسخة مخطوطة بانكيبور في الهند، ولا حاجة إلى إعادة أفكاره إذ وقفنا عليها في القسم الأول. والأكثر أهمية زعمه إن رسول الله كان يعلّم القرآن للمخلصين المؤمنين، الأمر الذي يفهم منه «ما بين الدفتين» نسخة للعموم generality من المسلمين بينما هناك نسخة أخرى للخصوص من المسلمين وهو أمر غير وارد. وكان المصدر الذي أعتمد عليه أيوب بحث البروفسور ألياش وأطروحته للدكتوراه؛ فضلا عن بحث البروفسور أندريو ربن Andrew Rippin محقق كتاب (طرق فهم تاريخ تفسير أو تأويل القرآن Approaches to the History of the Interpretation of the Quran) المطبوع سنة 1988م. مع العلم بإن ألياش هو الآخر قد وقف موقفا سلبيا من مخطوطة بانكيبور، وكذلك من الزعم بكون مؤلف الدبستان شيعيا. ولكنه كرّر ما ذكره أندريو ربن من رأي بإن جماعة من شيعة الهند كانوا يدعمون فكرة قرآن الشيعة المكتشف في تلك المدينة الهندية.

في الآن نفسه فقد ألقى المستشرق الكندي تود لاوسونB.Todd Lawson الضوء على هذه الإشكالية، إشكالية قرآن الشيعة، في بحث مركّز بعنوان (تعليق موجز أو ملاحظة بشأن دراسة قرآن شيعيA Note for the study of a Shai، i Qur›an) وقد نشره في مجلةJSS(مجلة الدراسات السامية Journal of Semitic Studies المعروفة في سنة 1991م.والبروفسور لاوسون أستاذ في قسم حضارات الشرق الأوسط في جامعة تورنتو في كندا، وقد نشر عددا من الدراسات بخصوص القرآن الكريم والتاريخ

(1) M.M.Ayob: The Qura›n and its interpreters (State University of New York Press، Albany 1984); idfm.»The Speaking Qura›n and the Silent Qura›n:A Study of the Principles and Development of Imami Tafsir»in:A.Rippin (ed.) Approaches to the History of the Interpretation of the Qura›n .Oxford University Press1988، pp.177-198.

الإسلامي؛ ومن بينها دراسته الموسومة (فهرست ببلوغرافيا عن الله، محمد والكفّار:- دراسة قرآنية A -:Bibliography for God، Muhammad and the Unbelievers Qur'anic Study ونشره في مجلة الجمعية الأمركية الشرقية في شباط 2011م. وله دراسة أخرى بعنوان (الصلب والقرآن The Crucifiction and the Qur'an) ونشر الدراسة في مطبعة أكسفورد في آذار سنة 2009م وتقع هذه الدراسة في مائتين وخمسين صفحة. وله دراسة ثالثة حول (العقل والوحي أو الألهام في الإسلام:- الفقه والفلسفة والتصوف في الفكر الإسلامي، Reason and inspiration in Islam:- Theology، Philosophy and Mysticism) وطبعها في لندن-نيويورك سنة 2003م. وألّف كتابا بعنوان (غنوصية سفر الرؤيا في الإسلام Gnostic Apocalypse in Islam) وطبعه في لندن -نيويورك في ديسمبر 2009م[1]. والذي يهمّ البحث فإن البروفسور لاوسون في دراسته عن قرآن الشيعة كرّر ما ذهب إليه جولدتسيهر وجوزيف ألياش، مؤشرا إلى مسألة مهمة وهي إن التحريف الذي تعرض له القرآن جاء من قبل أهل السنّة على وفق الروايات والإستشهادات التي ذكرها أبن النديم في فهرسته وعلماء آخرين. وموقف لاوسون من الأمر كان مؤيدا، فيشير إلى احتمالية صحة ذلك، أي إن العلماء السنّة هم الذين نسبوا هذا التحريف في القراءة الشيعية بشأن آيات قد زعم الشيعة بإن الخلفاء الراشدين الأول قد حذفوها وأقصوها من أصل النصّ القرآني حين أضطلعت اللجنة التي ألفها الخليفة الثالث. ويؤشر البروفسور لاوسون إلى إن الشيعة لم توافق أطلاقا على هذا التفسير المزعوم للنصّ المقدس الذي جمعه أعداءهم[2] ويقصد أعداء المذهب الشيعي، وهو أستنتاج أستشراقي مقصود.

ومن بين دراسات المستشرقين الأخرى بخصوص موضوع قرآن الشيعة نشير إلى دراسة المستشرق مارسينكوفسكي M.M.Marcinkowski، ولعل أصله من

(1) See B.Todd Lawson.»A Note for the study of a»Shai›i Qura›n»in J.S.S.، 36(1991)II، PP.279-295;ibid.»Bibliography for the «God Muhammad and Unbelievers. A Qura›ic Study»in Journal of the American Oriental Society، 24 Feb.2011;idem. Gnostic Apocalypse in Islam.(London and New York.Dec.2009;idfm.The crucification and the Qura›n.(Oxford، March 2009; idfm.Reason and Inspiration in Islame.Theology، Philosophy and Mysticism in Muslim Thought.(London and New York)2003.

(2) ينظر Todd Lawson، » A Note، op.citP.273.

روسيا أو أحدى الدول الشرقية التي أنفصلت عن الإتحاد السوفيتي. فقد ألّف هذا المستشرق بحثا، ربما وقف عليه في أطروحته للدكتوراه، وعنوانه (بعض الأفكار بشأن موقف الشيعة الإثني عشرية المزعوم أزاء وحدة القرآنSome Reflections (on Alleged Twelver Shiite Attitude towards the integrity of the Qur)an ونشره في المجلة التبشيرية الصادرة في الهند (عالم الإسلامThe Moslem World في سنة 2001م[1]. فالبروفسور مارسينكوفسكي أثار تساؤلا -سبق أن درسه البروفسور آرثر جيفري-مفاده هل كان لهاتين السورتين أي وجود في المصاحف المبكرة للصحابة الأوائل؟ فهذا بحسب رأيه يعدّ أختبارا مهما جدا بشأن مدى موضوعيتهما وصدقيتهما حتى وإن أدّعى البعض أن الشيعة أو بعضهم قد أجاز القول بخصوص تحريف القرآن أثناء عملية جمعه زمن الخليفة الثالث[2].

وتخصّص المستشرق الألماني المعاصر رينر برونرRainer Brunner في هذا الحقل وبالأخص مسألة تحريف الشيعة للنصّ القرآني حسب زعمه في أطروحة الدكتوراه من جامعة فرايبورغFreiburg في ألمانيا الموسومة باللغة الألمانية (الشيعة وتحريف القرآن Die Shia und die Koran-falschung)[3] وطبعها في ورزبورغ Wurzburg سنة 2001م. وقد نشر هذه الدراسة بعدئذ باللغة الفرنسية ببحث تحت العنوان ذاته ولكنه يبدو قد تدارك الموقف فأضاف إليه تعبير تساؤل أو إشكالية أي (تساؤل أو إشكالية تحريف القرآن في التفاسير الشيعيةLa question de la Falsification du Coran dans L)exegese Chiite). وتابع الدكتور برونر في هذا الكتاب مسألة تاريخية لموضوع قرآن الشيعة، ووقف على الدراسة القيّمة التي سبق ذكرها للمستشرقين جولدتسيهر وجوزيف ألياش ومائير بار-آشر. ودرس المسألة من زاوية مؤلفات التفسير الشيعية بدءا بتفسير فرات الكوفي وتفاسير القمي والعياشي والطوسي والطبرسي وعلماء التفسير الشيعة المتأخرين، وضمّن هدفه في

(1) ينظر M.M.Marcinkowski، » Some Reflections on Alleged Twelver Shiite Attitude towards the Integrity of the Qura)n»in Moslem World. Volume 91 (2001)P.142

(2) Ibid.(Moslem World. Volume 91(2001)P.142-144.

(3) See Rainer Brunner، Die Shia und die Koran-falschung.(Wurzburg، 2001).;idem.»La question de la

جمع الآيات التي توجهت أهتمامات بار-آشر اليها. في نفس الوقت فقد ثمّن دراسات البروفسور آرثر جيفري وبالأخص دراسته المعنية بتفسير زيد بن علي[1]. والدكتور برونر يبدو إنه يهودي إذ شغل مرتبة زميل في مركز الدراسات العليا المتقدمة في جامعة أورشليم (القدس) من سنة2004-2005م. وهوأستاذ الدراسات الشرقية في جامعة فرايتبورغ. وهو يعدّ من المستشرقين المتخصصين في التشيع والفقه الشيعي؛ فقد حقّق دراسة بعنوان (الشيعة الإثني عشرية في الأزمنة الحديثة:-في التاريخ الديني والثقافي والسياسي The Twelver Shia in modern times:-Religious، Culture and Political History) وتمّ نشر البحث في كتاب جامع حقّقه المستشرقان زوسامّن Zusammen والمستشرق الأمريكي المتخصّص في حقل التشيع المعاصر وورنر أيند Werner End وطبعه في ليدن-بريل سنة2001م وعنوان هذا الكتاب الجامع (دراسات أجتماعية وأقتصادية وسياسية للشرق الأوسط وآسيا، مجلد72[2].

مناقشة وعرض دراسة مائير بار-آشر:-

وقع أختيارنا لبحث من تلك البحوث المتعددة المشار إليها في هذا البحث المتواضع ألا وهو بحث البروفسور مائير ميخائيل بار - آشرMeir M.Bar-Asher. والملاحظ فإن بار-آشروالبروفسور يوري روبين Uri Rubin من المستشرقين الإسرائلين المحدثين وقدعنيا بالدراسات القرآنية. ففيما يتعلق بالبروفسور روبين إنه أستاذ في قسم الدراسات العربية والإسلامية في جامعة تل أبيب وتخصّص في حقل القرآن الكريم فنهد إلى ترجمته إلى اللغة العبرية وتمّ طبعه في تل أبيب سنة2005م ومزّودا بهوامش وشروح وفهرستا كاملا[3]. وله كتاب آخر وعنوانه (بين التوراة والقرآن:-أبناء أو بني إسرائيل والصورة الذاتية للإسلامBetween Bible and Qur᾿an:-The Children of Israel and the Islamic self-Image)[4].

---

(1) falsification du Coran dans l'exegese Chiite duodecimaine»in Arabica Revue D'etudes Arabes، volume 52(2005).

(2) Ibid.» La question de la falsification'in Arabica .Vol.52.P.59.

(3) عن حياة برونر ومؤلفاته ينظر دائرة معارف ويكيبديا ومن بين مؤلفاته الأخرى The Twelver Shiain in Modern times: Religious، Culture and Political History(Leiden 2001).Editor Zusammen، mit Werner Ende، in Brill .in Social، Economic and Political Studies of the Middle East and Asia.Band 72.

(4) ينظر عن سيرة يوري روبين موقعه على الإنترنيت.ومن مؤلفاته:-

أمّا البروفسور مائير بار-آشر فهو الآخر أستاذ في قسم اللغة العربية والأدب العربي في الجامعة العبرية في أورشليم (القدس)، وله مصنفات عديدة منها بحثه القيّم المشار إليه آنفا وهو (قراءات مختلفة وإضافات للشيعة الإمامية على القرآن) وهو البحث الذي سنتركّز عليه دراستناالحالية، وقد نشر البحث أولا في سنة 1993م في مجلة الدراسات الإسرائيلية الشرقية صفحة 39 الى صفحة 74. ثمّ أختير ضمن بحوث الكتاب القيّم الضخم الذي يحمل عنوان (التشيع:مفاهيم نقدية في الدراسات الإسلامية Shiism: critical concepts in Islamic Studies)، وهو من تحقيق كلّ من بول لفتLuft وكولن تيرنرTurner). وحسب أشارة بار آشر على صفحة 106من الكتاب، فالبحث في قسمه الأول يعدّ أصلا أعادة طبع لما تضمنته أطروحته للدكتوراه الموسومة (دراسات في مؤلفات التفاسير الشيعية الإمامية المبكرة -Studies in Early Imami-Shii Qur'an Exegesis 3rd-4th centuries) التي تخرّج فيها من جامعة القدس عام 1991م وكانت باللغة العبرية.أمّا القسم الثاني من بحثه فهو جدولة للقراءات الشيعية المتنوعة لآيات الذكر الحكيم وهي تنشر لأول مرة[1]. فضلا عن هذا فقد ألّف كتابا آخر بعنوان (القرآن:- مقدمةThe Qur'an:- An introduction) ولا نعرف عمّا إذا صدر أم ما زال تحت الطبع. كما ألّف كتابا ثالثا في هذا الميدان بعنوان (الكتاب المقدس ومؤلفات التفاسير في التشيع الإمامي المبكر:-الفلسفة الإسلامية والفقه والعلم- نصوص ودراساتScripture and Exegesis in Early Imami -Shiism(Islamic Philosophy Theology and Science (Texts and Studies) وتمّ طبعه في سنة 1999م. وألّف بحثا بعنوان (تفسير للقرآن منسوب إلى الإمام الحسن العسكري The Qur'an commentary ascribed to Imam Hasan al-Askari) ونشره في

The eye of the beholder:The life of Muhammad as viewed by the early Muslims(a Textual analysis). The Darwin Press Princeton، New Jersey، 1995;The Qura'n:Hebrew Translation from Arabic.annotations، appendices and index.(Tel Aviv، 2005);idem.Between Bible and Qura'n:The Children of Israel and the Islamic Self-Image.(The Darwin Princeton، New Jersy1999;idem.and David J.Wassestein(eds.):Dhimmis and others، Jew and Christians and the World of classical Islam.(Israel Oriental Studies، 17، 1997.

(1) See M.M.Bar-Asher: Studies in Early Imami-Shi'i Qura'n Exegesis (3d-4th(9th-10th Centuries). Ph.D.Dissertation، Jerusalem، 1991(in Hebrew).

مجلة الدراسات للعربية والإسلام في سنة2000م. وهذا البحث أيضاً قد أختاره البروفسور لفتLuft ضمن بحوث كتاب (التشيعShiism) في الجزء الثاني منه ومن صفحة321[1]-300.

نلحظ إن البروفسور بار-آشر يشير في الأسطر الأولى من بحثه إلى أنه، أي البحث، يعدّ، بحسب علمه، أول محاولة في هذا الأتجاه، أي متابعة القراءات الشيعة، فلم تسبقها دراسة مماثلة تهدف إلى جمع جميع القراءات أو الحروف المختلفة فضلا عن جمع الإضافات المتعددة التي تمثّل القراءة الشيعة الإمامية للقرآن وحشدها في مجموعة واحدة ومتكاملة(51). وبالفعل فالبحث عمل متقن ومجهد في الآن نفسه إذ رجع إلى مؤلفات التفاسير الشيعية التي لم تشر إليها المصادر الإسلامية السنيّة ولا حتى التفاسير السنيّة. فأعتمد على أقدم التفاسير الشيعية بدءا من تفسير فرات بن إبراهيم الكوفي وعلي بن إبراهيم القمي ومرورا بتفاسير العياشي والنعماني وأبي جعفر الطوسي وأبي علي الفضل الطبرسي وإنتهاءا بتفسير محمد بن المرتضى (محسن الفيض) والطباطبائي في الميزان. وتضمنت هذه التفاسير، كما سنقف عليه لاحقا، قراءات وتفسيرات تأويلية على لسان الأئمة المعصومين الأطهار وبخاصة الإمامين الباقر والصادق.

وزّع المستشرق بحثه إلى قسمين وخصّص القسم الثاني منه إلى عرض جدول أو قائمة تضمّنت القراءات الشيعية فضلا عن الآيات المضافة التي كان الشيعة - وبحسب رأي المستشرق وتفسيره-يعتقدون بأنها أمّا أن تكون قد حذفت عمدا أو تقصدا أو أنها قد أقصيت أثناء عملية جمع القرآن الكريم زمن الخليفة الثالث عثمان، بحجة كونها آيات أو تعبيرات كانت داخلة في آيات تتضمن عقائد شيعية أو أنها تؤشر إلى فضائل الإمام علي والى إبراز مكانته ومكانة أهل بيته من الأئمة الأطهار. وفي الأسطر الخاصة بالشكر والعرفان في بحثه يقدّم شكره وتقديره لأستاذه المستشرق المعروف إيتان كوهلبرغE.Kohlberg الذي، كما أسلفنا، هو الآخر قد أسهم ببحث قيّم بشأن هذه المسألة، ولمّا كان لكلمات بار-آشر أهمية فلذلك سندوّن ما يمكننا ترجمته على الوفق الآتي:-أمتناني إلى البروفسور إيتان كوهلبرغ الذي قرأ مسودة أولية لهذا

(1) See M.M.Bar-Asher;The Qura›n commentary ascribed to Imam Hasan al-›Askari»in Luft and Turner(eds.)، Shiism، op.cit.Volume II، Pp.86-113. (52) Ibid.Ps.86، 106.

البحث وقدّم تعقيبات قيّمة. والشكر موصول له أيضاً على أثارته أهتمامي صوب أرقام الأختلافـات في القراءات القرآنية (52). ويعدّ هذا التعقيب في أعتقادي مهما بالنسـبة إلى تقويم دراسـة بار-آشـر القيّمة فعـلا، إذ إنه تابع بموضوعية القـراءات والإحالات والتخريجـات والتفسـيرات لكثيـر من الآيات القرآنيـة في المصحف الـذي بين أيدينا وليـس بمصحـف آخر ربمـا يتوهم بعض المتوهميـن فيتراءى لهم إنه يحيـل إلى قرآن خاصّ بمعيته كأن يكون قرآن الشيعة مثلا.

وقبـل التحول إلى النقطـة الجوهرية وهي التوزيع الموضوعـي للبحث لا مندوحة مـن عـرض مداخلة أو تعقيـب على الملاحظة التي أبداها المستشـرق بإن دراسـته في جمـع القراءات والآيـات الإضافية وجعلها فـي مجموعة واحدة هي دراسـة رائدة في نوعها ولم يسبقه أحد فيها؛ فأقول بتواضع بإن المبشّر البريطاني البروفسور كلير تسدال Rev.Cl.Tisdall قـد سـبقه في هذه المنهجية بأكثر مـن نصف قرن أي في تقديم قائمة بالآيات القرآنية التي زعم فيها بإن الشـيعة الإمامية كانت تعتقد بعدم نصّها في النسـخة القرآنيـة الكريمة المتداولة بين أيدي المسـلمين. والمستشـرق تسـدال وزّع أيضاً هذه الإضافات في بحثه الموسوم (الإضافات الشيعية على القرآنShiah additions to the Koran)[1] مستخدما تعبيرAdditions بدلا من التعبير الذي أستخدمه المستشرق بار - آشـر وهوVariants الذي قد يتضمن أيضاً معنى القراءات. ومحاولة كلير تسدال، على الرغم من الثغرات والهفوات التي أشتملتها تلك التي وقفت عليها بالتفصيل في دراسة تحـت الطبع، تعـدّ خطوة أولى في دراسـات المستشـرقين في مجال القـرآن المزعوم للشـيعة. كذلك لا بدّ من إثارة الأنتباه إلى القائمة التي صنعها البروفسـور آرثر جيفري A. Jeffery في دراسـته القيّمة (قراءة زيد بن علي للقرآن) التي تمّ نشـرها بعد دراسـة كلير تسدال بحوالي العقدين من الزمان أي في سنة 1936م. إذ ترجم آرثر جيفري هذه الآيات التي كان قد جمعها من مخطوطات التفاسـير الشيعية التي كانت في متناول يده آنذاك، فضلا عن مخطوطات أخرى مهمة أفلح في الوصول إليها بمتابعاته المتواصلة. وكانـت القائمه التي صنعهـا جديّة ومفصّلة وغطّت خمس وثلاثين صفحة من مجموع

(1) See Rev.Clair Tisdall»Shi›h Additions to the Koran»in Moslem World، no.3، July 1913 Pp.227-241.

بحثه الذي شغل أربعين صفحة[1]. لهذا كلّه نقول بإن دراسة بار -آشر، وفيما يخصّ الأمر بقائمته وجدولة الآيات قد سبقتها دراستين تناولتا ذات المحور، والفارق المتميز بين تلك الدراسات هو إجادة البروفسور بار -آشر في عنصر تكثيفه لإحالاته وفي موضوعية تخريجاته معتمدا على مؤلفات التفسير الشيعية الإمامية، فهو بحق جهد مضني وأصيل.

وواقعا فإن قائمة بار -آشر للآيات قد عرضت على صيغة جدول يتماهى والجدول أو الصيغة المرتبة على وفق ما عرفsynoptic table (ربما يقصد هاهنا النظام المتّبع في الأناجيل الثلاثة الأولى من العهد القديم بحسب قاموس Webster's Seventh New Collegiate Dictionary، 1966، p.894.)، وموزّعة حسب الآتي:-

- ال آية في القرآن الكريم المتداول بين أيدي المسلمين كافة. وقد خصّص له المستشرق جانبا من الصفحة.
- بينما قدّم القراءة الشيعية الإمامية على الجانب الآخر المقابل نظير المثال الآتي:-

المصحف العثماني رقم السورة وال آية القراءة الشيعية

1- (ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم سورة 43آية39(أي سورة ﴿ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴾ الزخرف وهي مكيّة) حقهم أنّكم في العذاب مشتركون) ينظر تفسير القمي، علي بن إبراهيم ج2ص286/ 15-16، بينما عند محمد بن مرتضى (محسن الفيض) ج2 ص530/ 10؛ كذلك ينظر هاشم بن سليمان البحراني في كتاب البرهان في تفسير القرآن، طهران، ج4 ص **صفحة 143/ 3 إذ يذكر محمد بن العباس**

2- (إن الله اصطفى آدم ونوحا سورة 3 آية 33(أي ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ وآل عمران وآل محمد على العالمين) ينظرتفسير العياشي ج1 ص169، 34-35 وتفسير القمي ج1ص100، 12-14(بينما في كتاب البرهان ج1 ص 277-279؛وفي الشافي في التفسير ج1 ص226/ 13 -14.

(1) See A.Jeffery, »The Qura'n Readings, op.cit. Pp .249-289.

وتقرأ في بعض المصادر وآل محمد وآل عمرانينظر تفسير فرات ص 78، تفسير الطوسي ج 2ص441/ 5-6، الطبرسي، مجمع البيان ج 3ص62/ 10-11، ينظر أيضاً A. Jeffery، (مصادر أو مواد تاريخ النص القرآني) ص22، كوهلبرغ (بعض الملاحظات على الموقف الإمامي من القرآن ص212

3- (وأنـذر عشيرتك سورة 26 آية 214 (أي سورة ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ **ورهطك منهم الأقربين) (الشعراء المخلصين) ينظر تفسير القمي ج2ص124 / 7ونفس الـذكـرص126/ 1؛ تفسير فـرات ص 302/ 22-24؛ الطبرسي، مجمعالبيان ج19لا ص188/ 22؛البحراني، البرهان ج3ص189-192؛محسن الفيض، الشافي ج2ص227/ 1-17** إذ يقدّم مصادر عدّة على هذه الإضافة، منها تفسير القمي؛ينظر أيضاً الطبري، جامع البيان ج19ص121/ 5و25.ويقدّم جيفري إضافتين أخريين لهذه الآية؛ مصادر أومواد تاريخ النصّ القرآني ص358

4- (فلولا أنه سورة 37 آية 143-كان من المسبّحين للبث 144(ويقصد سورة في بطنه إلى يوم يبعثون) الصافات) ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ ينظر، تفسيرفرات ص265/ 3-6.

5- ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن﴾سورة 41آية33) أي (ومن أحسن قولا ممّن دعا إلى الله دعا إلى الله وعمل صالحا سورة فصّلت) وعمل صالحا وهو صبيّ وقال إنني وقال إنني من المسلمين) ينظر أبا جعفر الطوسي التبيان ج1ص279، 286؛بينما عند البحراني ج4ص111/ 1.

6- ﴿وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ﴾ سورة 78آية40(41) (ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابيا)ينظر ﴿يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾ (ويقصد سورة النبأ آية تفسير النعماني ج27، 17- .18- 40 وليس هناك آية 41).

7- ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ (ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله في ما أنزل الله فأحبط أعمالهم سورة 47آية9(10) علي فأحبط أعمالهم) ينظر، تفسير القمي (ويقصد سورة محمد آية ج2ص302/ 10-11، التي منهاأخذ رقم 9لا10) البحراني، البرهان ج4ص182/ 1(وينظر أيضاً الحديث رقم 2 الذي ذكره محمد أبن العباس)؛محسن الفيض، كتاب الشافي ج2ص563/ 15-18(وذكر فضلا عن تفسير القمي الطبرسي، مجمع البيان فقرأ ال آية في حقّ علي ص26، 32، 191)

8- ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ﴾ سورة 70 آية 1-2) ويقصد (سأل سائل بعذاب واقع.للكافرين بولاية واقع للكافرين) سورة المعارج آية 1فقط لأن علي ليس لها دافع) ينظر أبا جعفر آية 2 ﴿لِّلۡكَٰفِرِينَ لَيۡسَ لَهُۥ دَافِعٞ﴾ الكليني، الكافي ج1ص47:422(إذ في حين البحراني، البرهان، ج4ص381/ 1، 4و5؛محسن الفيض، كتاب الشافي ج2ص742/ 10-11)

9- ﴿تَتَّخِذُونَ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ﴾سورة 16آية92(94) (تتّخذون أيمانكم دخلا بينكم أن هي أربى من أمة (ويقصد هاهنا سورة تكون أئمة هي أزكى من أئمّتكم) النحل آية 92وليس آية ينظر تفسيرالعياشي ص268، 64-94) وتفسير القمي ج1ص389/ 17(وكلاهما وقد ذكراعند البحراني في كتاب البرهان ج2 ص282-283؛محسن الفيض، الشافي ج1ص939، 3-6.

10- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا﴾ سورة 6 آية159 (160) (إنّ الذين فارقوا دينهم وكانوا شيعا) (ويقصد سورة الأنعام ينظر، تفسير العياشي ج1ص385، 131 آية 159لا60) (في حين البحراني ج1ص565/ 3؛ محسن الفيض، كتاب الشافي ج1ص560، 3-4؛ المجلسي، بحار ج9ص389؛كذلك ينظر تفسير القمي ج1ص222، 10(ذكر عند البحراني، م.ن. وعند محسن الفيض م.ن.) الطوسي، التبيان ج4 ص328؛الطبرسي؛ مجمع ج8 ص244، 2؛ الزمخشري. الكشّاف ج2ص64؛ ينظر أيضاً جيفري، المصدر السابق ص42

11- ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ﴾ سورة 9آية40) ويقصد (فأنزل الله سكينته على رسوله) ينظر ﴿عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ﴾ (سورة التوبة آية 40) تفسير العياشي ج2ص58، 89(في حين عند البحراني ج2ص128، 10؛ الشافي ج 1ص702/ 12-15؛المجلسي، بحار ج19ص23، 80.

12- ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى﴾ سورة 9آية105 ﴿ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ﴾ ويقصد سورة والمؤمنين (التوبة آية 105لا106) (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمأمونين) ينظر، الكافي ج1ص424، 62(في حين البحراني ج2ص137وكتاب الشافي ج1ص 727، 4-5

13- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ﴾ سورة 16آية90(92) إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء

والإحسان وإيتاء ذي (ويقصد سورة النحل ذي القربى حقّه ...) ينظر، تفسير العياشيالقربى..(آية 90لا92.ج2ص267، 60) في حين البحراني ج2ص281، 5؛ الشافي ج1ص937 / 8- 10؛ المجلسي، بحارج7ص129.

(يشغل الجدول عشر صفحات من أصل البحث الذي هو ست وعشرين صفحة)[1]

وعلى هذه الشاكلة يواصل البروفسور بار -آشر رسم جدوله في ست وخمسين حالة بهدف تبيان الآيات القرآنية في القرآن المتداول بين أيدينا وبين ما شخّصه من التعبيرات أو الإضافات أو الزيادات في القراءة الشيعية الإمامية للقرآن الكريم. والجدول مهم للغاية ويثير الأنتباه إلى عدّة نقاط من الضروري التنويه عنها بل والبدء بذكرها وتشخيصها قبل الدخول في تفصيلات البحث الجديرة بالمناقشة وإلقاء الضوء عليها.

والواقع إنني لم أتدخل مع الفقرات أو الحالات التي تضمنها الجدول، فكان عملي مقتصـرا على ترجمة محتويات الجدول إلى اللغـة العربية، اللهم ما عدا المعلومة التي حصرتها بين قوسـين بغية توضيح أسـم ال آية الكريمة لأن المستشـرق قد دأب، شـأنه شـأن المستشـرقين والغربيين الآخرين، على تدوين أرقام السـورالقرآنية الكريمة دون ذكر أسمائها، ولهذا فقد بينت أسم السورة؛ فضلا عن ما أشّرت إليه في حالات معدودة إلى الرقم الصحيح لل آية الكريمة، وذلك لأن المستشـرق في هذه الحالات يضع رقم يـن لل آيـة التي أوردت الإضافة. كذلك فقد جهدت محاولا ملاحقة إحالاته للمصادر التفسيرية الشيعية لغرض التحقّق من صدقية تلك الإضافات والتعبيرات.

ومهما يكن فمن بين أهم النقاط التي يخرج فيها الباحث النقاط الآتية:-

- دعما لما سبق قوله بشأن موضوعية المستشرق بار- آشر، فهو عند توزيعه فقرات الجدول قد جعلها على الصيغة الآتية:-1- ال آية ورقمها 2- ما أطلق عليه المصحف العثماني،Uthmanic Codex 3- ما أطلق عليه القراءة الشيعية الإمامية أو القراءة الإمامية الشيعية. وهذا ما يجعلنا نندفع إلى إبراز حقيقة مفادها إن المستشرق لم يعترف أصلا بما هو مزعوم بقرآن الشيعة. فالقراءة أو الحرف لا يعني قرآنا إنّما قراءة شيعية قبالة القراءات السبعة أو التسعة أو العشرة أو ما

(1) M.M.Bar-Asher، » Variant Readinges»، op.cit.Pp.95-105.

إلى ذلك من قراءات. وهذا ما أنعكس على الإختلاف في نطق كلمة أو في إحلال كلمة بدلا من أخرى.

- توثيقه لهذه القراءة بمصادر شيعية مع الإدلاء بوجود إختلافات بينها، أي ليس هناك أتفاق كامل حول مدى صحتها، نظير الحالة في سورة آل عمران آية 33فأعتمادا على تفسير فرات وتفسير أبي جعفر الطوسي تكون القراءة (آل محمد وآل عمران وآل إبراهيم).كذلك نجد في نفس السورة في ال آية رقم 123 إذ اختلفت القراءة فيها ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ﴾ بحسب تفسير الشافي لمحسن الفيض وكتاب البرهان للبحراني؛ وقراءة (وأنتم قليل) بدلا من أذلّة أو ضعفاء بحسب قراءة تفسير العياشي. وما هو أيضاً واقع في سورة التوبة آية رقم 118وهي كما جاءت في نصّ القرآن الكريم ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ﴾ فحسب ما ورد في تفسير العياشي ج2ص115، 152، وكذلك في قراءة تفسير القمي ج1ص297/ 18-19 (خالفوا بدلا من خلّفوا)، وبحسب ما ذكرهJeffery بإن الإمام علي يفضل قراءتها (المخلّفين بدلا من خالفوا) ينظر دراسته عن مواد تاريخ النصّ القرآني P.187، وهي أيضاً قراءة الأعمش الكوفي، ينظر نفس المصدرP.319.بينما قرأ الزمخشري الفعل (خلّفوا بفتح الخاء لا ضمّها)، ينظر الكشّاف عن حقائق جوامع التنزيل، 4 أجزاء، 1983. ومثل ذلك الإختلاف قد ورد في سورة الإسراء آية رقم 60 إذ قال عزّ من قائل ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ﴾. فبينما أبقى القميّ في تفسيره على كلمة (للناس) لكن محسن الفيض قد حذّفها فصارت قراءته (الّا فتنة لهم ليعمهوا) ينظر ج1ص916/ 7-9.أمّا Jeffery فيعطي قراءة (إلّا فتنة لهم)على كونها قراءة الصحابي عبد الله بن مسعود P.55. وورد أختلاف في قراءة ما جاء في سورة الشعراء آية رقم 214 إذ قال الله تعالى ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ وفي القراءة الشيعية زيادة هي (ورهطك منهم المخلصين) حسب قراءة القمي وآخرين كما بيّنا في أعلاه، غيرإن البروفسور جيفريJeffery ص68، 358. قد زوّدنا بقرائتين أخريين وهما (وهم أهل بيتك ومن اتّبعك من المؤمنين فإن عصوك ورهطك منهم المخلصين فقل إني بريء ممّا تعملون* وتوكّل على العزيز الرحيم)،

وواقعا فالزيادة التي حسبها البروفسور جيفري والبروفسور بار-آشر لم تكن زيادة، إنّما موقعها يأتي بعد آية ﴿ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾حسب النصّ القرآني الكريم، ولذلك فالزيادة كما هو واضح تكون فقط (ورهطك منهم المخلصين)، وعليه علينا أن لا نبالغ في هذه الزيادات كالذي يعتقده المستشرقان جيفري وبار -آشر. وكذلك حسبما يذكر بار- آشر أن البروفسور جيفري قد قدّم قراءة ثالثة يقول هي القراءة التي قرأ بها الإمام علي وعبد الله بن مسعود وهي (وهم أهل بيتك من المؤمنين فإن عصوك ورهطك منهم المخلصين فقل إني بريء ممّا تعملون)، بمعنى إن هذه القراءة قد حذف منها (ومن اتّبعك).

فهذه الملاحظات تؤكد إن المستشرق بار - آشر لم يكن في مخياله بأن هذه القراءات في بعض الكلمات أو التعبيرات تشكّل القرآن المزعوم للشيعة.

* * *

إذن عودة على بدء فالبروفسور بار-آشر قد دأب في جدوله على إلحاق كلّ إختلاف شيعي في القراءة يعقبه أقتباس للمصدر الذي جاءت فيه تلك القراءة وذلك تدليلا على منهجه التوثيقي، فضلا عن إحالته إلى المرجع أو المراجع الحديثة حيثما كان هناك حاجة لمناقشة النصّ مثلاً، وكذلك من أجل تزويد القارئ بملاحظات مختصرة يبغي من ورائها توضيح عقيدة أو مذهب الرواية أو القراءة الشيعية الإمامية. ويبدي المستشرق ملاحظة منهجية مهمة ولها علاقة بالقائمة أو بما أسميناه الجدول، إذ يقول إنها قائمة تشتمل على تلك القراءات التي لها خصوصية شيعية فحسب. أمّا القراءات الأخرى المختلفة الموجودة في مؤلفات التفسير الشيعية والسنّية فهي خارجة عن نطاق هذه القائمة.

في الآن نفسه فقد أشار إلى مصادر المعلومات التي أعتمدها تلك التي تتمثّل بالدرجة الأساس في تفاسير القرآن الكريم الشيعية الإمامية المبكرة تلك التي وصلت إلى متناول المستشرق وهي:-

1- مؤلفات علي بن أبراهيم القمي.

2- تفسير فرات بن إبراهيم الكوفي.

3- تفسير أبو النضر محمد بن مسعود العياشي.

فجميع هـؤلاء العلماء الثلاثة قد أنتعشـوا علميا عنـد نهاية القـرن الثالث الهجري ومطلع القرن الرابع الهجري.

4- محمد بن إبراهيم بن جعفر النعماني (المتوفى حوالى 360هجرية/ 971م.

5- أبو جعفر الطوسي (المتوفى في 460 هجرية/ 1067م) ويعدّ واحدا من كبار علماء الإمامية في حقبة نهاية العصر البويهي.

6- أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (المتوفى في 485 هجرية/ 1153م).

فضلا عن المؤلفات الإمامية غير التفسـيرية المبكرة أيضاً ولكنها، مع ذلك تتضمن معلومات ومادة تفسيرية كثيرة؛ ونخصّ بالذكر منها كتاب بصائر الدرجات لمؤلفه محمد بن الحسـن الصفّار القميّ (المتوفى قي290هجرية/ 903م) وكتاب الكافي لمؤلفه أبي جعفر محمد الكليني (المتوفى في 329هجرية/ 941م). وأخيرا، كما يقول المستشرق، فالمؤلفـات الإمامية المتأخرة قد تمّ أعتمادها أيضاً بضمنها المؤلفات التفسـيرية نظير: تفسـير البرهان لمؤلفه هاشـم بن سـليمان البحراني (المتوفى في 1107هجرية/ 1693 أو1109هجرية/ 1697م.، وكذلك تفسـير الشـافي في تفسـير القرآن لمؤلفه محمد بن مرتضى (محسن الفيض) الكاشاني (المتوفى في 1091هجرية/ 1680م)؛ والمصنفات المهمـة جـدا الأخرى مثـل بحار الأنـوار لمؤلفه محمد باقـر المجلسـي (المتوفى في 1110هجرية/ 1700م).

أمّـا المصـادر السـنيّة الرئيسـة التـي أعتمدها المستشـرق بهـدف إجـراء موازنات مـع المصـادر الشـيعية فهي مؤلفات تفسـير القـرآن المهمة جـدا وهـذه المؤلفات في الواقـع قـد ألحقت بملحق في كتاب البروفسـور آرثر جيفري المشـار إليـه عدّة مرات وهو(Materials for the History of the Text of the Qur'an). ويقول إن الملاحظة التي ينبغي التشـديد عليها فإن هذه الموازنات قد بيّنت بإن القراءات المختلفة الشيعية للنصّ القرآني من النادر جدا وجودها في المؤلفات غير الشيعية.

وبعد هذه المقدمة المنهجية الضرورية ينتقل البروفسور إلى مسألة جديرة أخرى في بحثه، وقد خصّص لها عنوانا هو (الصيّغ أو الأشكال المختلفة للقراءات والإضافات) وقد وزّع تلك الإضافات أو الزيادات تبعا للجوانب الآتية[1]:-

- فهي إمّا تبديلات طفيفة وغير مهمة لكلمات؛ أو إمّا إضافة أو أستبدال حرف أو تبديل لفظة مثلما ورد في المصحف العثماني- وهذا هو المصطلح الذي رسمه المستشرق-في سورة 45 آية 29(28)-أي سورة الجاثية آية رقم 29 لا 28 - إذ قال الله تعالى في محكم كتابه ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيۡكُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّا كُنَّا نَسۡتَنسِخُ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾. فالقراءة الإمامية تراها (هذا بكتابنا ينطق بالحقّ)-وهنا يعطي المستشرق تفسيرا لهذه القراءة بإن (هذا) المقصود به أمّا محمد أو الإمام علي. ومثال آخر عن القراءة الإمامية نجده في سورة 78 آية 40(41) (أي سورة النبأ آية رقم 40 وليس هناك آية برقم 41. فبدلا من القراءة ﴿وَيَقُولُ ٱلۡكَافِرُ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا﴾؛ فالقراءة الإمامية تبدل ترابا الى(ترابيا). ينظر بحث المستشرق صفحة 88.
- أو صيغة أستبدال كلمة بأخرى، وأنسب مثال على ذلك آية رقم 104 و آية رقم 110 في هذا الصنف هو أستبدال كلمة (أمة) بكلمة(أئمة) في أغلب الحالات التي وجدت في القرآن الكريم. وحسب رأي المستشرق إن أدخال هذا التعبير بهدف عرض عقيدة الإمامية في الإمامة في النصّ القرآني؛ ومثال على هذا نذكر ما جاء في سورة 3 آية 106 (أي سورة آل عمران آية رقم 104 لا 106، (أي سورة آل عمران آية رقم 110 إذ تقول﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ﴾ وعند الإمامية (كنتم خير أئمة).
- وهناك صيغة تتمثّل في إعادة ترتيب أو إعادة تنظيملموضع كلمة ما أو تعبير ما؛ فالكثير من علماء التفاسير الإمامية يظهرون أو يبدون ملاحظة على أن السورة 11 آية 17 (ويقصد بها سورة هود) إذ قال الله تعالى﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتۡلُوهُ شَاهِدٌ مِّنۡهُ وَمِن قَبۡلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحۡمَةً﴾، فهاهنا يرونها نموذجا من نماذج تحريف القرآن لما هو موجود في أصل القراءة القرآنية. فأعتمادا على تفسيرهم ينبغي أن يكون ترتيب هذه ال آية في النسخة الأصلية للقرآنعلى وفق هذا الترتيب(ويتلوه شاهد منه إماما ورحمة)، والفارق المهم بين القرائتين

(1) Ibid.Pp.87-88.

هو:-في القراءة السنيّة فإن تعبير(إماما ورحمة) قد فصلت عن تعبير(شاهد منه) وجاءت بعده، وهذه التعبير بحسب الرواية الشيعية يشير إلى الإمام علي.

- وهناك صيغة أخرى متمثلة بإضافة كلمات لا كلمة واحدة. فالرواية الإمامية أو الحديث الإمامي يعتقد ويؤمن بأن هناك تعبيرات محدّدة قد حذفت بعمد أو بتقصد من القرآن الكريم من قبل المفسرين السنّة؛ ومن بين هذه التعبيرات تعبيران متحلقان الواحد حول الآخـرcluster وهما تعبيران يجمعهما قاسما مشتركا:- ١- في علي، ٢- آل محمد، وفي بعض الأحايين آل محمد حقّهم. وعادة بما إن المفعول به للفعل المشتق من جذر(ظلم) هو تعبير يتردد كثيرا في القرآن.فهذه الإضافات قد أضيفت بقصد لإظهار إن أجراءات الظلم المذكورة في بعض الآيات القرآنية لم تكن خالية الهدف no neutral، إنّما تشيربشكل خاص إلى مظلوميةأهل البيت أو تشير إلى أستلاب أو أغتصاب حقّ آل-عائلة-محمد وذريّته، بمعنى الشيعة أنفسهم.(هنا يشير المستشرق إلى تفسير النعماني وتفسير القمي والى بصائر الدرجات لإبي جعفر الصفّار والى دراسة المستشرق اليهودي إغناص جولدتسيهر).

ويستـمر المستشـرق في عرض أفكاره لشـرح فقرات جدوله فيقول:-والأمر نفسه يمكننا ذكره بالنسـبة إلى عقائد شـيعية خاصة أخرى مسـتنتجة أو مستخرجة من النصّ القرآني عن طريق إضافة كلمة أو بالشكل الذي هو عند هذا المفسر أو ذاك، ومن خلال إجـراء «إعادة» النصّ الأصلـي بإضافة الكلمات أو إجراء ترميم للنصّ الأصلي بإضافة كلمـات قـد حذفها أولئك الذين أعدّوا النصّ (ويقصد بهـم اللجنة التي جمعت القرآن الكريم). ويرى المستشـرق بإن هذا ما وقع فعلا في عدد من الآيات القرآنية؛ فكلمات «فـي ولايـة علـي» قد أضافهـا علماء التفسـير الشـيعة بغية تأويـل النصّ ليخـدم مهمة ولايـة (أي آل علي).(وأحال المستشـرق في هذا التفسـير إلى عدّد مـن المصادر منها نظيـر رجال النجاشـي ص188؛وبحار الأنـوار للعلّامة المجلسـي؛ وكتاب الإحتجاج للطبرسـي؛ والمستشرق جيفري الذي يذكر إن هذه الرواية كانت مذكورة في مصحف أبي بن كعب (ينظر صفحة 109 من البحث بالإنجليزية).

وفي حالة مماثلة لمثل هذه الإضافة، هي إضافة كلمات ﴿أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ إلى آية المتعة (سورة رقم 4 آية رقم 24 (28) (أي سورة النساء آية 24 لا 28 كما أشار المستشرق). وهي إضافة يراد بها الصيغة المؤقتة أو الطبيعة المؤقتة لنكاح المتعة (يلاحظ إن المستشرق قد ترجم المتعة إلى الإنجليزية بكلمةpleasure بمعنى الإستمتاع). وهذا الموضوع -أي المتعة- قد أختلف حوله الشيعة والسنّة عبر التاريخ[1].

وممّا هو جدير بالملاحظة أستنتاج المستشرق بشأن أختلاف القراءة من جهة والإضافات التي أدخلها الشيعة الإمامية من جهة أخرى، ففي رأيه بأن ذلك كلّه لا يشكّل في نطاقه العام إلّا نسبة محدودة؛ فضلا عن ذلك فإنها لا تشمل إطلاقا جميع ال آية برمتها، لكنها واقعا تتمثّل بتبديل أو إضافة عدد محدود جدا من الكلمات في تركيب ال آية المعنية. وهناك إستثناء واحد على تلك القاعدة، إذ أستبدلت آية موجودة في المصحف العثماني بأكملها في بعض المصادر التفسيرية الشيعية الإمامية، والمثال الذي ضربه المستشرق على مثل هذه الحالة ما ورد في السورة الكريمة رقم 26آية214في قوله عزّ وجلّ ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾؛ ففي حديث رواه القميّ في تفسيره مسنود إلى الإمام جعفر الصادق قوله بإن أصل هذه ال آية قد أنزلها الله هي (ورهطك منهم المخلصين). لكن ليس من الواضح إن كان قول الإمام الصادق يفهم منه وجوب إحلال هذه ال آية محل تلك ال آية القرآنية في المصحف العثماني أم أنها تكون مجرد إضافة تضاف على تلك ال آية المذكورة؟. والواقع يجدر القول بإن هذه الكلمات قد وردت وفي تفسير القمي أيضاً ولكن بإسناد أبي الجارود، إذ أعتمادا على ذلك حذفت ال آية القرآني في المصحف العثماني تماما، ولم يبق منها إلّا (ورهطك منهم المخلصين) دون تقديم أي تفسير أو تأويل إضافي آخر. ومن الجانب الآخر فقد ورد في تفسير فرات رواية ثالثة وهي رواية تربط سوية بين الآيتين المذكورتين في أعلاه. فالذي يبدو إن هذا النصّ، أي النصّ في تفسير فرات، يمثّل نوعا من الأتجاه التوفيقي بغية أن يكون مقبولا لكلا النصيّن[2].

- أثار المستشرق تساؤلا عن الكيفية التي يمكنه بها التمييز بين مختلف القراءات

---

(1) Ibid.P.89.

(2) Ibid.P.102.

من جهة وبينها وبين الإضافات التفسيرية أو التأويلية؟ وهو تساؤل قد خصّص له فقرة مستقلة من بحثه للأجابة عنه أو لشرحه. ومفاد رأيه إن هذه الأختلافات في القراءات وفي الإضافات التفسيرية أو التأويلية عند المفسرين أو في مصادرهم تستند أساسا على الجانب الترمولوجي، أي الخاص بالمصطلح الفني. ففي كثير من المواضع حيث يقترح المفسّر رواية ل آية قرآنية ما، فهو يقوم بذلك بإستخدام صيّغ نموذجية. وقد جرت العادة في الرواية الشيعية بأن يذكر تعبيرات نظير:- نزل جبرئيل بهذه ال آية هكذا؛ أو هكذا نزلت؛ أو بالقول المباشر الواضح بإن هذه الرواية هي هكذا بحسب قراءة أحد الأئمة المعصومين. وفي أحيان تستخدم تعبيرات أكثر قوة من أجل التشديد على أن هذه المقاطع أوتلك من القرآن التي أحتفظ به السنّة أو عند السنّة هي غير صحيحة. وفي هذه الحالات فأنها تتضمن أقوالا أو تعبيرات صيغت بشكل سلبي أو بصيغة النفي نظير:- على خلاف ما أنزل الله أو فيما حرّف من كتاب الله. (وهاهنا يشير المستشرق إلى المصادر التي أوردت ذلك مثل تفسير العياشي أو تفسير القمي)؛ وفي حالة غياب مثل هذه الأدلة فإنه يصعب تحديد الإجابة: أإن التبديل المذكور هو مجرد تعليق أو إن المفسر يبدي رأيا في قراءة بديلة لما هو موجود في النصّ القرآني. وضرب المستشرق مثالا ذكر بإنه مثال جيد على ذلك وهو الحالة غير المؤكدة الموجودة في تفسير آيات من سورة رقم 81 (أي سورة التكوير) آيات 8-9 إذ قال الله تعالى ﴿وَإِذَا ٱلۡمَوۡءُۥدَةُ سُئِلَتۡ بِأَيِّ ذَنۢبٖ قُتِلَتۡ﴾. فبدلا من شرح هذه الآيات وكونها تتعلق بالمؤودة (أي الطفل المدفون وهي العادة التي كانت متبعّة في الجاهلية للعرب قبل الإسلام الوأد) قد فهمت من قبل المفسر الشيعي بكونها ترتّبط بتعبير المودة(الحب، العطف)، وهو حب آل النبي والأئمة. (ومصدر المستشرق في هذا الموقف تفسير فرات وتفسير القميّ)[1].

بهذه الطريقة من التحليل في إستخدام المصادر الشيعية حاول المستشرق أن يقدّم أطروحته في كيفية التفريق بين القراءات من جهة وبين الإضافات التأويلية من جهة أخرى.

فنلحظ إذن البروفسور بار- آشر كان يركّز ولحدّ هذه المعلومة في بحثه على

(1) Ibid.92.

مسألة لا شكّ بإنها جديرة بالأهتمام من قبل المختصين في هذا الحقل من التفسير التأويلي، وهي مسألة قابلة للمحاججة والنقاش بالأخصّ بما يتعلق الأمر بالآيات التي قد أضافها أو قد رأها الشيعة الإمامية، وحسب التفسير التأويلي، المراد بها أحقّية آل البيت الأطهار. والمهم إنه لم يتطرّق لا من قريب ولا من بعيد إلى الإشكالية التي أنشغل بها المستشرقون والمبشرون وغيرهم، تلك المتعلقة بقرآن الشيعة. فهو يكتفي فقط بإشارة وردت على صفحة 91 من بحثه حين يعرض أستنتاجا مهما ومباشرا فيقول ما ترجمته:- ومهما يكن ففي الواقع، وحسب معرفتي، إن الشيعة الإمامية تقريبا لم يتّخذوا أي أجراء وأي خطوة ترمي إلى الإقرار أو الاعتراف canonize بقراءاتهم المختلفة أو الآيات التي يعتقدون بكونها قد حذفت من النصّ القرآني[1]. فالشيعة على الرغم ممّا أورده مفسّروهم بشأن الكلمات والتعبيرات تلك التي رأوا أنها تخصّ الإمام علي وآل بيت محمد، لم يجيزوا القراءة بها أو لم يجيزوا حتى إدخالها في القرآن المتفق عليه، إنطلاقا من أحاديث وردت على لسان أئمتهم المعصومين بإن القرآن هو ما بين الدفتين لا يزيد ولا ينقص.

وتعقيبا على أستناج المستشرق المشار إليه توا فقد نوّه إلى وجود أستثناء واحد على القاعدة العامة التي طبقّها، وهو استثناء كما نعتقد يبدو وكأنه يتعارض مع ما توصل إليه في السابق من رأي، إذ أردف قائلا ما ترجمته:- وهناك أستثناء واحد لهذه القاعدة -ويقصد قاعدة عدم أعتراف الشيعة الإمامية بما ورد من قراءات وإضافات- وهي تلك المتمثّلة بمحاولة متأخرة زمنيا ظهرت عند أكتشاف مخطوطة للقرآن في أحدى المدن الهندية وهي بانكيبور Bankipur في بداية القرن العشرين، إذ أحتوت هذه النسخة إلى جانب بعض الآيات الإضافية التي سبق التطرق اليها، سورتان مشكوك في صدقيتهما apocryphal وهما سورة الولاية أي الولاء لبيت علي.وسورة النورين ويقصد بهما محمد وعلي فهما النوران[2]. والذي يهمّ موضوع البحث هذا إن المستشرق قد بيّن بشكل واضح ومباشر موقفه المفند والرافض لما كان المستشرقون يرونه بكون هاتين السورتين هما من قرآن خاصّ يتداوله الشيعة الإمامية ويقرأون به.

(1) Ibid.P.91.
(2) Ibid.P.91-92.

فعبّر بموضوعية وجهة نظره عند وصفه عملية التزوير والإفتراء؛ والأكثر أهمية فقد وصفها بكونها محاولة قد رتّبت أو بالأحرى قد تمّ صنعها في فترة تاريخية متأخرة، أي في مطلع القرن العشرين[1]. وهو من الجانب الآخر ذلك المتعلق بالقراءات والإضافات وحالات أستبدال كلمات أو تعبيرات كالذي دوّنه في جدول الموازنة بين ما أسماه المصحف العثماني وبين القراءة الشيعية الإمامية، وبحسب كلامه، لم يجزها الشيعة بل لم يسعوا إلى إدخالها في القرآن المتداول بينهم وذلك لأنها آيات تؤشر إلى ما قد أفترضه عدد من المستشرقين بكونه موقف علماء الشيعة لا بل موقف عموم الشيعة الإمامية السلبي والمعارض لعملية جمع نسخ القرآن التي كانت عند بعض الصحابة في زمن الخليفة الثالث في نسخة واحدة هي الموجودة بين أيدي جميع مسلمي العالم من دون أستثناء. وبمعنى آخر لم تتّخذ أية خطوة وأية محاولة من قبل الأئمة المعصومين ولا من قبل علماء الشيعة وفقهائهم أو من قبل الشيعة الإمامية أنفسهم بعملية إدماج ما يعتقدونه بما ورد في مؤلفاتهم التفسيرية الشيعية من أمثال تلك الإضافات في نسخة قرآنية خاصة بهم. وهي مسألة في غاية الأهمية للردّ على من يرى خلاف ذلك. علما بإن المستشرق بار -آشر قد وقف على نقطة جوهرية حصرها في فقرة بعنوان(القراءات الإمامية المختلفة وإشكالية القراءات المتعددة أي بما له علاقة بالمتعارف عليه بإن القرآن نزل على سبعة أحرف). ويثير في هذا الجانب تساؤلا حول موقف الإمامية من إصرار أهل السنّة في معتقدهم هذا الذي يستند على حديث متداول عندهم «أن القرآن قد أوحي أو قد أنزله الوحي على رسول الله على سبعة أحرف كلّ حرف شاف كاف»[2]. والملاحظ إن هذا الحديث وخلال الفترة التاريخية الأولى قد أندمج أو ضمّ مع القراءات المختلفة للقرآن وقد عدّت جميعها وعلى حدّ سواء قانونية وشرعية ومعترف بها.فالتساؤل هنا، ما هو موقف الشيعة من هذا الحديث أو من هذا الأجراء، أجراء القراءات السبعة أو التسعة أو العشرة للقرآن الكريم فهل هي معترف بها من قبلهم؟. يبدي المستشرق وجهة نظره التي تفيد بأنهم وقفوا في الوهلة الأولى موقفا معارضا بل ورافضا لهذا التفسير طالما أنهم يعتقدون بنسخة أو رواية شيعية إمامية

(1) Ibid.
(2) Ibid.P.92-93.

للقـرآن الـذي أنزله الله تعالى على النبـي محمد، وإن الإعتراف بـه وقبوله يعني القبول بشـرعية هذه القـراءات وهو أمر يقود إلـى تقويض وإضعاف تفوقهـم وأفضليتهم التي طالما أنفردوا بها في قرائتهم الخاصة. وحسـب رأيه كان الشـيعة حسبما يبدو مختلفين أو غير متفقين بشـأن هذه المسـألة. فهناك طرفان أو فريقان تعارضت آراؤهما في فهم المسألة بشكل خاص. وهما موقفان يكشفان عن الصلة المباشرة والمشتركة بين علماء الشـيعة إزاء وحـدة القـرآن وبين القراءات الأخـرى المختلفة. ففـي الحقبة الأولى من العصر البويهي، وهو العصر الذي أنتشرت فيه نظرية التشيع في مسألة وجود التحريف فـي القرآن عنـد جمعه أول مـرّة ظهر موقف صريح فـي تبني الأحـرف البديلة للآيات القرآنيـة التي سـبق رفضها من قبلهم. وأعتمد المستشـرق على روايـة أدلى بها العلّامة الكلينـي فـي كتابـه الكافي(تحقيق علي أكبـر الغفـاري، تهـران 1377-1382هجرية) بأسناد شيخه علي بن إبراهيم القميّ مفادها إن الإمام جعفر الصادق سئل من سائل بإن «الناس يقولون نزل القرآن على سـبعة أحرف مختلفة، فهل هذا صحيح؟ فكان جواب الإمـام الصـادق، كلّا هـؤلاء أعـداء الله فقـد كذبوا، وذلك لأنـه أوحي مـن الله الواحد وبحـرف واحد»[1]. وهناك حديث آخر مشـابه لذلك الحديث وورد على لسـان الإمام الباقر، مع إضافة أو زيادة توضيحية مفادها «ولكن الإختلاف يجيء من قبل الرواة »[2]؛ وأبو القاسـم الخوئي الموسـوي في البيان في تفسـير القرآن، وهوتفسير حديث، يؤكد أيضاً النظرية التي تذهب إلى القول بأن القرآن الكريم نزل على حرف واحد، وأن هناك حرفا واحدا فقط للقرآن موثوقا به أو جديرا بالأعتماد[3].

أمّـا الموقف الثاني، بحسـب رأي المستشـرق، فهو الموقف الـذي يمثّله أبو جعفر الطوسـي وهـو يمـتّ بصلة إلـى فترة متأخـرة من العصـر البويهي وهـو الموقف الذي يرفـض الرأي القائل بتحريف القرآن والذي يتبنى موقفـا آخر وهو أقل تطرفا (والتعبير

(1) ينظر الكليني:أبا جعفر محمد بن يعقوب؛ الأصول في الكافي (صححه علي أكبر الغفاري؛تهران جابخانه حيدري (1381هجرية)ج1ص4.أيضاp.93، Variant Readings.. ،M.M.Bar-Asher;

(2) ينظر الشيخ الطوسي، أبو جعفر:تفسير التبيان**(تحقيق أحمد حبيب قصير العاملي(طبعة النجف) مجلد 1ص7؛ الكليني؛الأصول ج 1 ص228و239؛ M.M.Bar-Asher، ibid.p.93.

(3) يراجع الكليني، الأصول؛ أبن بابويه، محمد، رسالة في الإعتقادات ص100؛أبو القاسم الموسوي الخوئي، البيان في تفسير القرآن ص177 M.M.Bar-Asher op.cit.p92-93.

الذي أستخدمه المستشرق للتطرّف بالإنجليزيةmilitant)فيما يتعلق الأمر بالأحرف المتعددة. فالطوسي، في مقدمته لكتاب تفسير القرآن، نجده يقترب من إشكالية القراءات وذلك بذكره الحديث المتعلق بالأحرف السبعة، وموقفه يماهي اؤلئك الذين سبقوه إذ يشير إلى التفسيرات أو التأويلات المختلفة لها؛ ولكنه عندما واجه مسألة تعدّد القراءات أو الأحرف قال-كما ترجمه المستشرق إلى اللغة الإنجليزية- »عليك أن تعلم بأن الرأي المقبول من إخواننا-وبكلام الطوسي- «العرف من مذهب أصحابنا» إن القرآن قد نزل به الوحي على النبي في حرف واحد-وحسب كلام الطوسي نصّا- «بالحرف الواحد على نبي واحد». ومهما يكن فقد تمّ قبوله من قبلهم بإن المرء قد يقبل حرفا نقل إليه من قبل القراء-والنص كما أورده الطوسي- هو» غير أنه أجمعوا على جواز القراءة بما يتداوله القراء» والمرء حرّ في أختيار الحرف الذي يفضله. كذلك فأنهم أحجموا أو أمسكوا عن تزكية خاصة لأي قراءة من القراءات -والنصّ عند الطوسي- «وكرهوا تجويد قراءة بعينها».وواقع الحال إن شيخ الطائفة قال ما نصّه في تفسير التبيان الآتي» لكنهم من جانب آخر تساهلوا فقط في الحرف الذي ثبت بين القراء-والنصّ عند الطوسي-» بل أجازوا القراءة بالمجاز الذي يجوز بين القراء»؛ والنصّ في تفسير التبيان كما أطّلعنا عليه في النسخة التي حقّقها أحمد حبيب العاملي هو»وأعلموا أن العرف من مذهب أصحابنا والشائع من أخبارهم ورواياتهم أن القرآن نزل بحرف واحد على نبي واحد.غير أنهم أجمعوا على جواز القراءة بما يتداوله القرّاء وأن الأنسان مخير بأي قراءة شاء قرأ. وكرهوا تجويد قراءة بعينها بل أجازوا القرّاء بالمجاز الذي يجوز بين القرّاء ولم يبلغوا بذلك حدّ التحريم والحظر. وروى المخالفون لنا عن النبي أنه قال(نزل القرآن على سبعة أحرف كلها شاف كاف)؛ وفي بعضها (على سبعة أبواب)، وكثرت رواياتهم ولا معنى التشاغل بإياردها. وأختلفوا في تأويل الخبر. فأختار قوم إن معناه على سبعة معان:أمر ونهي ووعد ووعيد وجدل وقصص وأمثال. وروى أبن مسعود عن النبي إنه قال(نزل القرآن على سبعة أحرف: زجر وأمر وحلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال»[1]. والجديرذكره

---

(1) الشيخ الطوسي، تفسير التبيان مجلد1ص7-8؛ الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن؛مجمع البيان في تفسير القرآن(النجف 1367-1385/ 1957-1965م بعشرة أجزاء)مجلد1ص23-26.

إن الطوسي كان حذرا في الأعلان عن رأيه بصراحة ودقّة إزاء الحديث المتعلق بالأحرف السبعة أو بالقراءات السبع، علما بإنه يشدّد القول بكون هذه الأحرف هي بحسب معتقد أعداء الشيعة-والنصّ عند الطوسي «وروى المخالفون لنا»-لكنه مع ذلك لم يرفضها جملة[1]. والشيخ محمد بن الحسن بن علي الطوسي المتوفى في سنة 459هجرية1066م أو في سنة 460هجرية1067م هو من العلماء البارزين في الفقه الإمامي وقد درس تحت إشراف مشايخ المذهب الإمامي بضمنهم أبي الحسن بن أبي جدّ وأحمد بن محمد بن موسى الأهوازي الغضائري وأبن عبدون وبصورة خاصة شيخ الإمامية الكبير الشيخ المفيد الذي أطلق عليه البروفسور محمد علي أمير معزي M.Ali Amir Moezzi في بحثه القيّم الموسوم(ابو جعفر الطوسي)في دائرة المعارف الإسلاميةpowerful doyen للعقليين الإمامية المتأثر بعقلانية المعتزلة. وعند وفاة السيد الشريف المرتضى علم الهدى، الذي كان هو الآخر قد تتلمذ تحت إشراف عبد الجبار المعتزلي، صار الطوسي شيخ الطائفة. إذ تتلمذ في مدرسته نفر من علماء الشيعة كالنجاشي وأبي يعلى الجعفري.وقد تعرّض خلال الغزو السلجوقي لبغداد سنة447هجرية / 1065م إلى معاناة وشدّة من قبل التحالف السنيّ -حسب قول البروفسور معزي-بقيادة الحنابلة، إذ نهبوا بيته وأحرقوا مكتبته الكائنة في محلة باب الطاق في جانب الكرخ من بغداد. لذلك أضطر إلى ترك بغداد متوجها نحو النجف، وبقي هناك يواصل الدرس والتدريس إلى أن وافاه الأجل(*).

رأي المستشرق في موقف علماء الشيعة من هذه الإشكالية.

يوضح بار-آشر بإن هذا الموقف المتسامح الذي كان غالبا بين الشيعة قد بدأ خلال العصر البويهي، ويبدو إنه موقف مفهوم جدا؛ طالما إن العقيدة الشيعية بشأن صفة المصحف العثماني وكونه ناقصا أو محرّفا قد أخذت بالتراجع. وإن العلماء الشيعة كان بأستطاعتهم تبني موقفا إيجابيا إزاء إشكالية القراءات المتعددة للقرآن وإزاء تبرير الحرف أو القراءة الشيعية ضمن هذا الإطار. لكن من الجانب الآخر ينبغي علينا عدم

---

(1) الطوسي، تفسير التبيان مجلد1ص7-8 M.M.Bar-Asher، op.cit.p.93.

وينظر بحث (Abu Djaʾfar al-Tusi)in Encypledia of Islam، (New edition.By M.Ali Amir Moezzi

إغفال إمكانية كون هذا الموقف المتساهل أو المتسامح الذي تبنّاه الشيعة آنذاك كان موقفا تكتيكيا مقصودا لتحقيق غرض محدّد أكثر من كونه يعكس أو يظهر معتقداتهم الحقيقية. وبكلمة مباشرة نقصد الرغبة في تجنب مواجهة مباشرة مع السنّة، وهي رغبة قد بنيت على أساس، وكما هو الحال في مسائل أخرى، مبدأ التقية التي تسبّبت في إنهيار خارجي ظاهر في المواقف الشيعية المتطرفةmilitant بينما كان الشيعة داخليا متمسكين بموقفهم ويواصلون العمل على وفق وجهة نظرهم وفلسفتهم القاضية بكون نظريتهم في قرائتهم وفي حرفهم للقرآن هوالحرف الصحيح دون غيره[1].

* * *

تحليل قائمة المستشرق بار-آشر:-

ذكرنا في السابق بإن الجدول الذي رسمه البروفسور بار -آشر لم يكن فكرة أصيلة إذ سبقه فيها المستشرق المبشر كلير تسدال، غير أن جدول بار -آشر أكثر علمية وموضوعية بما له علاقة بالبحث العلمي، وأنه قد بنى منهجه على متابعة مصادر التفسير الشيعية، فضلا عن مصادر الأصول الأربعة. فقد دعم نظريته في ما أطلق عليه بالقراءة الشيعية بمصادر أساسية من تفاسير القرآن الكريم؛ ولم يعتمد على التفاسير غير الشيعية ما خلا بطبيعة الحال تفسير فرات بن فرات الكوفي الذي حسبما ذكر إنه زيديّ المذهب، والعياشي الذي كان في الأصل متسننا ثمّ تحول إلى التشيع الإمامي وقدّم خدمات جليلة مادية وعلمية إلى المذهب، وفي حالة أو أكثر رجع إلى تفسير محمد بن جرير الطبري في تفسيره للقرآن الكريم. المهم إن المداخلة هذه لا تضعف الرأي بمدى علمية بحث المستشرق وفي أخذه المعلومة الصحيحة من منبعها الأصلي.

لقد أشتمل الجدول على ست وخمسين حالة أدخلها بار- آشر في حقل القراءة الشيعية، وهذه القراءات أشتملت بدورها حالات وموضوعات فرعية متنوعة عن الإضافات والقراءات الشيعية ولعل من المناسب تصنيفها وتوزيعها حسب الفقرات الآتية:-

- الحالة الأولى تلك التي تكرّر فيها إضافة تعبير(آل محمد حقّهم) وفي الأغلب

(1) يراجع M.M.Bar-Asher، op.cit.p93.

الأعم وردت هذه الجملة أو التعبير بعد كلمات(ظلمتم أو ظلموا أو الظالمون) الواردة في آيات الذكر الحكيم. ويرى المستشرق في هذا التعبير على شاكلة ما رآها كلّ من المستشرقين المبشرين كانون سيل وكلير تسدال إنه المعنيّ بالإضافة الشيعية على القرآن الكريم .وقد وقفت على هذه النقطة وقفة بحث وموازنة مفصلة في دراسة سابقة. ومهما يكن فعدد مثل هذه الحالة في قائمة بار -آشر تسع مرات.

- وحالة أخرى تكرّرت ضمن حقل الزيادات أو الإضافات هي إدخال أسم الإمام علي إلى آيات قرآنية بذاتها بحسب القراءة الشيعية أو الحرف الشيعي. والصيغة البنيوية اللغوية في عملية إدخال الأسم جاءت برمتها بعد تعبيرات واحدة هي (نزّلنا في) أو(أنزل الله في) أو(أنزلت في). وعدد هذه الحالات تسع. وهناك إضافات بصيغة مباشرة أي (في علي) من دون وجود الفعل أنزل أو أنزلنا. وردت الأولى في سورة النساء آية رقم 66 إذ قال الله تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ﴾ والإضافة تقع بعد (يوعظون به في علي)؛ وكذلك في ما ورد في سورة النساء أيضاً وفي آية رقم 64وفيها يقول عزّ من قائل﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ﴾ وهاهنا الإضافة هي (جاءوك يا علي).وما ورد في سورة (ق) آية رقم 24 وفيها يقول العزيز الحكيم ﴿أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾ فالإضافة هنا على صيغة (يا محمد يا علي ألقيا في جهنم .. الخ الآية). وما ورد في سورة الجمعة ال آية رقم 11 إذ يقول تعالى ﴿وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا﴾ والإضافة هي(انفضّوا إليها وتركوك مع علي قائما ...الخ الآية).

- أمّا الحالة الثالثة فتمثّلت بإضافة كلمتين هما(ولاية علي) إلى ال آية القرآنية، والصيغة التي تكرّرت فيه هذه الإضافة هي (في ولاية علي) مثلما ورد في سورة النساء آية رقم 170 إذ قال الله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَـَٔامِنُواْ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ وَإِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ فالإضافة هنا تأتي بعد (بالحقّ من ربّكم في ولاية علي) وكذلك بعد تكفروا في نفس ال آية بصيغة (تكفروا بولايته ...الخ الآية)؛ وكذلك ما ورد في سورة الزّخرف آية رقم 13 إذ جاء فيها ﴿كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ والإضافة تقع بعد كلمة المشركين بصيغة (كبر على المشركين

بولاية علي) وأيضا في نفس ال آية بعد ما تدعوه بصيغة (ما تدعوهم إليه يا محمد من ولاية علي الله يجتبي ...الخ الآية)؛ وكذلك مثل ما ورد في سورة الجمعة آية 11 إذ قال تعالى ﴿وَتَرَكُوكَ قَآئِمًاۚ قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ فالإضافة تقع بعد كلمة قل بصيغة(قل يا محمد ما عند الله من ولاية علي والأوصياء خير من اللهو ...الخ الآية). وما ورد في سورة المعارج آية رقم 1-2 إذ قال تعالى ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ لِّلۡكَٰفِرِينَ لَيۡسَ لَهُۥ دَافِعٞ﴾ والإضافة هاهنا هي(للكافرين بولاية علي..الخ الآية)، وما ورد في سورة الجنّ آية رقم 23 فيقول فيها الله تعالى ﴿إِلَّا بَلَٰغٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦۚ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ والإضافة تأتي بعد ومن يعص الله ورسوله (في ولاية علي).

- في الوقت نفسه يمكن الإشارة إلى أن الجدول قد تضمّن حالات تؤشر إلى زيادات في عدد من الكلمات والأسماء مثلما هو وارد في سورة آل عمران آية 33 إذ يقول الله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ ووردت هذه ال آية في تفسير فرات وتفسير التبيان للطوسي وتفسير مجمع البيان للطبرسي بصيغة تأخير آل إبراهيم بعد آل عمران أي على الشكل الآتي (إنّ الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران وآل محمد على العالمين) أو (آل محمد وآل عمران وآل إبراهيم على العالمين).وورد في ذات السورة آل عمران آية رقم 2 إذ قال عزّ من قائل ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ فقرئت في تفسير العياشي وتفسير البحراني وكتاب الشافي في تفسير القرآن لمؤلفه محسن الفيض (ياأيها الذين آمنوا اتّقوا الله حقّ تقاته ولا تموتنّ وأنتم مّسلمون لرسول الله ثمّ الإمام من بعده). وورد في سورة الأعراف آية رقم 172قوله تعالى ﴿وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡ﴾ فقرئت في تفسير العياشي وتفسير البحراني وفي بحار المجلسي بإضافة كلمات بعد «ألست بربّكم» هي (وأنّ محمّدا رسول الله- وفي أحد التفاسير أدخلت كلمة نبيكم بعد رسول الله-وأنّ عليّا أمير المؤمنين). وفي سورة الإسراء آية رقم 60 قوله تعالى ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِۚ وَمَا جَعَلۡنَا ٱلرُّءۡيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيۡنَٰكَ إِلَّا فِتۡنَةٗ لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلۡمَلۡعُونَةَ فِي ٱلۡقُرۡءَانِ﴾ فقرئت في عدد من التفاسير في ثلاث صيغ (وما جعلنا الرؤيا الّتي

أريناك إلّا فتنة لهم ليعمهوا فيها والشجرة الملعونة في القرآن ...الخ الآية) وفي قراءة ثانية (إلّا فتنة للنّاس ليعمهوا ..الخ) وأمّا الثالثة فهي (إلّا فتنة لهم) من دون يعمهوا ولا النّاس.

- وهناك حالة أخرى لعلها تقترب إلى الجانب التفسيري التأويلي، كالتي ذكرت في كلمة (أمّة) الواردة في كثير من آيات الذكر الحكيم، فهي بحسب عدد من التفاسير الشيعية الإمامية يقصد بها (أئمة). وتكرّر ذكر هذا التعبير في آي الذكر الحكيم ففي سورة البقرة آية رقم 143يقول عزّ من قائل﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾، فالقراءة الشيعية هي(وكذلك جعلناكم أئمّة ...الخ الآية)، ووردت كذلك في سورة آل عمران آية رقم 110 إذ يقول الله تعالى ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ فتكون القراءة الشيعية (كنتم خير أئمّة ...الخ الآية)، ووردت كذلك في سورة النخل آية رقم 92يقول الله تعالى فيها ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ﴾، ففي القراءة الشيعية تكون (أن تكون أئمّة هي أزكى من أئمّتكم ...الخ الآية).

- وهناك حالة هي في الواقع قراءة جديدة للكلمة مثلما جاء في سورة آل عمران آية رقم 28 إذ قال تعالى ﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ ﴾، فهي بحسب القراءة الشيعية (أن تتّقوا منهم تقيّة ...الخ الآية). وكالذي ورد في سورة آل عمران آية رقم 123فيقول عزّ من قائل ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ فكلمة أذلّة قد قرأت بصيغة (وأنتم ضعفاء) وفي قراءة أخرى (وأنتم قليل). وما ورد في سورة الأنعام آية رقم 159 إذ جاء فيها ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ﴾ تكون قراءة (فرّقوا) بحسب التفسير الشيعي (فارقوا دينهم). وفي سورة المائدة آية رقم 6 إذ قال الله تعالى﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ ﴾ والقراءة الشيعية تقرأ (وأرجلكم بكسر اللام لا بفتحها). وما ورد في سورة التوبة آية رقم 105يقول فيها الله تعالى ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ فقرئت كلمة (المؤمنون) في بعض التفاسير الشيعية

بصيغة (والمأمونون). وما ورد في سورة التّوبة آية رقم 118 إذ قال تعالى (وعلى الثلاثة الذين خلّفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم ...الخ الآية) قرئت في عدد من التفاسير الشيعية بصيغتين وهما ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ﴾ أو (وعلى الثلاثة المخلّفين ...الخ الآية). وكذلك ما ورد في سورة النّخل آية رقم 90قال الله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾، فقرئت في بعض التفاسير بإضافة كلمة حقّه بعد ذي القربى أي (وإيتاء ذي القربى حقّه ...الخ الآية). وفي سورة الحجّ آية رقم 52 إذ قال الله تعالى ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ﴾ قرئت في التفاسير الشيعية بإضافة كلمة ولا محدّث(وما أرسلنا من قبلك من رّسول ولا نبيّ ولا محدّث ...الخ الآية). وفي سورة الفرقان آية رقم 74 إذ يقول الله تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ تكون في بعض التفاسير الشيعية على الشكل الآتي (واجعل لنا من المتّقين إماما). وما ورد في سورة الجاثية آية رقم 29 إذ قال تعالى ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فقرئت في بعض التفاسير بصيغة (هذا بكتابنا ...الخ الآية). وفي سورة الفرقان آية رقم 28 إذ يقول الله تعالى ﴿يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾ قرئت في تفسير البحراني بالشكل الآتي (يا ويلتى ليتني لم أتّخذ الثاني خليلا). وهناك حالات قد قرئت في بعض التفاسير الشيعية بإضافة عدّة كلمات نظير ما ورد في سورة النساء آية رقم 24التي قال فيها الله تعالى ﴿فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ فقرئت في عدد من التفاسير الشيعية بالشكل الآتي (فما استمتعتم به منهنّ إلى أجل مسمّى فآتوهنّ ...الخ الآية). وجاء في سورة التّوبة آية رقم 40 قال الله تعالى ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ﴾ ففي بعض التفاسير قرئت (فأنزل الله سكينته على رسوله ...الخ الآية). وفي سورة الشعراء قرئت آية رقم 214 التي يقول فيها الله تعالى﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ بإضافة جملة عليها بالشكل (وأنذر عشيرتك الأقربين ورهطك منهم المخلصين). وورد في سورة التّوبة آية رقم ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ﴾ فقرئت (لقد تاب الله بالنّبيّ على المهاجرين والأنصار الذين أتّبعوه ...الخ الآية).

- في الوقت نفسه يمكن الإشارة إلى أن الجدول قد تضمّن حالات تؤشر إلى زيادة في عدد من الكلمات والأسماء مثلما هو وارد في سورة آل عمران آية 33 إذ يقول الله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ووردت هذه ال آية في تفسير فرات وتفسير التبيان للطوسي وتفسير الطبرسي بصيغة تأخير آل إبراهيم بعد آل عمران أي على الشكل الآتي (إنّ الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران وآل محمد على العالمين) أو (آل محمد وآل عمران وآل إبراهيم على العالمين).وورد في ذات السورة آل عمران آية رقم 2 إذ قال عزّ من قائل ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ فقرئت في تفسير العياشي وتفسير البحراني وكتاب الشافي في تفسير القرآن لمحسن الفيض (ياأيها الذين آمنوا اتّقوا الله حقّ تقاته ولا تموتنّ وأنتم مّسلمون لرسول الله ثمّ الإمام من بعده). وورد في سورة الأعراف آية رقم 172 قوله تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ فقرئت في تفسير العياشي وتفسير البحراني وفي بحار المجلسي بإضافة كلمات بعد ألست بربّكم هي (وأنّ محمّدا رسول الله- وفي أحد التفاسير أدخلت كلمة نبيكم بعد رسول الله-وأنّ عليّا أمير المؤمنين). وفي سورة الإسراء آية رقم 60 قوله تعالى ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ ۚ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ﴾ فقرئت في عدد من التفاسير الشيعية في ثلاث صيغ (وما جعلنا الرؤيا الّتي أريناك إلّا فتنة لهم ليعمهوا فيها والشجرة الملعونة في القرآن ...الخ الآية) وفي قراءة ثانية (إلّا فتنة للنّاس ليعمهوا ..الخ) وإمّا الثالثة فهي (إلّا فتنة لهم) من دون يعمهوا أوالنّاس.وما ورد من إضافة في سورة طه آية رقم 115 إذ قال الله في محكم كتابه ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ والإضافة كما جاءت في كتاب الكافي للكليني وفي تفسير البحراني وكتاب الشافي لمحسن الفيض موضعها- قبل فنسي-(ولقد عهدنا إلى آدم من قبل في محمد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين والأئمّة ومن ذرّيّتي فنسي ...الخ الآية).

- وتضمّن الجدول حالة لعلها أقرب إلى أن تكون توضيحية كما ورد في سورة الزخرف آية رقم 38 إذ يقول تعالى ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ

ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴾، فقرئت (جآءنا) بحسب رواية في كتاب الشافي في تفسير القرآن جآءنا(يعني فلاناوفلانا) أو قرئت على شكل (جآنا)؛ وبحسب تفسير القميّ قرئت ال آية (حتّى إذا جاءنا يقول لصاحبه حين يراه يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين).

• وورد في حالة أخرى هي في الواقع تعكس إختلافا في قراءة مختلفة ففي سورة النّبإ آية رقم 40 قال الله تعالى ﴿إِنَّآ أَنذَرْنَـٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَـٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًا ﴾، فحسب تفسير النعماني تكون قراءة ترابا (ترابيا). فالمستشرق يشير هنا إلى أن ترابيا المقصود به الإمام عليّا ويعتمد على تفسير النعماني في إظهار الغرض من هذه القراءة، وكذلك يعمّم رأيه بالأشارة إلى بحث البروفسور إيتان كوهلبرغ Kohlberg الموسوم (أبو تراب) المنشور في مجلة SOAS في سنة 1978[1].

(1) يراجع بحث البروفسور إيتان كوهلبرغ Etan Kohlberg (أبو ترابAbu Turab) في مجلة الدراسات الشرقية الآسيوية والإفريقيةSOAS الصادرة في مدرسة الدراسات الشرقية الآسيوية والإفريقية في جامعة لندن سنة 1978***

الفصل السابع

جون بيرتون وجوش مكدويل وجون جليكرايست
وعملية جمع القرآن

لا بدّ من استهلال هذا الفصل بإثارات بدأتبإثارة عدد منها في الفصول الأولى وهي في الحقيقة إثارات بصيغة تساؤلات مباشرة في هذا الموضوع المهم جدا في الدرسات الدينيـة والعقيديـة والتاريخيـة. في البداية أقـول لو أن الأمور التـي رافقت عملية جمع القرآن قد انطلقت من الإسلام وفي خدمة الإسلام الحنيف وتطبيقا لمبادئه القويمة لما تجرأ هؤلاء المستشرقين وغيرهم كثر على التمادي في فرض الفرضيات والإحتمالات في المشـروع الذي نهد بأعبائه الخلفاء الراشـدين الأول وهو المشـروع الذي كانوا قد حسـبوا نتائجه حسابا معكوسـا. فلو كانت البداية في مشـروعهم على غير ما ألفناه من حكاية واقعة اليمامة ومتعلقة بحروب كانت أسـباب إندلاعها وتداعياتها ونتائجها غير محسـومة لصالح الدين الإسلامي، بل من المحتمل جدا كانت لصالح المخططين لها مـن الصحابـة الأول؛ إذ الذي حدث لمالـك بن نويرة، على سـبيل المثال، كان وصمة عار في جبين خالد ابن الوليد الذي سفك دم مسلم كان يصلي صلاة الإسلام لا صلاة المرتد مسـيلمة الكذّاب. والأنكى من ذلك فإنه اتّبع شهوته وغريزته الجنسية الجامحة فاغتصب زوجة الشهيد المسلم ولما تكتمل عدة زوجها المقتول غدرا والذي كان قتله إثما وعدواناعظيما. أقول لو أن الخليفة الأول وعمر بن الخطاب قد أخذا الأمر بالواقع الـذي أظهـره الإمام علي وهو يحمل على ظهره الجمل القـرآن الكريم الذي ورثه إياه رسول الله وهو ملفوف بقطعة قماش إلى المسجد الجامع إذ كان فيه جمع من صحابة النبـي ومـن بينهم الصحابـة الخليفة الأول وعمـر وزيد بن ثابت وغيرهـم من الأنصار والمهاجريـن قائلا لهم هذا هو القرآن الكريم كما جمعه ورتّب سـوره وآياته وناسـخه

ومنسوخه وأسباب نزوله رسول الله، لما وقع الرواة ومؤلفو الصحاح ومؤلفو كتب السيرة والمؤرخون في حيرة حفزتهم على إثارة التساؤلات مفادها أإن القرآن كان أثناء الجمع تنقصه آية أو آيتين أو أكثر من ذلك أو أقلّ من ذلك؛ ولما نشط الحجاج الثقفي الوالي الذي قتل المسلمين ويجرأ على أن يغير في كتاب الله وأن يحرّف في كلماته وتعبيراته الكريمة المقدسة. والأهم من كلّ ذلك لما ألّف هؤلاء العلماء المسلمون الكتب عن اختلاف القرآءات بين المسلمين الذين كانوا في جيش الصحابي حذيفة بن اليمان، ولما وجد الخليفة الثالث نفسه منصاعا لنصيحة حذيفة بن اليمان بأن القرآن الذي ألّفته اللجنة الرباعية من الشباب الذين ربما كانوا من غير حفظة القرآن الكريم والذين استسلموا لما كان يمليه علهم سعيد بن العاص (فقيه قريش !) في اللغة العربية على الصحابي زيد المملى عليه. وبعد كلّ هذه اللّمات هناك اللّما الأهم وهي مدار نقاش هذا الفصل؛ أقول لما تجرأ هؤلاء المستشرقين وغيرهم كثر على الطعن في جمع القرآن الأول زمن أبي بكر ولا مع الجمع الثاني في خلافة عثمان بن عفان. فالمستشرق جلكرايست مثلاً يشكك في تسمية بوجود بعض السور القرآنية ويزعم أنها غير توفيقية وقد بنى زعمه هذا على أساس إن بعضها لم يسمّها رسول الله إنما سميت بذلك من قبل غيره نظير سورة الإخلاص. على الرغم من أن النبي قد تحدّث عن فضائلها مطولا؛ فهي تساوي ثلث القرآن (صحيح مسلم حديث 1344، حديث 1346 من كتاب صلاة المسافرين). أرجع لأقول أن الذين تكلفوا بفضيلة جمع القرآن لو أنهم تداركوا هذه الهنات بتوجيه استفسار مجرد استفسار للإمام علي أو للصحابي عبد الله بن مسعود أو للصحابي أبي بن كعب لما تشجع هذا المستشرق على التوكيد على شبهته هذه، إذنّ فلماذا ؟ لأنه في قرآن رسول الله الذي سلمّه لإبن عمه والذي كما ذكرنا سابقا قد جزأه إلى سبعة أجزاء وردت تسمية السورة باسم ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ فهي التسمية التي سمّاها رسول الله وبذلك نوجه صفعة في وجه المستشرق جلكرايست. ولو رجعنا إلى ما رواه مجاهد الذي نقله ابن النديم في فهرسته حين عدد سور القرآن الكريم فذكر سورة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [ينظر الفهرست صفحة 28). ولو عدنا إلى تسمية أسماء السور القرآنية في مصحف أبي بن كعب لوجنا التسمية (الصمد). [م.ن. صفحة 30. وتسميتها في مصحف عبد الله بن مسعود (الله الواحد الصمد). فجميع هذه التسميات

والأخص منها ما كان زمن رسـول الله هي التي التسـمية المتداولة بين المسـلمين على عهده عليه أفضل الصلاة والسلام. فلم عزل الصحابة الخليفة الأول وعمر وزيد هؤلاء الموثوقين جدا على لسان النبي نفسهإمام علي والصحابة من كتّاب الوحي رضوان الله عليهم.

ولنأخـذ ثمة أمثلة جاءت على لسـان المستشـرق وهو يتحاور مـع ثلاثة من العلماء المسـلمين الدكتـور كوكـب الصديق والباحـث عبد الصمـد عبد القادر وثالث اسـمه مولانا ديزاي عالم من موطن المستشـرق جلكرايست من جنوب أفريقيا. ففي المقدمة وردت عدة أفكار تعدّ هي المحاور الأساسية لموقفه من القرآن الكريـم:-

1- يقول المستشرق في المقدمة «إن الأصل الإلهي للقرآن لا يمكن حلّه باعتبار طريقة نقله وتوصيله وإنما تكون براسة مضمونه وتعاليمه. ما يهمنا هنا هو فقط استخلاص الدقة التي تم بها تأليفه وجمعه» [Introduction ;2D] .في هذا المقطع من كلام المستشرق رأي خطير فهو لم يعترف بقدسية القرآن وإنه منّزل من الله سبحانه وتعالى؛ فلماذا، وكيف أسّس رأيه هذا ؟ ببساطة إنه في الجزء المتمم لقوله، إن المهم هو استخلاص الدقة التي تم فيه الجمع والتأليف أو كما عبّر عنه في اللغة الإنجليزية «دراسة تعاليمه ومحتوياته» ! فتعبير الجمع والتأليف أو العاليم والمحتويات إشارة إلى جمع الصحابي زيد بن ثابت بأمر من الخليفة الأول و عمر بن الخطاب وورد هذا النصّ باللغة الإنجليزية كالآتي :

The issue of the alleged divine origin of the Qur'an must be determined by a study of its teaching and contents، it cannot be resolved through .an analysis of the manner in which the text was originally transmitted

وهـذ الـرأي جد خطير. غير أن السـؤال المهم الذي يترتب علـى ذلك هو كيف توصل المستشـرق لهذا الـرأي وما هي مبرراته ومصادره؟ والجـواب على ذلك هو الروايات التي اعتمدها بشأن الخطوات التي اتبعت في جمع

2- كتاب المستشرق جون جلكرايست (جمع القرآن) Jam' al-Quran:The codification of the Qur'an text) في حقيقة أمره عبارة عن ردود المستشرق على ثلاثة علماء من جنوب افريقيا وعلى انتقادتهم الشديدة اللهجة، بحسب

رأيه، بحقه لكونه مبشرا يهدف إلى ضرب الدين الإسلامي والى التشكيك بقدسية وألوهية القرآن الكريم؛ فوزع فصول الكتاب إلى سبعة فصول:- الأول منها عنوّنه بعنوان (الجمع الأولي أو التمهيدي للنصّ القرآني .ويتضمن عدة مسائل من بينها؛ تطور القرآن خلال حياة محمد. والجمع الأول للقرآن في عهد أبي بكر. وتأمل بشأن الجمع الأولي للقرآن. والايات المفقودة تلك التي وجدت عند أبي خزيمة. وفوتوكوبي: القرآن الأول في الخط الكوفي. أمّا الفصل الثاني فقد خصّصه لجمع عثمان للقرآن؛ ويتضمن عدة محاور 1- أإن لمصحف أبي بكر له مرجعية رسمية أم أنه كان تصرفا فرديا منه ومن كلّ من عمر بن الخطاب وزيد بن ثابت. ولعله لهذا السبب لم يتخّذ صفة رسمية ولم يتم الإعتراف به بين صفوف المسلمين؛ كالذي كان بالنسبة إلى المصحف في عملية الجمع الثاني زمن الخليفة الثالث الذي صار المصحف الرسمي والذي وزع على الآفاق أو على الأمصار الإسلامية. ولذلك أيضاً أوصى به الخليفة إلى عمر ومن ثمّ أودعه الخليفة الثاني عند ابنته حفصة زوج رسول الله . 2- أوامر عثمان في حرق المصاحف الأخرى. وهو الموضوع الذي عالجه المستشرق معالجة مستفيضة.

3- لو أن الصحابي زيد قد نصح الخليفة وعمر بن الخطاب بأن ما جمعه الإمام علي هو عين القرآن، واستمعوا إلى قوله بأنهم سوف لن يكون باستطاعتهم أن يأتوا بمثله لأنه نتيجة من نتائج العرض الأخير للنبي والملك جبرئيل وكما عرضته رواية السيوطي في(الإتقان) حينما ذكر رأيا لإبن أشته في كتابه (المصاحف) نقلا عن محمد بن سيرين حديثه مع عكرمة قائلا: هل ألّف الخليفة وعمر وزيد القرآن كما «نزل الأول فالأول. قال: لو اجتمعت الأنس والجن على أن يؤلفوه ذلك التأليف ما استطاعوا» ويقصد بذلك الجمع الذي قام به الإمام علي؛ ويعلق السيوطي على هذه الرواية بقوله «إسناد حسن ابن الضرّيس في فضائل القرآن»، وعلق السيوطي تعليقا آخر بعد ذكره رأي ابن أشته قول محمد بن سيرين «وفيه - ويقصد جمع الإمام للقرآن- إنه كتب في مصحفه الناسخ والمنسوخ وإن ابن سيرين قال: فطلبت ذلك الكتاب وكتبت إلى المدينة فلم أقدر عليه» ينظر الإتقان جزء 1 ص169.

4- ويذهب المستشرق بعيدا في إثارته الثالثة التي نصّت عليه مقدمة الكتاب أثناء ردّه على العلماء المسلمين الثلاثة إذ يصف ردود فعلهم ومناقشاتهم ب» الإنفعالات العاطفية» ويقول أيضاً بإن تلك الردود هي عبارة عن بما يمكن ترجمته من اللغة الإنجليزية «الهيجان العاطفي وتكشف أو وتدل على خوف هؤلاء العلماء بله العلماء المسلمين الآخرين من أية دراسة تاريخية بكل معنى الكلمة، لموضوع جمع القرآن لئلا تؤدي أما إلى دحض أو إلى اثبات بطلان الافتراض بأن القرآن قد جمع واحتفظ به على نحو كامل. ولمّا كان رأي المستشرق الخطير هذا مهما وخطيرا علينا نقله نصّا إذ يقول ما نصّه Such emotional outbursts betray the Muslims' fear of a purely» historical study of the Quran's compilation lest it should disprove the supposition that it was both perfectly collected and preserved. In this book will confine myself purely to study the extent to which the text «of the Quran has been accurately and >or completely transcribed

5- وتناول المستشرق في كتابه (الفقرة الأولى)الخاصة بموضوع (تطور القرآن في عهد محمد) في بدايتها قوله:-غن أية دراسة المسألة جمع النصّ القرآني ينبغي أن تبدأ بمميزات الكتاب وخصائصه ذاته كما تسلّمه أو بلّغ بع محمديالى صحابته أثناء حياته. فالكتاب لم يبلغ، أو كما يعتقده المسلمون، أوحي له جميعا مرة واحدة. إنّما تبلغ به على شكل أجزاء عبرفترة تاريخية لثلاث وعشرين سنة منذ بداية دعوة محمد بالإسلام في مكة في سنة 610م إلى حين وفاته في المدينة في سنة 632م. والقرآن نفسه يعلن ذلك بأن الله قال لمحمد (قال الذين كفروا لولا نزّل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا) سورة الفرقان آية 32.

ويستمر المستشرق في قوله مستنتجا كما ترجمناه إلى العربية قائلا:- والأبعد من ذلك لم يحفظ أي مدونة أو أي شيء محفوظ أي ترتيب بالتعاقب للمقاطع لا من محمد نفسه ولا من أصحابه. ولذلك، ولأن كل واحدة من المقاطع (يقصد المستشرق الآيات)أخذت، وبدأ بجمعها في سورة حقيقية (بمعنى أي فصل Chapter)، ولم يقدم أي اعتبار لا إلى الموضوع ولا إلى الترتيب أو ما يعرف بالتسلسل حسب فترات نزولها

ولا إلى تعاقب نزولها الكرنولوجي التاقبي. وقد اعترف الكتاب بأن أغلبية السور وبالأخص منها السور الطويلة، ما هي إلّا نصوص مركبة أو مؤلفة تتضمن على مقاطع (يقصد آيات) متنوعة ليس بالضرورة كونها متصلة ببعضها البعض الآخر سواءا في التسلسل الزمني أم في الطريقة التي قدمت فيها. وبمرور الزمن فإن محمدا اعتاد على أن يقول «ضعوا هذا المقطع (يقصد الآية) في السورة كذا في موضع كذا «(السيوطي؛ الإتقان جزء 1 صفحة 141.). وهكذا تضاف المقاطع (يقصد الآيات) إلى الجمع والتصنيف للمقاطع (الآيات) الأخرى التي قد جمعت سوية بالفعل إلى ان تصبح هذه المقاطع (الآيات) سورة متكاملة ومتميزة. وهناك دليل على ذلك الأمر بأن عددا من هذه السور كانت بالفعل تحمل عناوين متميزة في عهد محمد، كما يتبين من الحديث الآتي:-

* (قال رسول الله من قرأ هاتين الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه»

* (وروى أبو الدرداء بأن رسول الله قال: من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجالوآله كان يأمر بكتابته) ينظر صحيح مسلم جزء2صفحة حديث 1342.

وفي الوقت نفسه فإن هناك دلائل على وجود سور لم يعطها محمد أية عناوين. فسورة الإخلاص (آية رقم 112) على سبيل المثاللم يسمّها محمد على الرغم من أن محمد قد تحدث عنها مطولا وذكر أن الأربع آيات تساوي ثلث القرآن جميعا. ولم يذكرها باسمها. (صحيح مسلم الحديثين 1344،1346).

والآن جاء دورنا في مناقشة هذه الاراء؛ بادئ ذي بدء نجد أن المستشرق يستشهد بالأحاديث التي وردت فمؤلفات الصحاح ولاسيما في صحيح البخاري وصحيح مسلم، لهذا فكلامه يعدّ منطقيا وموثقا .غير أن هناك مجالا واسعا للمناقشة والردّ وعلى وفق الآتي:-

1- ليس صحيحا القول بكل الثقة التي أعلنها المستشرق بأن القرآن الكريم لم يكن مكتوبا أو محفوظا أو حتى منزّلا دفعة واحدة على رسول الله، بل كان القرآن مجموعا ومرتبا ترتيبا زمانيا، وحسب قول الإمام علي ، ومكانيا. فقد أخرج

حديث على شرط الشيخين عن زيد بن ثابت قوله «كنّا عند رسول الله نؤلف القرآن من الرقاع «(نقلا عن الحاكم النيسابوري؛ صحيح جزء 2 صفحة 249 عند السيوطي؛ الإتقان جزء 1صفحة 167). وهو دليل واضح على كتاب الله تعالى كان يكتب في عهد الرسول. وفي رواية مهمة للسيوطي استند فيها السيوطي على الحارث المحاسبي في كتابه (فهم السنن) يذهب نصّها» كتابة القرآن ليست بمحدثة فإنه كان يأمر بكتابته، ولكنه كان مفرقا في الرقاع والأكتاف والعسب، فإنّما أمر الصديق بنسخها من مكان إلى مكان مجتمعا وكان ذلك بمنزلة أوراق وجدت في بيت رسول الله فيها القرآن منتشرا فجمعها جامع وربطها بخيط حتى لا يضيع منها شيء؛ فإذا قيل كيف وقعت الثقة بأصحاب الرقاع وصدور الرجال ؟ قيل لأنهم كانوا يبدون عن تأليف معجز، ونظم معروف، قد شاهدوا تلاوته من النبي عشرين سنة، فكان تزوير ما ليس منه مأمونا، وإنما كان الخوف من ذهاب شيء من صحفه »(م.ن.). فالمهم في هذه الرواية كونها تعدّ الردّ المباشر على جميع التشكيكات والتساؤلات التي أبداها المستشرق جلكرايست. فاعتماده على رواية معركة اليمامة التي تظهر عملية جمع القرآن وكأنها عملية جديدة وغير مدروسة بل وإرتجالية قد فكر باهميتها الصحابي عمر بن الخطاب، لذا ما كان على الصحابي زيد إلّا أن يشمّر عن ساعديه بالبحث والمتابعة عن الآيات القرآنية وهي مبعثرة ومتفرقة بين العسب والأكتاف والعظام وما إلى ذلك من مواد غير مؤهلة للحفظ والتدوين لمدة طويلة بسبب تعرضها للعوامل الجوية. في الوقت الذي اعترف فيه زيد بالمهمة الدائمية على أنه ورسول الله هكانا يؤلفان القرآن، وللبيهقي تعقيب دقيق لما ذكره زيد بشكل واضح وصريح إذ قال» ويشبه أن يكون المراد به تأليف ما نزل من الآيات المتفرقة في سورها وجمعها فيها باشارة النبي» (نقلا عن البيهقي عند السيوطي؛ الإتقان جزء 1 صفحة 167. والأهم من كل هذا وذاك فإن السيوطي بنقله هذه الرواية عن المحاسبي ومحاججته البالغة الأهمية عن إعجاز القرآن في النظم واللغة والتلاوة بلسان النبي طيلة مدة بعثته التي حدّدها بعشرين سنة بمعنى تلقيه الوحي بنزول آيات الذكر الحكيم لا تقود إلى الشك الذي يدعمه قول المستشرق جلكرايست وجون بيرتون وآخرين؛ كذلك فقد بينت رواية البيهقي سبب ذلك

وهو «لصعوبة التزوير في متن الكتاب المبين ولغته واسلوبه». بمعنى آخر إن الرواية التي أوردناها في الفصول السابقة وبخصوص ما قاله عمر بن الخطاب وبعده عثمان بن عفّان عن اللغة التي يفضلانها عند جمعهما القرآن وهي أن يكون بلغة هذيل أو لغة مضر أو لغة قريش لا مجال له لأن إعجاز القرآن في النظم واللغة والتلاوة بلسان النبي أمر بيّن جدا.

2- والأكثر اهمية هو ما جاء في رواية البيهقي تلك المعلومة القيّمة «ولكن الخوف كل الخوف من أن ورقة من هذا القرآن الجامع المربوط بخيط قد تضيع منه صحف [طبعا هنا المراد بالصحف أوراق أخرى] ليس إلّا. فالقرآن الكريم كان مجموعا وملفوفا بخيط فضلا عن أنه مكتوب على الورق. فأين يقع استنتاج المستشرقين في مثل هذه الحالة؟!. وعلى ذكر استخدام الورق في الجمع زمن رسول الله. فالمستشرق كان مرارا يكرر على المواد التي جاءت في رواية معركة اليمامة بأن زيدا أخذ يتتبع جمع القرآن من العسب واللخاف والأكتاف والقتب وما إلى ذلك لكنه يعرف حق المعرفة بأن القرآن كله كان مجموعا، وهذ ما تبينه صراحة الرواية التي أدلى بها ابن شهاب الزهري نفسه، والعجيب أنها الرواية التي تكرر ذكرها في صحيح البخاري ومسلم؛ قال الزهري بأن أبا بكر قد «جمع القرآن في قراطيس» [السيوطي؛ الإتقان جزء 1صفحة 171. وهناك رواية أخرى عسى أن يتذكرها الصحابي زيد حين قال له رسول آت بالقلم والقرطاس...؟؟ فلم يقل له الرسول آت بالكتف والدواة. هذا ناهيك عن الرواية التي أدلى بها الهلالي واليعقوبي من أنّ الإمام علي جاء المسجد الجامع وهو يحمل القرآن الكريم بعد جمعه إياه إذ كان في قراطيس وأوراق لا في الأكتاف والقتب والعسب!.

3- مسألة أخرى مهمة بشأن تركيز المستشرق على أن القرآن لم يكن محفوظا فحسب ولذلك فقد نسي الصحابي زيد وهو من حفظة القرآن ومن كتاّاب الوحي، فما هو الموقف من القاعدة التي كانت مطبّقة في مسألة الأخذ برواية أحد من الناس كونه قد سمع هذه ال آية أو تلك من رسول الله حصرا وهو معيار أو قاعدة (الحفظ والكتابة) كما صرّح به ابن حجر العسقلاني. ويعتمد السيوطي على قول السخاوي أيضاً إذ يقول السخاوي في كتابه عن القرّاء بأن المراد

بالشاهدين اللذين فرضهما زيد في قبول رواية الناس: بأن المقصود بالشاهدين على أن ذلك المكتوب وكتب بين يديّ الرسول أو أنهما يشهدان على أن ذلك من الوجوه التي نزل بها القرآن».[عند السيوطي الإتقان جزء 1 صفحة 170.

4- وهناك رواية أدلى بها البغوي في شرح السنة تتعلق بالأحرف السبعة أوردها بسند النزّال «قال سمعت النزّال بن سبرة الهلالي عن ابن مسعود قال سمعت رجلا قرأ وسمعت رسول الله يقرأ خلافها، فجئت به النبي فأخبرته، فعرفت في وجهه الكراهية وقال: كلاكما حسن،فلا تختلفوا،فإن قبلكم اختلفوا فهلكوا» [البغوي مجلد 3ص278. وبدأ البغوي يفصّل في حيثيات الأحرف السبعة إلى أن قال ما نصّه « إذ ليس معنى هذه الحروف أن يقرأ كلّ فريق بما شاء فيما يوافق لغته من غير توقيف بل كلّ هذه الحروف منصوصة وكلّها كلام الله نزل به الروح الأمين على رسول الله يدل عليه قوله (إنّ هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف) فجعل الأحرف منزّلة، وكان رسول الله يعارض جبريل في كلّ سنة في شهر رمضان بما يجتمع عنده من القرآن، فيحدّث الله فيه ما يشاء، وينسخ ما يشاء، وكان يعرض عليه في كلّ عرضة وجها من الوجوه التي أباح الله له أن يقرأ القرآن به، وكان يجوز لرسول الله بأمر الله سبحانه وتعالى أن يقرأ ويقرئ بجميع ذلك، وهي كلّها متفقة المعاني وإن اختلف بعض حروفها «م.ن. مجلد 3ص279-280. وهذا النصّ الرائع يقطع كلّ ما كان يشغل بال المستشرقين من الرواية المليئة بالتناقضات التي دوّنها البخاري ومسلم ومن تبعهما من أصحاب السنن والتاريخ. فلم يكن القرآن الكريم قد جمع على وفق ما يشتهيه الصحابي زيد الذي حسبما يبدو أنه قد تغافل أو نسي أبان حقبة معاصرته الوحي عن أن الرسول كان في كلّ رمضان يجتمع بالملك جبرئيل ليتناقشا في المجموعة من الآيات التي أنزلها الله تعالى خلال السنة السابقة؛ فالترتيب وأسباب النزول ومعاني الآيات والناسخ والمنسوخ هي من بين الأمور الحيوية فلا يتجوز البعض إن كانوا من الصحابة أو من غيرهم ليدّعي بقصد أو بدونه أن يفعل كذا وكذا أو أن يجعل السور الطوال لوحدها والقصار لوحدها أو أن يرتب القرآن حسبما يشاء وبما يشتي هواه أو هوى السلطة؛ إن هذا محض هراء وهذيان. ولذلك أرجع فأقول إن الخليفة الأول وعمر وزيد قد أخطئوا التقدير في

ممانعتهم حتى مجرد النظر إلى ما حمله الإمام علي اليهم من القرآن الذي قد شهده رسول الله والملك جبرئيل في العرضة الأخيرة التي كانت محلّ مناقشة خلال مرتين وليس كما كان معهودا في السابق خلال مرة واحدة في السنة.

5- ولنلاحظ خطورة الرواية الآتية المروية بسند عن أبي قلابة في أنها هيأت للمستشرقين عموما وللمستشرق جلكرايست وجون بيرتون على وجه الخصوص أرضية صلبة في الطعن بكتاب الله العزيز والطعن والتقليل بالكيفية التي تمذ فيها جمع القرآن فيها. «قال أبو قلابة فحدثني أنس بن مالك (أو مالك بن أنس حسب قول محقق كتاب المصاحف للسجستاني. أقصد أن أبا قلابة من البداية قد عرّف نفسه تعريفا مشوها فهو لا يميز بين مالك بن أنس أو أنس بن مالك) قال: كنت فيمن أملي عليهم فربما اختلفوا في ال آية فيذكرون الجل قد تلقاها من رسول الله ولعله أن يكون غائبا أو في بعض البوادي فيكتبون ما قبلها [أي ما قبل هذه الآية] وما بعدها ويدعون موضعها حتى يجيء أو يرسل إليه، فلما فرغ من المصحف كتب إلى أهل الأمصار إني قد صنعت كذا محوت ما عندي فامحوا ما عندكم «[المصاحف ص96. أهكذا ألّف الخليفة الثالث القرآن أو جمعه؟!. فأين نحن وما قيل في الفقرة السابقة عن اجتماع النبي والملك جبرئيل سنويا وفي السنة الأخيرة من حياة رسول الله مرتين ليتشاورا ويرتبا ويفسرا معاني الآيات وغير ذلك وبين هذه الرواية التي تشوه عملية الجمع بهذه الصورة البدائية والبدوية. وهي رواية إذا ما وضعناها إلى جانب الرواية الآتية تكتمل الصورة غير الموضوعية للعمل الذي نهد به الخليفة الثالث «عن مصعب بن سعد قال سمع غثمان قراءة أبي [بن كعب] وعبد الله [بن مسعود] ومعاذ فخطب الناس ثم قال أنما قبض نبيكم منذ خمس عشرة سنة (**نتأكد من بداية عهد عثمان**) وقداختلفتم في القرآن عزمت على من عنده شيء من القرآن سمعه من رسول الله لما أتاني به، فجعل الرجل يأتيه باللخاف والكتف والعسب فيه الكتاب ...ثم قال أي الناس أفصح ؟ قالوا سعيد بن العاص ثم قال أي الناس أكتب ؟ قالوا زيد.[م.ن.ص101-102. فالخليفة جزاه الله قد سمع قراءة الصحابة مّمن كان لديه مصحفا لكنه تجازهم من دون الإطلاع على قراءاتهم وطلب من المجتمعين والمستمعين، فجاء هؤلاء بما لديهم من سعفة أو عظمة

كتف وما إلى ذلك للخليفة من أجل أن يجمع القرآن من دون أن يسئل نفسه إن عهده في منصف الثلاثينيات أي بعد حوالى عشرين سنة من رحيل رسول الله. فكيف بتلك الأدوات الكتابية التي تتلف بعد مدة قصيرة أن تبقى على حالها؛ لماذا لم يستمع الخليفة إلى كلمة الحق وهي الكلمة العليا أن يجتمع بالإمام علي ليدوّن ما سبق جمعه من مصحف رسول الله؛ بل لماذا لم يجتمع بالصحابة الذي سمع قرائتهم فيأخذ بها. وبذلك يكفي الأمة الإسلامية من شرور التحريف والإدّعاء والتزوير. كلّ هذا ممكن لو أن الخليفة تنازل عن أحقاده ونكرانه جهود الآخر الأعلم منه والأكثر دراية وحفظا ومنزلة للقرآن الكريم. ولماذا تناسى الخليفة نتيجة توتر أعصابه إذا ما ذكر اسم ابن أم عبد؛ الذي قال فيه رسول الله (خذوا....؟) بدلا من أن يبدأ من جديد لأن زيدا قد سبقه في التفتيش هنا وهناك عن عظمة كتف وغير ذلك، بينما تكون الرواية الحقيقة التي من الضروري بل من المحتّم أن يبدأ زيد بداية منطقية بالتشاور مع الإمام علي لتحقيق إنجاز علمي ومدروس لكتابة المصحف؛ ومصحف رسول الله قد حمله الإمام إلى المسجد الجامع حيث كان يجتمع فيه الخليفة والمجموعة التي تؤيد عمل الصحابي زيد بن ثابت.

6- حقيقة إن المستشرق جلكرايست قد أثار مسألة في غاية الأهمية تتعلق بالجمع الأول للقرآن وقد حفزتنا تلك النقطة الجديرة إلى التساؤل عن أسباب ونتائج الجهد الذي بذله زيد بتشجيع من أبي بكر وعمر في ملاحقة المواد غير المنضبطة التي قيل إنها كانت تمثل القرآن المجيد أي الألواح والقتب والأكتاف ...الخ. فلماذا جمع القرآن؟ الجواب ميسور وسهل وذلك لكي يكون للأمة إماما وقرآنا خوفا عليه من الاختلاف وخوفا عليه من الفقدان والضياع وهو سبب جيد بامتياز؛ لكن فإن لماذا بقيت تؤدي دورا أإن الخليفة أراد حفظه فحسب أم تدواله، بمعنى نشره بين أوساط المجتمع المديني على الأقل لأن الفتوحات الإسلامية لم تنطلق بعد في هذه الفترة المبكرة من عهد الخليفة الأول. آخذين بنظر الاعتبار إنطلاقة حملة بلاد الشام في هذا العهد وإنطلاق ما يسمى بحروب الردة باتجاه جنوب الجزيرة العربية. وإن جزءا من التعليمات المزوّدة لخالد بن الوليد هي إعادة المرتدين إلى حظيرة الإسلام

بقراءة القرآن. ألا يرى القارئ اللبيب أن هناك حاجة ملّحة لأن يوزع القرآن أو إلى حدّ ما ينشر في المناطق المفتوحة إن كان هناك بلاد مفتوحة. ناهيك القول بأنه في عهد الخليفة الثاني عند البدء بالعمليات الواسعة للفتح صارت الحاجة إلى القرآن الموحد ضرورية وملّحة جدا بل وواقعية جدا أكثر بكثير من الحالة التي اكتشفها الصحابي حذيفة بن اليمان في عهد الخليفة الثالث. تلك الحالة التي اضطرته إلى أن يشكل لجنة رباعية من فتيان آل أمية وأصدقائهم كعبد الله بن الزبير إلى جمع القرآن وجعله بل وفرضه رسميا على الأمصار الإسلامية. إذن لماذا لم يبادر الخليفة الأول على جعل الجمع الأول رسميا فيشرعن ولايته؛ فالمستشرق جلكرايست تساءل في كتابه فيما إذا كان للمصحف الذي جمعه الخليفة وزيد أي صفة شرعية أو رسمية؟ Did Abu Bakr›s codex have official status؟. قد يقول قائل إن المشروع ربما كان ناقصا أو أن الخليفة وعمر وزيد ارتأوا تأجيل العمل به وذلك لأن الصحابة من كتّاب الوحي الأساسين ما زالوا يحتفظون بمصاحفهم التي تتوافق مع النص القرآني إن كان في ترتيب السور وعناوينها أم في ناسخها ومنسوخها أم في معانيها. لذلك ربما كان جعل الكتاب رسميا قد يقود إلى موازنته مع تلك المصاحف فيتبين عندئذ أنه غير متكامل. لم يكن عمل عثمان في واقع الحال جديدا لأنه عند بدء التفكير بالجمع طلب النسخة التي جمعها زيد والتي كانت مؤمنة من الخليفة الثاني إلى ابنته حفصة زوجة رسول الله. ولهذا السبب استفهم المستشرق عن هذا الموضوع بمعنى هل كان قرآن زيد قرآنا رسميا للدولة العربية الإسلامية أم ظل محدودا بل ومحفوظا عند الخليفة الثاني وابنته فحسب. فيذكر السجستاني رواية سندها الآتي «سمعنا خالد بن إياس بن صخر بن أبي الجهم [وهو اسناد جيد بحسب محقق الكتاب] يذكر إنه قرأ مصحف عثمان فوجد فيه مّما يخالف مصاحف أهل المدينة باثنتي عشر حرفا». (السجستاني؛ المصاحف ص138-139.كذلك يضيف السجستاني شارحا اهمية ما قاله الصحابي حذيفة بن اليمان قائلا «كان حذيفة هو الذي أشار على عثمان بأن يجمع المصاحف على مصحف واحد. فأرسل عثمان إلى حفصة أن تعطيه المصحف، وجعل لها عهد الله ليردّها إليها، فأعطته إياها فعرضت الصحف عليها» (المصاحف ص12-13.) إذن فإن

المصحف الذي جمعه عثمان قد إتّخذ ذات المنهج الذي سار عليه الصحابي زيد، وزيد كان رئيس اللجنة التي انتقاها عثمان وكانت مهمته فيها العضو الذي يملى عليه (أي المملي) والذي يملي عليه سعيد بن العاص. يقول السجستاني «وهكذا جعل عثمان سور القرآن المفرقة مصحفا بعد أن كان صفحة. الفرق بين الصفحة والمصحف أن الصفحة الأوراق المجردة التي جمع فيها القرآن زمن أبي بكر وكانت سورا مفرقة كلّ سورة مرتبة على حدة فلما نسخها عثمان ورتب بعضها صارت مصحفا». (م.ن.ص14)

فهذه الرواية تعدّ أشبه بالضربة القاضية لرواية معركة اليمامة وتتناقض معها كليّا فلعل ما خططه الخليفة وما قام به زيد إن هو إلّا عمل لا قيمة له وإن نتائجه لم تتمخض عن أنتاج قرآن كالذي أرادته عزيمة الخليفة وعمر بن الخطاب إنما كان عملا ناقصا وعبارة عن سور مفرقة كلّ سورة مرتبة على حدة، وأن الفضل يرجع إلى عثمان فهو الذي رتبها وجعلها مصحفا. كيف لنا ونحن نقرأ هذه الرواية التمييز والموازنة بين الرواية الأكثر صحة لما قام به الخليفة الأول من جمعه القرآن وترك الأمر للخليفة من بعده الذي تركه إرثا لابنته حفصة ؟ هل يمكننا الوصول إلى نتيجة مفادها إن العملين، الأول والثاني، يثيران شكّا في مدى جدواهما، لاسيما وإن مصحف عثمان كان يختلف عن المصاحف المتوافرة في مدينة رسول الله . لهذا فإن تساؤل المستشرق له جدواه وواقعيته.

7 - عندئذ الا يعتقد المرء بأن ممانعة الخليفة الأول وعمر بن الخطاب تصب في هدف مشترك وهوعزل وإبعاد الاعتماد على مصحف رسول الله الذي حمله اليهم الإمام علي وجعله الإمام والمصحف الرسمي بدلا من إجراء ترميما غير موضوعي ومجرد جمع ما تفرق من السور بالصيغة الناقصة والعليلة التي لجأت إليه اللجنة الرباعية التي شكلها الخليفة الثالث. فلو أنهم تجاوزوا كراهيتهم لبني هاشم ولآل بيت النبي، ولو أنهم تجاوزوا عن أحقادهم على الصحابة من كتّاب الوحي الحقيقين وشكلو لجنة جديدة ليس فيها إلّا الذين كانوا هم كتبة الوحي الحقيقين لما تركت مسألة جمع القرآن بالصيغة التي بنيت على العناصر المتناقضة التي احتوتها رواية معركة اليمامة.

8- أمّا بخصوص الكتابة ومدى توافرها في المجتمع المديني في عهد رسول الله؛ ففي الإمكان القول أن تعلمها قد ازداد مع ظهور الإسلام، والقرآن الكريم خير عون على الوصول إلى هذه النتيجة بدءا من سورة القلم وسورة أقرأ بسم ربك الأعلى والآيات المتعددة التي تفصح عن موقف الإسلام من التعلم والتعليم والكتابة وغير ذلك من موقف الإسلام من العلم والمعرفة والسعي الحثيث لتعلم اللغات -على الأقل لغات الأمم المجاورة للجزيرة العربية. وكان رسول الله يأمر كتّاب الوحي أن يكتبوا ما يوحى إليه من الله سبحانه وتعالى وكان دؤوبا في التأكد بنفسه عن صحة ما يكتبونه فإن وجد نقصا أو خطئا أو أي إشكال في ما كانوا يكتبونه يأمر بتصحيحه في الحال .فقد روي عن زيد بن ثابت قوله «كنت إلى جانب رسول الله أكتب ما يملي عليّ من الوحي، وعندما تنتهي الكتابة كان يقول اقرأ فأقرأ، وإذا وجد فيما كتبت نقصا كان يصححه») ينظر الصولي؛ ابو بكر:أدب الكتّاب - تحقيق محمد بهجت الأثري، القاهرةً 1341ص165). وكان الإمام علي ممن كلف بمثل هذه المسشولية الكبيرة والبالغة الأهمية .يضاف إلى ذلك ما قالهالصحابي عبد بن مسعود بشكل قطعي في رواية سندها يرجع إلى أبي سعيد الخدري قال «سمعت عبد الله بن مسعود يقول أقرأني رسول الله سبعين سورة أحكمتها قبل أن يسلم زيد بن ثابت «[المصاحف -طبعة القاهرة 1424/ 2003ص79. وفي رواية أخرى إنه تعلم من في رسول الله تسعين سورة. وهي مسألة في غاية الأهمية للردّ على الرواية التي تدّعي أن الآيات أو السور كانت متفرقة وغير مرتبة.

9- وواقعيا لم تكن الطريقة التي يملي الصحابي على الشخص المملىتختلف في شيء عن الطريقة المألوفة اليوم، فأبن قتيبةيذكر في كتابه (أدب الكلتب) في باب الحديث عن الألف في كلمات الصلوة والزكوة والحيوةفي أنها تتحول ذكر أن الألف في كتابتها تكون أفضل لولا عادة العارفينبالكتابة في العهد الذي كتبت فيه المصاحف الأولى فبقي رسمها بالواو. لقد كانت القراءة والكتابة في العهد المدني نظاما مؤسسيا فعبد الله بن سعيد بن العاص كان بحسب ما ذكره ابن الأثير في كتابه أسد الغابة واحدا من المكلفين من قبل رسول الله بتعليم الكتابة في المدينة. [ابن الأثير؛ أسد الغابة في معرفة الصحابة-القاهرة 1393-1973م

جزء 3صفحة 268. فضلا عن هذا فقد جعل النبي من الاجبات المهمة لمن كان يعرف قراءة القرآن أن يعلمها جيرانه حتى صار هذا الإيعاز من فروض الجيرة. [ينظر الكتاني؛ عبد الحي؛ التراتيب الإدارية - بيروت، دار إحياء التراث العربي جزء 1ص 40-41. وذكر ابن عبد البر في كتابه الإستيعاب أن هناك دار للقرّاء في المدينة [هامش كتاب ابن حجر العسقلاني الإصابة جزء 2 ص259-260. وهذا إن دلّ على شيء يدل على أن هناك عددا كبيرا من آيات الذكر الحكيم المدونة بشكل متفرق ومجتمع في عهد رسول الله، فضلا عن هذا فإن استظهار بعض الصحابة للقرآن الكريم وحفظهم له كاملا وحفظ الأغلبية من المسلمين أمر من دون شكّ ينطوي على أهمية كبيرة في المحافظة على كتاب الله العزيز، لهذا لا معنى لأن ينسى أو يتناسى الصحابي زيد آيات من كتاب الله. [ينظر الدكتور طيار آلتي قولاج: «مسألة رسم المصاحف» في مجلة ارسيكا، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية في اسطنبول -المجلد الأول العدد الأول 2013ص19.

10- كما قلنا سابقاونكرره الآن بأن هذا المستشرق وغيره نظير البروفسور بيرتون في كتابه (جمع القرآن The collectionof Quraʾn) والبروفسور جوش مكدويل Josh Macdwell وغيره أيضاً يعولون على المؤلفات السنيّة فحسب في هذه الإشكالية وفي الحديث عن التشيع متناسين بل ومتغاضين بعمد وإصرار عن ما يقوله العلماء الشيعة القدامى والمحدثين .ويعدّ هذا النقص في رؤيتهم ومفاهيم وبالتالي يقعون بأخطاء وتناقضات شديدة. ففي هذا الصدد مثلاً لا نجد أي مبرر للمستشرق جلكرايست في كتبه الثلاثة التي سبقت الإشارة إليها والى كتابه جمع القرآن هذا الذي تحدى فيه العلماء الذين هاجموه والذي تحدى فيه جميع العلماء المسلمين الشيع والسنّة على حدّ سواء فيموقفه من عدم صدقية وقدسية القرآن الكريم بهدف موازنته في المكانة والقدسية مع الإنجيل. ومما يؤسف له أن الجانب المسلم هو الآخر قد استسلم لنفوذ وسيادة الحديث السنّي والرواية السنيّة لأنه على وفق ما يمليه عليه مذهبه لا يرى بل لا يصدق أن هناك مكتبة تفوق مكتبته السنيّة مصداقية وموضوعية لأن تتمتع بأفضل وأطهر سلسلة سند ألا وهي السلسة الذهبية المستندة على أحاديث الأئمة الأطهار التي تنتهي

برسول الله؛ فإن سلسلة سند كهذه سوف تقوده، إن شاء أن يعرف الحقيقية، إلى الأصل الضعيف والذي يثير كدورة واستياء تلك التي تأسّست عليه نظرية جمع القرآن المجيد، إنها الرواية التي ثبتّها البخاري وهي رواية معركة اليمامة. فعلى سبيل المثال لماذا أسقط المستشرق خلال دراسته المتعبة والجادة رواية اليعقوبي في تاريخه؛ أقول له لأنه تصور في كون اليعقوبي شيعيا ومع صحة المعتقد أن له ميول شيعية لكنه عباسي الولاء. وبعد هذا فهلأن هذا الإقصاء يعدّ علميا بالنسبة إلى مستشرق لا تملي عليه هذه النعرات الطائفية أية هيمنة. يقول اليعقوبي ما نصّه «**وروى البعض أن علي بن أبي طالب كان قد جمعه لما قبض رسول الله وأتى به يحمله على جمل فقال هذا القرآن قد جمعته وكان قد جوأه سبعة أجزاء** «[ينظر تاريخ اليعقوبي جزء 2 ص91-93. وأضاف إلى قوله هذا «**وقال بعضهم إن عليا قال نزل القرآن على أربعة أرباع ربع فينا وربع في عدونا وربع أمثال وربع محكم ومتشابه**]» م.ن.ص93.أبعد هذا القول الفصل يأتي البخاري وغيره والمستشرق وغيره بتبيان عدم صدقية القرآن. لقد قدمت هذه النقطة ولم أتابعها بنقاط مهمة أيضاً الآن.

11- وإذا ما قدّم المستشرق إن كان في الفصل الذي عنونه بعنوان (The missing passages of the Qur'n:- Al –Naskh wa Al–Mansukh ; The docrine of (Abrogation

وترجمته إلى العربية: الآيات المفقودة من القرآن: الناسخ والمنسوخ: أي مبدأ الإلغاء أو الإبطال [وهذه ترجمة المؤلف للناسخ والمنسوخ ولكنها لا تعبّر تعبيرا حقيقيا وصحيحاعن التعبير العربي الناسخ والمنسوخ] في ذكر ال آية رقم 32 من سورة الفرقان التي يقول الله سبحانه وتعالى فيها بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴾؛ فالمستشرق يتّخذ هذه ال آية دليلا واضحا على أن القرآن لم يكن مجموعا في عهد رسول الله. وللردّ على ذلك إن هذه ال آية جاءت بحق الكفّر من قريش وردّا على شكوكهم بالنسبة إلى طريقة نزول الوحي ولم تكن بيانا لهيكلية القرآن جميعا. فما بال المستشرق بشأن آيات أخرى نظير بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ الفرقان آية رقم 1 .فالفعل نزّل عليه الفرقان لا

يؤخذ معناها أن الله تعالينزّل آية برقم 1 من سورة الفرقان فحسب إنّما تعني القرآن جميعه. ثم ليقرأ ما ورد في سورة القيامة بسم الله الرحمن الرحيم ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ سورة القيامة آيات17،16، 18، 19. وقوله عزّ من قائل (الر كتاباً حكمت آياته ثم فصّلت من لّن حكيم خبير) سورة هود آية رقم 1.وفي آية أخرى من نفس السورة المباركة قوله تعالى ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ سورة هود آيات 13، 14. كذلك نقرأ في سورة يونس بسم الله الرحمن الرحيم ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ سورة يونس آية 38.

12- في الواقع إن المستشرق ظلّ متابعا لرواية معركة اليمامة وعدّها هي الرواية الوحيدة التي انطلقت منها جميع استنتاجاته وآرائه وافراءاته وطعوناته في عدم قدسية القرآن وفي عدم ألوهيته إذ يقول ما نصّه:-

Upon Muhammad ʿs death a number of tribes in the outer parts of the Arabian peninsula reneged from the faith they had recently adopted. Whereupon Abu Bakr sent a large number of the early Muslims to subdue the revolt forcibly. This resulted in the Battle of Yamama and a number of Muhammad ʿs close companions، who had received the Qur'an directly from him، were killed .What followed is described in this well-known hadith: ثم أعقب هذه المقدمة ترجمة لنص الرواية، رواية معركة اليمامة، التي أطلق عليها المستشرق خطئا (حديث). وواقع فقد حافظ المستشرق على ترجمة نصّ رواية البخاري ترجمة جيدة. وبالمناسبة فإنه استند على رواية واحدة من مجموعة متعددة من روايات البخاري ومسلم وأصحاب السنن والتاريخ. حسبما يظهر أن المستشرق في مقدمته أعلاه قد افترض في النصّ المترجم ثمة استنتاجات قابلة للنقاش بالأخص تلك المتعلقة بنتائج المعركة من أنها أدّت إلى خسائر كبيرة من بين أصحاب النبي المخلصين؛ وواقعا فإنّنا لا نملك معلومات دقيقية وإحصائية عن ذلك سوى أن الصحابي

سالم موللى حذيفة قد استشهد في المعركة. على أية حال فقد تأسّست هذه المنهجلعرجاء إلى أن يجعل من تناقضات رواية المعركة (معركة اليمامة) للتدليل على أن ..:

أ- ليس هنالك أي قرآن مجموع في عهد رسول الله . إذ يقول ما نصّه «Regarding the written materials as to exactly how much of the Qur'an was reduced to writing during the lifetime of Muhammad. There is certainly no evidence to suggest that anyone had actually compiled the whole text of the Qur'an into a single manuscript، whether directly under Muhammad's express authority or otherwise، and from the information we have the collection of the Qur'an after his death (which we shall shortly consider)، we must rather conclude that the Qur'an had never .been codified or reduced to writing in a single text

فالاراء التي تضمنها هذا النصّ يدل بوضوح على أن المستشرق قد فشل في متابعاته البحثية وفشل أيضاً في ملاحقة النصوص والإستشهادات المنبثة هنا وهناك في المؤلفات الفقهية والأدبية وفي الدواوين وفي المؤلفات اللغوية بمعنى المعاجم اللغوية وفي المؤلفات الشيعية ولا يركن فقط إلى رواية واحدة غير متوازنة في نسيجها الداخلي وهذ من أبسط قواعد المنهج البحثي الرزين والأمين ذلك يناقش موضوعا مهما للآخر؛ لهذا لعله يجد مجابهات عاطفية غير متوازنة كالتي واجهها مع هذه النخبة من العلماء المسلمين غير المطلعين على تراث الأمة العربية الإسلامية سوى من زاوية ضيقة. فهناك دلائل على أن الرسول كان يعطي الإيعاز إلى كتّاب الوحي بعد نزول الوحي بجعل هذه ال آية في المكان الفلاني من السورة الفلانية؛ زلائل أخرى على متابعاته الكتّاب عند كتابتهم الآيات والرواية المذكرة آنفا المتعلقة مع زيد بن ثابت خير دليل على ذلك.

ب- ليس هنالك سوى روايات شفاهية بشأن جمع القرآن. ورأي المستشرق في هذا الإتجاه غير صائب أيضاً لأن هناك دلائل عن الكتابة كما تم عرضه أعلاه. وهناك معيار علمي لمفهوم الرواية الشفاهية وهي الرواية والكتابة (راجع هذه النقطة

بحسب ابن حجر العسقلاني وغيره وذلك بغية الرد على رتء المستشرقمنها تشديد النبي على ميدأ الحفظ

ت- ليس هتالك إلّا القليل من الصحابة مّمن كان يكتب إلّا كتاب الوحي وهم نخبة كانوا يعرفون القراءة والكتابة

ث- ليس هنالك سوى العسب والعظام كأدوات للكتابة. ورأي المستشرق غير صائب تماما لوجود عدة روايات عن الكتابة بالورق والقراطيس وايضا هناك دلائل عن أن القرآن الذي سلّمه رسول الله إلى الإمامى علي كان على الورق ومربوط بخيط؛ وهذا لا يكون الّ

ج- كان عمل زيد متناقضا فبينما هو من كتاب الوحي وإذا به ينسى آية أو آيات من الكر الحكيم. ولعله من المفيد كتابة النصّ باللغة الإنجليزية للتدليل على صحة راي المستشرق في تردد زيد تحمل أعباء هذا المشروع، مشروع جمع القرآن، الضخم من جهة، وفي عدم قدرته لأنه لم يكن حافظا جيدا للقرآن كالذي تميز به الصحابة الآخرو أمثال الإمام علي والصحابي عبد الله ن مسعود والصحابي أبي بن كعب كما تبينه روايات كتّاب الرجال والتراجم. فيقول المستشرق:-

Zaid’s hesitation about the task، partly occasioned by Muhammad’s» own disinterest in codifying the text into a single unit and partly by the enormity of it، shows that it was not going to be an easy undertaking .If he was a perfect hafiz of the Qur’an and knew the whole text off by heart، nothing excepted، and if a number of the other companions were also endowed with such outstanding powers of memorization، the collection would have been quite. He needed only to write it down out of his own memory and have the others check. If Zaid and the other qurra (memorisers) each knew، by divine assistance and purpose، the whole Qur’an to the last letter without any error or omission – this is the Muslim hypothesis – we would hardly have found him responding to the appeal to collect

the Qur'an as he did. Instead of immediately turning to his memory alone he made an extensive search for the text from a variety of sources. This was not the action of a man believing he had divinely endowed with an infallible memory upon which he could exclusively rely but rather of a careful scribe who was going to collect the Qur'an .from all the possible sources where it was known to be، from scraps

فالمستشرق في هذا النصّ المهم يشكك في قدرة الصحابي زيد على الحفظ عن ظهر قلب لآيات الله تعالى وإلا فأنه سوف لن يضطر إلى يشرع بعد موافقته على رأي الخليفة بالبحث والتفتيش عن العسب والحجارة وغير ذلك بغية جمع القرآن.

وهكذا الحال بشأن عدد آخر من النقاط التي تناولها المستشرق في هذا الكتيب، الكتيب الذي تفحص بعناية دقيقة اضطراب الرواية التي نعول عليهاكثيرا جدا عندما يكون الأمر متعلقا بالكيفية التي تحدثنا رواية الصحاح والسنن على جمع القرآن على حرف الصحابي زيد بن ثابت .ولعلنا نستشرف من دراسة المستشرق بلزومية تدقيقنا وتمحيصنا لهذه الروايات من أجل أن لا نعرض كتاب الله العزيز الذي أنزله الوحي الأمين على رسول الأمة وأن نعتمد آيات الذكر الحكيم فقط التي تبين كيفية النزول والصيغة التي نزل فيها بكامله كما بينت الآيات التي اعتمدناها من سورة القيامة الكريمة والآيات الأخرى؛ فضلا عن الأحاديث الشريفة التي تؤكد ما جاء به الوحي؛ وعلى الروايات الأخرى المتوافرة في المؤلفات الشيعية والأدبية والفقهية تلك التي تخالف رواية معركة اليمامة من أن الإمام علي قد حمل إلى القوم الموجودين في المسجد الجامع في المدينة القرآن الذي سلّمه إياه رسول الله بالصيغة التي عارضها رسول الله مع الملك جبرئيل في العرضة الأخيرة قبل وفاته وكما تحدثت به رواية زوجة النبي عائشة عن أنه سرّها بسرّين أحدهما بخصوص العرضتين الأخيريتين للقرآن الكريم مع الملك جبرئيل .فهذا الأمر يتطلب منّا - نحن المسلمين - أن نقف بشدة ضدّ من يتصور، انطلاقا من رواية معركة اليمامة، بأن القرآن لم يكن موجوا في عهد الرسول الكريم بل لم يكن محفوظا وأن أول من جمعه الخليفة أبي بكر أو الصحابة سالم مولى حذيفة أو زيد بن ثابت.

الفهرس